

رواية

أعيدوا لي قلبي

Kalbimi bana geri ver



منى الفيثي

منى الغيثي

أعيدوا لي قلبي

رواية

إلي شريكتي في المرض والصحة البكاء والضحك إلي توأمي الذي لم يولد
معي.

M.H

التمهيد

بعد عبوره لهذا الممر البارد ؛ ناول يداه للسجان بعدما توقف ليفتح له الأغلال.. قال السجان: تعرف قوانين الزيارات جيداً صحيح؟
أجل.

المحامي هو الزائر الوحيد الذي يقبل بمقابلته ، بعد أن طرد أخيه الأكبر وأبيه قبل 4 سنوات ، فتح له السجان الباب عبر بخطوات بطيئة نحو الجهة الأخرى ، يبحث عن المحامي فلم يرى سوى فتاة تقف وحيدة في قاعة الزيارات ، للوهلة الأولى لم يكن يصدق ما يراه ؛ ظل جامداً مكانه ولم تنطق هي بكلمه تحديق به من بعيد وعينيها تذرف الدموع بصمت ، غمرته فرحه كبيرة ، فبعد عشر سنوات ها هي ذي تقف أمامه ، تقدم نحوها ببطء محاولاً أن يخرج الكلمات لكنها تأبى الخروج ، توقف مكانه وتلاشت تلك الإبتسامة ، لم يكن يراها جيداً عند دخوله ، لكن بعد اقترابه رأى تلك العيون الزرقاء التي تشوه محجر يسراها بفعل بقعه بنفسجية ، وشفاتها الوردية الناعمة تمزقا بفعل جرح قد شق شفتها السفلى ، تحمل يدها اليسرى بحامل وقد غطيت بالجبس ؛ شعر بالغضب من نفسه أولاً ، فبعد كل شيء أتضح أنه لم يستطع حمايتها بل تركها تصارع تلك الوحوش وحدها ، توجه إليها بخطوات سريعة أحتضنها مردفاً: أنا آسف ..أنا حقاً آسف..لم أستطع حمايتك..نادى السجان قائلاً: أبتعد حالاً اللمس ممنوع..رفع يداه إلي أعلى قائلاً: لا تؤاخذني يا أخي..أشار لها لتجلس وبعد جلوسهما قال: أي منهم فعل بكِ هذا يمان أم ذلك التافه سالم...دعك منهم لا تهتم ..ضرب بيده علي الطاولة فأخافها قائلاً بصوت هامس مليء بالغضب..كيف لا أهتم..تبقى القليل علي خروجي سأجعلهم يدفعون ثمن كل ما فعلوه بكِ..أرجوك أسمعني...قالت بتوسل..صمت وحاول أن يهدأ فهم أن حالتها هذه سيكون خلفها خبر غير سار أكملت.. يكفي كل ما أصابك حتى اليوم بسبب بعد خروجك عش حياتك ولا تهتم بما حدث لي..قد حدث ما حدث ولم تعد هناك فرصة لأن نصلح أو نعيد كل شيء إلي نصابه... ما الذي تهدين به؟ وكيف سمحوا بزيارتي أنا أمتنعت عن الخروج لرؤيتهم لأنهم لم يقبلوا بزيارتك لي؟!..أتيت لأبلغك بشيء.. ترددت وبشيء من الخوف قالت:

لقد تزوجت.

أعيدوا لي قلبي

ضحك بهستيرية ثم قال بعد أن هدأ..فهمت الآن سبب هذه الحالة التي وصلت إليه هل كل هذا لأنك رفضتي الزواج!!...أجاب عن سؤاله...بالطبع حدث هذا كم دفع ذلك الوغد.

من؟!

ضرب الطاولة بيده قائلاً: التافه الذي أشتراك منهم..ما المقابل الذي قدمه؟

الأمر ليس كما تظن؟

ضحك بحسره مضيفاً..حياً بالله لا تعامليني كالأحمق.. حسناً..هل ستقولين لي الآن أنك أنت من تزوجت ولم يجبرك أحد؟..لم تتكلم فأكمل..حسناً لنقل حدث هذا لما لم تحاولي الوصول إلي المحامي ليبلغني!

حدث الأمر علي عجل...

عاد للضحك..يا أبنتي هل تقدم للزواج وعقدوا القيران في اليوم التالي مثلاً حتى تقولي لي علي عجل!!...أكتفت بالصمت كجواب لأسئلته التي لا يمكنها أن تجيب عليها ، نهض وهو يصيح...هل فعلوها الأوغاد وتريدين أن تقنعيني أن كل ما حدث بإرادتك؟..ضرب بيديه علي الطاولة أتكى عليها..من يكون؟..طال صمتها فهي تعلم أنه لن يستوعب ما قد سيسمعه أكتفت بشد قبضتها علي حزام الحامل الذي تضع به يدها المكسورة فصاح بصوت مرتفع: أعطيني أسم ذلك الوغد..أضاف بعد ضربه للطاولة بقوة..قلت تكلمي.. نادى السجان:

صالح هذا التحذير الأخير..

لم يبالي بكلمات السجان لأنه أنشغل بالخوف الذي قد تملكها ، ألمته النظرة التي بعينها ؛ فبعد أن كانت لا تجد الأمان إلا خلفه ها هي اليوم ترتجف خوفاً منه ، وبعينها نفس النظرة التي كانت تحملها وهي تنظر إلي والدهما ، أبتلع حسرته بصعوبة ثم جلس وقال بعدما هدأ...غاليتي صحيح أنني صرخت بك الآن لكن من المستحيل أن أؤذيك لا زلتُ نفسه صالح الذي كنته قبل سنوات من يفديك بروحه..أنا آسف

لا تعتذر..وأعرف أنك لن تؤذيني.

جيد إذا أخبريني الآن!

عدني أنك لن تغضب وتبقى هادئ.

أعدك أنني سأحاول.

شدت قبضتها علي الحزام مجدداً، وأبعدت نظرها عنه كانت أنفاسها غير مستقرة من شدة التوتر، وهو ينتظر خروج ذلك الأسم من بين شفتيها بفارغ الصبر قالت بتردد: أرغ... أرغوفان... تعجب من وقع الأسم علي مسامعه... أرغوفان؟!... بلعت ريقها بصعوبة لتقول أثقل شيء قد يسمعه: بوزدا... أرغوفان بوزدا... نهض من صدمته دون أن يتفوه بكلمه مشى قليلاً ثم توجه نحو باب الخروج... أتعنين نفسه... الذي أعرفه؟!... عاد نحوها مكملاً... هل تقصدين المحامي الخاص بي... أخي أرغوفان.. صاح بها.. أنا أقول للرجل أخي وأشكوا له همي وهو يضع عينه علي شرفي... حاولت أن تبرر لكن دون جدوى فصدى أسم أرغوفان يتردد في رأسه ولم يعد يستطيع سماع أي شيء ، تجاهل كل كلمه حاولت أن تقولها وأتجه إلي الباب الأخر بدأ بضربه بقوة كبيرة صارخاً:

_ أرغوفان يا عدو العرض.. أعلم أنك متواجد هنا وأنت تسمعني تعال إلي هنا أيها الديوث لقد قلت أنك أخي وأنت ماذا فعلت؟

تدخل الحراس وبدأوا بمحاولة إبعاده عن الباب بالقوة فقاموا بجره وإدخاله بعدما انهالوا عليه بالضرب حتى فقد وعيه.

الفصل الاول

أسوء ما يمر علي الإنسان__ أن يحزن من نفسه وعلي نفسه!.

استيقظت باكراً بعدما تجهزت ،وانطلقت إلي المطبخ.. صباح الخير جميعاً..قالت.
_ صباح الخير..ردت الخادمتين المتواجدتين..

_ أين أختي عائشة؟..سألت

قبل أن تتحصل علي إجابتها قالت من خلفها..صباح الخير صغيرتي...أضافت...هيا يافتيات خذن الفطور للأعلى قبل خروج الأغا من غرفته..توجهت نحوها وقالت.. هيا أنت أيضاً أصعدي وأشرفي علي ترتيب المائدة قبل أن يصعد والدك وأخوتك لأعلى...حسناً أنا ذاهبه...صعدت للطابق الثاني لتنفيذ مهمتها اليومية بالإشراف علي ترتيب مائدة الإفطار كما يفضلها الأغا،قبل انتهاءها بقليل دخل أخواتها الثلاث قالت: صباح الخير!..لم يجبها أي منهم مثل كل يوم؛ بالرغم من أنهم لا يجيئونها عند إلقائها للتحية إلا أنها لا تستطيع تجاهل قولها، فإن تجاهلت قولها تتلقى التوبيخ القاسي...أنتهن من ترتيب المائدة فوقفت بجانب الخادمة تنتظر وصول الأغا.

شاه ميران ديمير،رجل نرجسي رأس مالي رجعي، كل ما يهتم به بهذه الحياة هو المال ،ولد بأسرة ثرية لكنه يعشق المال، لا يرى أن الامرأة إنسان حتى يكون لها حقوق ؛وله جمالته الشهيرة بين أبناء طبقته "ما نفع أن تنجب أنثى ما لم تعيد عليك استثمار كبير "حتى الزواج يراه صفقة تجارية واستثمار لا بد منه.

جلس علي رأس الطاولة، أشار للخادمة كي ترحل وطلب من جونول المكوث، وقفت في انتظار سماع ما الذي يريد والدها قوله وهي ترتجف خوفاً منه ، بعد أن تبادلوا أطراف الحديث قال: نهاية هذا الأسبوع سيأتي الأغا نامق بيازيد من إسطنبول كونوا جاهزين علي هذا الأساس.

_ كما تأمر.

_ جمال الدين أعطها بطاقة انتمان..ثم أشار دون النظر إليها مكماً..ستذهبين ليومين إلي السوق الكبير أشتري ثياب تليق بأبنة الأغا..تمتم سالم بشيء لم يتطرق إلي مسامع والده لكنها سمعته بوضوح ختم والدها حديثه بجمالته المشهورة ..أغربي عن وجهي الآن.

أخذت بطاقة الائتمان بعد أن رماها جمال الدين علي الطاولة فقال سالم: أخبريهم أن تجهزوا لي القهوة وأحضريها إلي المكتب.

دخلت إلي المطبخ لتجد عائشة تنتظر وتضع يدها علي قلبها قالت فور رؤيتها..ما الأمر لما طلب الأغا بقائك معهم؟

_ الأغا نامق بيازيد قادم في نهاية الأسبوع يريد أن نتجهز لقدمه.

تنهدت قائله: بهذا القدر الحمد لله

_أهدئي لا يوجد ما يقلق.. قالت وهي تمسك بذراعها وتساعدتها علي الجلوس..
أجلسي ودعينا نتناول الفطور أولاً.. نظرت لأحدى الفتيات أضافت.. أعدتي قهوة للسيد
سالم ريثما أتناول الفطور.

صعدت إلي المكتب لحمل قهوة سالم، وضعتها علي الطاولة وعندما استدارت لتخرج
قال:

_ أنتظري لحظة!...

كان يشبه والده تماماً بالإضافة إلى كونه متغطرساً، يرى أن الجبال خلقت من
أجله، يعتبر إهانة من حوله جزء من قوته يبطش بالجميع دون استثناء ولا احترام له
لأحد.

صاح بها.. هل تسمين هذه قهوة؟.. سوف أغيرها لك حالاً.. تجاهلت صراخه وتوجهت
نحو فنجان القهوة لأخذه، ضرب الطاولة برجله قائلاً بغضب: ماذا ألن تعتذري؟
..لست أنا من أعد القهوة لذا لا... قبل أن تنهي ما كانت تحاول قوله ، ألتف شعرها
الطويل الحريري علي يده صاح بها وهو يشده بقوة.. ماذا ألا يعجبك الاعتذار مني
ألا ترين أنني رجل مثل جمال الدين الذي تعتذرين له وزوجته كلما أخطأت؟.. كانت
تتألم من شد قبضته علي شعرها ورجها فقالت: أستغفر الله.. لم... أقصد... دفعها بقوة
حتى اصطدمت بالباب ثم قال:

_ اللعنة علي من يطلب منك القيام بشيء

تسأل جمال الدين عند دخوله: ماذا يحدث هنا لما كل هذا الصراخ منذ الصباح؟

_ معاقين لا يستطيعون أن يعدوا حتى فنجان قهوة جيد.

_ كل هذا من أجل فنجان قهوة؟!... أشار إلي جونول قائلاً: جددي له فنجان قهوته.

صاح قائلاً: لا أريد سأشرب قهوتي في الشركة.. لعنكم الله.. أردف وهو يغادر.

_ أطلب من الخادمة أن تنظف المكتب وتأكدي أن يتم تنظيفه وترتيبه وتهويته جيداً
هنالك ضيف سيأتي.. قال بعد خروج سالم... أجابت وهي تمسح دموعها التي لا يبالي
أي أحد بهذا المنزل عن سبب ذرفها.. حسناً سوف أهتم بالأمر.. أستدار قبل خروجه
أردف.. علي الخروج الآن إن أتى ضيفي قبل عودتي أدخله إلي هنا وأكرموه قبل
وصولي.. أضاف بتهديد.. وإن سمعت أنك تحدثت معه بغير جملة "ماذا تشرب"
تعرفين ما الذي سيحدث؟!!

_ أجل لا تقلق.

أعيدوا لي قلبي

لاحظت عائشة عيناها الحمراء فور دخولها.. ما الأمر؟ .. سألت

_ سالم تحجج بالقهوة لينفس عن غضبه..

_ وهل تأذيت؟

_ لا تقلقي أنا بخير.. أضافت بعد أن تذكرت.. قال جمال الدين "هناك ضيف سيأتي

أن أتى قبل وصولي أدخله إلي المكتب وأكرموه ريثما أعود".

_ حسناً لا مشكله.

عبرت سيارته شوارع وأزقة البلدة وأنظار المارة عليها، فليس من المعتاد بهذه البلدة

رؤية سيارة خاصة كالتي يشاهدونها في المسلسلات والأفلام ؛ تتقدمها سيارة

وكلاهما يحملان رقم لوحه غريبة، بعد مرورها بالكثير من الشوارع توقفت أمام

قصر عائلة ديمير، ترجل من السيارة الأمامية رجل ضخم الجسد... طويل القامة...

أصلع له نظر حاده، فتح باب السيارة الخاصة فترجل منها رجل، بيمناه حقيبة جلدية

فخمه وبيسراه نظارات شمسية قال بعد ارتدائها:

_ سلجوق دعنا لا نسبب ازدحام للمارة أوقفوا السيارات بعيداً عن هنا فالشارع ضيق.

أجاب بصوته الأجهش.. حالاً سيدي.

فتحت الباب بعد طرده امرأة في الستينات ممثلة الجسد قصيرة القامة لها وجه

بشوش قالت: تفضل.

_ طاب يومك سيدتي.. قال بوقار.. هذا منزل أسرة ديمير؟

_ أجل تفضل!..

_ لقد أتيت لمقابلة جمال الدين ديمير.

تذكرت ما قالته جونول قبل قليل فقالت: أه.. أعتذر حضرتك ضيف السيد جمال الدين

تفضل بالدخول..

_ هل هو متواجد؟.. سأل قبل أن يدخل.

_ لا لكن طلب أن ندخلك ريثما يعود لن يتأخر.

_ حسناً أسمح لي.

ابتعدت عن الباب فدخلت قالت بينما تمشي خلفه: أصد هذه السلالم الباب الذي يقابلك

هو مكتب الأغا يمكنك أن تنتظره هناك.

_ حسناً شكراً لكِ.

أعيدوا لي قلبي

_ ماذا تشرب حضرتك؟.

_ لا داعي شكراً.

صعد السلالم وفتح الباب الذي قالت عنه ، كانت في المكتب فتاة شابه تحاول إغلاق السقاط العلوي لباب الشرفة، وضع حقيبته علي الكرسي وتوجه نحوها قال:

_ المعذرة...

قفزت من فزعها قائلة: من أنت؟...

دفع باب الشرفة بقوة وأغلق السقاط العلوي أستدار نحوها ، فقد توازنه ووقف أمام جمالها مضطرباً، غير قادر علي إبعاد نظره عن جوهرتين الزرقاء اللتان زينتا بلون أسود قائم بقلم للعين ، أستطاع أن يخرج صوته بثبات ، راسماً ابتسامة علي ثغره.. لم أقصد إخافتك أنا أسف.. مد يده للمصافحة مكماً.. أنا أرغوفان بوزدا.. صافحته بحركة سريعة قائلة:

_ اهلاً بك إذاً أنت ضيف جمال الدين.

_ أنا هنا من أجل جمال الدين .. أجاب.. حسناً أعذر يمكنك انتظاره هنا ريثما يأتي قال "أنه لن يتأخر" ..شكراً.. عندما استدارت لتخرج أضاف...جونول؟!... نظرت بدهشه إليه متسائلة.. نعم!... كأنما أراد قول شيء لكنه تراجع في قوله فأكمل... أنت جونول أخت جمال الدين الصغرى صحيح؟..

_ كيف تعرف أسمي؟.

_ ألم تتعرف علي؟!... قال بتعجب.

_ وهل تقابلنا من قبل؟... قالت بشيء من الجدية.

رسم ابتسامه لطيفة علي ثغرة وقال: لا فقط... ظننت أنك ستتكهنين حول من أكون.

_ عذراً لكن حتى هذه اللحظة لم تخبرني كيف تعرفني؟

قال بتوتر.. لقد.. حدثني عنك كثيراً حتى أنني عرفتك فور رؤيتك.

_ من حدثك عني؟!..

_ صالح..

تفاجأت عند سماعها أسمه علي لسان أحد ما بعد كل هذه السنوات أخيراً هنالك شخص قد راه ويعرفه سألت بتوالي... هل حضرتك تعرف صالح؟... أساساً كيف تعرفه؟.. ومنذ متى تعرفه حضرتك حتى حدثك عني؟.. أضافت بتوتر.. من حضرتك أساساً؟.

أعيدوا لي قلبي

قال ضاحكاً: أهدئي لأعرف كيف أجيب علي أسألتك.

_حسناً أعتذر تفضل حضرتك..أجاب وهو يحاول إخفاء ضحكته..سأجيب علي كل أسألتك بجملة واحدة أنا محامي صالح ديمير.

قالت بفرحه: أنت محامي صالح!..هل هو بخير؟

_بخير وسيصبح أفضل.

تلاشت تلك الفرحة بمحياها ليحل مكانها الشك..حضرتك لم تأتي لزيارتنا ولو لمرة واحدة طوال استلامك لقضية صالح وبما أنك هنا اليوم فهل حدث شيء لصالح؟.

_لا لم يحدث له شيء..قال وهو يحاول طمأنتها..حتى أنني أحمل لكِ خبراً ساراً.

_ما هو؟..

_إذا ما قبل والدك دفع المبلغ من أجل التسوية سوف يخرج خلال شهر من السجن.

_هل حقاً ما نقوله؟..أردفت بثقة..لا تقلق أبي لن يتردد في دفع أي مبلغ لأجل صالح.

_لكن لا تخبري أحد أنك سمعتِ بهذا مني؟..

تمتمت.. "كأنني أستطيع أخبار أحدهم".

_ماذا؟..

_لا لن أخبر أحد..قالت وهي تحاول تفادي الموقف.

فرعت عند سماعها صوت جمال الدين يتحدث في الأسفل ، ولم يغيب الخوف الذي بدا عليها عن أنظاره ؛ أصبحت تنظر في كل اتجاه وكأنها تحاول البحث عن مخرج يبعدها عن جمال الدين قالت:

_أنا لم أتحدث مع حضرتك قط ولم نجري هذا الحديث.

_حسناً.قال مجارياً للموقف مع عدم فهمه.

خرجت مسرعة من المكتب لتصادف جمال الدين علي السلالم قال بهمس يوحى علي حاله استنفار ذكورية..لما كنت في المكتب؟..أجابت بتوتر..لقد وصل ضيفك...أد..أدخلته للمكتب..

قال بغضب: أغربي عن وجهي وأرسلني شيئاً لشربه..

_حسناً حالاً.

_مرحباً بحضرة المحامي..قال فور دخوله.

نهض لمصافحته مردفاً...مرحباً بك جمال الدين.

_تفضل بالجلوس...أضاف وهو يجلس..ماذا تشرب؟

_أخبرت الخادمة قبل قليل لا أريد أي شيء شكراً.

ضحك باستهزاء لظنه أن أرغوفان يعتقد أن جونول خادمة لديهم وهو لا يعلم أن أرغوفان يتحدث عن عائشة..قال: إذاً أيها المحامي ما الأمر المستعجل الذي علي أثره طلبت رؤية والدي.

_أولاً هل لي أن أعلم لما والدك رفض مقابلي ما الخطأ الذي بدر مني؟

_لا..لا الأمر ليس كذلك أبي قال"محامي صالح طلب رؤيتي جمال الدين أذهب أنت لرؤيته أن كان صالح يرسل من أجل جونول أخبر المحامي أن لا يهدر أنفاسه عبثاً وإن كان من أجل أحدي أمور صالح التافه التي لا تنتهي أهتم أنت بالأمر ولا توجع رأسي".

_أموراً كهذه يهتم بها المحاميين المبتدئين في مكثبي ولكن هل تظن حقاً أنني قطعت كل هذه المسافة من المدينة إلي هنا لأجل أموراً كهذه؟.

أعتدل في جلوسه وقال بلهجة جاده: هل حدث شيء لأخي في الداخل؟

_لا أنه بخير...لكن عائلة المجني عليه قد توفي عمهم وهو الرجل الذي رفض التسوية ودفع الدية عندما عرضناها عليهم قبل عشرة أعوام..لقد قدمت التماس إلي القاضي صباح اليوم لنقوم بتسوية مع عائلة المجني عليه وإذا قبلوا بالمبلغ الذي سوف يدفع سيخرج صالح في غضون شهر أو اثنين علي الأكثر.

قال بفرحه: هل تتحدث بجدية؟

_وهل وجهي يوحي علي أنني أمزح؟

_حسناً وماذا عن صالح؟..ماذا يقول في أمر الدية هذا؟

_لم يعترض بل وقال أيضاً "أدفعوا الدية من حصتي في العمل معكم طوال السنوات الماضية وإن كان المبلغ كبير أدفعوه وسوف أعيد المبلغ بعد خروجي"

_إذا كان الأمر يحل بالمال..قال جمال الدين بسعادة..فلتكن أموالنا فداء لصالح.

_إذاً هل ستخبر والدك؟

_أجل سوف أخبره بالتأكيد لن يرفض عرضاً كهذا وسأجلب لك الموافقة غداً.

_حسناً إذاً..أردف وهو ينهض للمغادرة..أنا هنا في البلدة لمدة أسبوع سأسعى لحلها خلال هذه الأيام.

_أقدر جهودك حضرة المحامي.

فور خروج أرغوفان بدأ جمال الدين باتصالاته ، للتأكد من ما أخبره به المحامي عن وفاة الرجل الذي حال دون حرية صالح وتسبب بأن يحكم عليه لـ25 سنة.

تقف أمام نافذة المطبخ تراقب باب المكتب عن كثب، تتلاعب بأسورتها التي لم تخلعها من معصمها يوماً ، لما تحمله من ذكرى خاصة لها.. جونول ما الأمر؟.. قالت عائشة.

_ لا شيء.. أجابت بتهكم.

_ لما تقفين هكذا إذا؟.

_ لماذا هل ممنوع؟.

تقدمت نحوها بخطوات بطيئة وسألت.. ما بك؟.

_ ماذا؟.. قالت بتوتر.

_ لست علي طبيعتك منذ خروجك من المكتب ما الذي حدث هناك؟.

تجهمت قائلة: ماذا حدث برأيك عندما دخل الرجل انا خرجت بهذا القدر.

قالت باستغراب.. وقد أستغرق كل هذا الوقت؟.

أختي عائشة إلي أين تريدين الوصول؟.

_ لا أريد الوصول إلي أي مكان لكن لا أريد أن تتورطي مع أخوتك بالأخص جمال الدين تعلمين أنه الأكثر تعصباً.

_ لا تقلقي ولأجعلك تطمئنين سأذهب إلي غرفتي وأبقى بها حتى يغادر الضيف هل ارتحت؟.

خرجت متصنعة الغضب كي لا تتبعها عائشة والتي تظن أنها قد ذهبت إلي غرفتها ، بينما هي تقف بالقرب من البهو في انتظار خروج أرغوفان.

خرج من المكتب وأغلق الباب خلفه ، فهمت أن جمال الدين لديه عمل عليه القيام به لهذا لم يخرج معه ، كانت تراقب المطبخ ففي حالة خروج عائشة أو أحد من الخدم لن تنجح في ما تحاول فعله ، سمعت صوت من خلفها يقول: هل هناك مشكلة؟.. استدارت بسرعة لتجده يقف خلفها ، تسارعت نبضات قلبها بسرعه ، فلم تعرف هل بسبب التوتر أم لأنه قريب منها جداً ، أبتعد معتذراً: لا تؤاخذيني عندما رأيتك تتجسسين هكذا ظننت أن هنالك شيء ما؟

أعيدوا لي قلبي

_ لا كنت... أردفت بخجل.. أنتظرِكَ.

_ تنتظريني؟!..سأل متعجباً

كانت تنظر حولها باستمرار ففهم أن الأمر سيكون سيئاً لها أن تمت رؤيتها تتحدث معه قال: دعينا نقف بالبهو فهكذا سنتحدثين براحة دون أن يراك أحد..تبعته إلي البهو فأضاف..ما الأمر؟

_ هل سنتقي بصالح؟

_ أجل بعد خروجي من هنا سأذهب إليه.

_ إذاً هل توصل له شيئاً ما؟

_ بالتأكيد.

خلعت السوار الذي ترتديه ناولته أياه قائلة: قل لصالح "طائرِكَ الصغير كبر ولم يستطع الطيران بدونك".

لم يفهم ما الذي يحدث لكنه لم يسأل وأكتفى بقول: حسناً سأخبره بكل ما قلت بالحرف الواحد.

_ سأكون ممتنه لك..ابتعدت عنه ثم استدارت قائلة قبل أن تدخل إلي الداخل: سيد أرغوفان تسعدني معرفتك.

دون أن يدرك وجد نفسه يرسم ابتسامة كبيرة علي ثغره أثناء تلاشي ظلها أمامه.

جالساً في انتظار أن تفتح هذه الأبواب لرؤية موكله الذي لم يراه منذ 4 سنوات ، دخل صالح والابتسامة لا تفارق وجهه قال وهو يفتح ذراعيه:

_ مضى وقت طويل يا أخي.

_ تسعدني رؤيتك بخير..قال أرغوفان.

بعد أن استقبلا بعضهما بعناق حار جلسا فقال صالح: يا رجل لم أرك منذ سنوات وها أنت ذا تبدو أصغر سناً.

_ وأنت تبدو أكبر مني...تبادلا الضحكات فأردف أرغوفان: كيف حالك؟

_ بخير وأنت؟

_ بخير.

_ إذاً الأخبار عندك؟.

_ فور أن أتصلت بي باشرتُ باتصالاتي وعلمتُ أن الخبر صحيح واليوم قد أتيت من إسطنبول ووجهتي الأولى كانت إلي المحكمة قدمت طلب التماس من القاضي.
قال بحماسة.. هل قبل به؟

_ لن يتم الرد فوراً علي طلبنا سننتظر قليلاً.

_ اللعنة إذاً كم تحتاج؟

_ لا أعلم لكن أن كنت محظوظ سيردنا رد بعد ثلاثة أيام.

_ ماذا عن عائلة الضحية هل ذهبت إليهم؟

_ لا اليوم أتصلت بوالدك لكنه رفض رؤيتي وأرسلني إلي جمال الدين وقد تكلمت مع جمال الدين بخصوص الدية التي سوف تدفع فقال "فلتكن أموالنا فداء لصالح".

_ أخي الأسد.. قال بتفاخر.

_ ما إن تصلني الموافقة من والدك غداً سأذهب فوراً إلي عائلة الضحية وأطلعهم علي أمر التسوية.

_ أرجو أن يفلح الأمر.. قال برجاء.

_ بالمناسبة لدي أمانه لك... أخرج من سترته سوار صنع يدوياً به خرزات خضراء اللون وأزهار وردية يتدلى منه طائر صغير، وضعه بكف صالح الذي صدم وتجمد مكانه، أضاف... "طائر كبر ولم يستطع الطيران بدونك".. نظر إليه بعينا متسعان ممتلئتان بالدموع قال بعد معاناه من عدم ترتيب الكلمات بفعل الصدمة.. أنت.. كيف؟.. الآن هذه الأسورة.. تساقطت الدموع من عينيه مسحها بكفه وظل يغطي عينيه تأوه بعجز وحسره.. آه.. آه.. آه.. يا أمانة أمي!!! بعد أن تمالك نفسه أضاف.. من أعطاك هذا السوار؟

_ فتاة ما لم تقل لي من تكون لكن أعتقد أنها شقيقتك التي دائماً ما تطالب برؤيتها؟

_ أجل أنها أمانة أمي عصفورتى.. أضاف بقلق.. هل كانت تبدو بخير؟.. هل رأيتها؟.. أجاب عن سؤاله.. بالطبع رأيتها وإلا كيف وصلتك أسورتها.. كيف وأين رأيتها؟.. هل تغيرت كثيراً.. أجاب عن سؤاله.. بالتأكيد تغيرت هي في التاسعة والعشرين قل شيئاً يا أخي حياً بالله لا تصمت هكذا!!

ضحك قائلاً: أنت لم تعطني المجال لأجيب عن أي من تساؤلاتك.

_ حسناً لا تؤاخذني يا أخي والله من الحماسة.. تفضل.

_ حقاً أنها تشبهك تماماً.

_ لا تغلقها.. قال بخيبة أمل.. إذاً أصبحت بشعه.

ضحكا كلاهما فقال أرغوفان:

_ ليس كذلك عندما علمت أنني المحامي الخاص بك سألتني ألف سؤال بالدقيقة.

_ تكون قد اشتاقت لرؤيتي مثلما اشتاق لرؤيتها؟!.

_ أجل كانت كذلك لكن.. لما أنت قلق عليها هكذا؟.

_ لا تهتم.. أضاف مبتسماً وهو يستعيد ذكرياته...كنت في العاشرة عندما صنعت لها هذا السوار حينها وعدتها بأنني سأجعلها ترفرف بحرية..

_ ولم تفي بهذا الوعد صحيح؟..

_ عندما سجننت كانت في التاسعة عشر.. أعتقد أنها أصبحت امرأة جميلة كأمي تماماً الآن.. أضاف مبتسماً.

_ كان لقائي مع جمال الدين في قصركم ولهذا ألتقيت حدث الأمر بالصدفة وقد أخبرتها عن أمر التسوية وفرحت كثيراً.

_ أوه بالطبع ستفرح مهجه قلبي.

_ وعند خروجي أخبرتني بما أخبرتك به قبل قليل وأعطتني الأسورة لأوصلها لك. ربت علي يده.. شكراً لك يا أخي.

_ لم أفعل شيء لكن إن لم تكن هناك مشكلة بسؤالتي.. ماذا كانت تقصد بكلامها؟

_ عندما تم أخذي من قبل الشرطة ظلت تبكي كثيراً فاحتضنتها وأخبرتها أن طائري الصغير هكذا اعتدت أن أناديها عندما كنا صغاراً فقد كانت تمتلك وجهاً صغير وعينان كبيرتان مثل فراخ العصافير علي أي حال قلت لها "طائري الصغير سيكبر وسوف يتعلم الطيران بدوني"... لكن يا أخي هل الأمر سيطول؟

_ شهر أو اثنين لكنك تحملت الكثير وبقى القليل.

_ أجل صحيح لكن كم ستبقى هنا؟

_ سأبقى هنا لأسبوع وسأحاول حل أمر التسوية.

_ لن تتركني ويتكفل بقضيتي أحد طلابك صحيح؟

_ لا تقلق أنا لا أترك أحداً منتصف الطريق لكن لدي قضية في أزمير ولهذا علي حل كل شيء هذا الأسبوع.

_ حسناً فهمت وسلمت يا أخي.

بأحد متاجر السوق الكبير كانت رفقة عائشة تختار الثياب التي سوف تشتريها ، تستغرق في شراء ثيابها حوالي ساعتين تقريباً ؛ لكن هذا ما يظنه الحراس الذين يصحبونها إلي السوق ، فكل الوقت الذي تستغرقه للتبضع نصف ساعه لا أكثر، أقرب من عائشة وقالت بهمس: أختي علي الذهاب الآن.

_ماذا؟..أردفت بخوف..ماذا إن اكتشفوا غيابك؟!..

_لن يفعلوا سأذهب وأعود خلال عشرين دقيقة لن أتأخر.

_وماذا إذا لم تذهبي؟.

_من فضلك أختي نحن نخرج بمعجزة بين فترة وأخرى سأذهب وأخذ أمانتي وأعود أعدك لن أتأخر.

بعد إصرار شديد وافقت عائشة علي ذهابها ، بحنكتها استطاعت الخروج بطريقة ما دون أن تتم رؤيتها أو ملاحظتها من قبل الحراس ؛ توجهت فور خروجها إلي المقهى المتواجد في الشارع الخلفي للمتجر، هنالك وجدت جانير في انتظارها قال فور قدومها بحماسه: اهلاً بكِ..بعد جلوسها سأل..لم يلاحظ أحد خروجك؟

_لا تقلق لم يرني أحد..ثم أردفت..عند مرورنا بالمتجر رأيتك بجانب والدك فظننت أنك لن تستطيع القدوم.

_تعلمين أنني سأتي إليك مهما كلف الأمر..ثم أضاف بتعجب..هل حدث شيء يبدو أنك سعيدة!!..

_أجل وأنا متحمسة جداً لأخبرك فأنت الوحيد الذي يمكنني أن أخبره.

قال بحماسه..لقد تحمست الآن ماذا أخبريني؟

_التقيت بالأمس بشخص ما.

رفع حاجبه بنظره قاسية وبلهجه حادة قال: من؟..ومتى خرجتي من المنزل حتى تلتقيه؟.

قالت غير مبالية بانزعاجه: دعك من هذا الآن..أكملت..في الأمس جاء محامي أخي صالح واستطعت الحديث معه.

جذب أنتباهه الحديث فقال..ثم!!..

_أخبرني أن صالح قد يتم إطلاق سراحه.

قال بسعادة: هل حقاً ما تقولينه؟

أعيدوا لي قلبي

_أجل لكن لا تخبر أحد بهذا قال لي السيد أرغوفان إلا أخبر أحد لكنني كنت مجبرة علي مشاركة سعادتي مع أحدهم.

_يسعدني أنني أنا الشخص الذي تشاركينه سعادتك..أضاف مبتسماً..بعد صمت ساد لوهله بينهما قال جانير وكأنه لاحظ الآن...من أرغوفان هذا؟

_المحامي!.

_أه..حسناً..ثم سأل..ليس من عادتك الخروج بهذا الأسبوع لما سمح لك والدك بالخروج؟

_عائلة بيازيد قادمين نهاية هذا الأسبوع ونحن نتجهز لهم.

_أتقصدين الأغا نامق بيازيد وأفراد أسرته؟

_أجل..هل تعرفهم؟.

_لا لكنني أسمع عنهم...ما عملهم مع والدك؟

_لا أعلم أنت تعلم أبي لا يخبرني بمثل هذه الأشياء..بعد تفكير قال: يا فتاة هل يعقل أنهم قادمين من أجلك؟. أقصد قادمين لخطبتك.

_لا..قالت بتروي..لا أعتقد..تذكرت الكلمات التي تمتها سالم في ذلك الصباح والتي لم تغب عن مسامعها فقد سمعته يقول "أنفعي بشيء واحد وأجلب صهر يليق بعائلتنا"
_أين شردت؟..قال جانير.

_لا شيء.

_ماذا ستفعلين أن كان الأمر كذلك؟

_ليس لدي شيء أقوم به.

_هل ستتزوجين بشخص لم تريه بحياتك قط؟..قال بانفعال.

_أهدأ لما انفعلت هكذا!.

_لم تجيبي عن سؤالي؟.

قالت بحزن..كأن هنالك شخص يهتم لما أريد أو يسألني عن ماذا أريد؟..

_ها أنا الآن أفعل..جونول هل ستقبلين بالزواج من رجل لم تريه بحياتك قط؟..
أجيبيني حالاً.

_لا بالطبع لن أقبل سأتزوج بشخص أعرفه ويعرفني جيداً. لكن هذا أمر مستحيل.

_بالتأكيد هو مستحيل فهل هنالك شخص يعرفك أكثر مني؟..قال باستهزاء..أضافت

أعيدوا لي قلبي

بسخرية...حسناً لا مشكله سأتزوج بك أن اضطررت إذا...أطلقت خلف كلامها ضحكه خفيفة ، ليتوتر الآخر ولم يعد يدرك كيف يتصرف بسبب إحراجه..سألت: ما بك؟.

_ لا شيء..دعيني أقترح عليك أمراً أن كان سبب قدوم أسرة بيازيد إليكم كما نحن نضمن فالشخص الوحيد الذي يمكنه الوقوف معك بوجه الجميع فهو صالح.

_ لكنه في السجن ماذا بإمكانه أن يفعل؟

_ يا فتاة الرجل جعلك تكملين دراستك وهو داخل السجن.

_ وكيف برأيك يمكنه حل هذا الأمر؟

_ ألم تقولي أنك ألتقيت بمحاميه إذا كان الأمر صحيح تكلمي مع المحامي وهو من سيوصل الخبر إلي أخيك وبالتأكيد سيجد لك حلاً.

_ وماذا إذا لم يعد المحامي إلي المنزل كيف سأصل إلي صالح؟

_ حسناً..بعد تفكير أضاف..أنت تحفظين رقم هاتفي ما إن تتأكدي من أمر هذا الزواج أتصلي بي أو أرسلني رسالة من أي هاتف تحصلين عليه وأنا بدوري سأصل إلي المحامي.

_ وكيف ستصل إليه؟.

_ ليس صعباً العثور علي رجل غريب يشبه رجال العصابات الذين نراهم في الأفلام ببلدتنا.

ضحكت قائله: دعك من الاستخفاف يدعى أرغوفان بوزدا.

_ حسناً...حسناً حفظت الاسم.

_ علي أي حال أنا أتيت من أجل الكتاب هل جلبته معك؟

_ أوه..قال بعد أن بحث بثيابه..أعتقد أنني نسيت في المتجر أنا أعذر..قالت بينما تنهض: لا عليك ربما سأخرج غداً أيضاً تأكد أن تحضره معك..أرادت أن ترحل لكنها قالت وصوتها يملأه القلق..جانير إذا حدث وساءت الأمور أرجوك أعثر علي السيد أرغوفان من أجلي.

_ لا تقلقي أعتمد علي.

غادرت عائدة إلي المتجر قبل أن يلاحظ الحراس غيابها ، وتركت خلفها جانير الذي ولد بداخله هاجس عن سبب زيارة أحد أشهر الأغوات في إسطنبول إلي والدها دون أن يجمع بينهما عمل.

جانير ابن الثانية والثلاثين كان لمكتبة الجامعة الفضل في أن تجمع بحبه الأفلاطوني ، التي أحبها من اللحظة الأولى التي راها بها ؛ وهي لا تدرك المشاعر التي تعصف به كلما راها ، جعل من شغفها بالكتب حجه له ليراها في كل فرصة تخرج بها من المنزل ، يلتقيا خلسه في هذا المقهى ويعطيها في كل لقاء كتاب جديداً ، لكن لم تكن لديه الشجاعة الكافية للاعتراف بحقيقة مشاعره أو للوقوف أمام عائلة ديمير وطلبها للزواج.

طرق الباب لتفتح له عائشة.. طاب نهارك.. قال

_ اهلاً بك تفضل!.

_ أتيت لرؤية الأغا شاه ميران.

_ تفضل أنه في الداخل.. بعدما أدخلته إلي باحة المنزل قالت: أنتظر لحظه لأبلغه بقدمك.

أخرج هاتفه بينما هو في الانتظار بدأ يتصفحه ، خرجت جونول من إحدى الغرف ؛ ففرحت لرؤيته ربما قد يخبرها عن صالح قليلاً بما أنه التقاه بالأمس ، لكن قبل أن تخطو خطواتها اتجاهه بدأت تتأمله كأنها رأتها في مكان ما من قبل لكنها لا تتذكر أين؟.

وافي الشطاط شمت الشعر جاحظ العينين، يرتدي بذله زرقاء بربطة عنق عنابيه تعكس لون بشرته الحنطية، يحمل بيده اليسرى حقيبة جلدية فخمه سوداء ، وبمعصمه ساعة وخاتم قد تم تصميمهما خصيصاً ، وبيده الأخرى يحمل هاتفه شارداً به ، كان واضحاً من وقفته الوقورة وطريقة كلامه الراقية أنه ابن أسرة ثرية.

شعر أن هناك شخص ينظر إليه ؛ رفع رأسه بحركة سريعة فوق بها في بحر عيناها ، رسم ابتسامه علي ثغره أوضحت الانقسامات التي بجانب عينيه وغمازته مما زادت جاذبيته ؛ توترت وتوردت خجلاً ، خطى خطوتين نحوها لتقاطعها عائشة مناديه: سيد أرغوفان الأغا في انتظارك بمكتبه... فور أن سمعت صوت عائشة فرت هاربه إلي الداخل وعندما عاد للنظر إليها وجد أنها اختفت ، مسح تلك الإبتسامة بلامح استياء ، وصعد السلالم متجهاً إلي مكتب الأغا.

_ طاب يومك أيها الأغا.. قال عند دخوله.

نهض مرحباً به.. وطأت سهلاً وأحلت أهلاً أيها المحامي.. بعد أن تصافحا أضاف... ماذا تشرب؟

أعيدوا لي قلبي

_ لا شيء شكراً لك.

_ أخبرني جمال الدين أن حضرتك تحاول الوصول إلي تسوية لإخراج صالح قبل انتهاء محكوميته.

_ هذا صحيح وإن قبلت حضرتك بدفع المبلغ سيخرج قريباً.. لكنني لم أتكلم مع عائلة الضحية بعد أردت أن أتأكد بأن حضرتك علي استعداد لدفع أي مبلغ يطالبون به.

_ سأختصر الأمر عليك إذاً.. أخرج صك من السحاب ووضعته أمامه، نظر إليه وقال:

_ حضرتك نسيت أن تضع رقم المبلغ!.

_ أخبرهم أن يكتبوا الرقم الذي يخطر لهم والأغا شاه ميران جاهز لدفعه غياباً فرح بما سمعه فعلي الرغم من ثقة الجميع بأن الأغا سيدفع أي مبلغ لأجل صالح كان في داخله شك بخصوص هذا الأمر

طرق الباب فقالت جونول وهي تمر بنافذة المطبخ.. أنا سأفتح.. فتحت الباب لتجد شاباً تراه للمرة الأولى ، طويل أبيض البشرة أشقر الشعر ذو عينان خضراء أجوف العينين ، تمنع النظر بها فقالت بانزعاج: تفضل ماذا تريد؟.

_ أتيت لرؤية عمي شاه ميران.

نظرت إليه بدقة عندما قال "عمي" فقالت بتعجب: تفضل بالدخول!!.. بعد أن أدخلته أردفت وهي تشير إلي الغرفة الكبيرة.. دعني أأخذك إلي غرفة الضيوف ريثما أبلغه بقدمك... سألت قبل أن يدخل.. المعذرة.. لكن من أقول له؟.. أبتسم بتعجرف مجيباً.. بيازيد ابن الأغا نامق بيازيد.

صعدت السلالم وهي تشعر بشيء من الخوف، فبتله الخوف التي زرعتها جانير صباح اليوم بدأت تتجذر بداخلها ؛ وكان هنالك سؤال واحد يطرح برأسها ما العمل الذي يجمع بين والدها المشهور بعمله في العقارات ، ونامق بيازيد تاجر الذهب في إسطنبول؟ انتبهت لكونها تقف أمام المكتب طرقت الباب فتح قائلاً: ماذا هناك؟.

_ لديك ضيف وقال أن اسمه بيازيد.

انتشرت الفرحة بوجه شاه ميران أستدار نحو باب المكتب الموارب وقال.. سيد أرغوفان جاء إلي ضيف مهم إذا انتهينا علي الذهاب لرؤيته.

_ بالطبع انتهينا سأغادر كي لا أزعجك.

_ حسناً إذاً.. أردف شاه ميران مسرعاً وعند خروجه صاح بها.. ماذا تفعلين هنا؟.

_ سأنزل حالاً.. أجابت بشرود.

_ لحظه... أضاف بتردد... أوصلي السيد أرغوفان إلي الباب.. وإياكِ والتحدث معه.
بعد نزوله ووقفت شاردة تفكر كيف ستنجو أن كان ما قاله جانير صحيح ، كيف
لصالح هذه المرة أن ينقذها وهو بعيد ولا يقوى علي شيء ، عندما كانت ظلمة
اليأس تتغذى عليها ؛ جاءت شعلت ذلك الصوت الداوودي من بعيد تحمل أسمها
منادياً: جونول... جونول!!..

_ نعم!!.. قالت بعدما أفاقت من شرودها.

_ ما الأمر؟... هل أنت بخير؟.

_ أجل اعتذر شردت قليلاً... أفسحت له المجال قائله.. تفضل.

نزل بروية بينما هي خلفه فقال: ألا توجد مشكلة بمرافقتك لي إلي الباب؟

_ لا أبي طلب هذا.

_ جيد.. توقف مكملاً... بالمناسبة أوصلت أمانتك لصالح.

فرحت متناسيه الخوف الذي كانت به قبل قليل... هل سعد بها؟!.. سألت

_ كثيراً حتى أنه طرح علي ألف سؤال في الدقيقة عندما علم أنني قابلتكِ.

_ مثلما فعلت أنا!!.. قالت بخجل فأشاح بنظره عندما أحمرت خجلاً وأردف كي لا

يتضح توتره... كان صالح يتسأل عن إذا ما كنتِ تشبهين والدتكما؟

قالت بعد تفكير... أنا لم أرى أمي في حياتي لكن أختي عائشة تقول دائماً "كلما كبرتني

كلما أصبحتِ تشبهين سونجول".

_ وسونجول هي والدتك صحيح؟!..

_ جونول!!.. قاطعها صوت عائشة الغاضب.

_ أختي عائشة!!.. قالت بتوتر.

_ أوصلي الضيف إلي الباب وتعالى حالاً.

أكمل نزوله من السلالم وهي من خلفه تحت وطأة نظرات عائشة المليئة بالغضب ،
عند توجههما إلي البهو دخلت عائشة إلي المطبخ ؛ تسأل: هل ستكون هنالك مشكلة؟.

_ لا تقلق ستوبخني لأنني تحدثت إليك.

_ أخبريها أنني كنت أحدثك عن صالح لا داعي لغضبها هذا!!.

_ لا ليس كذلك هي غاضبة لأنني لم أستمع لتبئيه جمال الدين وتحدثت إليك.

أعيدوا لي قلبي

_ وهل حذرك جمال الدين من الحديث معي؟.

_ أجل لأنك محامي صالح.

_ وإن يكن ما هي المشكلة؟.

_ القصة طويلة دعك منها الآن.

_ إذا فالسيدة عائشة لا تعرف بأنني محامي صالح؟.

_ لا تعرف من أنت.

_ حسناً... أكمل وهو يخرج كتاب من حقيبته... أدعي أنني أعرتك هذا الكتاب عندما أثار اهتمامك.

كان كتاب صباح الدين الذي تبحث عنه منذ أسابيع وقد نسي جانير إحضاره بالأمس ، عندما تذكرت الكتاب وجانير طراً ببالها أمر عائلة بيازيد المجهول فقالت بخوف.. إذا ما طراً لي أمر ما واحتجت إلي مساعدتك كيف أصل إليك؟

_ تسعدني مساعدتك وبأي وقت لكن أنا سأغادر البلدة نهاية الأسبوع.

_ وإن احتجت لمساعدتك خلال هذا الأسبوع؟!.

_ لن أتردد في المساعدة إذا أردت سأعطيك رقم ها... قاطعته بإحراج قبل أن يكمل.. أنا... لا أملك هاتفاً.

_ حسناً... فرك حاجبه مفكراً ثم قال: أتقصدان أنك سوف توصلين لي خبر بطريقة ما؟.

_ أجل.

أردف بعد تفكير... أنا حالياً أقيم في الفندق الذي يقع وسط البلدة إذا لم أكن موجود أبحث عن شخص يدعى سلجوق وهو سيجدك ويساعدك أين ومتى ما احتجت.

_ ومن هذا سلجوق؟

_ شخص موثوق به لا تقلقي... بعد صمتها سأل بحذر.. هل يوجد وضع يجب أن أقلق منه؟

_ لا ولكن تحسباً فقط

_ حسناً دمتي سالمة.

بعد أن انطلقت السيارة سأل سلجوق: إلي أين الآن سيدي؟

أعيدوا لي قلبي

_ هل تذكر عنوان منزل المجني عليه بقضية صالح؟

_ أجل سيدي.

_ إلي هناك إذاً.

أجرى اتصالاً هاتفياً سريعاً ، ثم تذكر ما قالتة جونول قال:

_ سلجوق... دع أحد الرجال يلزم الفندق وإن أتى خبر من جونول أخبرني فوراً.

_ هل ألتقيت بجونول!..

_ أجل لقد تغيرت كثيراً لو تراها يا سلجوق إنها نسخة عن سونجول.

_ وهل تعرفت عليك؟

_ لا أظن يبدو أنني قد تغيرت كثيراً بهذه السنوات فهي لم تتعرف علي.

_ هذا أفضل لكن إن كان الأمر غير مهم سأتكفل به شخصياً سيدي!

_ لا أخبرني أن وصل منها خبر إلي الفندق.

_ حسناً.

بعد ساعه وصل إلي العنوان المطلوب ترجل من السيارة فقال سلجوق: سيدي هل أدخل معك؟

_ تواجد محامي المتهم بقضية أبنيهم قد تتسبب ببعض الجلبة ودخولك معي قد يخلط كل شيء.

_ حسناً... فهمت.

بعد مرور عشر دقائق في انتظار قدوم أحد أفراد الأسرة ، دخل رجل أصهب الشعر أحمر الوجه ممتلئ الجسد ذو نظره حاده ؛ وخلفه شابين أولهما ضعيف البنية والثاني قوي الجسد ، قال الرجل الأصهب بعد جلوسهم ... اهلاً بك.

_ اهلاً أنا أرغوفان بوزدا محامي صالح ديمير.

_ أجل لا زلت أذكر من تكون ولكن وماذا تريد؟

_ أنتم تعلمون كما نحن نعلم أن موكلي صالح ليس المجرم الذي قد أزهاق روح أبنيكم.

_ نحن نعلم ذلك لكن عائلة ديمير تآبى إعطاء الأسم الحقيقي للفاعل رغم أن الجريمة حدثت أمام صالح.

_ سيد علي لا يهمني أي من الأعمال الصادرة عن عائلة ديمير أنا هنا باسم موكلي صالح ولأن موكلي أعترف بجريمة لم يرتكبها نال جزائه المدة التي قضاها في

أعيدوا لي قلبي

السجن كافيهِ علي ما أظن.

_ إذاً ماذا يريد صالح؟

_ دفع اليه مقابل دم أخيك.

_ وكم يعرض علينا؟

وضع الصك علي الطاولة.. هذا الصك مقابل عدم المطالبة بدم أخيك مجدداً.

أخذ علي الصك وأردف متعجباً.. لا يوجد به رقم؟!!

_ تبقى علي محكومية صالح 15 عاماً لذا ضعوا المبلغ الذي يساوي هذه السنوات.

_ وهل هو مستعد لدفع أي شيء نطلبه؟.

_ ما لم يكن المقابل دم فلا مشكلة.

تبادلوا النظرات بينهم ثم رمى الصك علي الطاولة... الأرض الجنوبية... قال بتعالى.

_ لم أفهم؟!!

_ أبلغ صالح أن تنازل عن أراضي جده الجنوبية سنتنازل عن حق أخينا.

_ كان الاتفاق بيننا علي المال.

_ لا "ما لم يكن المقابل دم فلا مشكلة" هذا ما قلته قبل قليل.

وأضاف ذو الجسد الضعيف.. أيضاً السبب وراء كل هذه المشاكل وموت أخي هي

هذه الأرض إن أعطوها لنا نعتبر أن دماء أخي لم تذهب هباء.

_ هذا آخر الكلام.

_ ولا كلام بعده.. قال علي.

_ حسناً سوف أعلم موكلي بما طلبتم وأعيد لكم الرد غداً

كانت تتجول برفقة عائشة بين متاجر السوق الكبير لليوم الثاني علي التوالي؛ همست

عائشة إليها كي لا يسمعها الحراس الذين يتمشون خلفهما: هل ستذهبين للمقهى اليوم

أيضاً؟.

_ أجل لماذا؟..

أضافت بشيء من الخوف.. أشعر بشيء من القلق.

_ لا تقلقي سأذهب وأعود ولن ينتبه أحد كالعادة.

أعيدوا لي قلبي

_ ألم تقولي بالأمس أن ذلك السيد قد أعطاك كتاب كنتِ تبحثين عنه منذ مدة؟
_ أجل لكن ذلك الكتاب مختلف.

أجبرت علي الكذب حتى تخبر جانير كيف يصل إلى أرغوفان إذا ما ساءت الأمور،
فقلت عائشة: حسناً سندخل إلي هذه المتاجر اذهب وعودي بسرعه.
_ هذا ما أرغب بفعله.

_ أرجوك أنتبه لنفسك... قالت بخوف.

بعد دخولهما إلي المتجر انتظرت قليلاً ثم خرجت خلسة ؛ متوجهه إلي المقهى الذي
اعتادت لقاء جانير به ، عند خروجها اصطدمت برجل ضخم الجسد ، طويل القامة
أصلع له نظر حاده ، قال بصوته الأجش: عذراً يا آنسه أنتِ بخير؟.. همست وهي
تلتف حولها.. أجل سيدي أنا بخير... هربت مسرعة ظناً منها أن لا أحد قد أنتبه لها.
_ مرحباً!... قالت من خلف جانير.

_ اهلاً لقد تأخرت!!.

_ المعذرة لقد وجدت فرصة اليوم بصعوبة لأصل إليك.

_ لماذا؟.

_ الحرس الذين معنا اليوم ليس حرس أبي الذين أعتدت علي الخروج خلسه من
جانبهم بل هؤلاء حراس جمال الدين أنهم منتبهون لكل حركة أقوم بها.

قال بخوف... أرجو أن لا يكون قد رآك أحد؟

_ لا أعتقد علي أي حال لم أشأ القدوم لأن أختي عائشة لم تكن مرتاحة للفكرة وأنا
كذلك.

_ ما كان يجب عليك المجيء إذا كان رجال جمال الدين هم الذين برففتك اليوم!؟

_ كنت مجبرة أستمع... أكملت بعد أن رمت بشعرها بحركة سريعة... ألم تقل لي أن
نامق بيازيد وأبي يستحيل أن يجمع عمل بينهما؟!.

_ أجل... .

_ لم أستطع التوقف عن التفكير بالأمر خاصة بعد قدوم بيازيد ابن الأغا نامق إلي
منزلنا بالأمس..

قال بحده: ماذا لما أتى إلي منزلكم؟

_ لا أعلم ولكنني عندما تذكرت كلامك ذعرت كثيراً.

أعيدوا لي قلبي

__ اللعنة ماذا سنفعل الآن؟

__ بالصدفة كان السيد أرغوفان متواجد عند قدوم بيازيد.

__ أصبح تكرار هذا الأسم علي مسامعي يزعجني.. قال بحنقه..

__ ماذا؟..لما؟..

__ أردف بانزعاج... لا تهتمي أكلمي.

__ أخبرته إذا ما احتجت إلي مساعدته كيف أصل إليه.

__ ولما ستحتاجين لشخص مثله من الأساس!!

لم تفهم سبب غضب جانير المفاجئ من رجل لم يراه في حياته قط ، أضافت... دعنا من نوبات غضبك الغير مبررة لا وقت لدي... تنهدت مكمله... ألم نتفق إذا ما ساءت الأمور أن نصل إلي محامي أخي...!!

__ آه أجل...أكمل بعد أن تذكر...سيصل هو إلي صالح ليحل المعضلة قبل وقوعها.

__ الحمدلله أنك عدت لوعيك...أكتفى بفرك شعره ولم يقل أي شيء فأكملت...إذا ما وصلتك رسالة مني تذهب من فورك إلي الفندق الكبير الذي يقع وسط البلدة وتطلب رؤية أرغوفان بوزدا.

__ وإن كان غير متواجد؟

__ لديه رجل في الفندق لا أتذكر أسمه لكنه قال أن أخبره برسالتني وهو سيتصرف.

__ لا أعتقد أنه سيخرج منه شيء لكن سنجرب.

__ أرجو أن لا نحتاج إلي موقف لنجربه به.

__ علي أي حال...أردف وهو يضع كتاب صباح الدين أمامها...هذا الكتاب الذي تبحثين عنه.

__ آه بخصوص الكتاب...قالت بتوتر.

__ ما الأمر؟!..

__ حصلت عليه البارحة حتى أنني باشرت بقراءته.

__ قال بامتعاض: كيف ومن جلبه لك؟!..

نهضت وهي تحاول التملص من السؤال...لقد تأخرت يجب أن أعود دمت سالماً.

أعتاد علي الشعور بالانزعاج عند رؤيتها تغادر ، لكن هذه المرة الأولى التي يشعر فيها بألم شديد في قلبه ؛ كأنه لن يراها مجدداً ، أمسك بذراعها قبل أن تبتعد...هل

أعيدوا لي قلبي

تجلسين قليلاً من فضلك؟

جانير لا يمكنني التأخر.

لن أطيل أسمعيني فقط لدقيقة... عادت للجلوس في انتظار سماع ما يحاول قوله ، بعد معاناة مع التوتر والقلق أستجمع ما تبقى من طاقته... إذا كان ما نخشاه صحيح وعند حدوثه لنقل أننا وصلنا إلي ذلك المحامي وبمعجزة ما أستطاع صالح حل الأمر... ظلت صامته تستمع لمعرفة ما يريد قوله... بعدها... تردد ثم قال... إذا ما تقدمت لخطبتك فهل ستقبلين بي؟.

تجمدت ولم تعرف إذا كان ما سمعته حقيقة أم أنها أخطأت بسماعه ، لذا أردفت لتأكد علي ما سمعت... لم أفهم؟._

هل تقبلين بي زوجاً لك؟

تشردقت وبدأت تسعل فناولها كوب الماء لتشرب منه ، بعد أن هدأت... أكمل... قبل أن تقولي أي شيء أنا أعلم أنك تريني مجرد صديق لكنني سئمت هذه الصداقة وأنا أعاني دون أن تشعري بي لذا دعيني أتقدم لخطبتك ونخرج سوياً براحتنا ونتكلم علي الهاتف متى ما أردنا لتكن لي فرصة أدعك تحبيني بها.

ألترمت الصمت وهي تنظر إلي الأسفل وتتلاعب بطرف معطفها ثم خرجت عن صمتها... أنت تعلم أن لا رأي لي في أسرتي... ثم عادت لصمتها....

والدك لن يوافق علي ابن البقال صحيح... أكمل باستياء الكلام الذي لم تستطع قوله كان صمت جونول هي الإجابة القاتلة له فقال بعجز... لو كان الخيار لك فهل ستقبلين؟

وما النفع من معرفة إجابتي؟

أريد أن أريح قلبي فقط.

نهضت وقالت بينما تستعد للرحيل... كنت أعطيتك فرصة.

ظل واقفاً يراقب اختفائها وهو يشعر بفرحه تكاد أن تصيبه بنوبه قلبية.

علي الجانب الآخر من المدينة كان جمال الدين برفقة يمان يتفقدان سير المشروع الذي سينشأ علي الأراضي الجنوبية ، جلسا بقرب إحدى مقطورات المهندسين ليتواريا عن زخات المطر القوية، أشعل يمان النار ووضع أبريق الشاي عليه، وقبل أن يغلي الشاي جاء إليهم خبر جعل جمال الدين يغلي أسرع من الأبريق الذي علي النار.

أعيدوا لي قلبي

_ ما الذي تقوله يا هذا؟...صاح بمن جلب لهم النبأ.

_ ما سمعته يا أغا.

_ وما الذي كنت تفعله هناك؟...أضاف يمان بغضب...كان عليك وضع رصاصة برأسه أولاً ثم القدوم إلينا وأخبارنا.

_ يا أخي لو فعلت شيئاً بوقتها لانتشر الخبر في البلدة كالهشيم في النار ولأصبح هذا الخبر حديث الساعة.

ربت جمال الدين علي كتفه قائلاً بامتنان...أحسنت التفكير يا أسدي...أحسنت...

_ سأقطعهما أرباً...قال يمان وهو يبتعد.

_..يمان!...صاح به جمال الدين...توقف مكانك.

_ أخي ألم تسمع ما قاله الرجل؟.

أقترب منه ووضع يده علي مؤخرة رأسه قائلاً: لا أحد منكم يهمله شرف العائلة أكثر مني.

_ بماذا تأمر يا أخي...قال يمان بامتعاض.

_ أبلغ سليم ولا تأخذنا أحد معكما كي لا يعلوا شأنهم ويعرف الناس أنها قضية كبيرة أذهبنا إلي منزله أحرقا كل ما تجدانه وخربا كل شيء دع الحي يعلم أن من يدس ولو بالخطأ علي طرف الأغا جمال الدين سيحترق مثلهم.

_ وأولئك الأوغاد؟.

_ لن يلمس أحد شعره من كليهما أنهما لي وأخبر سليم بهذا.

_ كما تأمر يا أخي.

عندما أبتعد قال: يمان...أبلغ والده أن أشرقت شمس الغد قبل أن يغادر البلدة فإن جمال الدين ديمير سوف يسلمه جثمان ابنه بيديه.

_ حسناً يا أخي.

قال للرجل الذي بجانبه وهو يضع المعطف علي أكتافه...أجمع الرجال ولنذهب.

_ أغا هل نذهب بكثرة وممثلين؟.

_ لا سنذهب فارغين وخذ أربعة أو خمسة فقط أنه جرد لا يستحق أن نخسر رصاصة من أجله.

_ كما تأمر يا أغا.

يفرز البضاعة في المستودع مثل العادة، سمع صوت فرامل لسيارات في الخارج ؛ لم يعرها اهتماماً أكمل عمله، فزع علي صوت ضرب باب المستودع بقوة ، خرج قائلاً بغضب...لما لا تطرق الب...تجمد مكانه عند رؤية جمال الدين برفقة بضعة رجال، كان واقفاً يوسطهم واضعاً يديه خلف ظهره بمعطفه الأسود الذي يسدله علي كتفيه وينظر بنظره لا تبشر بالخير.

_أقترب لا أسمعك من هناك...قال جمال الدين...أقترب بخوف وحذر شديدان فسأل جمال الدين...هل أنت جانير ألب؟

_أ...أجل...أجاب وبنبرة صوت واضح عليها الخوف...

_وهل تعرف من أنا؟.

_حضرتك...الأغا جمال الدين ديمير!!

قال وهو يفرك أذنه...وهل تعرف من هي عائلة ديمير؟

_بالطب...

لم ينهي جملته ألا وهو ملقى علي الأرض وأذنه تطن من قوة الصفحة التي تلقاها ، أكمل جمال الدين:

_أنت مخطئ...لو تعرف عائلة ديمير لما فكرت حتى التفكير بالنظر إلي شرفنا.

_يا آغا...

لم يستطع أن يبرر أو أن يقول أي شيء ؛ فما أن أستعاد توازنه حتى أنهال عليه رجال جمال الدين بالضرب...يا ديوث...قال بعد أن أوقف رجاله للحظة...لا تعتقد أنني جلبت رجالي لأنني لا أقوى علي تكسير عظامك علي العكس ولكن هناك من يستحق أن أكسر عظامه بدلاً منك...أشار لهم بيده مضيفاً...استمروا أنا في الخارج أريد أن أسمع صوت تألمه يملأ المكان ، ولا تتوقفوا حتى يفقد وعيه.

خرج الرجال بعد أن فقد وعيه ، صعدوا سياراتهم متجهين رفقة جمال الدين إلي القصر، لم يمضي إلا دقائق وعاد زميل جانير في العمل الذي كان ذاهباً للاطمئنان علي والدته ، فور دخوله دهش من المشهد الذي وقعت عليه عيناه ؛ فصديقة ملقى علي الأرض وكأنما قطار عبر من فوقه، ركض نحوه وحاول أن يوقظه، حمله مسرعاً وأنطلق به لأقرب مشفى ، في الطريق أستيقظ جانير متألماً وهو يقول:

_جو...نول...جونول.

_تمالك نفسك يا أخي سنصل إلي المستشفى.

_ لا... لا... لا... أردف متألماً جراء ما تلقاه من ضرب...إلي الفندق...

_ ماذا أي فندق هل جنتت؟...

_ أرجوك... خذ...ني إلي الفندق...

_ هذا مستحيل...صاح به...ألا ترى حالتك؟..

شد علي معصم صديقه يرجوه...بحق أخوتنا خذني إلي هناك دون أن تسأل...لم يستطع رفض طلب جانير فغير وجهته نحو الفندق ، بعد وصولهما قال:

_ ها قد وصلنا.

_ أنزل بسرعة وأسأل عن شخص يدعى أرغوفان بوزدا وأجلبه إلي هنا.

_ حسناً كما تريد يا أخي.

بعد وقت عاد برفقة شاب طويل ذو عينان زرقاء ، فتح باب السيارة وقال: الشخص الذي تبحث عنه غير موجود في الفندق لكن هذا الرجل أصر علي معرفه سبب طلبك له.

_ أين السيد أرغوفان؟

_ لديه مرافعه لما تسأل عنه؟.

_ أوصل له رسالتي من فضلك...بشكل عاجل.

كانت تطعم عسافيرها في الحديقة الخلفية للقصر ، باحة صغيرة بها بضع شتلات من الزهور ؛ لطالما حدثها صالح عن حب والدتهم لهذا المكان لذا هي كانت تهتم به مع أنها تعاني من حساسية اتجاه الزهور ، صعقها صوت جمال الدين بعد ضربه لباب القصر بقوة ، خرجت مسرعة إليه لتجد الخدم وعلي رأسهم عائشة مرعوبين ، لم تفهم ماذا يحدث ، توجهت نحوه ببطء سألت وهي ترتجف...ما الأمر أخي؟...ما إن اقتربت منه حتى فقدت توازنها ، وجدت نفسها علي الأرض ، والدماء تسيل من أنفها جراء الصفعة التي تلقفتها ؛ بينما لا تزال تصارع لتفهم ما الذي قد حل بها تواء ، دخلت أصابعه في شعرها كما تدخل مخالب النمر في لحم فريستها ؛ منتشلاً أيها من الأرض، هرولت نحوها عائشة فصاح بها...توقفي مكانك وإلا أقسم بالله أن أنحرها أمام عينيك.

قالت بتوسل: أرجوك يا بني دعها وشأنها لأجل خاطري.

_ لا لن تستطيعي أن تشفعي لها فيجب أن تجدي شخصاً الآن ليشفع لك.

ماذا يحدث يا هذا؟..قال شاه ميران من شرفه المكتب..

نحن جعلنا عديمة الشرف أمانة لدى هذه المرأة وأنتِ ماذا فعلتِ تركتها لتذهب
خلسه وتتغزل بأبن البقال.

ما الذي تقوله؟...سأل شاه ميران بغضب.

ضم جمال الدين قبضته وضربها بكل ما يمتلك من قوة لتقع علي الأرض وهي لا
تقوى علي الرؤية جيداً صاح بها...يا عديمة الشرف ألم تجدي إلا أبن البقال...أنهال
عليها بالضرب بقدمه علي بطنها وتارة علي رأسها ، حاولت أن تحمي رأسها
بذراعيها لكنه لم يتهاون ؛ كأنه يحاول اختراق ذراعها برفسها ليصل إلي رأسها ،
شعرت بثقل جسدها وتهاونها فعلمت أن قدرتها علي التماسك انتهت ، من بين تلك
الدماء التي تسيل علي وجهها كانت تراقب عائشة للمرة الأخيرة ، هذه المرأة التي
اعتنت بها طوال سنين مثل قرة عينها ؛ كانت تحزن لحزنها وتفرح لفرحها ، كانت
هي الحزن الدافئ بهذا المنزل البارد من المشاعر ، حتى وإن كانت جاثية علي
الأرض تبكي ولا قوة لها لنصرتها إلا أنها كانت ممتنة أنها أخرج شخص تراها ،
كانت ترى فيها الأم التي لم ترها بحياتها يوماً ؛ وتحت وطأة هذه المعاناة والألم
الشديدان شعرت بالمرارة لشيء واحد "ستنتهي حياتي هنا ولم أرى صالح بعد".

الفصل الثاني

عُد بي إلي حيث كنت قبل أن ألتقيك... ثم أرحل!

محمود درويش

سحبت أنفاسها بصعوبة بالغة ، نبضات قلبها متسارعة ، حاولت أن تهدأ بشهيق وزفير متواصلان ، بعد وهلة بدأت نبضات قلبها تعود لوضعها ، وصار تنفسها طبيعياً ، ألفت بنظره من حولها لتفهم أين هي ، أنها بالمستشفى رأت المصل الموصول بيمينها والجبيرة ببسراها ؛ رمت رأسها علي الوسادة..ظننت أن النهاية قد حانت.. أردفت بعد أن أغمضت عينيها بياس.. يا للأسف!...دخلت عائشة وهي تمشي بشرود تحمل كوب بيدها ، فور أن رأتها قد استيقظت وضعت الكوب علي المنضدة وشرعت بتقبيلها علي رأسها...شكر الله أنك استيقظت...أضافت بعد تأوه..دعوت الله كثيراً حتى أنني نذرتُ لينجيك من بين يدي ذلك المتوحش...أردفت بصوت مليء بالحزن والدمعة تتسلل من عيناها..ليتك لم تدعى وليت دعائك لم يستجب...أكملت بينما ترنو وجهها عنها...وليتني لم أنجو..!

_أستغفر الله ماذا تقولين التوبة يا ربي؟...أردفت وهي تبكي..يا صغيرتي صحيح أنني لم أنجيك للحياة لكنك قطعته من روعي أعلمين ماذا سيحدث لي لو أصبت بمكروه؟...مسحت دموعها تلك ورسمت ابتسامه بالكاد استطاعت أن تظهرها لتخفف من حزنها ؛ أمسكت بيدها وقبلتها...أنا آسفه لا تؤاخذيني ألمني فقط لأن هذه المرة الأولى التي أتعرض بها للضرب من جمال الدين في حين كنت أظنه مختلفاً عن يمان وسليم.

_لقد جن جنونه عندما سمع بأمر ابن البقال!...أضافت بحسرة...آه يا أبنتي لو كنت أعلم أنك تذهبين من أجله لمنعتك لأنني أعلم أن هذا ما ستؤول إليه الأمور.

_أختي عائشة أقسم لك أنني كنت أذهب إليه لأخذ الكتب أساساً لو جعلوني أمر بالمكتبة بين فينه وأخرى أو سمحوا لي بقراءة الكتب لما أجبرت علي طلب هذا من جانير.

_إذاً ما قاله؟!..قالت بحيره لتقاطعها...

_أختي عائشة أنت من كبرتني وتعلمين ما هي أخلاقي هل سأتجراً علي أمر كهذا برأيك؟.

احتضنتها مردفه...إذا كنتِ تقولين هذا فأنا بالتأكيد أصدقك.. صغيرتي تعيسة الحظ.. تسألت...إذاً هذه المرة من له الفضل في نجاتي؟.

تغيرت ملامح وجهها عند سماعها للسؤال ، سحبت الكرسي وجلست ، علمت جونول أن هنالك شيء سيئ قد حدث، قالت لتطمئن عائشة كي تتكلم...أخبريني لا تقلقي فما ستخبرينه لي لن يكون أسوء من ما حدث لي اليوم.

بعد صمت أجابت... بعد أن فقدت وعيك لم يتوقف جمال الدين عن ضربك... طرق الباب بطريقة غير مسبوقه ركضت نحو الباب لعلي أستنجد بمن آتى لينقذك... فور أن فتحت الباب دخل رجال غرباء يحملون السلاح أراهم للمرة الأولى تحاوطوا كل أطراف الباحة ليدخل ذلك السيد..

_ ذلك السيد؟! من يكون؟ ..

_ الرجل الذي رأيتك تتحدثين إليه علي السلام قبل يوم من الحادثة لم أعد أذكر ماذا كان اسمه؟..

_ أرغوفان؟!.. قالت بصدمه.

_ لا أعلم اسمه لكن والدك ناداه بالمحامي..

قالت بدهشة: أنه أرغوفان هل أستطاع جانير الوصول إليه... ثم أضافت بتساؤل... ما الذي فعلوه بجانير؟.

_ أتقصدين ابن البقال الفتى المسكين تعرضوا له بالضرب وطرده هو وأسرته من البلدة

_ ماذا؟.. قالت بحسرة... كل ما حدث لهم بسببي يا إلهي..

_ سمعت أنهم ذهبوا إلي أماسيا أعتقد أن أحد أقربائه يعيش هناك.

_ ما الذي تسببت به للجميع؟.

_ لا تلومي نفسك أنظري إلي حالك هذا.

_ أخبريني كيف أستطاع أرغوفان إقناعهم؟.

_ فور دخوله دفع جمال الدين عنك ووقف بينكما، تدخل والدك ونزل إلي الباحة معترضاً وهو يقول: "حضرة المحامي نحن هنا نحترمك فقط لأنك تعمل جاهداً لإخراج أبنني من السجن لكن هذا الأمر مختلف"... وعندما طلب المحامي تبريراً واضحاً لما يتطلبه هذا العقاب قال جمال الدين: "هذه الفاجرة لطخت شرفنا ويجب تنظيف اللطخة التي تركتها علينا"... فقال المحامي: "إذا كان كذلك لا داعي لقتلها أعتقدوا عقد نكاحها علي من تسبب بهذه اللطخة" أجاب والدك... "أقتلها وأسجن بقية حياتي أهون من أن أجعل ابن البقال صهري" تدخل جمال الدين محاولاً دفعه " لقد سمعت الإجابة فأبتعد عن طريقي" لكنه لم يتزحزح قال وهو ينظر إلي عيني جمال الدين بتحدي: "لن أبرح مكاني إلا وهي معي" "بأي صفه؟" قال سالم فور دخوله برفقة رجاله... كاد الموقف أن يحتدم بسبب إصرار المحامي علي إخراجك أما بالقوة أو برضاهم وقد تآزم الموقف...

_ لم الصمت أكملني... شعرت بمرارة خبر مؤلم خلف هذا الصمت فأردفت... أرجوك
لا تقولي أنهم فعلوا شيئاً للسيد أرغوفان؟

_ لا لم يحدث له أو لرجاله أي شيء... .

_ إذا لم تصمتين أكملني من فضلك.

_ السيد أرغوفان أقترح... أضافت بتردد.. أن.. يغـ.. يغطي العار الذي حل بهم.

_ ماذا؟.. قالت بصدمة... أختي عائشة ما الذي تقولينه؟.

_ ما سمعته يا أبتني لقد كان مجبراً علي اتخاذ هذا الخيار.

_ أساساً عن أي عار يتحدثون... قالت باكية... أقسم لك أنه لا توجد أي علاقة تربطني
بجانير.

_ أعلم يا صغيرتي أنا التي ربيتك وأعلم... احتضنتها قالت لتواسيها... لكن أولئك
الحمقى لا عقول لهم ليفهموا ويفكروا.

_ ماذا قال أبي؟... أردفت وهي تمسح دموعها.

_ لا أدري ما السبب لكن والدك وكأنه بعث من جديد عندما سمع بالخبر حتى أنه
كاد أن يطير من الفرع.

_ كنت أعلم أن أبي يريد أن يزوجني إلي رجل ثري لكن لم أعتقد أنه سيسعد إذا ما
تزوجت بأي شخص.

_ لا أعتقد أن ما سأقوله الآن صحيح ولكن أظن أن والدك يمتلك خطة خبيثة خلف
هذا الأمر؟

_ لماذا تعتقدين هذا؟!..

_ عندما ذهبت إلي القصر لأخذ ثياب لكِ أخبرتني الفتيات أن والدك أتصل بالأغا
نامق بيازيد وطلب منه أن يؤجل زيارته إلي بعد أسبوعين بسبب مرضك.

_ بسبب مرضي إذاً هم كانوا قادمين من أجلي؟

_ هذا ما يبدو.

_ لا أفهم لما قبل بعرض أرغوفان إذا كان سيزوجني إلي ابن عائلة بيازيد؟

_ أخبرتك قبل قليل "والدك يمتلك خطة خبيثة".

_ إذاً ستتحقق رغبة أبي في زواجي أخيراً؟.

_ قالت بعد صمت... لقد تحققت.

أعيدوا لي قلبي

_ماذا؟...ما الذي تعنيه؟

_لقد تم عقد نكاحك علي ذلك المحامي..

_ماذا؟...بهذه السرعة؟.

_لكي يتأكد والدك أن أرغوفان لم يقم بهذا العرض بحجه إنقاذ حياتك أشرت أن يتم عقد نكاح فوري بحضور الشيخ وعند استيقاظك سيتم عقد قيران رسمي بعشاء عائلي.

_وهل قبل أرغوفان؟.

_بشرط أن يقوم رجاله بنقلك إلي المستشفى رفقتي وتبقين تحت حمايته حتى استيقاظك وعندما ذهبنا إلي المستشفى ظل هو في القصر بانتظار الشيخ وبالأمس تم عقد نكاحك.

_بالأمس؟...كم مضى علي نومي هنا؟

_منذ يومين

_يا للهول؟!..

ساد الصمت بينهما ، صمت يحمل ألماً لا تقوى كلتاهما علي البوح به ، نظرت إلي عينا عائشة الشاردتين وهما ينظران إلي الفراغ بخوف ، ماذا سيحل بهذه الأمانة التي لم تجد موطناً يأويها ؛ حاولت أن تكون موطنها لكنها في كل مرة لا تدري كيف تنتشلها من بين أذرع الظلم وبطشه ، كانت جونول دائماً ما تحاول أن تكون مريحه لمن حولها ، لأنها تعيش حياتها وهي تشعر بأنها عبء عليهم ، لذا تساند وتدعم وتواسي كل من حولها ، وتناست نفسها الجريحة...أختي عائشة...أردفت محاوله مسح ذلك الخوف من عينيها...كنت أظن دائماً أنني سأتزوج برجل أراه للمرة الأولى وهو واقف أمامي علي طاولة القيران لكن هذه المرة خيب القدر ظني أنا تعرفت إلي أرغوفان من قبل يبدو رجل طيب.

_المظاهر خداعة؟!!

_برأيك لو لم يكن إنسان جيد هل كان ليقف في وجهه أبي وأختي؟!!

_ربما كانت له غاية أخرى؟!..

عندما رمت هذه الجملة علي مسامعها تزعزع داخلها متسائلة "هل كان ينتظر اللحظة المناسبة؟!..أم أن الفرصة أتته علي طبق من ذهب؟..."قالت وهي ترسم ابتسامه خلف ارتياح وخوف كبيران...لا تكوني متوهمة صدقيني أرغوفان شخص جيد.. قالت هذه الجملة ولا تدري ما مدى مصداقيتها

أعيدوا لي قلبي

فقلت عائشة:

_ إن شاء الله يكون كذلك ولتبتسم لك الحياة...ماذا نقول؟!_

_ إن شاء الله..._

كانت ترتجف من داخلها ولكنها لم تستطع أن توضح أي شيء لعائشة كي لا تصيبها بالقلق.

القصر مكتظ بالأقرباء والكل يتسأل عن سبب هذا الزواج المفاجئ ، وما السر خلف هذا الصهر الذي قبل به شاه ميران الذي يتباها دائماً قائلاً: " لن يكون لي صهر عادي بل ستكون له ثروة لا تأكلها النيران"... بعض الحضور كانوا يألفون الحكايات عن هذا الصهر ، قيل "أنه محامي لعصابه مشهورة في إسطنبول تتاجر بالمنتجات علي مستوى دولي" ، وقيل أيضاً "أن أصوله من أضنا ويمتلك العديد من الأراضي والأملاك" ، وهناك من قال "أنه أبن رئيس عصابه كبيرة والده يمتلك ربع عقارات إسطنبول وله ثروة كبيرة ، لهذا هو محامي مشهور يمتلك العديد من مكاتب المحاماة في أماكن متفرقة من البلاد" ، وقيل "أنه لا يحامي إلا علي أبناء الأغوات وأبناء الطبقة الثرية وأبناء العصابات لهذا يمتلك ثروة كبيرة" ، كل هذه الأقاويل كانت حديث الساعة ، ولم يهتم أي من الحضور بهذه الفتاة التي تجلس علي طاولة عقد القيران كعصفور جريح ، تسألوا عن الصهر ولم يتجرأ واحد منهم أن يقول "ماذا حل بالعروس؟"... عند وصول كاتب العدل طلب أرغوفان الحديث مع شاه ميران علي انفراد ، تعجب الجميع من هذا الطلب ، وخشي جمال الدين أن يتراجع عن الزواج ، فأبي فضيحة سيقعون بها ، وأي إشاعات ستسرد بحقهم ، دخلا إلي غرفه المكتب وتأخرا في حين كانوا أخوتها الثلاث يتأكلون في الخارج ، حول ما الذي خطر بباله الآن ؛ خرجا من المكتب بعد وقت وعندما جلس أرغوفان علي كرسيه تنفس الأشقاء ديمير الصعداء ، بينما كان كاتب العدل يفتح عقد قيران رسمي بين جونول ديمير وأرغوفان بوزدا ؛ توجه جمال الدين إلي والده بخطوات خفيفة ، لأنه لاحظ الغضب الذي كان يملكه تسأل...

_ أبي ما الذي يحدث؟..._

_ هذا الوغد...لقد وضع أمامي تفاهات قانونية وهددني بأنه سيترك عقد القيران إذا لم أوقع..._

_ علي ماذا وقعت؟!.._

_ جمال الدين دعنا ننتهي وسوف أخبرك بكل شيء أنني أستشيط غضباً.._

بعد انتهاء مراسم عقد القيران أعتذر أرغوفان من الحضور لأن عليهم المغادرة قبل أن تفوتهم الطائرة ، قبل رحيلهم طلب شاه ميران أن يتحدث إلي جونول علي انفراد ، رفض أرغوفان طلبه وقال "إذا ما كنت تريد الحديث معها بشدة ستبتعدان ولكن لن تغيبا عن ناظري" كان يخشى أن يقدم شاه ميران علي فعل سيئ ينتقم به لما أجبره عليه قبل قليل ، أخذها بعيداً قليلاً ولم يطل حديثهما كان وكأنه قد أوصاها علي شيء ما أو طلب منها شيء.

خرجت جونول من هذا القصر الذي عانت به كثيراً طوال حياتها نحو مجهول لا تدري ما هي هويته؟.

اجتمع ذكور ديمير بعد مغادرة الضيوف قال يمان: أبي ماذا حدث قبل عقد القيران؟.
_ ما كنت لأتردد بقتله لو تراجع عن الزواج وفضحنا...قال سالم.

_ أصمتا قليلاً.. قال جمال الدين بشيء من الخوف...دعونا نسمع ما يحاول والدنا قوله.

_ ذلك الوغد وضع أمامي ورقة وقال "إذ لم توقع سأغادر عقد القيران ولن أنظر ورائي".

_ ما الذي وضعه أمامك؟.

_ مهزلة قانونية تمنعني أنا وأنتم من الاقتراب من جونول.

_ ماذا؟..قال جمال الدين بفرع..ذلك الديوث هل يتذاكى علينا؟

_ لعب بطريقة ذكية فهو يعلم أن أبي لن يرفض بسبب موقفه...قال يمان.

_ هذا يعني أن مشروعنا مع الأغا نامق قد تبخر؟...أردف جمال الدين.

_ أي مشروع؟...قال سالم.

_ كان أبي سيزوج عديمة الخير تلك من ابن نامق بيازيد مقابل شراكه دائمة ما دام زواجهما دائم...أجاب يمان.

_ لما قبلت بعرض ذلك الوغد إذا؟...سأل سالم بغضب.

_ كنت سأجعله يتزوجها شهراً ثم أجبرها علي الطلاق منه كي يتم تغطية فضيحتنا وخلال هذا الوقت كنت سألهي الأغا نامق قدر المستطاع...أجاب شاه ميران.

_ ما العمل الآن؟...قال سالم.

_ خسرنا عملنا مع الأغا نامق لا يوجد ما نقوى علي القيام به...قال جمال الدين.

_ بلى بالتأكيد يوجد... أضاف شاه ميران بإصرار مبتسماً بخبث... ذلك المحامي يعتقد نفسه ذكياً لكنه لا يعلم أنه يرقص مع الأغا شاه ميران ديمير.

_ ماذا ستفعل؟... قال يمان.

ضحك قائلاً... حتى أنني فعلت.

_ ماذا فعلت؟... قال جمال الدين متعجباً.

_ أرسلت شرارة لتشعل قبلة تريد الانفجار منذ زمن وحين تنفجر ستأتي إلي جونول طوعاً دون أن أقرب منها أنا.

_ كيف ذلك؟... سأل سالم.

_ سيحبها لي الشخص الوحيد الذي لو طلب من جونول روحها لا تتردد في إعطائها والذي لم يذكر اسمه في القائمة

_ أتقصد صالح؟!... قال جمال الدين بدهشة.

_ أجل سأوجه صالح كيف ما أريد وسأجعله يعيدها إلي هنا بإرادتها.

_ لكن صالح في السجن... قال سالم بتوتر.

_ سأجد له محامياً يخرج في شهر واحد وما أن يخرج أول عمل سيقوم به هو إعادة جونول عندها نكمل من حيث توقفنا

للمرة الأولى تطأ قدمها جناح ملكي بفندق ما ، تعلو وجهها نظرة الدهشة تتطلع بحدقات عينيها محاولة تدارك ما يوجد حولها ؛ كان يقف بعيد عنها تتسلل من عينيه ابتسامه لم تظهر علي ثغره قال: أنها المرة الأولى لك؟..

_ ماذا؟... قالت عند إفاقتها من ذهولها.

_ هل هي المرة الأولى التي تأتي فيها إلي فندق؟.

قالت وهي تلتف من حولها بذهول: شاهدته كثيراً عبر التلفاز.

ضحك قائلاً: علي اليسار غرفه النوم وبجانبها الحمام بدلي ثيابك ونامي لأن لدينا طائرة غداً صباحاً.

_ الثياب؟... قالت بحياء.

_ لقد تكفلت السيدة عائشة برفقة سلجوق بكل شيء.

_ أه... فهمت... توجهت نحو الغرفة ثم استدارت متسائلة... عن أي طائرة تتحدث؟.

_ علي الذهاب إلي أزمير... أردف وهو يخلع سترته... لدي مرافعه غداً... رمى سترته قائلاً: أنا سأنام هنا لذا أرتاحي.

رمى بهذه الجملة وسط حديثه ، لأنه لاحظ خوفها وتوترها منذ أن وطأت أقدامهما الفندق ، أراد أن تشعر بالأمان ولا تفكر به علي أنه شخص استغلالي.

قالت والارتياح يتربع علي محياها.. شكراً لك علي كل شيء.

_ العفو... أردف وهو يرمي جسده من التعب علي الأريكة.

بمنتصف الليل لا زال مستيقظاً يعمل من أجل مرافعه الغد ، لاحظ حركة في المطبخ فقال بصوت مرتفع: ألم تستطيعي النوم؟!.

اقتربت علي استحياء وقالت بصوت هافت: المكان غريب علي لذا وجدت صعوبة في النوم؟.

ألقي نظره من حوله وقال مماًزحاً: لا يوجد سوى أنا وأنتِ هنا فلما تهمسين هكذا؟ ضحكت بحياء قائله: لا أعلم..

_ تعالي أجلسي أنا لا زلت أعمل...سأل...أنتِ لا تعانين من أي ألم صحيح؟.

_ كانت يدي تؤلمني لكنني أخذت دواء مسكن.

_ إذا ما شعرتِ بأي ألم لا تتردي أو تشعري بالإحراج في القول لي.

_ حسناً...

بعد صمت دام بينهما ولا صوت يعلو علي صوت الأوراق وقلم الحبر الذي يعمل به ، كسرت هذا الصمت متسائلة: قلت قبل قليل "سنذهب إلي أزمير"؟!.

_ أجل هل هناك مشكلة؟...أجاب وهو منغمس بين الأوراق.

_ هل لي برجاء منك؟...أنزل الأوراق وهو يناولها كل انتباهه فأكملت... هل لك أن تأخذني إلي مكانين قبل مغادرتنا؟.

_ حسناً لا مشكلة...ثم سأل بفضول...هل لي أن أعلم إلي أين؟.

_ إلي قبر أمي وإلي أخي صالح...لأودعهما.

_ حسناً سنغادر باكراً إذاً الآن أنهضي حاولي النوم وأرتاحي غداً سيكون يوماً متعباً.
_ حسناً.

قبل أن تختفي من أمام ناظريه قال: الحديث الذي دار بينك وبين والدك...توقفت مكانها دون أن تستدير نحوه لتسمع ما يريد قوله فأكمل...هل هناك ما يجب علي

أعيدوا لي قلبي

معرفته؟

استدارت نحوه دون أن تنظر إليه وقالت: لنقل أنه الحديث الأخير بين الأب وأبنته...
_حسناً كما تريد...تصبحين على خير.

قبل الذهاب إلي أزمير كانت وجهتهما إلي المقبرة...فور خروجها من المقبرة توجهوا
للسجن ، دخل رفقتها بصفته محامياً لصالح وعند وصولهم لقاعة الزيارات اقتربت
منه وقالت بهمس: هل لي بالحديث معه علي انفراد؟

_لكنني ارتأيت أن نخبره سوياً.

_سيغضب بشدة وسوف يتفوه بكلام جارح لك من فضلك دعني أتحدث إليه.

_حسناً..قال بعدم رضا.

خرج وأنتظرها في قاعة الانتظار ريثما تنتهي ، بعد وقت من الانتظار ؛ فزع من
صوت الضرب علي باب قاعة الزيارات فجأة وملاً صراخه المكان قائلاً: أرغوفان
يا عدو العرض..أعلم أنك هنا وتسمعي تعال إلي هنا أيها الديوث لقد قلت أنك أخي
وأنت ماذا فعلت؟...توجه بخطوات سريعة نحو الباب ليووقفه السجنان فقال:

_ما الذي يحدث بالداخل؟.

_السجانين سيتكفلون بالأمر.

دفع السجنان قائلاً: أبتعد عن طريقي فزوجتي في الداخل.

قال السجنان الثاني وهو يشد قبضته علي ذراعه: أهدأ قليلاً أيها المحامي ما إن
يخرجوا رفاقنا السجنين سنفتح الباب.

بعد وهله ساد الصمت ،فُتح الباب فدخل مسرعاً إلي الداخل ،كانت جالسة تبكي
بحرقة وتضم وجهها بيديها ،توجه إليها جثى أمامها...هل أنت بخير؟...من شدة
بكائها لم تستطع قول شيء أضاف...أرجوك أهدأي وأخبريني ما الذي حدث؟..

_لم...يسد...لم يستمع إلي...كان...غاضباً...لم يدعني أخبره أنك أنقذت حياتي.

كان محتاراً في كيفية تهدئتها وهو يشعر بالعجز أمام بكائها جلس بجانبها بصمت
في انتظار أن تهدأ.

دخلا إلي المنزل كان في انتظارهما بالداخل رجل طويل القامة ، ذو وجه حسن ،
له شعر كثيف ، ينمي ذقن خفيفة ، يبدو أكبر من أرغوفان بالسن...قال أرغوفان:

أعيدوا لي قلبي

_ هذا أصلان كأسمة تماماً... ربت علي كتفه مكملاً... أنه أسدي وملاكي الحارس..
أضاف بصوته المميز... أستغفر الله يا أخي... اهلاً بك جونول.
تعجبت جونول قائله:

_ هل تعرفني؟..

نظر أصلان بحيرة إلي أرغوفان فقال الثاني: أنا أخبرته برؤوس أقلام عن الأمر...
علي أي حال... سأذهب إلي المرافعة وسيبقى أصلان في الخارج أن احتجت إلي أي
شيء لا تترددي في إخباره.

_ حسناً.

أضاف قبل خروجه رفقة أصلان... لا تعدي شيء علي العشاء سأحضر معي الأكل.
أكتفت بابتسامة خفيفة وعند خروجه أردفت... وكأني أعرف كيف أعد العشاء؟.

تجولت في المنزل الذي يوضح أن مالكه شخص أعزب، صغير ولا حياة به، المطبخ
مقابل الصالون وبه باب زجاجي يطل علي الباحة الخلفية؛ حيث بها كرسيان خشبيان
وطاولة صغيرة، وبزاوية بعيدة عن المطبخ مكتبه متوسطة بها ملفات عديدة تخص
أعماله برفقة مكتب صغير، وعلي اليسار حمام، صعدت السلالم في استكمال لجولتها
المنزلية، في الأعلى غرفة نوم كبيرة يوسطها سرير وبمحاذاته تدفئة أمامها أريكة
متوسطة، وبزاوية الغرفة باب متوسط عندما فتحته كانت خزانه ثياب لكن يتواجد
بها القلة القليل من الثياب، بجوار الغرفة حمام وغرفه بنهاية الرواق بها شاشة تلفاز
كبيرة مرفقة بمضخات الصوت، وبمحاذاتها مباشرة أريكة كبيرة من مظهرها
تبدو مريحه، رتبت ثيابها في خزانه الثياب، استحمت وبدلت ثيابها، وبلحظه إدراك
متأخرة رأت أن بالمنزل غرفة نوم واحدة، جلست علي طرف السرير وهي تشعر
بخوف وتوتر قالت تحدث نفسها: ظننت أنك نجوتي في ليلة أمس لكن أعتقد أن
اليوم عليك قبول مصيرك كونك أضحيتي زوجه.

مضت الساعات بصعوبة، حاولت أن تكمل قراءتها لكتاب صباح الدين، لكن كان
امراً مستحيلاً تحت هذا الضغط النفسي والتوتر من واقع فرض عليها فجأة، أفاقها
من شرودها صوته الداوودي القادم من الأسفل قائلاً:

_ جونول لقد أتيت...

زاد توترها فلم تكن تعلم كيف عليها التصرف، لكن عند ندائه الثاني لها نزلت
مسرعة، كان واقفاً في المطبخ يخرج العشاء من الأكياس.

_ هل كنت بالأعلى؟!.. سأل.

_أجل كنت أرتب الثياب... شعرت بالإحراج من قولها أنها كانت تستلقى علي سريره فأضافت لتحاول تشتيت توترها... لاحظت أنك لم تحضر معك ثياب؟.

_ألم تجدي ثيابي عندما وضعتي ثيابك بالخزانة؟.

_بلى وجدتها لكنها قليلة.

_أجل أنها كذلك... أستدار نحوها متسائلاً: هل أكلتي شيئاً ما؟

_لا كنت في انتظارك.

_حقاً؟... أردف متعجباً... ماذا عن دوائك هل تناولته؟.

_تناولته في الصباح وبقى الآخر قبل النوم.

_هذا جيد... أشار إلي الأطباق.. لقد جهزت كل شيء ضعيه في المايكرويف وسخنيه ريثما أستحم وأبدل ثيابي.

تناولا طعامهما في صمت ، والتوتر لا زال يخيم عليها ، ساعدته في ترتيب وتنظيف الأطباق ، وضع أمامها كوب من شاي الأعشاب بعد جلوسها.

_أشربي من هذا سوف يفيد للنوم... رشف رشفته الأولى من القهوة أضاف... أعتقد أنه حان الوقت لننحدث... شعرت أن قلبها يكاد يتوقف من سرعة نبضاته أنزلت الكوب من يدها ولم تنبس بشفه... سحب ورقة من بين الملفات التي بجانبه وضعها أمامها مردفاً... أقرائي هذا.

_ما معنى هذا؟... قالت بتعجب بعدما قرأت محتوى الورقة.

_إنها وثيقة تعهد تحميك من والدك إلي الأبد.

_لماذا؟..

_سأشرح لك عندما مررت بك في المستشفى قبل أن تفيقي نبهتني السيدة عائشة بخصوص شكوكها حول ما يسعى إليه والدك وحدثتني عن أسرة بيازيد لذا بحث أصلان بدقة حول هذا الأمر وجد أن الأغا نامق بيازيد يبحث عن ممول عقاري في المنطقة وعثر علي والدك لكن أثناء الاتفاق بينهما طلب والدك مبلغ كبير لم يرضى به الأغا نامق لذا قرر أن يجعل الشراكة بينهما بالنسل ولأن أسرة بيازيد لا إناث لهم قررا أن يتم زواجك بأبن الأغا المدعو بيازيد وعند تعقد الوسط وموافقة والدك علي طلبي بالزواج منك علم سلجوق أنهم يخططون لإجبارك علي الطلاق مني بعد مدة لا أدري أهى أسبوعين أو ثلاثة ثم يعقد قيرانك علي بيازيد... بحسب الاتفاق الذي بينهم يجب أن تنتهي الترتيبات والزواج خلال 3 أشهر.

أعيدوا لي قلبي

لم تتهاون تلك الدمعة عن السقوط من عينيها قالت بحسره:

_ إذا لم يتوقف عن معاملتي كسلعه حتى الرمق الأخير؟.

قال بأسى... أنا أسف لسماحك بهذا مني... ظلت صامته تتجرع الألم رفقة الشاي فأكمل... والآن أريد عقد اتفاق معك.

_ اتفاق ماذا؟.. قالت بتعجب.

_ أولاً عليك أن تعلمي أنه بإمكانك الثقة بي فأنا أعدك في خلوتنا هذه أنني لن أجبرك علي شيء لا ترغبين به ولن أمس شعرة منك ما لم تريدين ولن أجعلك تعانين أو تتحملين ما لا تطيقين وأعدك أن أكون أول شخص لا تبكين بسببه... عاد التوتر إليها بعد هذه المقدمة المؤثرة حتى أنها شربت كوب الشاي دفعه واحده... أبتسم بعد أن فهم أنها قد توترت من مقدمته فأردف... أنا وأنتِ سنعيش تحت هذا السقف معاً لمدة أربعة أشهر أي شخص لا يتعدانا نحن الأثنين سيعرف بأننا زوجان وسنعيش كصديقين يحترم كل منا الآخر حتى تنتهي هذه المدة ثم سننصل بجلسة طلاق واحدة وخلال هذه الفترة سأجد لك عملاً وسأساعدك للتأقلم في العيش هنا بأزمير أما العودة لبلدتك فأنسي هذه الفكرة طوال حياتك وعند انفصالنا سأترك هذا المنزل لك ما رأيك.

قالت بعد صمت بنبرة تحمل ألماً مريراً... ألهذه الدرجة تشفق علي؟!..

_ ماذا تعنين بـ"أشفق عليك"!!

_ بعد كل ما تقدمه لي لا تقل أنك لا تشفق علي.

_ علي الإطلاق... قال بإصرار وثقة... أنا لا أشفق عليك.

_ وماذا تسمي ما تفعله معي؟.

_ ما أفعله هو بدافع طبيعة عملي أنا محامي وظيفتي هي خلق فرص ثانية لكل من أقابلهم من لا أقوى علي خلق فرصة ثانية له أساعده علي خلقها أو أهيئها له بأبسط الطرق وهذا ما أفعله معك.

_ هل حقاً ما تقوله؟

_ أجل.. ثم أضاف مماًزحاً راسماً بثغره ابتسامة... لكن أن كانت فكرة عيشنا كصديقين قد جرحت مشاعرك فسنغير هذه النقطة لا مشكلة.

_ لا لم أقصد هذا؟... قالت بخجل وتوتر.

أستند إلي الخلف بحركة سريعة لتوتره عند رؤيتها تحمر خجلاً مضيفاً... كنت أمزح... ثم أشاح بنظره بعيداً مكماً... كما أخبرتك الجميع دون استثناء سيظن أننا

أعيدوا لي قلبي

متزوجان.

_ حسناً... سألت بعدما تذكرت... المنزل به غرفة واحدة.

_ الغرفة لك سأنام هنا فأنا لا أنام بالغرفة إلا نادراً كندرة قدوم إلي هنا.

_ ما الذي تعنيه؟

_ أنا آتي إلي هنا بدافع العمل فقط.

_ ألا تعيش هنا؟

_ لا أنا أعيش مع عائلتي في إسطنبول.

_ آه فهمت... قالت بشيء من الاستياء.

فأضاف مبرر موقفه... لا تظن أنني أفرض عليك العيش هنا بدل من الذهاب معي
كي لا أعرفك إليهم لكن عائلتي تعتبر الزواج أمراً مقدساً فإن علموا أننا تزوجنا
سيكون انفصالنا شبه مستحيل.

_ لما؟!.

_ في عائلتي هنالك سببان للطلاق أما خيانة أحد الطرفين أو انتهاء المشاعر بينهما
الخيار الأول يستحيل أن يكون حجتي والثاني من سيصدق أن مشاعر اثنين قد
تزوجا حديثاً انتهت في وعضون أربعة أشهر.

_ أجل هذا صحيح.

_ لكن إذا كنت ترغبين بالعيش في إسطنبول فلا مشكله عندي.

_ لا ليس كذلك لكن كأن الأمور تعقدت لديك بسببي؟.

_ لا تقلقي يمكنني أن أوافق بين عائلتي وبينك لا تفكري بهذا الشأن فأول شيء عليك
معرفته بشأني "أنا لا أترك أحداً منتصف الطريق".

لم تستطع النوم جيداً بسبب الألم المرافق لذراعها، نزلت عندما سمعت صوت حركة
في المطبخ... صباح الخير... أردفت فور نزولها.

_ صباح الخير هل أيقظتك؟... قال بينما يعد الأفطار.

_ لا لكنني لم أستطع النوم جيداً.

_ هل بسبب المكان أم أنك تعانين من ألم ما؟.

_ كلاهما!!.

_ أجلسي سأضع الفطور تناولييه وخذي مسكن ألم وعودي للنوم.

أرتدى معطفه وتجهز للرحيل أردف قبل خروجه...عودي للنوم يجب أن ترتاحي فأنت لم تنامي جيداً منذ يومين...مديرة المنزل تدعي "سونيا" ستأتي بحوالي الحادية عشر هي من ستهتم بالطبخ والتنظيف ولا تقلقي هي مديرة هذا المنزل منذ خمس سنوات...وأنا أثق بها ولكن ليس لدرجه أن تعلم بخصوص حياتي الشخصية لذا قمت بترتيب الصالون وأنت عند نهوضك من السرير قومي ببعض الفوضى بالجهة التي لا تنامي بها من فضلك ليبدو وكأنني كنت نائماً بالغرفة ورميت ثياب نومي علي الأريكة دعيها مكانها كي لا نترك لها مكان للشك.

_ حسناً فهمت.

_ وأمر أخير سنقوم بهذا كل يوم في الصباح.

_ لا تقلق حفظتها أنت ترتب الصالون فور استيقاظك وأنا أبعثر الجهة المعاكسة من السرير.

_ أحسنت...قال مبتسماً...إلي اللقاء.

بعد ثلاث ساعات نوم متواصل ، نزلت إلي الأسفل لتسمع بعض الحركة في الحمام السفلي ؛ توجهت نحو الصوت بخطوات خفيفة ليفزعها خروج سيدة من الحمام قصيرة القامة بدينة لها عينان خضراء بيضاء البشرة وتضع علي رأسها قطعة صغيرة من الحجاب وترتدي ثياب بسيطة.

_ أه يا أبنتي لقد أفرعتني؟!..قالت.

_ لا تؤاخذيني عندما سمعت صوت حركة قادم من هنا تسألت عن من يكون؟

_ أه أنا سونيا مديرة المنزل...ثم ألقط نظره عليها وقالت: زال البأس ما الذي حدث؟.

_ شكراً...تعرضت لحادث.

_ أه الحمدلله أنك بخير.

_ سلمت أختي سونيا هل أنت هنا منذ وقت؟

_ لا أتيت قبل قليل رتبت المطبخ وكنت أنظف الحمام...هل أعد لك الفطور.

_ لا شكراً تناولت الفطور رفقة أرغوفان في الصباح ساعد فجان قهوة أهتمي بعملك.

_ لا تتعبي نفسك ساعده أنا.

_ لا مشكلة يكفيك ما لديك من عمل ساعده بنفسه هون الله عمك أختي سونيا.

الجو دافئ وجميل ترافقه نسمة لطيفة ، جلست جونول في الباحة وتلف كتفيها بشال أزرق ؛ تحتسي قهوتها بينما تقرأ كتاب صباح الدين ، سمعت صوت أرغوفان من الخلف: مرحباً..

_ أرغوفان مرحباً!!.. نهضت متسائلة... هل من مشكلة؟..

_ وهل يستدعي قدومي مشكلة؟..

_ لا لم أقصد لكن عندما قلت أن "لديك عمل" ظننت أنك ستتأخر.

_ أنهيت مرافعتي ولم يكن لدي أعمال كثيرة لذا قلت أن أتى وأقلك لنأكل في الخارج.

_ ماذا أنا؟.. قالت بتعجب.

_ أجل أنت لن أدعو أصلاً ليخرج للأكل معي... قال بسخرية.

_ لا فقط لأنها المرة الأولى التي أتلقى بها دعوة للغداء.

_ لا تقلقي ولن تكون الأخيرة أخبرتك سأجعلك تتأقلمين هنا قبل ذهابي هيا أذهبي وتجهزي.

_ حسناً... قالت وهي تقفز من السعادة... لن أتأخر.

وقف يراقب اختفائها داخل المنزل وهو يرسم ابتسامه خفيفة علي محياه.

_ أهلاً بك سيد أرغوفان... قالت سونيا من خلفه.

_ سونيا... كيف حالك؟..

_ بخير... سيد أرغوفان تعرفت إلي الفتاة قبل قليل ولكن لم تعرفني بنفسها هي من أقاربك؟

_ ربما نسيت أن تعرفك بنفسها ليس إلا.

_ هذا واضح فيبدو أنها فتاة لطيفة ومحترمة.

_ يبدو أنها راقية لك وهذا جيد لأنك يجب أن تعتادي عليها فهي ستعيش هنا من الآن وصاعداً.

_ حقاً لا مشكلة أخدمها برمش عينايا فضيوفك ضيوفي.

ضحك قائلاً: هي ليست ضيفتي بل زوجتي وتدعى جونول.

توجه إلي الداخل تاركاً خلفه سونيا في حالة دهشه ، فالفتاة التي كانت تناديها "يا أبنتي" قبل قليل أتضح أنها سيدة هذا المنزل دخلت خلفه، فور نزولها اعتذرت سونيا منها:

_ أَعذِرُنِي كُنْتُ أُنَادِيكَ بِأَبْنَتِي طَوَالَ الْوَقْتِ وَأَنْتِ سَيِّدَةُ هَذَا الْمَنْزِلِ؟_

لكن جونول لم تسمح بأن تناديه بسيدتي ، لأنها لم تعتد إلا أن يناديها الخدم بأختي أو باسمها مباشرة ، بينما كانت تتحدث ، كان أرغوفان يتأمل تواضعها مع سونيا ، وعفويتها كأنها تعرفها منذ سنين ، دون أن يدرك بدأ يألف هذا الشعور الدافئ الذي يشعر به أثناء تواجده معها.

في المساء جالسين هي تقرأ كتابها وهو يتصفح التلفاز ، أغلقت الكتاب قالت بتوتر:

_ أرغوفان!..

_ نعم...أجاب بشرود.

_ هل لي أن أحدثك بخصوص شيئاً ما؟...ترك جهاز التحكم من يده وأستدار نحوها أكملت...في اليوم الذي أنقذت حياتي به...ظل صامتاً ليفهم إلي ماذا ترمي بسؤالها...الشاب الذي أوصل إليك الخبر لقد خسر منزله وطرده مع عائلته خارج المدينة وكل ما حدث له بسببي فهو لم يقيم بشيء سوى مساعدتي.

_ وهل تريدني مني مساعدته؟...قال محاولاً فهم الأمر.

_ لا مستحيل أن أطلب منك شيئاً كهذا.

_ ماذا إذاً أنا لم أفهم ماذا تريدني؟

_ هل لي أن أتصل به لأطمئن عليه وأعتذر منه؟

صمت للحظة وهو يحاول استيعاب ما قالته ثم سأل...هنالك شيئاً لم أفهمه هو أخبرني كي أتدخل وأنقذ حياتك فكيف علم أخوتك بالأمر ولما أساساً طرد من المدينة وخسر منزله أليس بهذا الأمر مبالغة؟

لم تدري كيف ستشرح له الأمر ، خشية أن يغضب أو يشعر أنه قد تمت الإساءة إليه بطريقة ما ، وربما سيفكر بها كما فكر جمال الدين فأردفت...يدعى جانير يكبرني بثلاث سنوات تعرفت إليه بمكتبة الجامعة...

_ حسناً فهمت...قال بتهكم فهو لم يكن علي استعداد أن يسمع قصة حبها أضاف بنفس التهكم...وأنت الآن تشعرين بالقلق وتريدني الاطمئنان عليه...كان الانزعاج الذي أحاط بملامح وجهه واضح للعيان.

فقط لأنه قد خسر كل شيء بسببي...قالت بتردد...أردت...الاعتذار منه فقط.

_ حسناً لا داعي لأن تبرري لي لكن كيف ستصلين إليه؟

أعيدوا لي قلبي

_ أنا أحفظ رقم هاتفه؟... قالت بتوتر.

_ أخبرتك لا مشكلة لذا لا داعي أن تتوتري... وضع هاتفه أمامها مكملاً... يمكنك الاتصال به من هاتفي وسأحل أمر إحضار هاتف لك غداً...

_ حسناً شكراً لك..

أخذت الهاتف لتتصل بجانيير وتطمئن عليه ، و عاد لمشاهدة التلفاز ؛ لكنه لم يستطع ألا يبالي بالأمر ، كان يدير رأسه نحو التلفاز لكن أنظاره لم تبتعد عنها وهو يحاول قراءة لغة جسدها ؛ لفهم ما تخبره به فقد خرجت للباحة ولا يسمع ما يتحدثان عنه. فور خروجها إلي الباحة كتبت الرقم وترددت في الاتصال ، بعد آخر محادثة دارت بينهما سيكون الحديث معه مشحوناً بكثير من التوتر ؛ فجانيير بالنسبة لها الآن وخاصة بعدما علمت بمشاعره لم يعد ذلك الصديق الذي بإمكانها إخباره بكل ما يخطر ببالها ، عليها أن تكون حذرة ومنتبهة لكل كلمة تقولها ؛ بعد تفكير دقيق ضغطت للاتصال به.

_ مرحباً... أجب بعد وقت من الانتظار.

_ مرحباً هل جانيير ألب علي الخط؟

_ أجل هذا رقم هاتفه لكنه غير متفرغ.

_ حسناً... قالت بخيبة أمل... أخبره أن جونول أتصلت.

_ لحظة... قال من أجب علي الهاتف... أنتِ جونول ديمير؟.

_ أجل!... أجابت بتعجب.

_ أبقى علي الخط من فضلك.

بعد وقت أجب بصوت نعس... نعم معك جانيير!..

ابتسمت ابتسامه خفيفة وقالت... هذه أنا...

لم تذكر من تكون فبمجرد سماع صوتها قال قافراً من فرحته... جونول هذه أنتِ؟

_ أجل كيف حالك؟

_ دعك مني كيف حالك أنتِ؟

_ بخير خرجت بكسر في ذراعي وبعض الرضوض.

_ أسعدني سماع صوتك... ثم خيم الحزن علي صوته وسأل... هل... ما سمعته... صحيح؟!.. كان صمتها وأصوات أنفاسها المتوترة هما الإجابة القاتلة له أضاف... أنا

أسف بسبب غبائي حدث لك ما حدث وإن استطعت الوصول إلي ذلك المحامي باكراً لاستطاع بطريقة ما إنقاذك من ذلك المدعو بيازيد... أنا حقاً أسف.

_ لا تأسف وإياك والاعتذار فأنت من خسرت هنا وقد تأذيت كثيراً وما عاشه والداك خسرت مدينتك متجرك منزلك وكل هذا بسببي أنا أسفه فأنت تضررت من عائلتي بطريقة لا تستحقها.

_ كل شيء يعوض... الكسور ستشفى... ومع الوقت سينسى والداي ما عاشه منزلي متجري مدينتي كلها تعوض لكن جونول... بماذا يعوض شخص خس من يحب؟.. أكثر ما ألمه صمتها كان يتوقع منها إجابته تخفف من وجعه وآلمه ، أنتظر أن تقول "أنت لم تخسرنى" أو شيء من هذا القبيل ، لكنها قالت ما لم يتوقعه.

_ جانير لا أعلم إذا كان الأمر يواسيك لكنك استطعت إنقاذي.

_ ماذا تقولين؟!

_ بفضلك لم ينجح والدي بأن يجعلني صفقة مع نامق بيازيد.

_ حقاً... قال ضاحكاً بسعادة... ثم تسأل بعد أن هدأ... لكن أنت لم تنكري قبل قليل بأنك تزوجت وقالوا "إنك تزوجت برجل ثري" لذ ظننت أنه ابن نامق.

_ أنا وأرغوفان تزوجنا.

قامت بصعقه بأسوء خبر قد يطرق مسامعه ، فهو من المرة الأولى التي سمع باسمه قد حذرته غريزته أن هذا المدعو أرغوفان خطر محقق قال بصدمة...

_ جونول... قولي أنك تمزحين... أضاف بحق... الرجل الذي أرسلت في طلبه لينفذك سرقك مني... لم تجب فأكمل راجياً... جونول من فضلك لا تقولي هذا أرجوك قولي غير هذا الكلام... جو... نول.

كان احتمال أئينه وبكائه صعباً عليها ، لكنها لم تشأ إعطائه أملاً زائفاً ؛ فحتى إذ أنهى زواجهما هي لا يمكنها أن تعتبره سوى صديق لا يمكن التنازل عنه ، لو كان الأمر كالسابق لما ترددت في إخباره عن الاتفاق الذي بينهما ، استجمعت شجاعته وقالت: أتصلت للاطمئنان عليك ويسعدني أنك بخير.

_ أسعد... أسعدني سماع صوتك... جونول هل يمكن أن أتصل بك مرة أخرى؟

_ لا ستكون هذه المرة الأولى والأخيرة التي نتكلم بها جانير دمت سالماً.

_ شكراً لسماحك لي بإجراء هذه المكالمة...

أعيدوا لي قلبي

قالت وهي تضع الهاتف أمامه ،شعر باستيائها فسأل:

هل قال شيئاً أزعجك؟.

لا لكنني شعرت بالذنب... أردفت وهي تجلس... لييتي لم أتصل به.

لما؟!.

كنت كأنني أقول له "أنت خسرت كل شيء وأنا أستعد لبناء حياة جديدة".

وما الذي خسره؟... قال بحنق.

منزله متجره مدينته أهذه الأشياء لا تكفي.

آه... قال بعد فهمه الأمر... ظننتك تقصدين أمر آخر... تسالت علي شفيتها ابتسامة لم تغب علي ناظريه أخفتها سريعاً فأضاف... من اللباقة أن تخبريني ما المضحك بكلامي؟

لم أكن أضحك علي كلامك.

فهمت... قال بانزعاج... بالتأكيد تذكرتي شيئاً قاله صديقك.

لا ليس كذلك... قالت مبررة... ألم تمتعض من سماع كلامي عن جانير؟!.

لا لم يحدث ولما أمتعض منه من الأساس؟.

هذا ما أتحدث عنه... هذا ما كان يفعله عندما أحدثه عنك.

ولما يمتعض مني حضرته؟... أضاف... سمعت من صالح أنك لا تخرجين من المنزل إلا نادراً لكن يبدو أنك تلتقين بهذا الصديق كثيراً حتى حدثته عني؟.

أنا وأنت لم نلتقي كثيراً مرتين فقط وعلي يومين متتالين لذا كيف استنتجت أنني ألتقيت به كثيراً... أردفت وهي تنهض... علي أي حال أعتقد أنه من الجيد ألا تجتمع مع جانير في مكان واحد فإن تكره شخص بمجرد السماع به أمر نادر فما بالك بمشاعر متبادلة... أضافت وهي تغادر... تصبح علي خير.

تصبحين علي خير... أضاف وهو يحدث نفسه بتهمك... أنا أمتعض منه لأنه يتحدث مع زوجتي علي الهاتف في الليل وبوجدي لكن لما يتجرأ هو علي الامتعاض مني الوقح... أطفأ التلفاز مكماً بغضب... ولما تحدثه عني من الأساس؟.

مضى أسبوعين وقد بدأت بخطواتها الأولى بفضل أرغوفان ،أفرغ لها جهة من مكتبته لتضع بها الكتب التي تشتريها كلما مر بها إلي المكتبة ؛ وهي الآن تنتظر مقابله عمل ستكون بعد اثني عشر يوماً في إحدى أكبر الشركات العقارية كمهندسة

، أستطاع أرغوفان إيجاد هذا العمل لها بسبب صلته الوثيقة مع مدير الشركة ، وكان كل يوم يأخذها إلي مكان جديد ، لتتعرف علي الحياة بالمدينة ، زارت أفخم المتاجر والمطاعم السينما... وكذلك مدينة الملاهي حديقة الحيوان... ولم ينسى أن يأخذها بجولة في يخت ويتناولان الطعام تحت ضوء القمر ، وجهتهما الأخيرة كانت لحفله موسيقيّة ، بعد خروجهما من الحفل طلب أرغوفان أن يجلسا قليلاً أمام البحر ولم ترفض بدورها ، صادف تواجدهما إطلاق ألعاب نارية "ربما شاب ما أشعلها من أجل حبيبته" هكذا أجاب عندما سألته عن سبب إطلاق الألعاب النارية الآن... طوال هذه المدة كان أرغوفان لا يكتفي من النظر إليها ، عندما تعتلي وجهها نظرة السعادة والدهشة بأن واحد ، كما يحدث الآن وهي تنظر إلي الألعاب النارية ، ذلك الشعور الذي لم يعد يريد البقاء من دونه ، هذا الدفء الذي يملأ داخله منذ أن تواجدت بحياته ، عندما كانت الفرحة ترتسم علي محياها والابتسامة تزين ثغرها قال محدثاً نفسه وهو يراقبها "لا أدري ما السبب لكنني أجد فكرة التخلي عنك أصبحت صعبه ومؤلمة لا أنفك عن التفكير بكيف سأمضى حياتي دون الدفء الذي تملئينه بداخلي؟... ولا أدري كيف سوف أعود إلي منزلي وأتركك هنا؟... هل ستأتين معي لو طلبت؟" ... نظرت إليه فاضطربت من الطريقة التي كان ينظر إليها بها نسيت ما كانت تريد قوله فقال شاردًا:

__ ماذا تريدون القول؟.

لم تستطع النظر إليه مباشرة لأنها تخشى أن يسمع نبضات قلبها حين يبتسم فجأة وتوترها تلك الإبتسامة المصاحبة لغمازة علي وجنته... أردت أن أشكرك علي كل شيء.

__ لكنني لم أقم بأي شيء... قال وهو لا يزيح نظراته عنها.

أضافت... ربما ترى أنك قمت بأمور عادية لكن هذه الأشياء البسيطة كانت لي حلم... أكملت وهي تنظر إلي داخل عينيه متسارعة نبضات قلبها... وبفضلك تحققت أحلامي.

__ غداً سأعود إلي منزلي وعملي... قال دون سابق إنذار وهو غارق ببحر عينيها.

__ أه حقاً... قالت بحزن.

__ هل ترغبين في أن تأتي معي؟.

كان يفكر بأنه إذا ما عاد دونها ستختفي سعادة الأيام الأخيرة التي أمضاها معها ، لن يودع جونول فقط ، بل سيودع الأحلام ، لهفه العودة للمنزل لرؤية عينيها وهي تبرق عند استقباله ، شوق انتظارها والضحك رفقتها ، لم يجد القوة الكافية للتخلي

عنها.

_ماذا؟.. قالت بتوتر... قلت أنك لا ترغب بأن تعرف عائلتك بشأن زواجك؟

_ لا داعي أن يعلموا حالياً تعالي معي إلي وإن أعجبتك الحياة هناك نستقر... أقصد تستقرين.

_ لا هنا أفضل وأيضاً لا أريد أن أكون عبئاً عليك.

_ لا علي الإطلاق... قال مبرراً... لن تصدقي مدى سعادتي بمساعدتك.

_ ومع هذا دعني هنا.

لم يتردد في قول: لكن سأظل مشغول البال عليك.

أحمرت خجلاً فاستدارت لتنظر إلي البحر مجيبه... لا تشغل بالك أختي سونيا هنا وقلت أن أصلان سيظل معي وإن احتجت إلي أي شيء سأتصل أما بك أو بسلجوق لا تقلق.

_ ليس سلجوق بل ستتصلين بي مباشرة... قال بإصرار... وسوف أتي لزيارتك كل عشرة أيام... أضاف مماًزحاً... هذا إذا كنت ستقبلين بزيارتي.

_ بالتأكيد لن أقوم بطردك... قالت بتهكم.

ضحك بتوتر ونظر حوله فلمح شيئاً ما قال: سأعود لا تبرحي مكانك.

كانت مشغولة بالألعاب النارية فلم تنتبه إلي أي جهة ذهب ، تأخر في عودته وقد أنشغل بالها قليلاً ، أتصلت به فلم يجب ؛ سمعت أصوات شجار بعيدة عنها قليلاً لكنها لم تعرها انتباه فهي تعلم أن أرغوفان لن يكون واحد من هؤلاء ، أعادت الاتصال به ولم يجب توترت كثيراً ولم تتردد في الاتصال بأصلان الذي كان يتواجد بجانب السيارة حيثما ركنها ، ثواني حتى جاء أردفت عند رؤيته... قد أكون بالغت قليلاً لكنني خفت كثيراً عندما لم يجب عن اتصالي.

_ أهدأي قليلاً وأخبريني إلي أين ذهب؟

_ لا أعلم كنا جالسين هنا... مشيرة إلي المقاعد... ثم قال فجأة أنه يريد الذهاب وسوف يعود.

_ ألم تري أي أحد تعرفينه بالوسط؟

_ لا هل تظن أنه حدث له شيء؟

ربت علي كتفها ليطمئنها... لا تقلقي سيكون مشغولاً بأمر ما سأبحث عنه وأتصل بك عودي إلي السيارة وانتظرينا.

_أجب عندما أتصل بك من فضلك.

_حسناً.

ذهب وأبتعد بين المارة وأختفى ظل جسده الضخم بهذا الازدحام ، توجهت نحو السيارة لكن فضولها شدها حول الصرخات التي أطلقت والمناشادات لطلب الإسعاف ، كان نفسه الاتجاه الذي حدثت به المشادة قبل قليل ، اقتربت ببطء وبخطوات حذره تسمع كلام الناس من حولها حول ما حدث ، بحثت بنظراتها عن الحدث لتصاب بفاجعة هي الأسوء بحياتها ، بالكاد يتنفس مدد علي الأرض فوق سجاده حمراء تمت حياكتها بدمائه ، أستجمع ما به من قوة ورسم ابتسامة كالتي في ذلك اليوم تماماً ، ابتسامه أوضحت تقاطيع وجهه التي بجانب عينيه وغمازته...جو...نول...قال بصعوبة...ركضت نحوه صارخه:

_أر غوفان...أر...أر غوفان ما الذي حدث؟...أجهشت بالبكاء مضيفه...من فعل بك هذا؟...أر غوفان...رفع يده باتجاه وجهها مضيفاً وهو يصارع أنفاسه...لا...ت...تبكي...وعدتك...بأن...لن...تبكي...بالكاد لامست أصابعه وجهها لتترك أثراً من دمائه عليها قبل أن تسقط وتغلق عيناه...انحنى عليه وهي تصرخ باكيه...أرجوك أفتح عينيك أر غوفان من فضلك أنت لا تفعلها بي أر غوفان...أنت لن تفعل مثلهم وترحل.. أر غوفان أحتضنها أصلان من الخلف لتهدئتها وليبعدها عنه كي يستطيع رجال الإسعاف التدخل والقيام بعملهم ، استسلمت وأرتخي جسدها بين ذراعيه وهي تقول...أصلان قال أنه لا يتركني منتصف الطريق...أجاب بحنقه...هو لا يترك أحداً منتصف الطريق...ضربته علي كتفه بوهن وهي تردد...لكنه فعل أخوك تركك وتركني يا أصلان لقد فعلها.

الفصل الثالث

لا سلطة لنا على قلوبنا هي تنبض لمن أرادت!...”

طنين قوي بأذنيها وهذا كل ما تسمعه ، تحاول استيعاب ما يحدث حولها لكن عقلها يأبى أن يعمل ؛ ممسكاً بكتفيها وهو يهزها يحاول إخبارها بشيء ما لكنها لا تسمعه ، ترى تلك الشفاه تتحرك لكنها لا تفهم ماذا يقول؟ ، رائحة الدماء القوية تغطي المكان ؛ أنزلت نظرها ببطء نحو يديها ثيابها وحتى الأرض التي تجلس عليها ملطخه بدماء تجهل صاحبها ، أمعنت النظر من حولها لكن جسده يغطي علي الشخص الممد خلفه لا ترى منه سوى ساقية وبأرجله حذاء رياضي أبيض.

_جونول...جونول...صوته قادم من بعيد ثم ارتفع فجأة...جونول!...سحبها صوت أصلان من ذاكرة ملبدة ، لا تدري بأي ركن من عقلها كانت مخبأة ، رفعت رأسها نحوه أردف وهو يناولها الماء...أشربي بعض الماء عليك أن تتماسكي...لم تقل أي كلمة كانت تنظر إليه وكأنها تنظر إلي الفراغ ، أزاحت نظرها نحو يديها وثيابها الملطخات بالدم ؛ في هذه المرة تعرف هوية صاحب هذا الدم تعرفت علي رائحة دمائه العالقة بأنفها ، هذه الباب الضخم يفصلها عن من يتمدد تحت العملية في الداخل ، أنتظر بجانبها بعد وقت خرج عن صمته...أنا مجبر علي إبلاغ السيد بما حدث اليوم...أكتفت بإيمائه رأسها ، لا تعلم من يكون هذا "السيد" ولم تسمع به من قبل ، وعقلها بهذه اللحظة لا يستوعب ما يدور حولها ، فكل ما تسمعه الآن هي تلك الكلمات التي كانت آخر ما تلفظ بها ، غادر بعد أن أخذ الموافقة ؛ عقب رحيله جاء أفراد الأمن لأخذ إفادتها ، ولعدم تركيزها معهم بفعل الصدمة ، أخذوا إفادتها بصعوبة بالرغم من أنها لم ترى أو تسمع أي شيء، ظلت مكانها لساعات طويلة في انتظار خروج الطبيب بأي خبر حتى أنها لم تنتبه لأصلان عندما أبلغها بأن السيد علي حد تعبيره سيكون هنا خلال ساعة ونصف الساعة.

قبل أن تشرق الشمس بساعتين ، وتبسط ضيائها علي مدينة المأذن "إسطنبول" ، كان علي أشرف جالسا بخلوته يقرأ القرآن ، ليهدئ ما بجوفه من قلق ؛ ولتنزل السكينة علي قلب هذا العجوز الذي يتنبأ بنبا سيئ ؛ قبل أن ينهي سورة البقرة ، سمع طرق خفيف علي باب الغرفة ، أردف بعد أن أوقف قرأته...تعال!!...فتح الباب رجل طويل القامة في الخمسين من عمره ذو جسد رشيق ، له شعر تأكله شيب خفيف...أبيض البشرة ، ذو عينان زرقاء...وله صوت هادئ.

فور رؤيته أغمض عينيه وأستدار نحو القبلة قائلاً بهمس...اللهم لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه...وقف وتمسك بعكازته بقوة قائلاً...بما أن الخبر لم ينتظر حتى الصباح فلا بد أنه سيئ...هيا يا شاهين تكلم.

_سيد علي أشرف أجلس من فضلك...

أعيدوا لي قلبي

شاهين... قال بحده... ما الأمر؟

تردد قليلاً ثم قال: تم طعن السيد أرغوفان وهو الآن في العملية.
كانت وطأة هذا الخبر كبيرة عليه ، فقد توازنه وكاد أن يقع ، أمسك به شاهين... سيدي هل أنت بخير؟..

بخير... بخير كيف حدث هذا لأرغوفان؟

لا أعلم سيدي فسلاجوق لم يوافيني بالتفاصيل!... ترك يد شاهين وأنتصب في وقوفه فقال شاهين: سيدي أن الطائرة جاهزة إذا أردت الذهاب الآن؟

_بالتأكيد سنذهب الآن وقبل أن تنتهي عملياته سنكون هناك... أضاف قبل خروجه...
أيقظ ارطارول ويجب أن يذهب مارت أيضاً أبلغهما ليوافياني إلي السيارة.

عندما كان يرتدي حذاءه سمع صوت من خلفه... جدي ما الذي يحدث؟_

أستدار قائلاً: نحن ذاهبون إلي أزمير.

أردف بتعجب... أزمير! في هذا الوقت... ثم تذكر أن أرغوفان هناك سأل بفرع... هل عمي بخير؟_

_أهدأ لا نعلم أي شيء حتى هذه اللحظة.

من سيذهب معك؟

_لا داعي لأن نكون مزدحمين أنا وأبوك ومارت.

_هذا غير ممكن انتظرنى قليلاً سوف أبلغ عمتي وأتي.

ألتان توقف لحظه...

أردف بإصرار... جدي لن نكون هناك من أجل الوقوف بجانب عمي فقط بل علينا موااساة مارت أيضاً لذا يجب أن نأتي أنا وعمتي معكم.

منعزلة عن العالم ، لا تسمع أو تفكر بأي شيء ، صمت قاتل في رأسها ، تسند رأسها علي الجدار وعيناها علي ذلك الباب الضخم ؛ شعر أصلان بالقلق فقد فشلت كل محاولاته لحثها علي التحدث إليه ، بعد معاناة طالت بفعل الانتظار ، فتح الباب أخيراً ، هناك فقط استجابت لما يحدث ، نهضت مسرعة نحو الطبيب الذي قال: عائلة أرغوفان بوزدا؟_

أجابت بقلق... هنا... أنا... أنا زوجته.

_ لقد نجحت العملية ولم تعد علي حياته أي خطورة لحسن الحظ أن الأداة التي أصيب بها لم تصب أي من أعضائه الحيوية ولم تتسبب بأي أضرار أخرى لقد خسر كثيراً من الدم لكن سنحل الأمر.

أردفت لتؤكد علي كلامه... أي أنه سيكون بخير؟.

_ أجل لا خطورة علي حياته وسيتم نقله إلي الغرفة بعد قليل... أضاف قبل مغادرته.. زال البأس.

تتهددت بقوة فور مغادرة الطبيب وقالت لأصلان وهي تبكي... لقد... أوفى بوعد... لم ي... يتركنا منتصف الطريق..

أبتسم مجيباً... أخبرتك أنه لا يترك أحداً منتصف الطريق... عادت للجلوس فناولها قنينه الماء... الآن يمكنك شرب الماء براحة صحيح!؟

خرج أصلان لاستقبال أسرة أرغوفان الذين كادوا يصلون ، وخرجت بدورها إلي الحديقة ، لتستنشق بعض الهواء فقد بدأت تشعر أنها تختنق ؛ بعدما هدأت انتبهت إلي الدماء التي تغطي قميصها ويديها ؛ توجهت إلي الحمام وحين كانت تغسل يديها نظرت إلي المرأة لترى أثر من الدماء علي وجهها ، تسارعت تلك الدمعة في التسلل من عينيها ، فقد كانت هذه أثر أصابع أرغوفان ، عاد إلي ذاكرتها اللحظة التي سمعت بها الشجار ، لو أنها توجهت إلي هناك لما حدث هذا؟... سواء أكان أحد أطراف النزاع أو كان يحاول فظ النزاع كان يجب أن تكون بجانبه ، لأوقفته إذا كان طرفاً به ، ولمنعه من التدخل بما لا يعنيه ؛ لم تحتمل هذا الضغط الذي هي به فأجهشت بالبكاء... دخلت امرأة حسناء في الأربعين من عمرها ذات جسد ممتلئ بيضاء البشرة ولها شعر أسود وطويل ، حاولت المرأة أن تهدئها وهي تتساءل... ما الأمر أهدئي من فضلك؟... احتضنتها لمواساتها عندما رأت أنها في انهيار عصبي ، بعد أن هدأت قالت:

_ أنا آسفه فقد تلفت أعصابي وأنهرت.

_ لا عليك... تسألت وهي تنظر لثيابها... هل أنت بخير؟.

_ أجل... تعرض... زوجي لحادث وهذه دمائه.

_ أوه زال البأس كيف حاله الآن؟.

_ قال الطبيب "لقد تجاوز مرحلة الخطر"

_ لما أنت حزينة إذا... أضافت وهي تمسك بيديها... عليك أن تكوني قوية الآن لأجله.. سحبتها نحو المغسلة بللت يديها أكملت وهي تمسح وجهها من أثر الدماء... عليك أن

أعيدوا لي قلبي

تكوني بجانبه الآن بأفضل حال لديكِ فعندما يستيقظ ويجد زوجته الجميلة بحاله سيئة ومنهارة سوف يلوم نفسه علي الحال الذي وصلت إليه...أردفت بينما تشير للقميص...اخليه سوف اغسله لك وأجفئه.

_ هنا؟!...قالت بتعجب...

_ أجل ولن يأخذ الكثير من الوقت...ضحكت من تعجب جونول...أبنتي أنتِ لم تقومي يوماً بغسل ثيابك في مكان عام من قبل؟!..

_ لا؟!..

_ ثقي بي أفعل هذا كثيراً خاصة عندما تتلطح ثيابي في مطعم ما.

ساعدت جونول لتنظيف ثيابها وعندما أرادت الخروج قالت:

_ شكراً لك علي كل شيء.

_ لم أقم بشيء أشكر عليه...بالمناسبة أنا أوزغور.

_ وأنا جونول.

فور ترحله من السيارة توجه نحو أصلان ، الذي كان يقف منتصباً باحترام ، أنقض بقبضته الكبيرة علي ثيابه يشدها نحو عنقه قائلاً:

_ أين كنت حتى يطعن أبني؟!...لما تحومون حول أبني مثل الغربان التي لا فائدة ترجى منها?..

لم يعترض عن أي ما قاله فأردف...حضرتك محق سيدي وأنا مدرك لخطأي.

تدخل ارطارول وهو يمسك بذراعه...أبي من فضلك دع الرجل لنفهم ما الذي حدث؟ تركه فقال بتردد:

_ سيد ارطارول السيد علي أشرف محق في كل ما يقول.

_ ماذا تعني؟!..قال بحده.

_ عندما أصيب أرغوفان لم أكن أنا أو أي من رجالي حوله أو حتى بجانبه.

_ أنت تمزح صحيح...قال بامتعاض.

_ كان أخي برفقة أحدهم...وطلب منا عدم مرافقته...كنت أقف بعيد عنه قليلاً...أختفى بين الحشود فجأة وعندما بحثت عنه...رأيت الناس تتجمع وتنادي الإسعاف نظرت كان...ممد علي الأرض مصاباً...

أضاف بنفاد صبر... من كان مع أخي ألم يرى ما حدث؟

_توليت الأمر وسألت كل من كان هناك... حدثت مشادة بين أثنين وقد تدخل أرغوفان وتلقى طعنه بالخطأ... أنا أبحث خلف ذلكما الإثنين وسأعلم من منهما فعل هذا؟.. صاح به بغضب... اللعنة علي عمك وعلي من يثق بعمك.

_ارطارول... صاح علي أشرف هذا يكفي... وأنت أهتم بعمك وأدعى أن يستيقظ أخيك سليماً ومعافى وإلا لن يشفع لك أحد عندي.

رمى هذه الكلمات بثقلها عليه ، وهو لا يعلم بأنه يدين بروحه لأرغوفان ، ولو طلب روحه لأعطاها أياه دون أن يسأل.

فور دخولهم توجهوا نحو الاستقبال قال ألتان: مرحباً نحن نبحت عن أرغوفان بوزدا لقد تم إسعافه بحادثه طعن.

_لحظه... أكملت بعد أن أجرت اتصالاً... انتهت عمليته ويتم إخراجه الآن إلي الغرفة.

_ ما رقم غرفته؟

_ لا يسمح لكم برؤيته قبل أخذ إذن الطبيب.

_ حسناً... أردف ألتان بنفاد صبر... أين نجد الطبيب؟

_ انتظروا قليلاً في قاعه الانتظار وسوف يأتي إليكم.

_ أستغفر الله.. أردف ارطارول بعصبيه.

أمسكت بذراع ألتان قائلة... سأذهب إلي الحمام لن أتأخر.

_ حسناً عمتي.

_ أنتبه إلي مارت فهو لم ينطق بحرف منذ علم بإصابة أرغوفان.

_ لا تقلقي عليه أنه بأمانتي.

جلسوا في انتظار الطبيب ، بعد دقائق جاء قائلاً فور وصوله... زال البأس أنا الطبيب المناوب أخبروني أنكم تتسألون عن أحد المرضى؟

_ أجل... قال ألتان... أرغوفان بوزدا نحن عائلته.

_ آه أجل... وضعه جيد وليس به أي خطورة أخبرت زوجته قبل قليل من حسن حظه الإصابة لم تتسبب بأي أضرار.

صدم الجميع عند سماع كلمة "زوجته" ، ليخرج مارت عن صمته بتعجب...

_حضرة الطبيب أظنك خلطت بين أرغوفان بوزدا ومريض آخر فهو أعزب وغير متزوج.

أعاد الطبيب النظر إلي الملف ثم أجاب... لا نحن نتحدث عن نفس المريض تعرض لحادثة طعن بالشارع قبل 5 ساعات أرغوفان بوزدا أليس هو؟.

قبل أن يتكلم مارت بما لا يحمد عليه تدخل علي أشرف... هل يمكننا رؤيته؟.

_الآن لا عندما يستقر وضعه ويستيقظ يمكننا رؤيته.

_حسناً شكراً وهون الله عمك أيها الطبيب... قال ارطارول.

أردف مارت...جدي ما هذا الذي قاله الطبيب؟

_أنا أيضاً سمعته كما سمعت أنت يا حفيدي... ثم نادى بعد صمت... شاهين!!

_نعم سيدي...

_أبحث عن عديم الفائدة هذا وأحضره إلي هنا؟.

بعد دقائق جاء أصلان...سيد علي أشرف هل طلبتني؟.

_قال الطبيب جملة وأريدك أن توضحها بما أن أخيك لا يستطيع.

_ما هي سيدي؟.

_ "أخبرت زوجته قبل قليل" هذا ما قاله الطبيب حرفياً فهل هناك احتمال أن يكون حضرة الطبيب مخطئاً يا ترى؟.

_لا سيدي ليس مخطئاً.

غضب مارت قائلاً: هل تسمع ما يخرج من فمك كيف تقول أنه غير مخطئ؟.

_مارت!...صاح به ارطارول...لا ترفع صوتك أو تتكلم في حضور جدك...

ضغط على أسنانه بقوة قائلاً: أعتذر يا جدي لم أقصد.

أنسحب بغضبه إلي الورااء فسأل علي أشرف...متى حدث هذا؟.

_قبل 16 يوم تقريباً.

_لو فعل هذا ارطارول أو أريغيت لتقبلت الأمر لكن أرغوفان أبني العاقل؟...قال بتعجب.

فأردف ارطارول...شكراً لك يا أبي!.

_ما الذي يحدث هنا؟.

_ عمتي ذهبت وأضعت خبر الموسم... قال ألتان مماًزحاً.

_ عن أي خبر تتكلم؟!.

أقترب منها هامساً... أتضح أن عمي قد تزوج قبل أسبوعين ولم يخبر أحد.

صاحت بصوت مرتفع... ماذا؟!... قالت بإجراج عندما نظر إليها ارطارول بده... لا تؤاخذوني لكن كنت أتوقع هذا من الجميع إلا أرغوفان.

توجه علي أشرف بالكلام إلي أصلان... هل زوجته هنا؟.

_ أجل سيدي أنها في المقهى بالأسفل.

_ هل هي من هنا؟.

_ لا من تشكورفا.

قال ألتان لعمته: أتضح أن ذوق عمي غريب.

_ لما؟!.

_ تخيلي أن بعائلتنا ابنة آغا... يا إلهي أن علمت جاهدة بالأمر... أضاف وهو يضحك.

قال علي أشرف بعدما خرج عن صمته... هل تعرف بأننا هنا؟.

_ لا سيدي لم أخبرها بقدمكم.

لم يشأ أن يخبره بأنها تعلم كي لا يغضب لعدم استقبالها لهم فقال:

_ أذهب وأحضرها لتتعرّف علي المرأة التي جعلت أبنّي يتخلى عن عادات الأسرة ويخرج عن كلامي؟.

غادر لإحضار جونول لتتعرّف علي أسرة أرغوفان ؛ علي الرغم من اعتراض مارت ؛ الذي لم يعجبه الاقتراح ، بعكس ألتان الذي كان يريد التعرف إلي زوجه عمه ؛ والتي يعتقد أنها فتاة من طبقة مختلفة ولها عادات مختلفة.

قنينة الماء الثانية التي تشربها بسبب التوتر ، وقد الطيب طمنها في وقت سابق ، إلا أنها لن تطمان قبل أن تراه مستيقظ.

_ جونول... قال مقاطعاً خلوتها مع أفكارها.

نهضت بتوتر... هل حدث شيء؟.

_ لا تجزعي لم يحدث شيء لأخي لكن... أخبرتك قبل وقت أنني أبلغت السيد علي أشرف وهو في طريقة إلي هنا؟.

_ماذا؟...لم تتذكر ما أخبرها به قبل أن تنتهي العملية بسبب صدمتها فأضافت...لا أذكر بأنك أخبرتني بهذا ولكن علي أي حال من يكون علي أشرف؟
قال بتوتر...والد أرغوفان.

_ماذا؟...وهل هو هنا؟.

_لقد وصل قبل قليل وعندما علم بأمرك طلب رؤيتك.

_أصلان ماذا فعلت؟...لما أخبرته عني؟!.

_لم أكن أنا لقد علموا بأمرك من الطبيب بشكل ما.

_ماذا تعني بعلوموا!!!...قالت بتعجب.

_السيد علي أشرف لم يأتي وحيداً بل هنالك أفراد من عائلة بوزدا أتوا أيضاً.

_يا إلهي...أردفت بفرع...سأقابل أسرة بوزدا الآن...قل لي كيف سأصرف.

_كوني علي طبيعتك فالسيد علي أشرف مهما بدا مظهره قاسياً إلا أنه أكثر طيبة وتسامحاً من أخي وأيضاً هو لن يزعجك بأي فعل لأنك زوجه أبنة المقرب والمفضل له.

_أتعلم بداية كلامك كانت مطمئنه لكن النهاية زادت توتري.

ضحك مردفاً...هيا من فضلك.

_ألهذه الدرجة الوضع الذي وقعت به مضحكاً...أردفت منزعه من ضحكه

أعتذر من فوره...لا تؤاخذيني لم أقصد.

ربتت علي ظهره وهي تمشي بمحاذاته...لا تتوتر فالضحك جميل يا صديقي.

اختبأت خلف ظهره الضخم ؛ حتى تهدأ قليلاً ثم انسحبت من خلفه قائلة بصوت يملأه التردد...مرحباً جميعاً.

نادت أوزغور بصوت مرتفع...جـونول!!!.نظر الجميع إليها.

قالت بتعجب...أوزغور!!!.

تسأل علي أشرف...هل تعرفان بعضكما من قبل؟

_أعتذر يا أبي...قالت وهي تفرك رأسها...ربما بالغت بردة فعلي ولا...لا أعرفها من قبل تعرفنا قبل قليل في الحمام.

تجاهل ما قامت به أوزغور فالمبالغة بردة فعلها هي عادة من عاداتها قال: أنتِ زوجة أرغوفان؟.

شعرت جونول برهبتة وهيبته الكبيرتين ، فمن يقف أمامها رجل بأوائل الثمانين من عمره ، علي عكس والدها وقور وأريب ، له شارب كبير يزيد من هيبته متوسط القامة ينظر بنظرة حاده ويمسك بيسراه عكازته... بسبب خوفها ترددت في الإجابة.

أجل... سيدي...

صدم ألتان عندما رأى أن زوجة عمه ذات جمال أخاذ ، شعر كالحريير الأصفر ، وعيناها تقارع البحر بزرقتة ، لها جسد يبدو كمنحوتة لا خطأ بها ، طريقة ثيابها التي توحى علي أنها فتاة من الطبقة المخملية ، همس لعمته في سرود... لا عجب أن عمي قد تزوج علي عجل.

ضربته علي بطنه مردفه... يا قليل الحياء تحدث عن زوجة عمك باحترام.

بعد صمت قال علي أشرف... ما أسمك؟

جو... جونول ديمير.

بل تقصدين بوزدا علي الأغلب... أردف ارطارول.

أعتذر لم أعتد الكنية بعد.

_حسناً يا أبنتي جونول... أضاف... أنا علي أشرف بوزدا والد أرغوفان... وهذا... مشيراً لمن بيساره... أكبر أبنائي ارطارول... تعرفتي عليها سابقاً أبنتي أوزغور والشاب الطويل الذي بجانبها أكبر وأول أحفادي ألتان أبن ارطارول أما هذا... أكمل بعد صمت... مارت أبن أرغوفان.

أتسعت حدقتها من الدهشة أنتبه الجميع للصدمة التي أعتلت وجهها قال علي أشرف:

ألم يخبرك أرغوفان أن له أبن؟

قالت بعد تقبلها للصدمة وبسرعة ودون أي تفكير... أخبرني لكن ما شاء الله لم أعتقد أنه شاب هكذا!!!

أمسكت أوزغور بكتفيه قائلة وهي تحاول أن تهدئ قليلاً من حده موقف مارت... أنه في الـ17 شاب وسيم كوالده صحيح.

ساد الصمت أرجاء المكان ، أبعد يدا عمته من فوق أكتافه بحركة سريعة وقال وهو يغادر:

عن أذنكم سأخرج لأستنشق الهواء.

بعد خروجه سألت جونول بتردد... سيد علي أشرف هل تسمح لي بالمغادرة كذلك؟..
تفضلي...

أعيدوا لي قلبي

ما أن توارت عن الإنظار رفقة أصلان حتى نادى علي أشرف...شاهين!...

_ نعم سيدي..

_ بعد غد أريد كل معلومة صغيرة كانت أو كبيرة حول جونول ديمير أريد أن أعرف كل شيء حتى لما وكيف أصبحت زوجه لأبني؟.

_ كما تأمر سيدي.

عند خروج شاهين قالت أوزغور: أبي لما تفعل هذا؟.

_ لم يخرج أرغوفان طوال حياته عن كلمتي فلما الآن ودون سابق إنذار يخرج عن كلامي ويفعل شيئاً كهذا دون علمي؟.

_ وأين المشكلة إذا ما قد أحبها وتزوجها ارطارول وأريغيت تزوجا من يحبان ألا يحق لأرغوفان أن يتزوج من أحبها؟!

_ بالطبع لن أعارض أن كان كما تقولين...لكن أن أتضح أنه فعل هذا اعتراضا علي أمري وعصيانياً لي فعندها ستأخذ الأمور منحى سيئ جداً.

عند خروجها رأت مارت واقفاً في الخارج ، أردف أصلان قبل أن يغادر...إذا ما احتجت إلي أي شيء أتصلي بي.

_ حسناً شكراً.

واصلت مشيها وعند مرورها بمارت قال:

_ هل تعلمين؟..

توقفت لتستمع إلي ما يريد أن يقول ، فأكمل...أن الرجال في مثل عمر أبي يبدؤون بالبحث عن الاستقرار بجانب زوجه تريحهم وتلبي مطالبهم ورغباتهم...لم تجب محاولة فهم ما الذي يرمي إليه ، أضاف عندما لم تجب...بالطبع أنتِ تعلمين بهذا الأمر وإلا ما استطعتِ أن توقعي أبي في شباكك.

حاولت أن تجعل الأوضاع هادئة ومستقرة بينهما لأنها تعلم أنه الآن في قمة غضبه فأجابته...أعلم أنك غاضب وأعتذر لأنني السبب بهذا...

_ أعتقدين أنكِ تغضبيني علي العكس كل ما في الأمر أنكِ لعبتي دور صعبه المنال أمام أبي وهو صدقك لكن أعلمي الآتي...دخلت حياة أبي نساء لا تحصى أعرف القليل منهن لكن ما أعرفه عن أبي جيداً أنه ما إن تهدأ مشاعره الجامعة الآن اتجاهكِ حتى ينهي هذا التفاهة بسرعه مثل ما بدأت.

غادر وهو ممثلي بالغضب ، جلست علي أحد المقاعد فقال والابتسامة علي وجهه.
_ هل يمكنني الجلوس؟.

_ بالطبع تفضل... بعد جلوسه أردفت... أنت ألتان صحيح؟.

_ أجل ولقد سمعت ما قاله لكِ أنا أعتذر نيابة عن مارت.

_ لا داعي لتعتذر هو غاضب الآن وأنا أفهم موقفه.

_ أنه فتى جامع ومتعلق بعمي كثيراً و غضبه لأنه يعتقد أنك ستنايين حب واهتمام عمي أكثر منه أنه حتى لا يرضى بمشاركتنا أياه... ساد الصمت بينهما فأستغل الموقف ليبرر... بالنسبة لما قاله عن حبيبات عمي فهو أمر مبالغ به يعني لا تشغلي تفكيرك بهذا الأمر فبعد وفاة زوجة عمي أعتقد أنه كانت له حبيبه أو اثنين فقط وقد أنفصل مؤخراً عن حبيبته الثانية.

رسمت علي شفاهها ابتسامه خفيفة وأضاف... كيف تقول لزوجهم أحدهم أن زوجها أنفصل مؤخراً عن حبيبته؟.

أنتبه لخطأه فأردف متوتراً محاولاً تفادي خطأه... قصدت بـ "مؤخراً" أي منذ سنتين أو أكثر.

_ حسناً فهمت... قالت ضاحكه... أنت سيئ في محاولة التستر.

تبادلا الضحكات ثم قال: بالمناسبة أهلا بك بيننا... ساد الصمت قليلاً فقال بعد وقت: لم يخبرك عمي أن له ابن صحيح؟.

_ ماذا؟!.. قالت بتوتر.

_ إذا كنت سيئ في التستر علي الآخرين فأنت سيئة في الكذب... لم تجب عن سؤاله فأضاف... حسناً لن أتدخل في ما لا يعنيني.

حاولت أن تبرر لكن خانتها الكلمات... لا ليس كذلك فقط...

عندما لم تجد ما تقوله قال محاولاً تغيير الموضوع.

_ علي أي حال هل ستأتيان للعيش في إسطنبول؟

_ لا أعلم ليستيقظ أرغوفان أولاً ثم سنقرر.

_ لقد أنتهى وقت اتخاذ القرار لأن جدي الآن هو من سيقدر ما الذي سيحدث؟.

_ بماذا؟!.. أردفت بتوتر.

_ زواجكما وأين ستعيشان إذا ما تم قبول زواجكما أو لا؟.

أعيدوا لي قلبي

_ ما الذي تعنيه؟.

_ جدي إذا ما وجد شيئاً لا يعجبه بأمر زواجكما سيجبر عمي أرغوفان علي إنهاءه فوراً... وإن أستمروا زواجكما فهو من سيقدر أين ستعيشان؟.

_ يعني لا رأي أو حرية لأرغوفان باتخاذ قراره؟!..

_ لا أقول هكذا لكن لجدي السلطة الكبرى بالعائلة أي أن لا أحد سيخرج عن كلامه مع أن عمي هو أول من تجرأ علي تجاوز أوامره بزواجه منك.

_ عن أي أوامر تتحدث.

_ ألتان!... قالت أوزغور من خلفهما.

_ نعم عمتي!..

قالت بنبرة حاده... أذهب وأبقى بجانب مارت.

_ حسناً.

غادر ألتان فجلست بجانبها قائلة: بسبب صدمتنا بزواج أخي لم نرحب بك جيداً.

_ لا داعي أعلم أن الأمور قد تعقدت بسببي.

_ لا يوجد شيء كهذا سيتفهم والدي رغبة أخي بالزواج وسيتقبل هذا الزواج بسرعه ومارت سيعتاد علي الأمر مع مرور الوقت.

_ فقط أرجو ألا أتسبب بالمشاكل لأرغوفان.

أمسكت بيديها وهي ترسم ابتسامه لها نفس طابع الغمازة التي بوجنة أرغوفان مردفه... أن أخي محظوظ بك أن تفكري به قبل كل شيء وأنت بهذا الموقف أنه أمر لطيف أهلاً بك بيننا جونول...

توردت خجلاً قائلة: شكراً لك سيدة أوزغور.

_ تصبحين أجمل عندما تخجلين... أضافت بعد ضحكها وتمسح علي شعرها... قولي أوزغور فقط وأخبريني إن احتجت أي شيء لا تخجلي.

الرؤية ضبابية لكنها بدأت تتحسن شيئاً فشيئاً، كان جسده مخدر لا يقوى علي الحركة ، آخر ما يذكره وجهها الحزين المليء بالدموع نادى بهمس... جـونول!... لم

يسمع ما الذي همس به فقال:

_ أبي هل تسمعي هل أنت بخير؟..

أعيدوا لي قلبي

عندما رأى مارت رسم ابتسامه علي وجهه أخرج تلك الكلمات بصعوبة قائلاً:

_أب...ني بخير...أنا بخير...

_ أنتظر قليلاً سأخبرهم أنك استيقظت.

تشوش عقله بعد رؤيته لمارت ، فظن أن ما عاشه مجرد حلم ، حاول تذكر ما حدث لكنه لا زال تحت تأثير المخدر ، عاد مارت فسأله:

_ بني ما الذي حدث...حتى وصلت إلي هنا؟.

_أبي ألا تذكر ما حدث معك؟...قال بتعجب.

_ لا زال...عقلي مشوش.

فأجابه...قال أخي أصلان "أنك تدخلت بشجار ما وتعرضت للطعن" ..

انبعثت الفرحة بوجهه عندما تذكر وهمس قائلاً: لم يكن حلاًماً.

_ ماذا قلت؟.

_ مع من أتيت؟..

_ لقد جاء معي..

قال:

_...أه...أبي...حاول الاعتدال بجلوسه لكنه أوقفه عندما تألم فقال: أهلا بك أبي.

جلس علي الكرسي وقال: زال البأس بني.

_ هل أخبركم أصلان؟

_ سلجوق أتصل بشاهين فجر اليوم وأخبره بما حدث...ثم أضاف بعد صمت...ما الذي حدث وكيف حدث؟

فكر قليلاً وكأنه يحاول استرجاع ما حدث ثم قال: لقد كان مجرد حادث عرضي.

_ تطعن وتقول أنه حادث عرضي!؟.

_أبي لا تشغل بالك بالأمر حدثت مشادة أمامي وحاولت أخذ الأداة من أحد الشباب وأثناء ذلك طعنت عن طريق الخطأ.

_ومن أولئك الشباب؟.

_ لا أعلم يا أبي أخبرتك حدثت مشادة أمامي فقط.

صاح به: ولما تتدخل بما لا يعينك ألا أحذرك دائماً من إقحام نفسك بالمصائب...نظر

أعيدوا لي قلبي

إلي مارت وأضاف..خذ لنرى هذا ما يخرج من خلف الحمامة لم يتعلم شيئاً سوى إقحام رأسه في المصائب.

_جدي من فضلك...أردف مارت بتوسل.

فقال أرغوفان: أعلم لما أنت غاضب والحق معك أنا أب أيضاً لذا أنا آسف لأنني جعلتك تمضي ليلة ثقيلة.

ربت علي كتفه وقال: بني لا تقحم نفسك بالمصائب وهذا يكفيني...

قاطعهم دخول الشرطة فقال أحدهم: زال البأس.

_سلمت سيادة الشرطي...قال علي أشرف.

_أخلوا الغرفة من فضلكم لناخذ إفادة المريض.

فور خروجه نادى...شاهين سلجوق!!..تقدم كلاهما فقال: سلجوق رافق زوجه سيدك وأبلغها كي تجمع أغراضهما.

_هل قرر السيد أرغوفان العودة إلي إسطنبول؟.

قال بغضب:

_أرغوفان ليس في موقف يمكنه أن يقرر به لن أترك أبنني مصاباً هنا ولدينا مستشفى كبير فقط لأنه يريد ذلك...أكمل...شاهين أتصل فوراً بأريغيت وأبلغه أن يرسل مروحية إسعاف إلي هنا لنقل أرغوفان وأهتم بأوراق الخروج والنقل.

_كما تريد سيدي.

كان يراقب الباب منتظراً دخولها ،فقد خف تأثير المخدر وهو يدرك أن ما مر به لم يكن حلماً ؛ فتح الباب ليصاب بخيبة أمل قالت وهي تجلس: أعلم أنني لست المنتظر لكن ليس عليك أن تقابلني بهذه التعابير.

_ماذا لم أفهم؟...

تجاهلت سؤاله قائلة: زال البأس.

_سلمت لم يخبروني أنك أتيت لهذا تفاجأت لرؤيتك.

_ماذا ألم يخبراك ارطارول وألتان أنني أتيت برفقتهم؟.

_لم يخبروني ولم أسأل لأنني ظننت أنهم هم من أتوا فقط .

_علي أي حال...كيف تشعر الآن؟.

أعيدوا لي قلبي

_ قبل قليل بقليل كان جسدي مخدر وأفكاري مشوشة لكن قد زال الآن وأنا بخير.

_ جيد... بالمناسبة ربما لم يخبروك لكن والذي قد فعل حالة الطوارئ.

_ لماذا؟

_ أتصل بأريغيت وأبلغه أن يرسل مروحية إسعاف لنقلك.

_ ماذا؟... أضاف معترضاً.. لما كل هذه العجلة أليس هذا مستشفى أيضاً أمكث به

ثلاثة أيام ثم سأعود إلي المنزل.

_ ليس هذا فقط.

قال بغضب:

_ ماذا أيضاً؟!!

_ طلب أن تأتوا معنا إلي إسطنبول.

_ لما هكذا فج.. توقف مسترجعاً ما قالت ثم سألت: ماذا تعني بـ "تأتوا"؟.

فركت رأسها وتنهدت ثم قالت: أنت تعلم أنني لا أخفي عليك أي شيء حتى لو

أردت.. لكن أبي قد طلب ألا نسألك أو نتكلم معك عن الأمر قبل أن تتعافى.

_ وهو؟!!

_ زواجك.

أسند رأسه علي الوسادة ألترم الصمت وهو يتأمل السقف بعد وهله خرج عن صمته

قائلاً:

_ هل غضب كثيراً؟.

_ لم يظهر ذلك لكنه يبدو غاضباً جداً.

عاد إلي صمته ، فرأت أن تخبر أخاها بما يدور في رأسها ، لتدعمه وتسانده كما

أعتاد أن يفعل معها قالت:

_ جميلة وهادئة ويبدو أنها مثقفة أنت تمتلك ذوقاً راقياً.

نظر إليها بدهشة وقال:

_ هل قابلت جونول؟.

_ لقد تعرفنا جميعاً عليها... أعتدل في جلوسه بحركة سريعة مما تسبب بألم له قالت

بفرع: أهدأ وتحرك ببطء.

_ أنا بخير دعك مني... أعلم أن أبي شخص محترم ولا يزدري الناس لكن هل بدر منه تصرف سيئ اتجاه جونول بسببي؟

_ لا أنت تعرف والدنا يستحيل أن يهين أي أحد.

_ ماذا عن مارت أنه سليط اللسان أحياناً وسريع الغضب فهل قام بأي إهانة لها.

_ لا تقلق لم نقم بإهانة زوجتك ولم تتعرض لأي إساءة... أضافت باستهزاء... إذا كنت تخشى عليها هكذا في أول لقاء لنا فإن عملنا صعب.

عاد ليستلقي علي السرير وقال بشرود:

_ شخصيتها هادئة بطريقة غير طبيعية لا ترد علي أي إساءة تتعرض لها ولا تشكو من أي شخص أو أي موقف يحدث معها... ولهذا لا أريد لها أن تتأذى بسببي.

_ الإجابة تبدو واضحة لدي الآن لكنني سأطرح عليك سؤال وأجبنى بصراحة.

_ ما هو؟...

_ هل تزوجت لأنك تحبها أو لأنك لا تريد أن تنفذ ما طلبه والدي منك؟.

ألترم الصمت ولم يجد الإجابة لنفسه فلسانه خشى من قول أنه يحبها حتى وإن كان كذباً ، لذا قرر أن يجيب علي الشرط الثاني من السؤال... أنا رفضت ما طلبه مني أبي ولا داعي لأن أتزوج فقط لأنني أريد الهروب من أوامره فأنت تعرفيني أنا لا أجبر علي فعل ما لا أريد.

_ لكنك تزوجت سابقاً بطلب منه؟.

_ هذا أمر آخر كنت مقتنعاً حينها ولهذا وافقت.

أمسكت بيده وقالت: يسعدني أنك هذه المرة تزوجت لأنك وقعت بالحب لا تقلق أخي فأنا سأدعمك وسأقف معك.

_ شكراً لك... تردد في سؤاله ثم قال: آآ... أين... جونول؟.

_ عادت إلي المنزل.

أعتلت وجهه ملامح الخيبة وقال:

_ بالتأكيد قد تعبت من السهر طوال الليل لكن متى ذهبت؟.

_ بعدما طمنا الطبيب عن وضعك وإنك قد تجاوزت مرحلة الخطر غادرت برفقة سلجوق.

_ وهي لا تعلم أنني استنقت صحيح؟!.

حاولت تمالك ضحكاتها ، لتستمع بمظهر أرغوفان ، الذي خيم الإحباط والحزن عليه،
لظنه أن جونول غير مبالية به فقالت:

_ لا أنها تعرف فور أن استنفقت أتصلت بسونيا وقالت أنها ستخبرها.

ألترم الصمت بخيبة وأردف وهو يدير وجهه بحنقه...ومع هذا لم تأتي للاطمئنان
علي؟!.

لم تحتل المشهد العاشق الحزين فانفجرت ضاحكه...أنا...أمزح معك...بعد أن
هدأت قالت: أعتذر لا تؤاخذيني لم أستطع منع نفسي من فعل هذا... لا تقلق لم تغادر
المستشفى إلا قبل قليل...حتى أنها كانت قلقة عليك...وقد كانت بحالة سيئة عند
وصولنا حتى أنها بكت كثيراً ولحسن الحظ كنت بجانبها.

_ ماذا؟!...أردف بفزع...ما الذي تقولينه؟.

_ لا تقلق هي بخير...والآن سأخرج لأرى مارت.

_ حسناً وشكراً لك لأنك أخبرتني بكل شيء.

بعد خروجها رمى برأسه علي الوسادة، يحاول احتواء تلك الإبتسامة التي تأتي إلا
والخروج علي محياه فقط لمجرد تفكيره أن جونول قلقت عليه وكانت حياته مهمة
بالنسبة لها.

شارد الذهن وغير منتبه لما يدور حوله ، حتى قاطعه ذلك الصوت الهادئ والناعم
من بعيد...أرغوفان!!..فور أن رآها ابتسم كأنه لم يراها منذ زمن قال: النهاية وأخيراً
أتييت!!.

_ أعتذر لم أكن بالمستشفى.

أردف مدعيًا التذمر...لقد طعنت وكدت أن أموت وعندما أستيقظ لا أجد زوجتي
بجانبي وهي آخر من يزورني.

أردفت بتوتر مبررة...لا ليس كذلك فقط السيد علي أشرف طلب مني الذهاب إلي
المنزل...

قال مقاطعاً تبريرها:

_ تعالي أجلسي لنتحدث...بعد جلوسها سأل...هل أنت بخير؟.

_ أنا صاحبه هذا السؤال!.

أبتسم وأضاف...أنا بخير أشعر ببعض الألم بين فينه وأخرى لكنها ستمضي.

_ جيد وأنا بخير لا داعي لن تشغل بالك بي وأنت بهذا الوضع.

_ لم أنسى ما وعدتك به وأنا أسف لأنك تمرين بموقف صعب بسببي ولكن أن كنت لا ترغبين بالذهاب معنا أعلمي أنه لا يستطيع أحد إجبارك علي شيء حتى وإن كان أبي.

ترددت في الإجابة ثم قالت: لا يمكنني الرفض فهكذا سيشكون بأمر زواجنا... إذا كنت لا تريد أن تخبرهم بالطبع عن سبب زواجنا.

_ جونول نحن بيننا اتفاق سنظل متزوجان ولن يعلم أحد أننا غير ذلك حتى مضي الأشهر الثلاث القادمة ثم سننفضل بالتراضي... علي أي حال أنت أجبينني دون أن تفكري إلا في نفسك هل ترغبين بالذهاب معنا أم لا.

_ أنت فعلت كل شيء لأجلي لهذا لا أستطيع أن أضعك بموقف محرج مع عائلتك... قاطعها قائلاً: أنا سأحل ما يقع علي عاتقي ولكن أنت ماذا تريدين؟

_ سأتي معك... هذا ما أريده أن لا أكون سبباً في وضعك بموقف صعب.

_ ستأتين لأنك تريدين هذا... قال بسعادة.

_ أجل إذا كنت ستقول أن زواجنا حقيقي فيجب أن أتصرف علي هذا الأساس. أردف مبتسماً... حسناً.

دخل مارت برفقة الطبيب وارتطول قال الطبيب:

_ وصلت المروحية التي ستقللك إلي للمدينة.

_ حسناً لكن أسمح لي أيها الطبيب أريد أن أتحدث إلي أصلان أولاً.

خرج الجميع من الغرفة تاركين أصلان رفقة أرغوفان علي انفراد قال:

_ زال البأس يا أخي.

_ سلمت يا أصلان... تدرك أن ما تعرضت له لم يكن مجرد حادث بسيط بل كانت محاولة قتل.

_ أجل سيدي وتحصلت علي مواصفات من فعل بك هذا ونحن نبحث عنه.

_ توقفوا عن البحث عنه فأنا أعرف من يكون لكن سيحدث تغيير بالخطة... لم أعد أريد بقاء جونول هنا لذا يجب أن أذهب معهم ومعني جونول... أنت أمكث هنا ستخرج لي من فعل بي هذا من تحت الأرض وتجلبه لي... وجونول لن تعلم بأي شكل عن أصل الحادثة أو هوية الفاعل... ولا تأتي إلي إسطنبول إلا ومعك الأمانة.

_ حسناً سيدي كن مطمئناً... لكن هنالك أمر يجب أن تعلم به... أسرة ديمير بدأوا

أعيدوا لي قلبي

بالبحث عن الذراع اليمنى لوالد سونجول.

إذاً فهم بدأوا بالسعي خلف ميراث جونول.

هذا الواضح ولكن ما الهدف وراء السعي خلف اليد اليمنى للخال؟

قبل سنوات طلب مني الشاه ميران أن أبحث عن هوية الوصي الذي وضعه جد جونول عليها وأنا أخبرتهم بأن السبيل الوحيد لمعرفة هوية الوصي هو إيجاد الذراع اليمنى لوالد زوجته.

عذراً سيدي لكن لما فعلت أمراً كهذا؟

حتى نعلم إذا ما سعوا خلف ميراث جونول كما حدث الآن.

هل ترغب بأن أوقف بحثهم؟

لا داعي أن تدخلنا سيشكون أن هناك من يحيل بينهم وبين إيجاد الرجل لذا دعهم فيستحيل عليهم إيجاده مهما فعلوا... ولكن هناك أمر آخر كان يجب أن نقوم به فور مغادرتنا لتشكورفا لكننا تأخرنا... لذا عليك حله الآن

طرقت باب الغرفة ودخلت، كان الطبيب يتحدث إلي أرغوفان، متوسط القامة... في الأربعين من عمره... وسيم... شعره شمط وكثيف... أسمر البشرة... له بنيه جسدية رياضية، قالت:

مرحباً!...

نظر إلي أرغوفان فقال:

زوجتي جونول.

آه أهلاً بك سيدة جونول كنت في الحقيقة أنتظر تواجد أحد أفراد السيد أرغوفان لأطلعهم علي الوضع قبل أن أكون مجبراً علي إخباره.

تخبره بماذا؟... قالت بخوف.

في الحقيقة الخبر ليس جيداً أبداً فبعد أن أعدنا تصوير البطن وجدنا أن السيد أرغوفان يعاني من نزيف داخلي حاد.

ماذا ما الذي تقوله حضرة الطبيب؟... أخبرونا أن وضعه مستقر ولا خطر علي حياته.

أعتقد أنه بسبب نقله لمسافة طويلة قد تسبب بهذا الأمر.

صدمت من كلام الطبيب حتى كادت أن تبكي فقالت: ما الذي سيحدث الآن؟

أعيدوا لي قلبي

_ نود منك الموافقة علي إجراء عملية استئصال للأمعاء الغليظة.

لم تتردد تلك الدموع في السقوط ، خرج أرغوفان عن صمته بحده:

_ أريغيت توقف أظنك تماديت..

ضحك وهو يفرك رأسه قائلاً: أعتذر عن وقاحتي لم أقصد أن أفزعك...مد يده للمصافحة...أريغيت بوزدا شقيق أرغوفان الأصغر.

صافحته وهي تمسح دموعها مردفه...لقد أرعبتني الطبيب قال أن وضعه بخير.

_ دعك منه...قال أرغوفان...وضعي بخير حتى أنه سيتم إخراجي بعد ثلاثة أيام.

_ جونول أهلاً بك بيننا وأتمنى أن تكبرا سوياً وعلي وسادة واحدة...أخي زال البأس سأمر بك قبل أن أخرج إلي اللقاء.

بعد خروج أريغيت جلست جونول فقال: أعتذر كان تصرف صبياني منه ولا يليق بعمره.

_ لا داعي لتعتذر كان يمزح فقط.

_ كان يجب أن تذهبي إلي المنزل وترتاحي.

_ أجل ولكن...أن ذهبت إلي هناك بدونك سأشعر بالغرابة فأنا لا أعرف أحد هناك.

_ كلامك منطقي.

_ أراد مارت المكوث معك لكن أوزغور رفضت.

_ من الجيد أنها فعلت فهو لديه مدرسة ولا يمكنه المكوث معي...هل أساء لكِ بطريقة ما؟

_ لا علي العكس فهو يشبهك خلوقك.

أبتسم دون أن يضيف أي شيء وعلم أن مارت قد أهانها بطريقة أو بأخرى ، فهو يعلم أن ابنه الجامح بعيد كل البعد علي أن يكون خلوقاً...أردف وتعلو وجهه السعادة...أخبرتني أوزغور أنك حزنتي بشدة علي لكن عندما رأيتك قبل قليل كدت أن تبكي صدقت.

قالت بحياء: البكاء هو الشيء الوحيد الذي أجيده حتى لو قال الطبيب أنك بخير كنت سأبكي لأنني طيلة حياتي قد منع عني كل شيء إلا البكاء لذا بكائي لما أصابك أمر طبيعي.

_ فهمت تقولين حتى وإن لم تكن أنت من طعن كنت سأبكي في كل الحالات...ثم أضاف بمرارة...وأنا الذي ظننت أنني أصبحت شخص له قيمه لديك.

أعيدوا لي قلبي

_ أنت كذلك... أجابت بسرعه وهي تتورد خجلاً... لم أقل أنني كنت سأبكي علي أي شخص وأنت لست بأي شخص.

هذه المرة لم يبعد نظره عنها وهي متوردة الوجنتين، كان ينظر إليها مستمتعاً بالمقطوعة التي تعزفها نبضات قلبه المتسارعة ، بدأ يألّف كل شعور يراوده بسببها ، ولم يعد يريد الهرب منه ، خرج عن صمته بينما هي تشيح بنظرها عنه... أنا آسف لأنني أخلفت بوعدتي وجعلتك تبكين.

أجابت وهي تنظر إلي الأسفل... لكنني لم أبكي بسببك لذا لا تعتذر.

_ لكن قبل أن أفقد وعي أذكر أنك كنت تبكين أم أنا مخطئ؟

_ لا علي الإطلاق ما تذكره صحيح لم أكن أبكي بسببك بل.. ترددت في قولها.. لأجلك.

أبتسم ابتسامه عريضة وقال: يريحني ويسعدني سماع هذا.

بعد ثلاثة أيام قضتها جونول رفقة أرغوفان في المستشفى ، وافق الطبيب علي خروجه ، بشرط أن لا يجهد نفسه لمدة لا تقل عن الشهر ؛ كانت عائلته في انتظارهما ، عند دخولهما ركضت نحوه فتاة بالخامس عشر ، احتضنته قائلة:

_ خالي أهلا بك وزال البأس مجدداً.

_ آه فراشتي أهلا بك.

بعد ترحيب حار بأرغوفان ، عرف بقية أفراد أسرته علي جونول ، بدأ بزوجه والده خديجة ، تزوجها والدهم بعد وفاة والدتهم بخمس سنوات ؛ ولم يعتبروها يوماً كدخيل علي العائلة ، فهم يحترمونها ويأخذون برأيها في كل شيء ، ثم جاهدة زوجها أريغيت ، والتي لم يكن ترحيبها لائقاً بجونول ، ثم شقيقته الصغرى وأصغر أبناء علي أشرف أوزبرنجي ، تتبعها نيسان وكيليتش أبناء أريغيت وجاهدة ، وأخرهم بهار والتي كما يقول عنها أرغوفان "فراشتي" ابنه أوزغور ، بعد أن تعرف كل أفراد الأسرة علي كنة العائلة الجديدة قال علي أشرف:

_ أرغوفان سأذهب إلي الشركة الآن وعند عودتي نحن بحاجة لكي نتحدث.

_ كما تريد يا أبي.

كان يعلم أنه قد حان وقت أن يشرح لوالده كل شيء ، وعليه أن يجد عذراً يبرر به سبب زواجه المستعجل قالت خديجة:

_ أصعدا إلي غرفتكما وارتاحا وسأناديكم ريثما يجهز العشاء.

أعيدوا لي قلبي

_ حسناً وشكراً لك أختي خديجة... ثم سأل: أين مارت؟.

_ لقد ذهب برفقة أخي ألتان... أجابت بهار.

_ هل يعلم بأنني قادم وغادر؟... لم يجب أحد علي سؤاله ، علم أن مارت غاضب منه ولا يرغب برؤيته قال لجونول: من فضلك هل لك أن تعينني في الصعود؟.

_ بالطبع.

شبكت ذراعها بذراعه وأمسكت بيده وبدأ بالصعود علي السلالم درجة بدرجة ، عندما نظر إليها كانت وجنتاها حمراء اللون ويبدو عليها التوتر ؛ فأردف هامساً لها:

_ أهدئي كل ما في الأمر أنني أمسكت بيدك.

لم ترفع عينيها وأجابت بتوتر: أنا... هادئة..

_ تحمر وجنتاك عندما تشعرين بالإحراج من شيء.

_ لا... أدري كيف... لاحظت هذا؟!.

_ هذا واضح فأنت تبدين أجمل عندما تخجلين.

تجمدت مكانها ولم تقل أي شيء ، ضحك بتوتر وسحبها معه ، ليكملا طريقهما ، شعر بالحماسة حين فهم أن هذه المرة الأولى التي تمسك بها بيد أحدهم، بينما يتوجها إلي الغرفة برفقة الصمت قال:

_ لما يداك باردتين؟

سحبت يدها وقالت بخجل:

_ أنا دائمة الشعور بالبرد كانت أختي عائشة تقول لي "أن جسدي دائم البرود منذ صغري" لكن... ترددت في قولها: يداك دافئتين أكثر من اللازم.

قال:

_ صحيح في وضعي الطبيعي تكون يداي دافئتين لكن عندما أتوتر تصبح دافئتين أكثر من اللازم.

اضطربت من طريقة كلامه الغير اعتيادية ، منذ أن طعن وهو صريح بكل ما يقوله ، سألت لتغير الموضوع:

_ أين غرفتك؟

_ أنها في آخر الرواق.

أعيدوا لي قلبي

توجهت إلي الغرفة وعند دخولها لم تكن غرفة عادية بل كانت كبيرة الحجم وبها مكان مخصص لعمله ، قال بعد دخولهما:

_ لن ننام كما أعتدنا بأزمير سننام كلانا علي السرير.

_ ماذا؟.. قالت بتوتر.

_ لا داعي لتوترك السرير واسع وسينام كل واحد علي جهة لأن النوم علي الأريكة أمر مستحيل.

_ لما؟!!

_ مارت معتاد علي طرق الباب وفتحه فوراً أن راني نائم علي الأريكة فكيف سأبرر الأمر وعلاوة علي هذا أنا مصاب ولا يمكنني النوم علي الأريكة ولن أسمح بنومك عليها كذلك

_ حسناً كما تشاء.

عند اقتراب الساعة من السادسة نادى جونول التي كانت تجلس علي الأريكة تقرأ قال عند قدومها:

_ سألتني بوالدي قبل العشاء لأبرر له عن سبب زواجي المفاجئ.

_ وهل ستخبره بكل شيء؟

_ سأخبره بكل شيء وليس كل شيء لكن عليك أن تحفظي ما سأقول كي لا يحدث تضارب بين أقوالنا.

_ وهل سيسألني أنا أيضاً؟

_ لا لن يتكلم معك لكن أنت ستتعرضين للتحقيق من نوع آخر...أوزغور أوزبرنجي نيسان بهار...الجميع سيرغب بمعرفة السبب الذي دفعني للزواج منك.

_ لما زواجك غير مقنع لهذه الدرجة.

_ طرق الباب ونادى مارت: أبي جدي أتى ويطلب رؤيتك.

_ حسناً أنا قادم...أضاف...أخبرك لاحقاً لا يمكنني أن أجعل أبي ينتظر.

_ أبي مساء الخير!...قال أرغوفان فور دخوله إلي المكتب.

_ اهلاً بني تعال...بعد جلوسه سأل...كيف حالك الآن؟.

أعيدوا لي قلبي

_ أنا بخير الحمد لله.

ساد الصمت للحظة بينهما أخذ علي أشرف المسبحة مردفاً... قبل أن أستمع إلي ما تريد قوله أجب عن سؤالي أولاً هل هذا الزواج كان عناداً بي وبما طلبت منك فعله؟.

_ علي الأطلاق أنت تعرف جيداً أنني لست بحاجة للتهرب بهذه الطريقة الصبيانية وأنا قد رفضت ما طلبته بكل وضوح.

_ حسناً إذاً الآن أنا أستمع إليك.

أعتدل في جلوسه ثم قال:

_ لدي موكل أعمل علي قضية له منذ 10 سنوات...جونول هي شقيقة موكلي كنت أعرفها منذ وقت...ألتقينا أكثر من مرة أي كنا في مرحلة تعارف...وبعد لقائنا الأخير سمع أخوتها بلقائي بها...ظنوا أن هنالك علاقة عاطفيه تجمعني بها...قاموا بضربها وأنت تعرف أنني أتحمل مسؤولية كل ما أقوم به...تدخلت بالأمر ورفقة رجال سلجوق أخرجتها...أخذتها للمستشفى ومن هناك إلي كاتب العدل وعقدت القيران عليها.

_ ماذا عن عائلتها؟.

_ عائلة جونول ليست من العائلات المتساهلة والتحاور معهم كان مستحيلاً لذا كان الخيار الوحيد أن أتزوجها ثم وقفت أمام أسرتها كصهر لهم.

_ أرغوفان لو وقف أمامي أحد أخوتك وقال هذا الكلام لصدقت ولكن أنت؟!...إذا ما كانت الفتاة تعجبك وأنت تعرف كيف هي عادات أسرتها فلما لم تخبرني ونجعل الأمور علي أصولها.

_ كنت أخطط لأخبارك عند عودتي لنذهب جميعاً بشكل عائلي ولكن هكذا سارت الأمور.

_ وكيف تقبلت أسرتها الأمر؟.

_ لم يكن بالأمر السهل ولكنني حللت الأمر بشكل ما وأنتهى بعشاء عائلي بين أفراد أسرتها.

_ إذاً لم تعد هناك مشكلة بين الفتاة وأسرتها؟

_ لم تحل المشكلة والدها لا يرغب بعودتها وأنا لا أرغب بذهابها إلي هناك يكفي ما عانته...أضاف بحده.

_ إذاً تقول أنك ستكون عائلتها؟.

أعيدوا لي قلبي

_أجل...أجاب بصرامه.

_وهل ما أصابك في أزمير؟...هل أسرتها خلف محاولة قتلك؟.

_بالتأكيد لا وثم أن عائلتها ذات نفوذ أن أرادوا قتلي فلن تكون مجرد طعنه بل ستكون رصاصة في القلب.

_وبهذا الكلام سوف أطمئن عليك برأيك.

_أبي لا تقلق لن تقدم عائلة ديمير علي أي شيء بحقي هم ليسوا قطاع طرق في النهاية.

_أرجو ذلك حقاً...بما أن الأمر كذلك فلا مشكلة عندي لقبولها كفرد بيننا.

_شكراً لك أبي.

_أذهب الآن سأنهي بعض الأمور مع شاهين ثم سأوفيكم علي العشاء.

_كما تريد عن إذنك.

تجلس بجانب أوزغور ؛ ولم تستطع تجاهل انزعاج مارت ، ونظرات جايدة الغير مبررة ، كانت متوترة بشدة ، تجلس لأول مره رفقة غرباء لا تعرفهم ولا يعرفونها ، تسألت جايدة بخبث .

_أين أرغوفان؟.

لم يفسح مارت المجال لأي أحد كي يجيب فقال:

_أنه في مكتب جدي بالتأكيد يبرر لجدي الخطأ الذي ارتكبه.

_مارت؟!..قالت خديجة بحده...أنتقي كلماتك.

صمت ولم يجب ولم تكتفي خديجة بل أرسلت نظرة حادة إلي جايدة بمفادها أن تتوقف عن ما تحاول فعله.

_مساء الخير جميعاً...قال أرغوفان...

أعلنت ملامح جونول الراحة ، فأخيراً أتى الشخص الوحيد الذي تعرفه ، أحتضنه مارت ضربه علي رأسه...

_لما لم تتواجد أثناء عودتي..

قال مبرراً: كان لي أمر مع أخي ألتان أردت أن أنهيه أولاً.

نهضت أوزغور من مكانها مردفه...أخي تعال وأجلس.

أعيدوا لي قلبي

بعد جلوسه ألتفت كل واحد أما إلي هاتفه أو عاد ليكمل حديثه ، همس لجونول...تم حل الأمر مع أبي.

_ أي أنه لا توجد مشكلة بينك وبين والدك؟

_ لا ولا تقلقي لن تكون لي مشكلة بسببك.

دخل شاهين فقال علي أشرف: أخبرني الآن ولنرى إذا ما كان أبنّي يخفي عني شيئاً ما.

_ سيدي الوصول إلي أي معلومة في تلك البلدة كان صعب لكنني سأخبرك إلي ما توصلت إليه...السيدة جونول هي الأبنّة الوحيدة للأغا شاه ميران ديمير ولها أربعة أشقاء والدها يعمل بالعقارات وله نفوذ كبير يعملون أبناءه بنفس المجال اثنين منهما عملهما في الفنادق أما الكبير فهو المسؤول عن كل أعمال والده والأصغر في السجن بتهمة قتل والسيد كان موكلاً بقضيته.

_ كان موكلاً؟

_ أجل بعدما علم بأن السيد أرغوفان قد تزوج بشقيقته ألغى التوكيل.

_ ولما قتل من الأساس.

_ هو لم يكن القاتل لكنه حمل القضية علي عاتقه والإشاعات كثيرة.

_ لنعد إلي موضوعنا...الكنة.

_ السيدة جونول أنهت دراستها بتفوق نادراً ما تخرج من المنزل وإن خرجت تخرج إلي نفس الخمس المتاجر المعتادة حتى أن بعض الأشخاص المقربين من الأسرة سمعوا أن للأغا أبنه لكنهم لم يروها قط.

_ حسناً فهمت...إذا كان الأمر كذلك فكيف وصل إليها أبنّي؟

_ بحسب ما فهمت فالسيد أرغوفان مؤخراً كان يكثر في القدوم إلي منزل عائلة ديمير وربما هكذا تعرف علي السيدة علم الأخوة بأمرهما وقاموا بضربها فأخذ السيد رجال سلجوق وداهم المنزل وأخذ السيدة من منزل عائلتها إلي المستشفى وعقد قرانها وبعد يومين قامت الأسرة بعشاء عائلي وعند انتهاء مراسم العقد أخذ السيدة إلي الفندق وفي صباح اليوم التالي غادر بها إلي أزمير.

_ وهل أمر الطعن لأسرتها علاقه به؟

_ لا أعتقد سيدي فأسرة ديمير لا تعمل بهذه الطريقة فمثلاً الشاب الذي أبلغ السيد

أرغوفان عن ما تعرضت إليه السيدة تم طرده من المدينة وحرق منزله ومتجره...
لقد تتبعت سلجوق ورجاله لم يخرجوا من أزمير حتى هذه اللحظة إذا ما كانت عائلة
ديمير في الأمر لتوجه سلجوق برجاله إلي تشكورفا.

_ حسناً هل كان برأيك لدى أرغوفان حل آخر غير الزواج بها؟

_ أجل بحسب ما يخلقه في العادة من حلول بالطبع كان بوسعه إيجاد حل آخر.

_ إذا تقول أن أرغوفان كان سيتزوج بها عاجلاً أو عاجلاً.

_ علي الأرجح سيدي... أيضاً السيدة جونول هي وريثة لمنطقة كبيرة جنوب البلدة
ولها حساب تحت الوصاية به مبلغ كبير.

دفع إليه بورقة قائلاً: أكتب الرقم هنا... اقرأ الرقم بعدما كتبه شاهين فأردف... وهذا
دليل علي أنها ليست في حاجه لخداع أبني من أجل أمواله فمالها يضاهي ما لديه... لقد
تطمأنت الآن وأظن أنني أصدق بأنه تزوجها لأنه يرغب بهذا وإلا أبني الذي أعرفه
يموت ولا يكره علي شيء.

_ أنا أيضاً أظن هذا سيدي.

دخل علي أشرف الصالون ؛ وعندما كانت كل العائلة متواجدة قال:

_ قبل أن نتوجه لتناول العشاء أردت أن أرحب بكنة المنزل الجديدة... أضاف وهو
يمد يده نحوها لتقبلها ، تأكيداً علي احترامها لكل أوامره ، طالما هي داخل هذه
الأسرة... اهلاً بك بيننا يا كنتي.

قبلت يده قائله: اهلاً بك سيد علي أشرف.

منذ هذه اللحظة... قالت خديجة... ستنادينه أبي علي أشرف.

_ حسناً.

_ هيا بنا للعشاء... قال علي أشرف.

عند توجههم نحو المائدة ، أمسك بذراع جونول لإيقافها قائلاً:

_ أختي خديجة أطلبني منهم إبعاد الأزهار عن المائدة لجونول حساسية اتجاه الزهور.

_ سأجعلهم يبعدونهن حالاً.

تعجبت من معرفته بتفصيل كهذا عنها فهمست له... كيف عرفت بأمر كهذا؟.

_ يمكنك القول أنه تفصيل لم يرغب عني.

أعيدوا لي قلبي

في وسط انسجامهم بتناول العشاء وتبادل الأحاديث قال علي أشرف:

_ خديجة كم سيستغرق منك التجهيزات للزفاف.

_ متى تريده أن يكون؟.

قاطع كلامهما أرغوفان قائلاً: عن أي زفاف تتحدث يا أبي.

_ زفافكما.

_ لا داعي لهذا الأمر.

أردف من خلفه مارت... أنا أيضاً أتفق معه لما الزفاف.

قال علي أشرف بحزم:

_ لن تدخل كنة إلي منزلي دون زفاف ماذا سأقول للناس؟.

_ أبي صدقتي لا داعي لهذا الأمر.

_ أرغوفان أنا لم أسألك عن رأيك أنت قد تزوجت سابقاً ولا مشكلة لديك بعقد قيران دون زفاف لذا أنا سوف أسأل كنتي.. توجه الجميع بنظره نحو جونول فسألها... أبنتي هل لديك اعتراض عن إقامة الزفاف.

كانت ترتعش من التوتر والخوف ، فهذه المرة الأولى التي يتم الأخذ برأيها ، في أمر يخصها لم تجب ، قال لها أرغوفان:

_ أن كنتِ لا ترغيبين بالزفاف فلن يرغمك أحد وإن كنتِ لا تعترضين فلن يقف بوجهك أحد هيا قولي ما ترغيبين به.

رسمت ابتسامه خفيفة علي وجهها لتغطي بها توترها وخرجت عن صمتها قائلة:

_ لا اعتراض لي.

_ إذاً خديجة في الأسبوع القادم هل يكون كل شيء جاهز؟.. قال علي أشرف.

_ أجل سيكون كل شيء جاهز.

_ الزفاف الأسبوع القادم...ضحكت جايدة باستهزاء متمتمه ..وكانها غيبه لترفض فرصة كهذه.

بعد انتهاء العشاء وشرب الشاي ، أستأذن أرغوفان للصعود إلي غرفته ؛ لكن هذه المرة من رافقه مارت ، وأخذتا بهار ونيسان جونول ليأخذاها بجولة في القصر، أما أريغيت فقد صعد رفقة أبنة كليتش ليساعده بشأن دراسته ، بعد هدوء الأجواء قال علي أشرف:

_جاهدة... أنتِ كنه لهذا البيت منذ زمن وتعلمين طبعي جيداً.

_أجل بالتأكيد وهل أخطأت بشيء ما؟

_ما قلته علي العشاء بحق الكنة لا يليق بك.

_أنا لم أتكلم يا أبي.

_جاهدة... لم يرغب عن مسامعي ما قلته لذا لا تتكري.

_آه تقصد عن الزفاف... أضافت... لكنني محقه يا أبي فتاة لا أدري من أين أحضرها وجعلها كنه لنا... أراهن علي أنها لم ترى جاه وعز كهذا في حياتها... وقد أوقعت به لأنه ثري فقط... نظرت إلي خديجة مكملة... وإلا يا أختي خديجة لما تتزوج فتاة مثلها برجل يكبرها بأثنين وعشرين عاماً.

_أنا تزوجت بعلي أشرف وبيننا 27 عاماً لا شأن للعمر بالزواج يا عزيزتي.

_وأيضاً أنصحك أن لا تراهن علي أنها لم ترى جاه وعز كهذا... قال ارطارول خارجاً عن صمته... أنها بعكسك ولدت وبفمها ملعقة ذهب وما تمتلكه جونول أكبر بكثير من أملاك أرغوفان.

_يعني تقول... أضاف ألتان باستهزاء... أن عمي قد تزوجها لأجل ثروتها.

ضربته أوزغور علي كتفه قائله: أصمت أنت.

_جاهدة أعلم أنه يؤلمك أن ترى زوج أختك برفقة امرأة أخرى ولكن لا يموت الحي وراء الميت يكفي أن أبني قد بقي وحيداً لـ 18 عاماً.

_لن يجد مثل أختي لقد أحبته بكل صدق بعكسه تماماً فقد نفذ ما طلب منه فقط... قالت بحسره.

_حتى وإن لم يحبها أخي بقدر ما أحبته لا يحق لك أن تجبريه علي أن يبقى علي ذكراها إلي نهاية عمره من حقه أن يعيش حياته.

_لا أريد أن أسمع... قال علي أشرف... أنك تعرضت للكنه بأي شكل كان هل كلامي واضح؟

_أجل... قالت بانزعاج.

_تعال أجلس ولنتحدث رجلاً لرجل... قال أرغوفان.

_وهل تراني كذلك؟

_ ماذا تقول؟!.. ربت علي الأريكة... أجلس... جلس بصمت دون أن يقول أي شيء
فقال: يبدو أنك لا تزال غاضباً؟

_ وهل ترى أنني لست محقاً؟

_ محقاً بماذا بأنه لا يحق لي أن يكون لي رفيقة درب؟.

_ من حقك لا أقول عكس هذا ولا أعارضه لكن يا أبي لما تعاملني كطفل.

_ لم أفهم ما ترمي إليه؟.

_ هذا ما فعله حقاً... صاح بغضب... أفهم موقفك من جدي وعدم إخباره بالأمر لكن
ماذا عني ألسنت مهماً لهذه الدرجة؟

_ أهدأ قليلاً وأخفض من حدة صوتك أثناء الحديث معي.

_ لم أطلب منك الكثير يا أبي أعلم أن رأيي غير مهم بالنسبة لك لكن كان عليك
أبلاغني بالأمر فقط... ضحك باستهزاء مكماً... أنت لم تخبرها عني حتى فأنت لم
ترى الصدمة التي أعتلت محياها عندما علمت أنني أبنيك.

_ الأمر ليس كما تظن.

_ ماذا إذا أخبرني لأرى؟.

_ بالنسبة لجونول لم أجد الفرصة المناسبة لأخبرها أن لي ابن يصغرها بعشر سنوات
وأما أنت فأنا آسف حدث كل شيء علي عجل ولم أملك الفرصة لأخبرك بشيء.

_ بعجل مثل ماذا هل أن لم تتزوجها لقتلوك مثلاً؟.

_ لا... بعد صمت قال: لقتلوها.

_ صدم مارت قائلاً: ما الذي تقوله؟.

_ أولاً عدني أن ما سأخبرك به لن يخرج من فمك ستسمعه ولن تعيده حتى في عقلك.

_ حسناً. قال بتمعن: أنا أعدك.

_ باختصار حدث سوء تفاهم كبير كاد أن يؤدي بحياتها لذا كان من واجبي التدخل

والحل الوحيد لإنقاذها هو أن أتحمّل مسؤولية كل ما حدث وأتزوجها.

_ إذا تقول أنك تورطت بها لتتخذ حياتها؟

_ دعنا لا نقول أنني تورطت بها... لنقل أن الأمور سارت أسرع من ما كنت أخطط
له.

_ يعني تقول أنها كانت لتكون زوجه أبي في كل الحالات.

أعيدوا لي قلبي

_ لا أعلم أن كانت ستوافق أن ترك الأمر لها ولكن أجل.

_ إذاً هل أنت سعيد؟.

_ وهل ستكون راضياً إن كنت كذلك؟.

_ ما هذا الذي تقوله يا أبي سامحك الله... لكن لا يبدو أنها سعيدة.

_ ما الذي تعنيه؟

_ أبي أنها تخجل حتى من النظر إليك ناهيك عن عدم قدرتها علي البقاء معنا دون أن تتوتر.

_ هي فقط خجولة وهادئة.

_ إذاً نقول لك زال البأس.

ضحكاً معاً ثم قال: يبدو ذلك... وما يخيفني الآن هو إذا ما قررت الرحيل عني فكيف سأوقفها؟.

_ أرغوفان العظيم لا يعرف كيف يكسب حب امرأة؟.

_ جونول ليست كأبي امرأة فهي لا تتحدث عما بداخلها هادئة بطريقة مرعبه وكأنها قد تحطمت من الداخل حتى أنها لا تقوى علي جمع شتاتها.

_ إن كانت لا تقوى علي جمع شتاتها بنفسها فقم أنت بجمعها وإن كانت لا تتحدث عما بداخلها فتحدث أنت.

_ ما الذي تعنيه "بتحدث أنت"؟

_ كن صريحاً معها بكل شعور تشعر به لا تخفي أي شيء.

_ أنتهي بي الأمر بأن أتلقي نصيحه من أبنني!... قال وهو يربت علي كتفه.

_ نصيحه أخيرة يجب أن تكون صبوراً فأن تتزوج بفتاة لا تعرف مشاعرها تجاهك لهو أمر صعب.

تلاعب بشعره ثم دفعه قائلاً: هيا يكفي نصائح لهذا اليوم غادر ودعني أنام وأرتاح... قال بينما يستلقي... أريد منك معروف واحد.

_ ما هو؟.

_ لا أطلب منك أن تحب جونول أو أن تتقبلها فوراً لكن فقط أحترمها لأجلي.

سأل بتعجب... هل قالت لك شيء؟.

_ أجل لكن لا تشغل بالك كان شيء يستحيل أن أصدقه.

أعيدوا لي قلبي

قال بانز عاج: ما الذي قالته عني؟

_ عندما سألتها عن إذا ما أز عجتها بلسانك السليط قالت "لا علي العكس فهو يشبهك خلوقك".

_ إذا ما الذي لم تصدقه؟

_ أنك خلوق وتشبهني.

_ سامحك الله يا أبي.

_ هيا أخرج وتصبح علي خير.

أخذ فنجان القهوة الخاص به ، وخرج كما أعتاد دائماً إلي الحديقة لاحتسائها بينما يعمل ، كانت تجلس منغمسه بقراءة كتاب ظل واقفاً يشاهدها للحظات ، تقدم نحوها قائلاً:

_ جونول هل تسمحين لي بالجلوس؟

أفاقت من العالم الذي كانت تجوبه بمخيلتها قائله:

_ بالطبع تفضل.

_ هل تشربين قهوة؟... قال بعد جلوسه.

_ لا شكراً لا أحب شرب القهوة ليلاً.

_ ماذا تفعلين هنا بهذه الساعة؟

_ أردت أن أقرأ لذا خرجت هنا كي لا أز عج أرغوفان وهو نائم.

_ آه فهمت... لمن تقرئين؟

_ أوغوز عطايا.

_ آه ذوقك جميل... ماذا عن صباح الدين؟

_ قرأت له كذلك... ابتسمت مضيفه... أعطاني أياه أرغوفان في أول لقائنا.

_ لم أكن أعلم أن عمي يقرأ الكتب!؟

_ لا أعلم إذا ما كان يقرأها أم لا ولكن لديه ذوق رائع في الكتب.

_ ماذا إذا ما اقترحت لك كتاب المرة القادمة؟

_ أي نوع تحب أن تقرأ؟

فلتكن مفاجأة... الآن واصلي القراءة لن أزعجك سأعمل قليلاً.

ما هو عملك؟

أعمل مع أبي وجدي في الشركة بالقسم المعماري.

كان الصمت سائداً فهي تقرأ وهو يعمل.

ماذا تفعلان هنا؟.. تسألت نيسان.

أنا أعمل كعادتي وجونول تقرأ كما ترين؟..

إذاً لا مانع من مرافقتي لكما... قالت وهي تجلس.

بالتأكيد... أجاب ألتان وهو لا يرفع رأسه من الورق.

بعد صمت رافق ثلاثتهم لدقائق قالت نيسان بحماسة:

إذاً أختي جونول... كيف تعرفت علي عمي؟.

نيسان... قال ألتان بحده... لا شأن لك بهذه الأمور.

لما انزعجت... أردفت معترضة... نحن الفتيات دائماً ما نحب أن نعرف تفاصيل

لقاء أي اثنين أنتهى بهما الزواج.. أختي جونول هل أزعجك سؤالي؟.

لا علي الإطلاق... ابتسمت مضيفه... لكن لا داعي لكل هذه الحماسة فلا يوجد أي

شيء مشوق بقصة لقائنا.

هيا أخبريني وأنا سأقرر.

أخي موكل أرغوفان وهكذا ألتقيت به ألتقينا عدة مرات وأنتهى الحكاية بزواجنا.

هل حقاً ما تقولين؟... قالت بخيبة أمل.

حذرتك من البداية لا حماسه في حكايتنا.

أساساً هكذا تكون عقلانية من هم بعمر عمي وفي النهاية هو ليس مراهق... أضافت

بحماسه زائدة... لا بد أنه وقع بحبك فور رؤيته لك لهذا عجل بأمر زواجكما لأنك

من أسرة محافظة.

لم تجب جونول وأكتفت بابتسامة صغيرة علي ثغرها فصاح بها ألتان... هذا يكفي ما

شأنك بالناس هيا أدخلني ونامي غداً لديك جامعته.

ولما أنت غاضب هكذا أحاول توطيد علاقتي بها؟

توطيد العلاقات لا يكون بسؤال أسئلة غبية هيا أنهضي.

غادرت منزعه من تصرف ألتان الغير لطيف معها أمام جونول قالت:

_ هي لم تزعجني بسؤالها فلما صحت بها؟
_ هذه أن ابتدأت في طرح أسألتها لن تتوقف حتى تعرف كل شيء عنك.
_ علي أي حال...تصبح علي خير.
_ تصبحين على خير.

علي مائدة الإفطار ، وبعد مغادرة الشباب أردفت خديجة: علي أشرف أريد أن أبدأ
اليوم بإعداد قائمة المدعوين إلي الزفاف فهل سيكون الزفاف كبيراً؟
_ لا سيكون عائلي فأسرة جونول لا يمكنها القدوم.
تعجبت جونول من كلام علي أشرف ، نظرت إلي أرغوفان الذي بدوره أغمض
عينيه بحركة سريعة ؛ دلالة علي أنه هو من أخبر والده فسألت خديجة:
_ هل حقاً لن تأتي عائلتك؟
_ لا لن تأتي أسرتها...أجاب أرغوفان نيابة عنها...لأسباب خاصة بهم.
أضافت جاهدة بسخريه...ما هذا الغموض حول أسرتك وهل يوجد أم لا ترغب
برؤيه أبنيتها ترتدي فستان الزفاف والله يبدو الأمر من هنا وكأنهم قد تخلصوا منك.
ضربت بكلامها علي وتر حساس لديها ، لأنها حقاً كما وصفتها "قد تخلصوا منها"
قالت نيسان وهي تشد والدتها من ذراعها:
_ أمي ما هذا الذي تهذين به؟.
_ لا...فقط....

حاولت جونول أن تجيب ، لكن الحسرة خيمت علي صوتها ، وأنتبه الجميع إلي
نظرة الحزن التي أعتلت عينيها، قال أرغوفان بحده:
_والدة جونول توفيت بعد ولادتها مباشرة...وإن كان لديك فضول حول عائلتها
فسأزيع هذا الغموض الذي تريه...والدها علي قيد الحياة وهو صاحب أكبر عقارات
هناك...ولديها أربعة أخوة...وهي الأبنة الوحيدة...أه إن كنت تهتمين لمشاعر عائلتها
فلا تقلقي لقد أقامت أسرتها عشاء عائلي ليلة عقد قراننا.
شدته جونول من طرف سترته قائله بهمس:
_ أرغوفان لا داعي لانفعالك.

_ بل علي العكس...صاح...عليها أن تتعلم كيفية احترامك في غيابي قبل حضوري.

أعيدوا لي قلبي

_أخي من فضلك لا ترفع صوتك بهذه الطريقة وأنت تتحدث إلي جاهدة أنت تعلم أنها كانت تمزح.

_أريغيت علم زوجتك إذاً أن الألم الآخرين ليست للمزاح.. قال علي أشرف بانزعاج واضح بنبرة صوته.

_أنا آسفه لم أكن أعلم أنك قد فقدتِ والدتكِ.. قالت جاهدة.

_لا داعي لتعتذري من أين لك أن تعلمي؟...قالت جونول.

أنزعج أرغوفان من صمتها علي تلقي الإهانات ، لكنه لم يبدي برأيه ، كي لا يضخم الأمر ولأنه يعلم أن هذا ما نشأت عليه ، وتغيير هذه العادة يحتاج إلي كثير من الوقت والصبر.

_بسلامه رأسك يا أبنتي...قال علي أشرف.

_سلمت.

_إذاً أليس لك أقرباء هنا أو في الضواحي؟...قالت خديجة.

_خالتي تعيش في قيصري.

_جميل إذاً تواصلني معها وأخبريها بموعد الحفلة.

_لا...قال علي أشرف...بني أنت خذ زوجتك وتعرف علي خالتها...ثم توجه إلي جونول بسؤاله...علي الأرجح خالتك لا تعلم بأنك تزوجت؟

_لا هي لا تعلم.

_سندهب غداً لزيارتها وسأدعوها للعشاء هنا...قال أرغوفان

_خيراً تفعل يا بني...أضاف مغادراً الطاولة...بما أن الأمر قد تقرر سأغادر بدوري.

تحتسي قهوتها بالحديقة وهي تقرأ أحد كتبها الجديدة ، قال عند جلوسه بجوارها...أنا أعتذر عما بدر من جاهدة.

_لا تعتذر فأنا لم أنزعج من كلامها.

_هذا صحيح لأنني أنا من أنزعج وبشدة...أعلم أن كلامها قد وطأ علي جرح لم يندمل بعد وما أزعجني أنكِ صدقتي اعتذارها وتقبلته أيضاً.

_أرغوفان أخبرتك من قبل وسأعيد قولها أنا لن أكون سبباً في وقوعك بالمشاكل مع أسرتك.

_ لكنك لن تكوني أبداً سبباً لمشاكلي.

_ أياً يكن سأكون طوال هذه الأشهر الثلاث كنسمه عابره ولن أتسبب لك بأي أذي علي الأقل هذا أقصى ما يمكنني فعله لقاء كل ما فعلته من أجلي.

بدا عليه الانزعاج عند ذكرها لأمر المدة، لم ينطق بحرف لأنه في حين يسعى لترى أنه لم يعد قادراً علي التخلي عنها ؛ هي تفكر كيف ستجعل هذه المدة تمر بسلام عليه.. قال بعد مدة من الصمت:

_ أنني أحمل لكِ خبر غير سار من تشكورفا.

_ ما هو؟... قالت بفرع.

_ لقد تعرض والدك وجمال الدين قبل يومين لحادث سير.

_ ماذا؟... أرذفت والدموع تملئ عينيها: هل هما بخير؟

_ جمال الدين قد كسرت كلتا ساقيه وسيتم زراعته الفولاذ بإحداها الأسبوع المقبل وأبيك...

_ ماذا عن أبي؟..

_ لا زال في غيبوبة.

_ أرغوفان من فضلك دعني أذهب لرؤيته؟

_ جونول هل أنتِ مجنونة تعلمين أن سالم لن يتردد في قتلك أن ما راك هناك وأنا لن أفرط بكِ سأجعل سلجوق يذهب إليهم ويوافقك بكل التطورات.

_ هل تعندي؟

_ بالطبع.

_ طاب يومكما.

_ أصلان!!.. قال أرغوفان.

_ مرحبا أخي كيف حالك؟.

_ بخير.

_ جونول وأنتِ كيف حالك؟

مسحت دموعها قائلة: بخير شكراً كيف حالك أنت.

_ بخير... ثم أضاف... أخي هل نتحدث قليلاً؟

أعيدوا لي قلبي

_ بالطبع أنا قادم... دخل أرغوفان ومن خلفه أصلان ، أنت نيسان...أختي جونول طاب يومك.

_ طاب يومك... هل انتهيت جامعتك بهذه السرعة؟

_ لا لكن نسيت مشروع كنت أعمل عليه منذ مدة وعدت لأخذه...جلست مكمله...
عندما رأيتك هنا أردت أن أعتذر من...

قاطعتها وهي تمسك بيدها...لا تعتذري حقاً أنا لم أنزعج منها حسناً ربما أكون قد
حزنت قليلاً ولكن هذا أمر طبيعي فأنا حساسة اتجاه أي كلام بخصوص أمي.

ضحكت محتضنه اياها قائله: من الجيد أنكِ زوجة عمي...ثم أكملت...أختي جونول
لا تظن أن أمي تتخذ منكِ موقفاً لسبب شخصي هي فقط ترى أنكِ تسرقين ذكرى
خالتي.

_ لم أفهم.

_والدة مارت هي نفسها خالتي شقيقة أمي.

_ فهمت ولهذا السبب هي لم تحبني منذ أن رأيتني؟.

_ لنقل أنها لم تتقبلك فقط.

_ لا مشكلة صدقيني قريباً سيحل كل شيء.

_ يعجبني هذا النضال الذي لديك...يجب أن أرحل نلتقي.

قبل أن يدخل المكتب تسأل أصلان:

_ لما كانت جونول تبكي؟

_أبلغتها بشأن والدها وأخيها.

_أنهما لا يستحقان دمة منها.

_ يظنون عائلتها بنهاية المطاف...جلس علي الكرسي بمكتبه مكملاً: إذا ما الأخبار؟

_بعث السيد علي أشرف رجاله إلي تشكورفا للبحث خلف جونول وسبب زواجك
منها.

_ لقد قبل أن تكون كنة لهذا البيت ليلة الأمس وهذا دليل علي أنكم نجحتم بالتغطية
علي الأمر.

_ في الواقع نحن لم نقم بأي شيء.

أعيدوا لي قلبي

ما الأمر إذاً؟

رأوك في البلدة تدخل عدة مرات إلي منزل عائلة ديمير وبعد زواجك انقسمت الإشتاعات...والدها أجبرها علي الزواج لأنك ثري...والأخرى أنك كنت تتردد علي منزلهم لأجلها متحججاً بقضية صالح وهذا ما دفعك علي مداومة المنزل عندما رفض الأغا أن تتزوجها.

بالتأكيد كلتا الروائيتين لم تصل إلي رجال أبي فلو كان الأمر كذلك لما تقبل جونول بيننا.

لا علم لي حول ما توصلوا إليه.

قال بشيء من الانزعاج: ماذا عن أصل القصة؟

لن يستطيعوا الوصول إلي حقيقتها فأسرة ديمير جعلت التخلص من جانير ألب وأسرته ما هو إلا خلاف شخصي بينه وبين جمال الدين.

فهمت... إذاً هل نفذت ما طلبت منك؟

بكل تفصيل لقد أرسلت رجالاً إلي هناك تلقيت اتصالهم صباح اليوم وأخبروني أن الأمانة قد وصلت إلي إسطنبول.

ولما لم تذهب بنفسك؟

كنا مراقبين شاهين ورجاله كانوا يتعقبوننا حتى يعلموا السبب الحقيقي خلف طعنك. وماذا فعلت؟

لا تقلق حققنا في الأمر وأتضح أنه سوء تفاهم وحادث غير مقصود كما قلت أنت تماماً ولهذا عدنا إلي المدينة.

تعني أن هذا التقرير الذي سيصل لوالدي عنكم. بالتأكيد.

انتظرني إذاً في الخارج سأبدل ملابسي ونذهب لرؤية الأمانة...آه بالمناسبة أحبيك بخصوص ما فعلته كانت النتيجة مرضية.

العفو هذا تخصصي.

لم تتركوا خلفكم أي أثر.

لن يستطيعوا الشك بشيء أساساً.

أرغوفان إلي أين؟

أعيدوا لي قلبي

قالت أوزغور عند تصادفهما أمام الباب الخارجي.

_ لدي عمل مهم سأذهب وأعود بسرعة.

_ ألا يمكن تأجيل عملك ليوم أو اثنين؟

_ أنه موكل مهم.

_ أخي من فضلك عد إلي الداخل وأتصل بأوزبرنجي وهي ستتكفل بالأمر.

_ أوزغور لا تحاولي سأذهب لأراه وأعود لن أتأخر ولن أجهد نفسي.

_ وعد؟!!

_ أجل.

وصلوا إلي مكان مهجور قال أصلان:

_ المكان يعود للرجال الذين قد تواصلت معهم لإحضار الأمانة.

لم يتكلم أرغوفان ودخل في صمت، سحب الكرسي وجلس أمامه، عينه اليسرى تكاد تقتلع من شدة الضرب، وأنف تشوه كذلك، ولا يكف سيل الدم عن الهبوط من فمه، والواضح أن ذراعه قد كسرت، بوهله عاد ذاك المشهد لذاكرته حين طعن... قال:

_ إذا جانير ألب ها قد عدنا لنلتقي مجدداً.

الفصل الرابع

الحياة تعلمك الحب والتجارب تعلمك من تحب والمواقف تعلمك من يحبك

محمود درويش

أعيدوا لي قلبي

جالسة رفقة خديجة ألتان وبهار يحتسون قهوة الصباح... هل عمي لا زال نائماً؟..
قال ألتان

_ لا لقد ذهب مع سلجوق ليفك أقطاب العملية.

سألت خديجة... هل ستذهبان إلي خالتك اليوم؟.

_ أجل سنذهب للعشاء عندها اليوم.

_ وهل أتصلت بها وأخبرتها بقدمكما؟.

_ لا فرقم هاتفها ليس معي.

_ قلتِ البارحة أنكِ "تعرفين عنوان منزلها"... قال ألتان... إذا أردتِ أعطني عنوان
منزلها وأنا سأجلب لكِ رقم هاتفها.

_ هل حقاً يمكنكِ ذلك؟.

_ أجل بكل سهولة.

أرسلت له عنوان هاتفها وأخبرته عن أسمها ، خرج فوراً إلي الشرفة وأجرى مكالمة
هاتفية لم تكن طويلة ، بعد وقت قصير دخل قائلاً:

_ ها قد أحضرتُ لكِ رقم هاتف الخالة زليخة.

قفزت من مكانها بسعادة... هل حقاً توصلت إليه بهذه السرعة؟... حقاً شكراً لكِ.

شعر بالإحراج مضيفاً... لا داعي لكل هذا كل ما في الأمر أنني جلبت لكِ رقم خالتك.

أضافت بخجل... أعتذر إذا بالغت برودة فعلي عن إذنكم.

خرجت إلي الشرفة لتكلم خالتها قالت بهار محاولة فهم اهتمام ألتان بكل ما يهم
جونول... كانت لتطلب من خالي رقم خالتها فلما تدخلت أنت؟.

_ وهل تقديم المساعدة أصبح خطأ؟

_ لا علي العكس... أضافت خديجة... هكذا تتوطد علاقتكم معها جيد ما فعلته يا ألتان.

_ لكنني أرى أن تضع مسافه بينكما.

_ ما الذي تهذين به؟... قال بغضب.

_ لو كنتُ مكان خالي لن أقبل أن يكون ابن أخي الذي يكبر زوجتي بعامين قريباً
منها.

_ بهار ما هذا الكلام التافهة؟... قالت خديجة بحده.

_ وهل ترين أنني عديم شرف يا هذه حتى أضع عيني علي زوجة عمي؟.

_ لم أقصد هذا وأعتذر جدتي لكنني قلت ما أفكر به فحسب.

_ إذاً فكري جيداً قبل التكلم بهذه الأمور قد تتسبب بمشاكل كبيرة اذا ما وصل مثل هذا الكلام لخالك.

خرج ألتان غاضباً من كلام بهار المستفز.

رتبت المنزل عطرتة ، وارتدت أجمل الثياب لديها ، صنعت أذ المأكولات التي تحبها جونول فهي لم ترها منذ أكثر من 8 أعوام ، رن الجرس فهرعت إلي الباب كأنها طفلة تستقبل زوار العيد ، فتحت الباب إذا بها...جونول أبنة أختها الحبيبة هذه الفتاة الشقراء ، ذات العيون الزرقاء ، التي باتت تشبه والدتها ما لم تكن هي نفسها ، لم تتوانى في احتضانها بقوة وهي تقبلها بحراره...آه يا رائحه المسك...آه يا رائحه أختي الغالية...آه يا عصفورتي...بعد احتضان وتقبيل دام لدقائق؛ انتبهت إلي شخص بالخارج ، رجل وافي الشطاط شمت الشعر له ملامح وجه قاسية يرسم ابتسامه خفيفة علي ثغره فقالت: من هذا؟.

_ ألم أخبرك أنني سوف أحضر معي ضيف؟

_ آه صحيح أعتذر لكن عندما قلت هذا ظننت أنك ستأتين مع صالح.

_ خالتي أنت تعلمين أن أخي لا زال في السجن.

_ علي أي حال...قالت متجاوزة الحديث عن الأمر...تفضل بالدخول سيدي.

دخل وقال بينما يصافحها: أنا أرغوفان.

_ زليخة خالة جونول.

نظر كلهما إلي جونول لتعرفهما فقالت:

_ أنه زوجي.

لم تخفي زليخة الصدمة من محياها بل وتجمدت في مكانها ، قالت بصوت يملأه خيبه الأمل:

_ إذاً قد تزوجت؟!.

أمسكت بطرف سترتها قائلة:

_ خالتي زليخة لن تتركينا علي الباب هكذا علي الأغلب؟.

_ أعتذر أعتذر...أردفت بعد خروجها من الصدمة...تفضلا بالدخول اهلاً بكما.

استضافتهما في الصالون...أعذراني للحظة...

أعيدوا لي قلبي

بعد دخول زليخة قالت: أعتذر منك عن ردة فعلها.

_ لا تعتذري لقد صُدمت وهذا أمر طبيعي.

_ قد لا يكون تقبلها لزواجنا يسيراً لذا من فضلك لا تنزعج مما تقوله لك.

_ جونول لا تقلقي لا يمكن لأحد أن يزعجني وأنتِ بجانبني.

توترت من كلماته التي بات يلقيها دون أن يبالي ، دعتهما إلي المائدة لتناول العشاء ، بعدما قدمت لهما الضيافة ، توجه إلي الحمام لغسل يديه بينما جونول تساعد خالتها في توضيب آخر ما تبقى من الأطباق ، قبل خروجه بقليل سمع طرق الباب ؛ عند خروجه رأى شاب بمنتصف الثلاثينات طويل القامة ممتلئ الجسد له شعر أسود ومجدد أبيض البشرة ، أزعجته لهفته وترحيبه الحار بها قال من خلفه:

_ المعذرة!..

أستدار نحوه وقال بحده:

_ من أنت؟!!

مد يده للمصافحة راسماً ابتسامه صفراء علي ثغره قال: أرغوفان زوج جونول.

بهت الشاب واعتلت وجهه نظرت الغضب والحسرة في آن واحد ، صافحه وهو يشد علي قبضته أجاب:

_ أونور ابن خالة جونول.

انتبهت إلي المشاحنة الصامتة التي حدثت بينهما ، فقالت لتتقذ الموقف:

_ تفضلاً بالجلوس.

أردفت زليخة عند خروجها من المطبخ وهي تحمل أكواب الماء...العشاء جاهز أونور بني أغسل يديك قبل أن تجلس.

تناولوا العشاء في صمت ، لكن هذه الأجواء الصامتة ، لم تكن خاليه من نظرات الغضب والكره ، التي كان ينظر إليها أونور إلي أرغوفان ؛ بينما الثاني لم يكن يبالي وهو يرسم تلك الإبتسامة الخفيفة علي وجهه مستفزاً إياه في صمت.

_ متى تزوجتما؟...قالت زليخة.

_ لم يمضي شهر علي زواجنا.

_ والآن فقط خطر ببالك أن لك خالة...قالت بانزعاج.

أجاب أرغوفان...لم نأتي إلي إسطنبول إلا قبل ثلاثة أيام أو أربع وفور أخبارها لي أن لها خاله هنا أخذتها وأتينا.

سلمت... لكن أين كنتما قبل أن تأتيا إلي هنا?.

في أزмир... قالت جونول... كان لأرغوفان عمل هناك عندما أنتهى منه أتينا للقاء أسرته.

وما هو عملك?... سأل أونور.

أمتلك مكتب محاماه.

آه وبالتأكيد أنك من أسرة ثرية... أردف باستهزاء... وإلا كيف يقبل بك ذاك الشاه.

أونور... قالت جونول بحده.

لتضيف زليخة لأرغوفان... لا تؤاخذنا هو لم يقصد أي إساءة.

بالتأكيد لن أؤاخذكم... أضاف مستفز أونور... أنتم عائلة زوجتي العزيزة.

جونول لا بد أن الأمر صعب عليك?... قال أونور متجاهل كلام أرغوفان... فالزواج بشخص لا تعرفينه يكون صعب أن تعتادي خلال 20 يوماً.

لا أرغوفان ليس بشخص لا أعرفه وأيضاً أنا أتأقلم شيئاً فشيئاً مع عائلته.

أتعيشان مع عائلتك?... سألت زليخة بتعجب.

أجل هذه العادة لدينا لا يستقل أحد ويخرج من منزل العائلة.

إذا تقول أنكم مزدحمين?... قال أونور.

بل يقال عنهم مترابطين... أضاف بانزعاج.

عائلة بوزدا... أضافت جونول... يعيشون بمنزل يكاد يكون كمنزلنا في حجمه لذا لا تشعر بالازدحام وعلي عكس منزلي بينهم تشعر بحنان العائلة.

شعر أرغوفان بشيء من السعادة لأن هذا شعور جونول اتجاه أسرته ، لكن الانزعاج بدا واضحاً علي أونور ، الذي لم يعجبه مدحها لأسرته ، قالت زليخة عندما لاحظت

انزعاج أبنها:

يبدو أنك سعيدة بالعيش معهم...

قبل أن تجيب تدخل أونور... أمي حباً بالله... أردف بتهكم... قالوا أنهم هنا منذ ثلاثة أيام عن أي سعادة تتحدثين أراهن علي أنها لم ترى بقيه غرف المنزل بعد.

حسناً بما أنكم انتهيت من العشاء انتقلوا إلي الصالون لأحضر طبق الحلو لكم... قالت محاولة تفادي أي مشاحنات بين أرغوفان وأونور.

انتقل كلهما إلي الصالون وبقيت جونول لمساعدة خالتها في تنظيف المائدة... لو أنك

أعيدوا لي قلبي

ذهبتِ معهما أخشى أن يتفوه أونور بأمر تافه فينتشاجر مع زوجك.

_ لا تقلقي أرغوفان أوعى من هذا بكثير.

_ هل هو وعائلته يعاملونك جيداً؟.

_ أجل يا خالتي لا تقلقي يعاملونني وكأنني أبنيتهم.

قالت بحسره: لو وافق والدك ذلك اليوم لكنتِ كنة لبيتِ.

_ كل شيء قسمة ونصيب.

_ فعلاً لكنكِ رأيتِ الحسرة بوجه أونور عندما سمع أنكِ تزوجتِ.

_ هذا الأمر مضى عليه أكثر من 5 سنوات وهذا لا يبرر معاملته السيئة لأرغوفان فهو يسبب لي الإحراج.

_ أنتِ تقولين أنه مضى ولكن أبنى علق بذلك اليوم أنا لم أرى أبنى سعيد منذ 8 سنوات إلا عندما راكِ.

_ خالتي أنا الآن زوجه رجل آخر وعليه تقبل الأمر.

_ لكنه صعب عليه... آه يا حسرتي علي أبنى.

احتضنتها قائله: لا تتحسري أنا أبنيتكِ ما حبيت وأونور سيجد فتاة تحبه أكثر من ما أحبني.

كان التوتر والمشاحنة تملئ الصالون، مع صمتهما إلا أن نظراتهما لم تصمت؛ حتى خرج أرغوفان عن صمته قائلاً: هل لي أن أعلم ما مشكلتك؟

_ أخيراً تسألت!!... أنت مشكلتي.

_ لم أفهم.

_ لو لم تخرج أمامي فجأة لكانت جونول كنة لهذا البيت بهذا الأسبوع.

_ آه فهمت... وهل جونول علي علم بالأمر؟

ضحك قائلاً: يبدو أنك لا تعرف شيئاً عن ماضيها؟.

_ لا ولا أريد أن أعرف أتعرف لماذا؟

_ لأنك تخشى من معرفه أنها كانت تحب أحدهم؟

_ لا بل لأنني سأنسيها الماضي سأكون أمسها ويومها وغدها... سيبدأ ماضيها من اللحظة التي ألتقيتها بها وستشيخ برفقتي ومعى وها أنا ذي اليوم.

غضب أونور من كلامه وثقته العالية ، وقد قرر الثاني في اللحظة التي علم بها

أعيدوا لي قلبي

بنوايا أونور أنه سيفعل المستحيل لكسب حبها وأن تكون زوجته حتى مماته.

بعد مغادرة الشباب إلي مدارسهم قال علي أشرف: كيف حال خالتك يا أبنتي؟.

_ أنها بخير وتبلغك سلامها.

_ وعليكم السلام.

_ هل تقبلت زواجك المفاجئ بسهولة؟... قالت جايدة.

_ تفاجأت قليلاً... وهذا طبيعي.

_ هل أبلغتها بدعوتنا لها إلي العشاء اليوم يا بني؟.

_ أعذر يا أبي فقد تصرفت دون علمك وأبلغتها أننا سنأتي لزيارتهم زيارة رسمية بعد يومين.

_ أي غداً... تسألت خديجة.

_ وهل لك مبرر لفلعتك؟... قال علي أشرف بانزعاج.

_ أجل... كان الوضع خلال العشاء مليء بالتوتر وحتى إذ لم توضح لنا السيدة زليخة إلا أنها كانت منزعة كونها علمت بزواج أبنه أختها بهذه الطريقة.

_ أبي... تدخل اطرارول... ما فعله أخي جيد هكذا نتلافى الخطأ الذي ارتكبناه تجاه المرأة.

_ وما الخطأ الذي قد بدر منا يا أخي؟... قال أريغيت.

أشار إلي أرغوفان مضيفاً بحده... الرجل تزوج الفتاة رغماً عن عائلتها ودون علمنا أيضاً من العادة أن نصلح ما أقترفه ونزورها كونها نسيبتنا وبصفتنا أهل العريس.

_ جونول... أضافت جايدة... لما لم تبلغ عائلتك خالتك بأمر زواجك؟

قال أرغوفان: لن نبرر لكل واحد علي حدى حول ما حدث وما الذي لن يحدث... أبي ما هو قرارك؟

_ وهل ستحترم قراري إذا ما قلته واضح أنك تتجاوزني كثيراً هذه الفترة؟!.

_ أستغفر الله يا أبي بالتأكيد سأحترم قرارك كيف ما كان حتى أنني سأنفذه حالاً.

_ حسناً إذاً... أردف علي أشرف سنذهب غداً لزيارة السيدة زليخة كونها من أسرة كنتنا.

_ هل سنذهب مزدحمين؟... قالت جايدة.

أعيدوا لي قلبي

_ من أحفادي سيذهب مارت فقط والبقية ستأتون جميعاً... أرغيت!!

_ نعم أبي!..

_ لا أقبل الاعتذار منك أو من زوجتك لاحقاً هل فهمت؟

_ لا تقلق سنأتي بالتأكيد.

كان الانزعاج بادياً علي ملامح جاهدة التي لم تستطع الاعتراض علي أوامر علي أشرف.

تجلس في الحديقة تقرأ كتاباً... مرحباً... قاطع خلوتها صوت غريب ؛ رفعت رأسها إذا به رجل تراه للمرة الأولى ، قالت عند إغلاقها للكتاب.

_ مرحباً!!

رجل في منتصف الثلاثين... له شيب كثير بشعره الكثيف... متوسط الطول... كأنه قد أخذ ثيابه من الباله... كانت تبدو وكأنها رثة وممزقة قال:

_ أنها المرة الأولى التي أراكِ هنا هل أنت قريبة لأوزبرنجي.؟

_ لا ولكن من أنت؟.

_ أعذر نسيت أن أعرف بنفسي... مد يده للمصافحة... ليفنت بياسيل بيه.

صافحته قائله... جونول.

سحبت يدها بحركة سريعة قبل أن يقبلها ، ضحك قائلاً:

_ لا تؤاخذيني لم أتمالك نفسي لتقبيل يد جميله كيدك.

_ ومن حضرتك؟.. قالت بانزعاج.

_ أنا خطيب أوزبرنجي أتيت للقائها.

_ أوزبرنجي في العمل.

_ أنا أعلم اتفقت معها علي أن أتى وأنتظرها هنا ريثما تصل... نظر إليها بطريقه بذيئة مردفاً... ومن الجيد أنني أتيت.

_ دعني لا أزعجك إذا... نهضت منزعة... أنتظرها قدر ما تشاء.

عندما استدارت للدخول قال:

_ ألن تبقي معي حتى عودتها؟.

أعيدوا لي قلبي

ما إن أنهى جملته حتى خرج أرغوفان قال وعلي وجهه ملامح الانزعاج: ما الذي يحدث هنا؟

_ أه اخي أرغوفان... قال بتوتر... لا شيء تصادفت مع الأنسة جونول عندما كنت قادماً للقاء أوزبرنجي وقد تحدثنا قليلاً... أليس كذلك يا آنسه.

_ جونول هل أزعجك بشيء؟

_ لا... كنت متوجهه إلي الداخل أساساً.

_ حسناً أدخلي وسأوافيك.

بعد دخولها توجه نحو ليفنت وقف أمامه وقال بلهجه تهديد: هذه التي دخلت ليست أنسة بل زوجتي إن اشتكت منك أو إذا سمعت أو رأيتك بقربها فتعلم ما الذي سيحل بك صحيح؟

_ أخي أنا أعتذر أن أزعجك لكن أوزي لم تخبرني أنك قد تزوجت وأساساً أنا لم أخطئ بحق زوجتك أسألها إذا شئت.

_ أنت فهمت ما أريد قوله علي الأغلب؟

_ بالتأكيد يا أخي.

_ غادر إذا فأوزبرنجي لا تزال في المكتب ولن تعود الآن.

_ حسناً إذا سأذهب إليها هناك.

خرج غاضباً ومنزعجاً من تهديدات أرغوفان ، قال بتوعد وهو يصعد سيارته:

_ سوف أريك أيها التافه ما معنى أن تهدد ابن أسرة بياسيل بيه سأهدم هذا الغرور

الذي لديك فوق رأسك أيها المتعالي.

اجتمع أحفاد أسرة بوزدا في غرفة الجلوس كعادتهم...أختي جونول...قالت بهار عندما تصادفت معها في المطبخ...نحن نجتمع كل عطلة نهاية الأسبوع لمشاهدة فيلم ونلعب بعض الألعاب الجماعية ما رأيك بالانضمام لنا؟

_ من تقصدين بأنتم؟

_ أنا نيسان أخي ألتان كليتش مارت وأحياناً تنضم لنا عمتي أوزبرنجي إذا لم يكن لها عمل.

_ دعيني لا أزعجكم.

أعيدوا لي قلبي

_ لا لن تزعجينا بل علي العكس يكون الوضع ممتع إذا ما زاد عددنا أثناء اللعب.
_ سوف أكرر صفو مارت لذا دعيني لا أتي.

_ لا تقلقي لقد هدا بعدما تحدثت معه عمي ألم تلاحظي انه لم يعد يضايقك؟
_ لقد لاحظت لكن...

أنتهى النقاش إذاً هيا بنا..

أخذت تجرها من يدها متجه بها إلي غرفة الجلوس ، عند مرورهما بأوزبرنجي قالت متعجبة:

_ ماذا يحدث؟!..

_ أقنعت زوجة عمي بالانضمام لنا فهل ستأتي؟..

_ لدي عمل علي حله مع أرغوفان لذا جونول ستحل محلي... أردفت مزارحة... لقبني
الجزار لذا لا تخسري أمامهم أنفقنا...
_ سأحاول..

دخلنا إلي الغرفة بتواجد الجميع... أحضرت لكم لاعب إضافي... قالت بهار.

_ ماذا ألن تأتي عمتي أوزبرنجي؟... سأل كليتش.

_ لا... أجابت بعد جلوسها بجانب مارت... لديها عمل مع عمي... ثم همست له دون
أن ينتبه لها أحد... إياك أن تقوم بأي إساءة لها فلقد أحضرتها علي مسؤوليتي.
_ أنتِ ترين أنني سوف أسئئ لها فلما أحضرتها؟..

_ حرام عليك الفتاة لم تقم بشيء سيئ حتي أنها هادئة ولطيفه لو تؤذيها بكلمه ستعتذر
لك...

_ حسناً... حسناً فهمنا ما بك... أتعلمين أنصحك أن تلتحقي بأبي وعمتي فقد قدمتي
مرافعه جیده.

ضحكت قائله: هذا ما أفكر بفعله.

تقدم ألتان إليها قائلاً:

_ اهلاً بك... لما تقفين هكذا؟..

_ أخشى أن أزعج مارت.

_ لا تقلقي تعالي... أضاف لهم... هيا شباب أفسحوا المجال لأختكم جونول أنها المرة
الأولى لها لذا لنحسن ضيافتها.

أعيدوا لي قلبي

جلست بين ألتان ونيسان قالت نيسان:

_ هل تختاري فيلم اليوم؟.

_ لا داعي شغلوا ما تريدون وأنا سوف أشاهد معكم.

_ حسناً إذاً كليتش أنه دورك لهذا الأسبوع... قال ألتان... وبما أن عمتي ليست هنا فجونول ستكون لآعبه بفريقي.

_ ولماذا بفريقك لما لا أكون أنا وهي تلعب مع كليتش أو مارت؟... قالت نيسان بتهكم.

_ لا تكوني طفلة بطبيعة الحال هي تأخذ مكان عمتي وأوزي في فريقي.

_ لا داعي للمشآجرة سألعب بأي فريق... قالت جونول.

_ هما هكذا علي الدوام لذا لا تبالي بهما... قالت بهار.

_ هيا سأشغل الفيلم كفى أنتما الأثنان... أضاف كليتش.

_ تفضل... قال بعد طرق الباب.

_ أخي هل أنت متفرغ؟... قالت أوزبرنجي وهي تطل برأسها من الباب.

_ تعالي أوزي أنا أعمل قليلاً.

_ علي ماذا تعمل؟... قالت عند جلوسها.

_ قضية مرافعتها بعد أسبوعين... ما الأمر هل هناك خطب ما؟.

_ لا كل شيء يسير بسلاسة... رأيت جونول رفقة بهار كانت تأخذها إلي غرفة الجلوس فكل عطلة نهاية الأسبوع نجتمع نشاهد فيلماً ما ثم نلعب ألعاب جماعية.

_ من الجيد أنها فكرت بأخذ جونول فهي تمل كثيراً... علي أي حال... أخبريني لأرى ما الأمر؟

_ أخبرني ليفنت أنك تحاملت عليه قليلاً هو لم يكن يعلم أن جونول زوجتك.

_ إذاً قد وشى بي المغفل.

_ لا تقل هذا يا أخي... أساساً قال بأن ما حدث سوء تفاهم.

_ أنت تعلمين أنه رجل مستفز وأنا أحتمله لأجلك فقط.

_ إذاً أخي من فضلك لأجلي لا تتحامل عليه كل مرة تراه.

_ فليبقى بعيداً عن جونول عندها سابقى بعيداً عنه ولا أعدك بهذا.

أعيدوا لي قلبي

قال "أنه لم يفعل لها ما يسيئ".

فقط لو أخبرتني ما الذي فعله لكأنت لي حجه بمحو أثره من هذه العائلة.

أخي تحاملت عليه وأنت لا تعرف ما الذي فعله أو قاله؟... هل يعقل شيء كهذا؟

تكفيني النظرة القذرة التي نظر بها إلي زوجتي لو لم أكن مصاباً لجعلته يرى نور الشمس في أحلامه.

وهل سألت جونول؟

قالت "لم يحدث شيء".

لو كان قد حدث شيء ما لأخبرتك جونول.

مستحيل أن تشكوا من أحد وما أغضبني أنها لم تشكوه لي.

لأن لا شيء حدث يستحق أن تشكو منه أنت استفزتك تصرفاته معها وهذه طبيعته ماذا نفعل؟

فقط لو تقنعي أنه ديوث لا يصلح لك سنجد بالتأكيد ما نفعله.

لقد وعدني أنه تغير وأنا أصدقه.

حسناً كما تريد... لكن بالتأكيد لم تأتي إلي لأجله صحيح؟

أجل أتصلت بي نادين وكانت تسأل عنك فأخبرتها أنك لا تزال في أزمير لأن أبي طلب ألا أخبر أحد بأمر إصابتك علي الإطلاق وأمر زواجك كذلك كي يعلم به الجميع بعد الحفل.

لا أدري كيف يعمل عقل والدي حقاً.

لقد وضعته بموقف محرج بسبب زواجك المستعجل.

علي أي حال أفعلي ما تريه مناسباً... هل عادت نادين؟

ستعود بعد أسبوع.

إذا كان هذا كل شيء فأعذريني ودعيني أكمل عملي.

جلس علي طرف السرير، بعدما أنتهى من تجهيز نفسه، منتظراً أن تنتهي من تسريح شعرها، يراقبها والفرشات تتراقص داخل قلبه؛ وابتسامه رقيقة مرتسمه في عينيه، دون أن تظهر علي ثغره، انتبهت له كيف ينظر إليها، فعيناه تحمل نفس تلك النظرة

، التي أعتلت محياه عندما كانا يشاهدان الألعاب النارية في أزميز ، قالت بخجل:
هل هناك خطب ما؟.

_الخطب الوحيد هو أنك جميلة جداً...توترت ولم تدري ماذا تقول فأكمل ضاحكاً:
تعالى وأجلسى قليلاً لنتحدث...جلست في صمت متوردة بخجل أردف...قبل أن
نذهب لخالتك أريد منك أن تشرحي لي شيئاً قاله لي أونور سابقاً.
_ماذا قال لك؟!..قالت بتعجب.

_لمح لي علي أننا لو لم نتزوج لكنك الآن زوجته وعندما سألتها قال "ألا تعرف
ماضي جونول؟"...توترت وبدى عليها الخوف فقال بعجله: أنظري أنت تعلمين أنني
لست مثل والدك أو أحد أخوتك ومهما كان الظرف الذي نمر به تأكدي بأنه لن يأتيك
ضرر مني.

_أنا أدرك هذا سلفاً.

_إذاً لا داعي لتوترك وخوفك كلما سألتك أو تكلمت معك بخصوص شيئاً ما إن هذا
حقاً يؤلمني.

_أنا أسفه لم أقصد أن أجعلك تشعر بالسوء لكنها مجرد عادة أحتاج وقت حتى أعتاد
علي كل ه

_حسناً سألتك لأحاول فهم الأمر كي لا أكون أحمقاً أمامه فمهما يحدث نحن خارج
هذا الباب زوجان ومن الطبيعي أن تكون قد حدثتني عن ماضيك سلفاً.

_لكن لا يوجد لدي ماضي كي أخبرك عنه.

_إذاً ما الذي قصده بكلامه؟.

_كانت خالتي لا تزرنا إلا في الأعياد والمناسبات ولهذا لم أكن ألتقي بأونور إلا مرة
أو اثنتين في السنة...عندما بلغت التاسعة عشر تقدم أحدهم لخطبتي...وافق أبي ولم
يكن لصالح علم بالأمر لأنه كان خارج المدينة...أتصلت به خالتي وأستطاع صالح
إنهاء هذا الزواج قبل أن يبدأ...ثم أردفت والحزن يخيم علي صوتها...وانتهت حرية
صالح معه.

_كيف ذلك؟

_تلك القضية التي تحملها صالح كان المقتول خاطبي.

_لم يخبرني عن سبب حمله للجريمة؟.

_قصة طويلة أخبرك بها لاحقاً...علي أي حال...بعد سجن أخي جاءت خالتي رفقة

أعيدوا لي قلبي

بعض أفراد عائلة أونور وتقدموا لخطبتي... بذلك اليوم علم والدي أنها السبب في فشل تلك الخطبة فقام بطردهم جميعاً متهماً خالتي بالطمع بأمالك الأسرة.

_ بهذا القدر فقط؟!.. قال وعلي محياها تتربع السعادة.

_ أجل لم تكن هناك قصة حب أو أي شيء من هذا القبيل كي يلمح لك أونور بأنك لا تعرف بماضي.

_ لقد أرحتني فقد كان متبجح جداً... إذاً ماذا عن..... لم يستطع إكمال سؤاله عن جانير فهو ليس مستعداً لسماع أنها تحب شخص آخر.

_ ماذا عن!!؟.

_ لا تهتمي سأذهب لأتفقد مارت...

قبل خروجه قالت:

_ بماذا أجبت أونور؟.

أبتسم ابتسامه خبيثة وقال:

تبحجت عليه بطريقة جعلته يلتزم الصمت طوال بقية السهرة.

غادر الغرفة ، وعند توجهه لغرفة مارت ، خرج الثاني...أبي هل أنت جاهز؟.

_ أتيت لأسألك نفس السؤال?...وضع ذراعه علي كتفه وأضاف...أن كنت تجبر نفسك علي القدوم فلا تفعل سأخبر جدك أنني لا أريد ذهابك مع أنه يسعدني ذهابك معي.

_ لا لست مجبراً وثم أنا أذهب كناية بك.

_ وما الذي يعنيه هذا؟

_ أنت لا ترغب بذهابي لتستعرض أنك لا تزال شاباً وعندما أذهب معك ؛ سيدركون أن هذا الشاب الوسيم أبنيك فتقع صورة الشاب التي تصنعها لنفسك...تبادلا الضحكات فقال مارت...أنا أمزح معك فمن يراك لا يصدق أنك والدي بل يظنونك أخي الأكبر وأنا سأفعل أي شيء يجعلك سعيداً.

جلس الجميع بعد ترحيب زليخة، علي عكس أونور الذي لم يكن لطيف معهم.

_ لأعرفك علي العائلة هذا أبي علي أشرف وزوجته خديجة...قال أرغوفان.

_ اهلاً بكم ووالدتك؟.

_توفيت عندما كنت في العشرين من عمري.

_أنا آسفة لمصابكم.

_سلمت...أكمل...هؤلاء أخوتي ارطارول أريغيت أوزغور وأصغرنا أوزبرنجي وهذه جايدة زوجة أخي أريغيت...ثم أكمل وهو يضع يده علي فخذ مارت...وهذا الشاب الوسيم هنا أبني الوحيد مارت.

بهنت زليخة من فاجعتها ، وقال أونور بصدمة...أبنك؟!.

_أجل أنه أبنني!!.

_ماذا عن والدته?...قال.

_توفيت بعد سبعة أشهر من إنجابه.

_بسلامة رأسك...قال بصدمة.

_خالتي هل أنت بخير?...قالت جونول.

_أجل...أجل...أردفت وهي تغادر ممسكة بذراعها اليسرى...عن أذنكم...

تبعتها جونول قائله...خالتي لا يبدو أنك بخير؟

_كيف سأكون بخير فأنت لم تتزوجي برجل يكبرك بالسن فقط بل لديه ابن يقارعه بطوله.

_خالتي لا تبالغي...ساعدتها في الجلوس قائله: أين دوائك؟

_في الأعلى.

_هل والدتك بخير?...سأل علي أشرف.

_ستكون بخير أنها مريضة بالقلب وأعتقد أنها لم تحتمل صدمه أن ترى ابنة أختها اليافعة قد تزوجت برجل يكبرها في السن ولديه ابن شاب.

_تتحدث وكأن أبي في سبعين من عمره...قال مارت بحده.

_لكنه بالتأكيد ليس في العشرين؟.

_أختي جونول راضية فما شأنك أنت?...أضاف بتهكم.

نظر إليه علي أشرف بحده ليصمت ثم قال: الزواج قسمه ونصيب تزوجا وهما يعرفان عن بعضهما كل شيء ولا يسعنا سوى احترام رغبتهما.

_علي أي حال نحن هنا من أجل تعارف الأسرتين وخلق رابط بيننا لأجل أبنتنا جونول...قال ارطارول.

أعيدوا لي قلبي

_ هذا صحيح واهلاً بكم مجدداً... قال بانزعاج.

_ إذاً ماذا تعمل؟... سأل علي أشرف.

_ كان والدي تاجر ذهب وأنا أعمل بنفس مجاله بعد وفاته.

_ ما شاء الله إذاً نسينا تاجر ذهب.

_ عندما قلتها هكذا قد عظمت من شأن متجري أنه متجر صغير لا يحكى به... ونعلم أن أبنكم محامي هل هذا عمل العائلة؟

_ لا علي الإطلاق أبني وأوزبرنجي محاميان يعملان بنفس المكتب أما أريغيت فهو طبيب وأنا وارطارول وأوزغور وكذلك ابن ارطارول نعمل في مجال العائلة الإنشاءات.

_ ما شاء الله.

بعد حديث وتعارف طال لأكثر من ساعتين قال علي أشرف: أعذرونا علينا الرحيل.

_ شكراً على زيارتكم لنا... قالت زليخة.

_ نحن بانتظاركم غداً علي وليمة العشاء... أضافت خديجة.

_ لا يوجد داعي للوليمة وما شابه.

_ بل هناك داعي نحن في انتظاركما غداً.

جالساً في المكتب يعمل علي ملف قضية ما ؛ طرق الباب ضغط علي رأسه قائلاً:
تفضل.

_ لقد طلبت القهوة صحيح؟.. قالت جونول عند دخولها.

_ أجل شكراً لك.

وضعت القهوة علي الطاولة وقالت: أحضرت القهوة بنفسني لأنني أردت التحدث معك بشيء ما...

_ جونول... أوقفها مردفاً... حباً بالله لا تعتذري ولن تعتذري بعد اليوم نيابة عن أحد لن تعتذري إلا إذا كنت مخطئة.

_ لكن ما فعله أونور أثناء استقبالكم كان مخجلاً.

_ مخجلاً له لا شأن لك لتعتذري نيابة عنه... ألتزمت الصمت فقال بعدما هدأ... أريد أن تكوني قوية أريد رؤيتك تقارعين الحياة رغم كل شيء ربما الآن انفعلت بحديثي

ولكن كل هذا لأجلك أنت لا تعلمين مدى الغضب الذي يملكني عندما أراكِ تعتذرين علي شيء لم تقترفينه... أو عندما تتحاملني علي نفسك وتصمتين علي الإهانات... لا أريد أن أراكِ خاضعه هكذا بعد الآن لم أعد أريد هذا.

_ لكن هذه طبيعتي.

_ الإنسان يتغير أنظري جيداً قد تغيرت حياتك... أنتِ وسط أناس يسمعونك يرونك يهتمون بك حتى وإن كان لبعضهم اعتراض علي تواجدك إلا أن لا أحد منهم يتمنى لكِ السوء أو أن يراكِ بوضع سيئ... إذاً برأيك ألم يحن الوقت لتتغيري؟

_ لا أعرف كيف أفعل كل هذا؟

_ أسمح لي بمساعدتك يكفيني أن تثقي بي... أسمح لي فقط بالعبور إلي أعماق نقطة بداخلك لا تخافي فإن كنتِ معي مكشوفه كورقة من كتاب كون علي يقين أنني سأحفظ سركِ داخلي وأحميه كما أحمي عيناى.

_ أساساً... أضافت بتردد... أنتِ الوحيد الذي أثق به... بجانبك قادرة علي خلع الدرع الذي أحيط نفسي به محتمية من الحياة وأنا مؤمنة أنك لن تقوم يوماً بالضغط علي نقطة ضعفي وإنك أبداً لن تضع أصبعك علي جرحي وهشاشتي هذه تكون صلبه معك لكن... أنا خائفة.

_ من ماذا؟

_ من أن أعتاد علي كل شيء... عليكِ وعلي أسرتك علي حمايتك لي وثقتي بكِ وتواجدك معي ويأتي اليوم الذي أعود فيه وحيدة مجدداً فكل هذا علي كثير لطف عائلتكِ حنانهم الذي لم أراه بحياتي وأنتِ الشخص الوحيد الذي بدل أن يستعرض قوته لحمايتي يحاول أن يجعلني أقوى.

"لن أسمح لكِ بمغادرة هذا المنزل ما دمتي تريدين البقاء فإذا كان الأمر يعود لي لجعلتكِ تعيشين داخل قلبي وأحميكِ من أصغر نسمة قد تمر"... هذا ما كان يجول بخاطرهِ ولم يستطع بوحه ، الآن أصبح يدرك وبكل وضوح أنه يجبها ؛ بل وقد عشقها من اللحظة الأولى التي رآها بها ، لكنه قد تأخر في الاعتراف لنفسه بالأمر ، كان خوفه والحاجز الوحيد الذي يمنعه من أخبرها بما يعصف داخله ظنه بأنها تحب جانير.

_ أرغوفان... أرغوفان...

أستفاق من شروده قائلاً: نعم!!

_ ما الأمر هل أنتِ بخير؟.

_أجل شردت قليلاً.. علي أي حال أنت لا تفكري كثيراً من يدري لعل بعض الأمور قد تتغير أنظري كنا قد أتفقنا علي أن تعيشي في أزميز وها قد أنتهى بنا الأمر هنا وحفله زفافنا تبقى عليها 4 أيام.

تبادلا الضحكات فقالت: حسناً لن أفكر كثيراً بالأمر.

_أذهبي للنوم وأرتاحي.

_وأنت أيضاً لا تطل بالسهر...أردفت قبل خروجها...تصبح على خير.

اجتمعت كل عائلة بوزدا من أجل الوليمة ، عند قدوم زليخة رفقة أبنها الذي لم يكن بادياً علي وجهه الرضا لمجيئه ؛ كانوا مشغولين بالترحيب والتهليل بهم ، انسحبت جونول من جانب أرغوفان إلي جانب أونور وهمست له بعد ما اقتربت منه: أنت هنا كأحد أفراد أسرتي لذا أتوسل إليك لا تقم بأي شيء يحرجنني.

قال بغضب: ألهذه الدرجة تهتمين لهم؟.

_أونور من فضلك...أردفت بتوسل.

_حسناً...حسناً لن أفعل أي شيء يزعجك.

هذه الهمسات التي حدثت بينهما ، لم تغب عن عيون أوزغور ، أو أرغوفان الذي تأكلت الغيرة داخله ، ما الذي قد يدفع جونول للتسلل إلي جانبه، والحديث معه هكذا بهمس، بعد دقائق أنضم إليهم ليفنت خطيب أوزبرنجي؛ مر العشاء بسلام ، ولم يكن أونور وقحاً مع أحد، كما طلبت منه جونول، بعد العشاء جلس الجميع في الصالون، بانتظار أن يجهز الخدم مجلساً في الحديقة، حتى يكملوا بقية السهرة علي ضوء القمر ونسمات الجو العليل، ورد اتصال إلي أرغوفان فخرج علي أثره ليجيب:

_الو..

_مرحباً أرغوفان...هل أزعجتك؟

_كنت مشغول قليلاً لكن لا مشكلة تفضلي.

_أخبرتني أوزبرنجي أنك لا تزال في أزميز.

_لقد طال عملي قليلاً ألسـت في أنقرة؟

_أجل كنت هناك وقد طرأ لي عمل في أزميز ولهذا أتصلت بك.

_ما الأمر؟

_هل تستقبلي كضيفة لديك ريثما أنهي عملي؟

أعيدوا لي قلبي

_عذراً.

_قصدت أن أبقى عندك حتى أنهى عملي!!

_لم أقصد هذا فقط أنا.... نادين... أنا لست في أزمير الآن.

_لا تقل أنك عدت إلي المنزل؟

لم يستطع قول أنه في إسطنبول بسبب أوامر والده لذا قال: لا أنا في تشكورفا.

_ما الذي أخذك إلي هناك؟

_لدي عمل مهم هنا.

_يا لسوء حظي حسناً إذاً نلتقي بعد عودتي.

عند خروج أرغوفان للإجابة علي اتصاله ؛ نهضت جونول نحو المطبخ ليستغل ليفنت غيابه ويلحق بها ، عندما كانت تملئ الكوب بالماء أفرعها صوته من الخلف.. مرحباً...

_ هذا أنت؟... قالت بانزعاج.

_ أنتِ منز عجة مني... أسمعني أنا أعترف أنني كنت وقحاً في المرة الماضية وها أنا ذا أتيت لأعتذر منك وأشكرك.

_ علي ماذا؟

_ لأنكِ حميتني ولم تشكيني لأرغوفان.

_لم أقم بحمايتك فقط لم أشأ أن أكون سبب في مشكلة بينك وبين أرغوفان وتفسد العلاقة بينه وأوزبرنجي.

_حقاً أنك فتاة لطيفة ألا يكفي أنك جميلة يا لهذا الأرغوفان المحظوظ.

لم يعجبها طريقة كلامه الوقحة لذا أرادت الخروج وقف أمامها قائلاً: ما الذي يعجبك بهذا أرغوفان؟

_المعذرة!؟

_فتاة صغيرة وجميلة ما الذي دفعها للزواج برجل يكبرها بأكثر من 15 عاماً وأرمل وله ولد مراهق أيضاً.

_هلا تبتعد من طريقي إذا سمحت... قالت بخوف.

_ما رأيك أن نعقد اتفاق بيننا يا ذات عيون البحر.

ما إن أكمل جملته ؛ حتى دُفع بقوة ليصطدم بالطاولة ، نظر بخوف خلفه ليجد ألتان وشرارة الغضب تتطاير من عينيه.

_ ما الذي تظن نفسك فاعله يا عديم الأخلاق؟... قال

فرد جسده بعدما تمالك ذلك الخوف الذي سيطر عليه لأنه ظن أن من دفعه أرغوفان قال:

_ لما قمت بدفعي بهذه الطريقة أيها الوقح ألسنت بصهرك؟

_ عديم شرف وأخلاق مثلك لا يناسب أن يكون صهراً لي أو لعائلتي... أنقض علي عنقه مكملاً... ليس التواجد بقربها بل إذا رأيتك تنتظر إليها بطرف عينك القذرة هذه مرة أخرى أقسم أنني سأسلمك لعمي كي يدفنك ولا أجعله يتعب يديه برجل قذر مثلك.

تدخلت جونول ممسكه بذراعه قائله: ألتان أرجوك أتركه لا تسبب مشكلة الآن.

_ دعيهم يعلمون بحقيقة هذا القدر وكيف أنه قد تحرش بكِ.

_ أرجوك أتركه أن سمع أونور بشيء الآن لن يكون خيراً لأحد... من فضلك دعه وشأنه.

تركه بدفعه نحو المخرج... لقد نجوت بشفاعتها أخرج أيها النتن وقل أنك تلقيت اتصالاً مهماً وغادر فوراً أن خرجت ورأيتك سأشرب من دمك.

_ ألتان... قال متوعداً... إياك أن تنسى هذا سأجعلك تندم عليه.

_ أذهب أيها الديوث كن رجلاً أولاً قبل أن تهدد.

خرج من المطبخ وهو يتوعد بالانتقام ، أستدار نحوها متسائلاً:

_ أنتِ بخير؟

_ لا بأس أنا بخير أشعر ببعض الرجفة في جسدي..

_ هذا بسبب التوتر أجلسي سوف أعطيك كوب ماء.

قال وهو يناولها الكوب: لا تخبري عمي عن ما حدث أن سمع بالأمر سوف يقيم القيامة.

_ أساساً كنت أفكر بنفس الأمر.

_ جيد... هل فعل شيء كهذا من قبل؟.

_ لا في المرة الماضية كان أرغوفان متواجد.

_ أن تجرأ علي تكرارها مرة أخرى أبلغيني إياك أن تبلي عني فهو لن يتردد في دفنه حياً.

_ حسناً فأنا لن أتسبب له بأي مشاكل طوال هذه الفترة.

_ ماذا تعني بهذه الفترة؟.

_ أقصد... توترت لأنها أدركت أنها قد زلت بالكلام... أليس أرغوفان مصاب لذا لا أريده أن يتعب نفسه... أعتذر فقد عكرت صفوك.

_ لا تعتذري أنتِ لم تقومي بشيء... حسناً دعينا ندخل.

جلس بمحاذتها وهي تقرأ، فلم تشعر به في البداية لانغماسها بالقراءة ، أعجبتة فكرة أن يشاهدها بينما تقرأ، وهو يقرأ تعابيرها في كل سطر تقرأه؛ كان يشعر بميل جامح نحوها، في تواجدتها تهيج جميع حواسه وتمتلئ روحه بالسعادة ، أن جونول تسعده وتفنته وتشعره بالدفء داخله، كانت هادئة ولطيفة ومرهفة الإحساس ، لا تشوبها شائبه كفاكهة تنتظر موسم قطافها ، طرأ علي باله جانير ودوره في قدر جونول، ما يمنعه عن الإفصاح بحبه لها لأنه يرى أنها لا تشاركه المشاعر ، بل خشى أن تصده ولم يشأ أن يجازف بكلمات حين تخرج لا يمكن محوها... نظرت إليه فجأة قالت بابتسامه:

_ أرغوفان منذ متى وأنت هنا لم أنتبه لك؟

_ لم أشأ مقاطعتك عندما رأيته متناغمة مع الكتاب.

_ أنه جميل... لقد أقترحه علي ألتان.

_ ألتان يحب قراءة الكتب كثيراً... منذ أن أتينا وأنتِ لا تقومين بشيء سوى القراءة لا بد أنكِ تشعرين بالملل؟

_ أنا معتادة علي المكوث بالمنزل طوال الوقت لذا ليست مشكلة وثم قراءتي للكتب تسلييني كثيراً.

_ ولأنكِ معتادة علي ذلك يجب علينا تغييره فما رأيك أن نخرج غداً لتناول الطعام ونتجول قليلاً في المدينة... إلي أين ترغبين بالذهاب؟

_ لا أعلم فأنا لم أزر المدينة من قبل.

_ حسناً إذاً سأكون دليلك السياحي غداً ما رأيك؟

_ عذراً هل قاطعتكما؟... قال ألتان بحماسة.

أعيدوا لي قلبي

_ ما الأمر؟!..سأل أرغوفان متعجباً.

_ نريد أن نذهب إلي السينما جميعنا معاً.

_ ماذا تقصد بجميعنا؟!.

_ ألا نقوم بالاجتماع كل نهاية الأسبوع نحن الأحفاد رفقة عمتي أوزي لذا اليوم قررنا أن نذهب إلي السينما بدلاً من البقاء بالبيت.

_ لم أفهم سبب حماسك هذا...وأيضاً لما أتيت هل تحتاجون إلي إذن أم ماذا؟

_ أنا متحمس لأجل شيء آخر لكن أتيت لأسأل جونول.

_ تسألني عن ماذا؟

_ هل ترغبين بالقدوم معنا فأنت لم تخرجي ولم تري المدينة منذ قدومك.

نظرت إلي أرغوفان الذي بدأ علي ملامحه الانزعاج قالت: لا داعي لا أريد أن أزعجكم.

_ لا علي العكس لن تزعجينا علي الإطلاق سنسعد بقدومك.

فهم أنها قد رفضت لأنه أقترح أن يتجولا غداً معاً في المدينة فقال: إذا كنتِ ترغبين بالذهاب فأذهبي يمكننا تغيير مخططنا.

_ هل تخططان لشيء ما؟...أضاف بتهكم...لو كنت أعلم لما أتيت.

_ لا الأمر ليس كذلك جونول حقاً يمكنك الذهاب.

_ حسناً لكن سنذهب إلي السينما ونعود لن نتأخر.

_ حسناً..قال والحماسة تملؤ صوته...سنأتي إلي هنا فور خروجنا من السينما.

غادرت جونول رفقة أحفاد بوزدا وأوزبرنجي ، وظل جالساً وحيداً في الحديقة ، محاولاً التخفيف من حده انزعاجه، لأنه كان يخطط لأن تكون السينما إحدى وجهتهما غداً ، كان يريد من خروجهما غداً أن يكون مميزاً كبداية تقربه منها ويحاول جعلها تشعر بالانجذاب الذي يشده نحوها.

تزامن وصولهم مع وصول ليفنت...ما الذي يفعله هذا هنا؟...قال ألتان بحده.

_ أنا أتصلت به وهل هناك مشكلة؟...قالت أوزبرنجي.

_ ظننت أن خروجنا سيكون ضمن إطار العائلة فقط.

_ هو من العائلة ما الذي تقوله؟...قالت بغضب.

أعيدوا لي قلبي

_ آسف عمتي لم أقصد... أنهى ألتان حديثه بالاعتذار ثم أتجه جانب جونول وقال بهمس...كوني قريبة مني وأحذر من هذا النتن.

_ مرحباً...قال عند وصوله...أرجو أن لا يكون تواجدي قد أزعج البعض منكم.
_ لا لم تزعجنا...قالت نيسان.

_ آه زوجة أخي أرغوفان هنا أيضاً غريب أن تأتي رفقة الشباب.

_ لماذا هل قدمها ممنوع؟...قال ألتان بغضب.

_ أهدأ يا رجل قصدت بسؤالي لما لم تأتي رفقة زوجها.

قالت بهار: أقترح أخي ألتان أن تأتي معنا لأنها لم تخرج إلي المدينة منذ قدمها من أزمير.

_ ألتان أقترح قلت...قال بابتسامة صفراء عريضة.

_ ألم أخبرك أن أخي متوذك هذه الأيام...أضافت أوزبرنجي...لذا أنت معنا بدل من قدمها إلي هنا رفقة أخي.

_ آه فهمت.

_ بما أنك فهمت...أضاف مارت بانزعاج من توتر الأجواء...دعونا ندخل قبل أن يبدأ الفيلم.

_ ماذا تفعل هنا وحيداً أين كنتنا?...قالت أوزغور.

_ لقد ذهبت مع أوزبرنجي والبقية إلي السينما.

أضافت بعد جلوسها...هذا الوجه لا يوحي علي أن صاحبه سيرتدي بذلة الزفاف بعد يومين.

_ صاحب هذا الوجه قد ارتدى بذلة العرس قبل تسعة عشر عاماً وسيمضي علي زواجه الثاني الشهر بعد غد.

_ إذا تقول أنك أصبحت منيعاً من التوتر قبل الزفاف.

_ شيء من هذا القبيل.

_ إذا ما الذي يزعجك?...لم يتكلم فأكملت...دعني أخمن أحداها أونور ابن خالة جونول صحيح؟

نظر لها بتعجب قائلاً: ما الذي خطر لك الآن؟

_ أخبرتنا أن عشاءك في منزل خالة جونول صاحبتة أجواء متوترة وبذهابنا إليهم أتضح أن سبب التوتر هو ابن السيدة زليخة وكلامه المستفز ولاحظت أيضاً كيف انزعجت اليوم من تحدث جونول إليه بهمس فقد بدى وكأنك ترغب ببتز الذراع التي كانت تمسكها وقطع تلك الأذن التي همست لها.

_ لم أكن أفكر هكذا حرفياً لكنك اقتربت من طريقة تفكيري.

_ يمكنني أن أخمن سبب همسها له.

قال باستهزاء: أطلعيني علي تخمينك أوزغور هولمز لنرى.

ضحكت قائله: سأبلعك هذا الاستهزاء بعد أن تسمعني... علي أي حال... أظن أنها قد طلبت منه أن لا يكون مستفزاً أو شيء من هذا القبيل ألم تلاحظ أن قدومهم قد مر بهدوء علي عكس اليوم الذي أتينا به إليهم.

صمت قليلاً وهو يفكر ثم قال: أعتقد أنك محقة.

_ أنها المرة الأولى التي أراك بها تغار.

أجاب وهو يدير وجهه عنها خجلاً.. من لا يغار فهو لا يجب

_ أوه... ضربته علي كتفه... خرج تصریح خطير من سيادة أرغوفان بوزدا.

صاح بها... توقفي عن هذا.

_ حسناً لا تغضب.

_ لم أغضب.

_ أعلم أنك خجلت أنظر وجهك أصبح أحمر اللون.

_ قلت لك توقفي... صاح بها.

_ حسناً... قالت باستسلام... إذاً ما الشيء الآخر الذي يزعجك؟

_ لقد مرت جونول بالكثير في حياتها... لذا هي ترفض الجميع... أريد أن أكون مرفأ الأمان لها... لكنني أخشى أنها لا ترى مرفأ.

_ من الواضح أنها ترفض الجميع لكنها لا تفعل هذا معك.

اعتدل في جلوسه قائلاً: كيف فهمتي هذا؟

_ ألم تلاحظ!! أن كنت لا ترى هذا فأنها لا تشعر بالأمان إلا بوجودك عندما تدخل علينا سواء في غرفة الجلوس أو في الصالون أول ما تبحث عنه عيناها أنت وإن لم تكن متواجداً تظل متوترة حتى قدومك... ربما ترانا نتحدث معها أنا نيسان ألتان وبهار إلا أن حديثها معك مختلف.

ماذا تعنين بمختلف؟

معنا نتحدث بحذر في كل كلمة أما إليك فتكون مرتاحة في الحديث بطريقة لطيفة.

بسبب طريقة الزواج التي انتهينا بها فأنا لا أعرف إذا ما كان الأمر بيدها هل كانت ستوافق علي الزواج بي يا ترى؟

أسألها فتلقي الإجابة منها مباشرة سيكون رائعاً... ساد الصمت لبعض الوقت بينهما ثم خرجت أوزغور عن صمتها قائلة: أن تكون القبول الوحيد لشخص يرفض الجميع مجرد التفكير بهذا يبعث الدفء داخل المرء... تصبح علي خير... أضافت أثناء نهوضها.

مضى أسبوع علي حفلة زفاف أرغوفان وجونول ، وبالبحاح كبير من جاهدة لم تكن الحفلة كبيرة ، ولم تضم من الضيوف سوى أفراد عائلة بوزدا والمقربين منهم ، بعد حفل الزفاف هذا خسر علي أشرف شراكته مع سليل أسرة جوهر ، لرفض تنفيذ أرغوفان ، للشرط الذي قد وضع للإتمام الشراكة ، عاد أرغوفان إلي عمله بالمكتب ، أستلم القضايا التي أجبر علي تركها لأوزبرنجي بسبب الإصابة.

رن هاتف أرغوفان عندما كانوا يتناولون طعام الفطور ، فانتبهت أوزغور إلي أنه لم يجب ونهض قائلاً:

هيا يا شباب لأوصلكم بطريقي.

لا داعي سنذهب بالباص... قال كليتش.

لا... أردف مارت معترضاً... كليتش بهار أنهضاً سيوصلنا أبي فأنا أكره الازدحام بالباص.

قالت أوزغور بعد أن رن هاتفه مجدداً: أرغوفان أجب ربما مكالمة مهمة؟.

لا ليست كذلك... حاول التملص مكملاً: هيا أنا في السيارة... أوزي سيكون لدي اجتماع مع موكل الآن سيأتي موكل آخر إلي المكتب أهتمي به حتى أنهي عملي.

حسناً.

بعد خروج أرغوفان نهضت أوزغور خلف أوزبرنجي والتي بدورها نهضت من الطاولة لتجهز للمغادرة... أوزي!!!

نعم أختي؟.

هل نادين عادت تحوم حول أرغوفان؟

أعيدوا لي قلبي

_ هي لم تترك ياقته حتى تعود.

_ ماذا ولما لم تخبريني؟

_ لم أكن أعلم بأنك تهتمين للأمر؟

_ المسألة ليست مسألة اهتمام أم من عدمه فهذه مسألة مبدأ هل ترضين أن يعمل ليفنت مع حبيبته السابقة ويبقى بجانبها طوال الوقت؟

_ بالتأكيد لا.

_ وأنا لا أَرْضَى هذا لجونول... إذاً هل تعتقدين أنها هي من كانت تتصل به؟

_ علي الأغلب لأنه لم يجب وأساساً هما يعملان علي قضية معاً.

_ إذاً هو ذاهب إليها الآن؟!!

_ أختي هو ذاهب للقاء موكل لا تنشري الشائعات عن أخي وتتسببين بمشكلة له مع جونول وسوف نحترق أنا وأنت.

_ هل تعلم تلك الوقحة أنه قد تزوج؟

_ أبي أنهى شراكته مع شقيقها الأكبر إذاً بالتأكيد قد أخبرها.

_ لن أصمت علي هذا الأمر.

_ ماذا ستفعلين هل ستخبرين جونول؟

_ لا يمكنني ذلك سيحرقني إذ علم أنني وشيت به.

_ عندما يأتين إلي المكتب أرسلني لي رساله.

_ ماذا ستفعلين؟

_ سترين... هيا أذهبي هون الله عملك.

_ شكراً أختي ولتكن غزوتك مباركة...أضافت باستهزاء.

_ سأجعلها غزوة وأرجو أن تكون مباركة...دخلت تحادث نفسها...أقسم بأنني سوف أجعلك تندم إذا ما أتضح أنك تتلاعب بذيلك من وراء زوجتك...يا أسفي عليك لديك زوجة مثل البلبل وتتنظر إلي شمطاء مثل نادين!.

عندما كانت تهم جونول للخروج نادت من خلفها: جونول هل تذهبين إلي مكان ما؟
...سألت أوزغور.

_ أجل أريد الذهاب إلي خالتي ثم سأمر بالمكتبة في طريقي.

أعيدوا لي قلبي

_ أتصلي بخالتك وأخبريها أنه قد طرأ أمر مهم وستذهبين لرؤيتها غداً.

_ لماذا؟

_ ستأتين معي لدينا أمر ما علينا حله سأخبرك في الطريق هيا.

_ لكن سلجوق في الخارج بانتظاري.

_ لا داعي سنذهب معاً.

ذهبت مع أوزغور وهي لا تدري إلي أين أو لماذا...إذاً أوز ألن تخبريني إلي أين نحن ذاهبتان؟

_ إلي مكان عمل أرغوفان.

_ ماذا؟..لماذا؟

_ بدون سبب أنتِ زوجة صاحب المكتب و عليكِ زيارته بين فينة وأخرى كما تعلمين أخي ذو شخصية جذابه ووسيم وأجزم أن كل فتاة في المكتب تتمنى لو ينظر إليها بطرف عين...لذا بذهابك الآن إلي هناك كأنك تقولين "هذا الرجل محجوز لي لذا سأقتلع عين كل واحدة تنظر إليه".

_ وهل يجب أن أقول هذا؟!!

_ عزيزتي لم أقل أنه عليكِ قول هذا قصدتها مجازياً...ثم أضافت بجدية أكثر... جونول ربما لا تفهمين لما أقوم بهذا لكن أنا لا يمكنني التفريط بك.

_ الآن لم أفهم أي شيء؟

_ لا تهتمي المهم سنصل قريباً كل ما عليكِ فعله أن تقولي لأرغوفان أنك تريدين الخروج معه لتناول الغداء في مطعم ما وأترك الباقي لي.

_ حسناً.

عند دخولهما إلي المكتب همست لها أوزغور: لا تقولي لأخي أنني أنا من أحضرتك أنا فقط أوصلتك لأنك لا تعرفين مكان عمله.

لم تفهم لما تفعل هذا ، وكانت تدرك أن بسؤالها لن تنال الإجابة قط ؛ لذا قررت القبول بكل ما تقوله، قبل أن تذهب بها إلي مكتب أرغوفان تجولت معها في كل أرجاء المكتب، لتعرفها علي من يعملون رففته، ثم توجهت بها إلي مكتب أرغوفان، كان منغمساً في العمل رفقة نادين ؛ عندما رأتهما أوزغور من خلال الزجاج قالت لجونول:

_ أدخلني ولا تنسي ما أخبرتك وإياك أن يعلم أخي بأني من جلبتك إلي هنا أقسم أنه

أعيدوا لي قلبي

سيقتلني.

_ هل لك أن تخبريني لما سيغضب منك إذا ما عرف؟

_ أنت قومي بما طلبت منك وأنا أعدك عند عودتكما في المساء سوف أجيب علي كل سؤال تطرحينه.

غادرت أوزغور وترددت الثانية في الدخول؛ لأنها تعلم أن حجة قدمها لتناول الغداء معه لن يصدقها، استجمعت شجاعته ودخلت قائله:

_ هون الله عملكما.

ارتسمت ابتسامه عريضة علي ثغره عندما رآها قال:

_ اهلاً بك جونول.

نظرت إليها نادين بازدرء لأنها فهمت من ملامحه التي انبعثت منها السعادة أنها زوجته فقالت بتعالي:

_ من هذه؟.

وقف بجانبها يلف يده علي خصرتها قائلاً بسعادة:

_ هذه زوجتي جونول... ثم أشار إلي نادين مكماً... وهذه نادين زميلة مهنة تعمل معي.

لم يعجبها وصف زميلة الذي أطلقه عليها قالت لوضع الشك بجوفها: آآه أرغو أيعقل أن أكون مجرد زميلة...ناولت يدها للمصافحة وأضافت...نادين جوهر.

_ اهلاً بك...أجابت جونول والانزعاج واضح بنبرة صوتها بسبب الحميمية التي قد تحدثت بها مع أرغوفان.

_ لكن ما سبب الزيارة؟...سألت.

قبل أن تجيب تذكرت ما قالته أوزغور وهما في الطريق إلي هنا ، فهمت ما كانت تقصده بقولها "بذهابك إلي هناك كأنك تقولين هذا الرجل محجوز لي لذا سأقتلع عين كل واحدة تنظر إليه"...قالت بحزم: لست بحاجة لسبب كي آتي إلي مكان عمل زوجي حين أرغب برويته.

_ أسعدني قدمك إلي مكتبي...قال أرغوفان وهو لا يدري كيف يحتوى سعادته التي كانت واضحة عليه.

_ أتيت لتناول الطعام معاً إذا كنت متفرغاً.

تعجب من رغبتها المفاجئة بالخروج للغداء ، فكما تجري العادة هو الذي كان يقترح

أعيدوا لي قلبي

خروجهما معاً ؛ وأندھش من طريقة تحدثها مع نادين ، فهذه التي بجانبه الآن ليست جونول الخجلة ، التي لا تقوى علي الرد بوجه أحد؛ لم يهتم لأي من هذه التساؤلات فمجرد قدمها ورغبتها بالخروج معه بعثت بداخله سعادة لم يعد يرى شيئاً غيرها أبتسم قائلاً:

_حتى وإن كنت مشغولاً سأترك عملي لأجلك...أجلسي قليلاً وسوف أوافيك ما إن أنهى عملي.

بعد انتظار لبعض من الوقت قال أرغوفان:

_جونول سأذهب لأنهي هذه الأوراق لدى أوزبرنجي ثم سنخرج.
_حسناً خذ راحتك.

خرج تاركاً نادين رفقة جونول، ولا يعلم أن نادين ترغب بنشر الشك داخلها، لتزعزع استقرار زواجهما بحسب ظنها ، قالت بعد جلوسها أمامها: إذاً منذ متى تعرفين أرغوفان؟

_لما تسألين؟

_أنا مقربة جداً منه ولم أسمع عنك إلا بعد زواجكما أليس أمر غريب.

_ربما لست مقربه لدرجه أن يخبرك عني؟

لم تكن من عادة جونول رد الجواب أو تحدي أي أحد ، لكن هذه المرة الأولى في حياتها تشعر برغبة في المواجهة والقتال من أجل شيء ما، أصابت نادين من منطقة حساسة فأرادت أن ترد الصاع صاعين قالت:

_لو كنت مهمة له ربما حدثني عنك ولكن أعتقد أن زواجكما جاء بدافع العناد ليس إلا.

_ما الذي تقولينه؟

_ألا تعلمين أن عمي علي أشرف كان يجهز لزواجه قبل أن يعلم بوجودك؟

_زواج أرغوفان؟!

_من أجل إنقاذ أعمال بوزدا قد تم التخطيط لزفاف أرغوفان.

_ولما لم يتم هذا الزواج؟

_أنت السبب في عدم إتمام هذا الزواج.

_متى كان مخططاً لهذا الزواج؟

_قبل أشهر وكان ليكون بعد شهرين.

تذكرت أن أرغوفان طلب أن ينفصلاً بعد 4 أشهر ، وأراد أن تبقى في أزمير كي لا تعرف عائلته بأمر زواجه ، فهمت أنها قد تسببت في تغيير جذري ، ليس بحياة أرغوفان بل أيضاً لأعمال علي أشرف ، شعرت بالغبطة والآسي لدخولها حياته بهذه الطريقة ؛ ولأنه أجبر علي الزواج منها والتخلي عن حياة قد خطط لها.

_ أين ذهبت السيدة التي كانت في مكنتي؟...سأل مساعده عند عودته.

_ لقد خرجت قبل قليل سيدي.

_ خرجت!...تذكر أنه عند خروجه قد ترك نادين في المكتب ، أغمض عينيه بشدة ، وفهم أنها قد قالت لها شيئاً أجبرها علي الرحيل...بعد خروجي هل بقيت الأنسة نادين رفقة السيدة؟

_ أجل سيدي ذهبت إلي مكنتها بعد مغادرة السيدة جونول مباشرة.

_ اللعنة...توجه إلي مكتب نادين دخل بغضب...ما الذي تفوهت به لجونول؟...
تكلمي؟

_ أرغو لما أنت غاضب؟

_ ما الذي دفع جونول للرحيل؟

_ تحدثت معها قليلاً وفجأة غادرت المكتب.

ضرب بيده علي الطاولة بغضب: ما الذي قلته لزوجتي؟.

_ الحقيقة...أنه كان مخططاً لزواجك.

_ ما كان هذا ليحدث...صاح بها...أخبرتكَ مراراً وتكراراً أنا وأنتِ لا يمكن أن نكون معاً... رغم كل ما فعلته تناسيت وجعلتكَ تكملين العمل هنا أقنعتي أبي بشكل ما ومع هذا وقفت بوجه أبي لأول مره في حياتي بسببك...ولا زلتِ تقفين في مكنتي وتعملين معي إلا يمكنك رد الجميل بأن تلتزمين الصمت أمام زوجتي؟.

_ زوجتي...زوجتي أنا وأنتِ ندرك أنك تزوجتها عناداً بي وبأبيك.

_ ليس كذلك...صاح بها...تزوجتها لأنني أردت هذا أدخلت هذه الحقيقة لعقلك السميك...أنا لم أتزوجها لا عناداً بكِ ولا بأبي...أنا وأنتِ كانت بيننا علاقة عابرة وانتهت بشكل سيئ لذا أرجوكِ توقفي عن هذه التفاهات التي تتفوهين بها وأحفظي ماء وجهك...خرج ضارباً الباب بقوة خلفه ، أتصل بجونول لكنها لم تجب ، أتصل بساجوق...نعم سيدي!

_ هل جونول معك؟

أعيدوا لي قلبي

_ لا سيدي ذهبت رفقة السيدة أوزغور.

_ ألم تكن أنت من أوصلها إلي المكتب؟

_ لا سيدي.

_ اللعنة يا أوزغور... قال وهو يرمي هاتفه علي الطاولة.

جالسه في الحديقة شاردة الذهن ، تدور برأسها العديد من الأسئلة وإجاباتها بحوزة أرغوفان؛ أفزعها من وضع علي كتفيها الشال فقال: أعتذر لقد أفزعتك.

_ لا بأس كنت شاردة الذهن.

_ في ماذا؟... قال بعد جلوسه... يمكنك مشاركتي بما يشغل تفكيرك إذا أردت ونفكر بحل له سوياً.

صمتت قليلاً قبل أن تقول: لقد أخبرتني بشيء في أول لقاء لنا.

_ أتقصد في حديقة المستشفى؟

_ لقد قلت لي "أنفصل مؤخراً عن حبيبته الثانية" هل كنت تقصد نادين؟

_ فهمت الآن... فرك رأسه ثم سأل... هل تشاجرتما بسبب نادين؟

_ هي حبيبته السابقة إذاً!!

_ أنا لم أقل هذا؟

_ لكنك لم تنكر.

صمت قليلاً ثم قال بشيء من الامتعاض: لم يبدو عليك قط أنك تغارين علي عمي؟

_ لا أغار عليه... أنا أتساءل لأحاول أن أفهم.

أبتسم قائلاً: هل حقاً لا تغارين عليه؟

_ لا.

_ لما تسألين عن نادين إذاً؟

_ سمعت بعض الأمور وأريد أن أفهم هل زوجي من أرغوفان تسبب بتغيير

مخططاته؟.

_ ماذا هل ستفصلين عنه إذا كان هذا صحيح... نظرت إليه باستسلام وتنهدت أبتسم

ابتسامه عريضة وقال: من الأفضل أن تسألني عمي؟

_ لا تريد إخباري؟ .. قالت وهي تنظر إلي عينيه.

أدار وجهه عنها وقال:

_ لا أدري لماذا لكن لا يمكنني التفريط بك... قال بعد صمت دام لبرهه... عمي ونادين كانا علي علاقه قبل سنة ولم تدم طويلاً لأن علاقتهم لم تكن جدية أرادت نادين أن يعرفها عمي إلي الأسرة علي أنها حبيبته أو علي الأقل أن يخبر مارت عنها ويخرجوا سوياً... بسبب رفض عمي للأمر في عيد رأس السنة أتت إلي الحفلة وعرفت نفسها علي أنها حبيبة عمي... انفصل عنها عمي بعد هذه الحادثة فتكررت زيارتها إلي جدي... أقتنع جدي بأن تكون نادين كنه للأسرة لكن عمي رفض بشدة... وقبل أشهر قليلة مرت الشركة بضائقة مالية فقررت أسرة جوهر أن تدعم عملنا بشرط أن تكون شراكه بين العائلتين بالنسب والمال... أمر جدي عمي بالزواج من نادين لكن كانت تلك المرة الأولى التي أرى بها عمي يتحدى جدي... بعد شجار كبير بينهما ترك عمي المنزل ولم يتواصل إلا مع مارت... حتى أتصل سلجوق ذلك اليوم وأخبرنا بأن عمي قد طعن.

مر بذاكرتها ما قالتها نادين "أعتقد أن زواجكما جاء بدافع العناد ليس إلا." شعرت بالاختناق فأضاف ألتان:

_ هل كان زواجنا عناداً بأبيه؟... هذا هو السؤال الذي يدور بذهنك صحيح؟

تتهدت وقالت: ليس هذا فقط بل أسئلة كثيرة.

_ قفي أمام عمي وسليه عن كل ما يزعجك؟

_ ثم ما الذي سيحدث؟

_ أن كانت إجابته مزعجة لك انفصل عنه ولا داعي لأن تعودي إلي أسرتك سافري بعيداً.

ابتسمت قائله: أحسدك دائماً علي إيجادك لحلول لا يمكن لغيرك التفكير بها.

_ وإن نفذت نصيحتي أخبريني كي أهرب معك فبال تأكيد إذا سمع عمي أنني أنا من نصحتك بالانفصال سيقتلني.

_ حسناً لكن إلي أين سنذهب؟

_ إلي إسبانيا بالتأكيد أصلاً ليس له رجال هناك.

تبادلا الضحكات ليقاطعهم صوته الداوودي: مساء الخير.

_ مساء الخير عمي.

_ مساء الخير... قالت دون أن تنظر إليه.

_دفعتني أصوات ضحكاتكما للقدوم إلي هنا فور قدومي يبدو انكما تستمتعان؟...قال
بامتنعاض.

_شيء من هذا القبيل...قال ألتان...أترككما الآن فلدي عمل كثير.

دخل ألتان وأغلق الباب خلفه ، مفسح لهما مجال للحديث بحرية ، جلس بجانبها.
_أتيت لنتناول طعام الغداء وعندما عدت لم أجدك ولا تجيبي علي اتصالي ظننت
أنك غاضبة مني وعندما أدخل من الباب تستقبلني ضحكاتك العالية مع ألتان ما الذي
يحدث؟

أنا أس...

_حباً بالله لا تعتذري أخبريني فقط ما الذي أز عجبك حتى غادرتي المكتب.

_أخبرتني نادين بأمر زواجك الذي كان مخططاً له.

_وهل هذا ما جعلك تغادرين؟

_لو لم يحدث أي مما حدث معنا هل كنت ستتزوج بها؟

_لا ولا يمكن لأي شيء أن يجبرني علي فعل ما لا أريد.

_إذاً هل تزوجت بي فقط عناداً بأبيك؟

_ماذا؟...جونول ما الذي أصاب رأسك أنت تعلمين لما تزوجنا!!!..

لكن...

_أسمعي ذلك اليوم كان مغشى عليك ولا تعلمين ما الذي حدث هناك عندما دخلت
ووجدت جمال الدين...صمت قليلاً ثم قال...بمجرد تذكري للأمر أستشيط غضباً..
أكمل....تدخلت بينكما دون تفكير حتى أنني اقترحت أن يتم عقد قيرانك علي ذلك
الشاب حقناً للدم...أضاف بشيء من الغضب...لو كنت تزوجتك عناداً بأبي هل
أقترح أمراً كهذا برأيك...علي أي حال...رفض والدك الحل كان يمكن أن أخرجك
من هناك رغماً عنهم جميعاً دون أن أتزوجك لكنني لم أشأ أن أكون سبباً في زهق
أرواح بريئة...عندما قبلتُ اقتراح والدك كان فقط لأجلك جونول لأجلك فقط وإذا
عاد الزمن سأعيد تكرار ما فعلت فأنا اليوم لست نادماً علي زواجي منك...بسبب
طريقة كلامه الواثقة أرتعش قلبها بقوة هذه المرة ، توترت حتى توردت وجنتيها ،
فضحك حتى ظهرت غمازاته وتقاسيم وجهه قال:

_تفكيرك بتناول طعام الغداء معاً أسعدتني...هل أوزغور من اقترحت الفكرة؟.

تذكرت ما ظلت تلح أوزغور عليه طوال الوقت...لا كنت أشعر بالملل أردت أن

أعيدوا لي قلبي

أتصل بك وأسألك كي نخرج وعندما رأيتها تستعد للخروج طلبت منها أن تقلني إلي مكتبك.

_ لكن سلجوق قال أنك كنت تريدين الذهاب إلي خالتك؟

_ هذا صحيح لكنها أتصلت بي وطلبت أن أتي إليها غداً.

_ بالمناسبة... أعجبنى ردك علي نادين أنها المرة الأولى التي أراك بها تردين جواباً لأحدهم دون أن تعتذري لقد كنت فخوراً بك.

_ لا تبالغ إذا أردت.

ضحك قائلاً: والله أنا أتحدث بجدية.

_ لقد كانت مستفزة بتصرفها..

عادت ابتسامته إلي ثغره قال: ما الذي أستفرك بكلامها؟

قالت بتهكم: عندما نادتك أرغو هل يعقل أن تنادي مديرها بالعمل هكذا... ثم أضافت بغضب... لو اشتريت كلب لن أطلق عليه أسم أرغو حتى...

_ فهمت... كانت السعادة تغمر قلبه مجرد انزعاجها وغضبها من تصرفات نادين ما هي إلا علامات مبشرة له... أضاف... لكنني لست مديرها بالعمل بل هي شريكتي.

_ ماذا؟... أضافت بتهكم... إذاً لا يمكنك إخراجها من المكتب علي الإطلاق علي هذا النحو؟

_ لما علي إخراجها؟

_ وهل ستواصل عملك مع حبيبتك السابقة؟

_ لا مشكله لدي لكن أن كانت تزعجك يمكنني فسخ الشراكة معها أو أرسلها للعمل في مكتب أنقرة.

_ ما شأنني لتزعجني.

فرك رأسه وقال: لما إذاً تتحدثين دون النظر إلي وجهي منذ وصولي.

_ ما شأن هذا بهذا؟

_ أنتِ تمتنعين عن النظر إلي بحالتين أما أنك تخفين أمراً كما فعلت في الفندق عندما سألتك عن ما دار بينك وبين والدك أو أنك تعاتبيني بعدم النظر إلي كما هو حالك الآن؟

نظرت إليه لتؤكد له أنها غير منزعه منه وقالت: أنا لا أعاتبك علي شيء... نهضت مكمله... هيا دعنا ندخل الجو أصبح بارداً.

بعد دخولها فرد جسده علي المقعد قائلاً: كيف لعينيها أن تأسرنني فور رؤيتها... ثم ضحك مضيفاً... وتظن أنني تزوجت بها كناية بأبي!... آه يا جونول.

عند توجهها إلي الغرفة نادتها أوزغور... تعالي إلي هنا... تبعت أوزغور إلي غرفتها قالت بعد أن جلستا فوق السرير... أخبريني لأرى هل تناولت الغداء رفقة أخي؟
_ أوزغور بيننا اتفاق أنتِ عليكِ أن تجيبي علي كل أسألتني أولاً.

_ آه ظننتكِ نسيت... علي أي حال هيا أسألي ما تشائين؟

_ هل أخذتني إلي هناك لأجل نادين؟

_ إذا عرفتِ بالأمر؟

_ كانت تتحدث معه بحميمية لذا فهمت الأمر.

_ تلك الوقحة وأنتِ ألم تلزميها الحد؟

_ "هذا الرجل محجوز لي لذا سأقتلع عين كل واحدة تنظر إليه" هذا ما فعلته حرفياً... لكنني خسرت المواجهة.

_ ماذا لما؟

_ كانت لتتزوج بأرغوفان لو لم أظهر بحياته أليس هذا صحيح؟.

_ إيالكِ أن تصدقيها... قالت بانفعال... ما كان أخي ليتزوج بها.

_ لكن ألم يكونا بعلاقة عاطفية سابقاً.

_ هل هي من قالت ذلك؟

_ لا أخبرني ألتان.

_ ماذا؟... ذلك الأحمق... وماذا قال لكِ أيضاً؟

_ أخبرني كل شيء منذ أن كانت بينهما علاقة وحتى انتهت وهو من أخبرني أن هي من أراد أبي علي أشرف أن تكون الكنه لكم.

_ يا له من ثرثار.

قالت بهدوء... هل علمتِ أنهما معاً ولهذا أرسلتني إلي هناك لتريني ما يحدث ولكي لا يغضب أرغوفان أصرتِ علي عدم إخباري له أنكِ أنتِ من أحضرتني.

_ لا... أقسم لكِ أن شيئاً من هذا لم يحدث... قالت بانفعال وهي تمسك بيديها... كل ما في الأمر علمت من أوزبرنجي أنهما يعملان علي قضية معاً أخذتكِ إلي هناك لأريها

أعيدوا لي قلبي

أن أرغوفان لن ينظر إليها وزوجته امرأة جميلة مثلك وأنني طلبت منك عدم إخبار أخي بشيء لأنه أن علم أنني أقوم بفتنك عليه سيحرقني فأنت تعلمين أنك لا تهوني عليه صحيح.

_أجل... قالت بشرود.

_جونول... قالت برهبة... أعلم أنك دائمة الهدوء لكن هدوئك هذا يخيفني برأي تحدثني إلي أخي أولاً ودعيه يخبرك بكل شيء فأنا متأكدة أن سبب شجاره مع أبي ورفضه للزواج من تلك الشمطاء لأنه يحبك وهو ما دفعه للزواج منك.

ربتت علي يدها وهي تبتسم... لا تقلقي تحدثت إلي أرغوفان وقد حللنا كل شيء.

تنفست الصعداء قائله: ظننت أنني قد تسببت بمشكلة بينكما.

نهضت قائله: لا تقلقي تصبحين علي خير.

كان ليفنت ضيفاً للأسرة علي العشاء، وألتان يراقبه طوال الوقت ممتعضاً من قدومه؛ أما جونول فقد كانت متوترة بشدة ولم تتحرك بعيداً عن أنظار الأسرة، خوفاً من تريبص ليفنت بها، بعد العشاء جلست الأسرة مجتمعين؛ لكن أرغوفان وأوزبرنجي قد ذهبا إلي المكتب من أجل أمر يخص موكل ما، وترت نظرات ليفنت الدنيئة جونول، اضطرت علي أثرها مغادرة السهرة، وبحجه أنها متعبه سعدت إلي غرفتها؛ لكن انزعاجها وعدم ارتياحها لم يغيبا عن أنظار ألتان الذي أمتلاً غضباً وغلاً اتجاه ليفنت، بعد وقت عادا أرغوفان وأوزبرنجي إلي الصالون: أين جونول؟.. بسأل أرغوفان.

_لقد سعدت قالت أنها تشعر بالتعب... أجابت خديجة.

_عن إذنكم سوف أصعد لرؤيتها.

_جونول!!.. قال قبل دخوله.

_أرغوفان تعال... وجدها تجلس جوار النافذة تنظر للسماء.. هل أنت بخير؟.

_أجل لماذا؟.

_ألم تقولي لهم بالأسفل أنك متعبه؟.

_شعرت بقليل من الضيق فأردت أن أصعد لأرتاح.

_ألا ترتاحين بالاختلاط بأسرتي؟

_علي العكس أرتاح كثيراً حتى أنني علي وفاق مع الجميع باستثناء جاهدة طبعاً.

أعيدوا لي قلبي

_ لأكون أنا علي وفاق معها أولاً.. تبادلا الضحكات ثم سأل: أصبحت تقضين وقتك مع أوزي والبقية خلال نهاية الأسبوع.

_ أجل ألتان وبهار يصران علي لعبي معهم مع أنني أجعلهم يخسرون دائماً.

_ الفكرة في الاستمتاع لا في الفوز.

_ هذا صحيح.

_ أرى أنك مقربة كثيراً من ألتان؟

_ أجل أعتقد لأننا بأعمار متقاربة هو السبب أيضاً كان لي صديق في الماضي ألتان يذكرني به.

_ لم أكن أعلم أنه لك أصدقاء شباب؟.. قال بانزعاج.

_ أنه صديقي الوحيد أعني الشاب الوحيد الذي أعرفه تعرفت عليه عندما كنت أدرس وهكذا أصبحنا أصدقاء.

_ لم أكن أعلم أن لك أصدقاء فأنت ترفضين قبول الجميع ولهذا استغربت قليلاً.

_ ليسوا أصدقاء بالمعنى الحرفي فصديقاتي كنت أقضي وقتي معهن فقط أثناء دراستي ثم انتهت تلك الصداقة بانتهاء الجامعة.. لكن ذلك الصديق ظللت أتواصل معه لأنه هو من كان يجلب لي الكتب كل مره أخرج بها.

_ وألتان هو الصديق الجديد؟.

_ يمكنك القول وأيضاً أتشارك معه الكثير.

_ جلس بمحاذتها وهو يضم يديه إلي صدره ، دفعها بكتفه دفعه بسيطة مماًزحاً اياها... أنا أتشارك معك أشياء أكثر منه أليس من الأجدر أن أكون أنا أفضل أصدقائك.

_ لكنك أكثر من صديق... قالت بشرود.

_ أتسعت حدقتا عيناه، وانتشرت السعادة في وجهه، لم تظهر ابتسامته علي ثغره، لكنها انبتقت من عينيه، وهو ينظر إليها غارقاً بنبضات قلبه المتسارعة، انتبهت أنها أخطأت القول ، نظرت إليه لتصحح خطأها ؛ لكن النظرة التي كانت تعتلي وجهه وتلك السعادة المغمور بها ألزمتها الصمت ، اختلطت نبضات قلبها بأصوات نبضات قلبه، لتشكل لحناً موسيقياً لم يخلق إلا من أجلهما، تسأل وهو غارق ببحر عيناها.

_ من أكون إذاً؟.

_ نهضت بحركة سريعة مبتعدة عنه ، ارتفعت حرارتها من شدة التوتر قالت مبررة: قصدت أنك... ألم تقل أننا نتشارك الكثير... أعني ونحن نعرف بعضنا منذ وقت...

كانت تراوغ بالكلام حتى تجد الوصف المناسب له ، وكي تتلافى لحظه شرود قد أوقعتها فقال:

_جونول من أنا بالنسبة لك أعتقد أنه سؤال بسيط.

_أجل...تكون إذا!...رفيق دربي...أجل رفيق درب.

لم يتكلم وأكتفى بالنظر إليها وعلي وجهه تلك النظرة التي لا تخفي ما بداخله من مشاعر.

وصلته رسالة نصية "بعد دقيقة أخرج إلي الحديقة أرغب بالتحدث معك" ، بعد استلامه الرسالة أعتذر متحججاً بإجراء اتصال مهم ، خرج إلي الحديقة وبعد وقت ليس بطويل جاءه ألتان فقال ممتعضاً: ماذا تفعل هنا يا هذا؟.

_أعلم أنك في انتظار عمتي لكن مع الأسف هي نفسها لا تعلم بأمر الرسالة.

_ما الذي تعنيه?...قال بتعجب.

_أنا أرسلت لك رسالة من هاتف عمتي حتى أخرجك إلي هنا.

_وما الذي تقصده بهذه الحركة؟

توجه نحوه دون أن يدرك وبحركة سريعة طرحه أرضاً ، انحط عليه وإنهال عليه بالضرب قائلاً: أخبرتك إذا ما نظرت...لها بطرف عينك القدرة هذه سأقتلك...بعد صراع بينهما أستطاع ليفنت النجاة من بين يدي ألتان قال وهو يلهث ويمسح الدماء من وجهه...أتظن أنك أشرف مني علي الأقل أنا لم أضع عيني علي شرف عمي.

_ما الذي تقوله أيها الديوث?...قال بصدمه.

_من سيصدق أنك تترصدني لحمايه زوجه عمك إذا كنت حقاً تريد حمايتها مني كان عليك إخبار عمك لكنك تعلم جيداً كما أعلم أنك تغار عليها مني فحبك لها واضح للعيان أيها الحفيد الشريف ذو الأخلاق العالية.

عاد ألتان لضربه ، لكن هذه المرة قد فقد نفسه ، ولم ينتبه إلي أنه كاد أن يقتله بين يديه ، أيقظه ليفنت علي حقيقة كان يخبئها حتى على نفسه ، في اللحظات الأخيرة أنقذه شاهين من بين يدي ألتان الذي جن جنونه قال:

_أرموا هذا الوغد خارج البيت وأنا سأتكفل بإخبار جدي.

_كما تأمر سيد ألتان.

بقي ألتان في الخارج حتى هدأ ، رتب نفسه ثم عاد للداخل.

أعيدوا لي قلبي

_ ألتان... قالت أوزبرنجي: هل رأيت ليفنت؟

أجاب دون أن ينظر إليها... رأيته يغادر منذ وقت قال "أنه قد طراً له عمل".

_ حسناً عزيزي شكراً لك.

توجه نحو الصالون ليجد به أوزغور خديجة وبهار كذلك كليتش وجاهدة قال:

_ أين البقية؟.

_ أبي وأبيك ذهبا إلي المكتب وعمك سعد ليرتاح فليده عمل غداً... قالت أوزغور.

_ أدخل... قال علي أشرف بعد أن طرق الباب.

دخل عليهم ألتان قال: أبي جدي هل أنتما متفرغان لتحدث.

_ تعال يا بني... قال علي أشرف

جلس ألتان ويبدو عليه التوتر فأضاف ارطارول بقلق... بني هل أنت بخير؟

_ أجل فقط ما أريد أن أخبركم به أريده أن يظل بين ثلاثتنا فقط.

_ بخصوص ماذا تريد الحديث؟

_ ذلك الوقح ليفنت.

_ ماذا فعل هذه المرة؟... قال علي أشرف بيأس.

_ لقد... وجد صعوبة في اختيار الكلمة التي تخفف من وطأة الموقف ثم قال: أنه

يقوم بمضايقة زوجه عمي جونول.

_ ماذا؟... قال ارطارول... بني هذا كلام خطير.

_ أعلم هذا لذا طلبت منكما أن يظل الأمر بيننا.

_ متى حدث هذا؟.. سأل علي أشرف والغضب بادي علي وجهه.

_ في المرة الأولى التي رأته يضايقها عندما أتت السيدة زليخة وأونور إلي هنا

هددته بإخبار عمي وقمت بطرده من المنزل لكن جونول منعتني من أخبار عمي

لأنه كان لا يزال مصاباً ذلك اليوم وقد خشيت أن يتهور بتصرفه

_ لقد أحسنت التصرف... أضاف علي أشرف... والثانية؟

_ ذهبنا إلي السينما قبل حفلة زفاف عمي بيومين جاء بناء علي طلب عمتي وهناك

وقفت له بالمرصاد أما اليوم فسبب صعود جونول المبكر كان بسببه قد أزعجها

بنظراته البذيئة أرسلت للقائه في الحديقة ولقنته درساً لن ينساه وقد طلبت من شاهين

أعيدوا لي قلبي

رميه إلي خارج البيت.

ولما لم تخبر جونول أرغوفان بالأمر؟...سأل ارطارول.

أنا من طلبت منها أن لا تدخل عمي بالأمر وأنتي سأتكفل بالأمر إذا ما تمادى.

واليوم تمادى كان عليك إخبار عمك...قال علي أشرف بإصرار.

لم أستطع فذلك الوغد قال كلاماً سخيفاً منه سيجر الفتنة بيني وبين عمي.

ماذا قال؟

جعل مني عديم شرف...قال أنه سيخبر عمي أنني...أضع عيني علي زوجته.

عديم الشرف...قال ارطارول بغضب.

قال هذا الكلام كي تخاف ويجبرك علي الصمت...أضاف علي أشرف...لكن من

الجيد أنك أتيت إلينا دع هذا الأمر لي.

حسناً جدي.

يمكنكما الخروج.

بعد خروجهما أجرى اتصالاً.. أنا في مكثبي تعال حالياً.

سيدي علي أشرف...قال شاهين عند دخوله.

تعال لدينا عمل مؤجل علينا حله جذرياً.

هل بخصوص السيد ليفنت سيدي؟

أجل...كيف وضعه؟

سيكون بخير تسبب له السيد ألتان بكدمات ستزول خلال أسبوعين أو أقل وأعتقد

أنه لا يوجد ضرر كبير.

جيد فلتسلم يدا حفيدي...علي أي حال...حين جاء هذا الوغد لطلب يد أبنتي وعدتني

إذا ما عاد للشرب والسهر في الملاهي الليلية ستنتسى أمره ولن تدعه يدخل من هذا

الباب مجدداً.

إذاً سيدي بماذا تأمر؟

سيذهب هذا الوغد إلي إحدى هذه الأماكن الليلية وسيشرب كثيراً لا أدري ما نوع

الفيديو أو الخبر الذي سينتشر لكن أريد لأبنتي أن تأتيني وتقول أنها انفصلت عن

هذا التافه.

وإن لم يفلح هذا الأمر؟

أعيدوا لي قلبي

_ أرجو أن يفلح فأنا لست علي استعداد أن أكون سبب حزن أبنتي.
_ حسناً سيدي سأجعله يفلح بأذن الله... عن أذنك.

جلست بعيداً عنه ، بينما هو غارق بأوراق قضيته الجديدة فقالت:
_ أرغوفان!..

همم... قال بشرود.

_ هل وصلك أي خبر عن أبي وأخي؟.

ترك الأوراق من يده وقال: أجل أعذريني لقد نسيت وسط جلبت العمل... جمال الدين قد أجرى عملية ونجحت قال الطبيب أنه سيعود للمشي لكن لا يمكنه البقاء دون عكاز... أما شاه ميران إصابته كانت خطيرة وقد تسببت له بإعاقة دائمة... لم تتهاون تلك الدموع في السقوط.. تسأل: أيعقل أن تبكي عليهما بعد كل ما فعلاه بك؟.

_ أنا مدركة لما هم يكرهونني ولا ألوم عليهم بل أعطيهم الحق.

_ بماذا؟... قال بتعجب.

_ أبي أحب شيئاً واحداً غير المال وهي أمي قالوا أنه أحبها بجنون وأنا من سلبته الشخص الوحيد الذي أحبه.

_ لكن هذا غير مبرر أنت لا شأن لك بموت والدتك.

_ لو قبلت بإجهاضي لاستطاعت إجراء العملية ونجت لكنها أصرت علي إنجابي لأن الطبيب أخبرها أن بعد العملية لن يكون بإمكانها أن تتجب ثانية ولأنها تعلم أن الجنين يبطنها فتاة رفضت... قال لي جدي " عيشي حياتك بسعادة وتمسك بها وقاتلي فأنت حلم سونجول وروحها".

_ ولهذا السبب كان علي والدك أن يحميك ويحتويك ما تبقى من حياته فإذا أحب والدتك حقاً لحافظ علي حلمها وروحها.

_ علي أي حال... قالت لتغير الموضوع... لم أشأ أن أسألك لكنك لم تخبرني بأي شيء حول قضية صالح.

_ لأنني لا أعلم عنها شيء فبعد زيارتك له ألغى توكيله لي.

_ ولا تعلم عنه أي شيء؟!!

_ كنت لأتابع قضيته حتى ولو لم أكن محامية لكن الكلام الذي قاله عني في السجن كان ثقیلاً جداً.

_ كان غاضباً وهو لا يدرك ما الذي يقوله عندما يغضب.

_ جونول أعلم أنك تحاولين التبرير له لكن صالح لم يكن موكلي منذ يوم أو يومين أنه يعرفني منذ عشر سنين أيعقل أنه لا يعرف من أنا... وثقت به وصدقت أنه بريء رغم كل شيء وهو يتهمني باطلاً دون أن يسمع أي مبررات.

_ لكنني... قالت بتردد... لم أخبره بشيء.

_ ما الذي تعنيه؟

_ لم أخبره عن ما حدث معي ولماذا تزوجنا؟

_ فهمت... قال وهو يفكر.

سألت: هل غضبت مني؟..

قال بشروء: لا يمكنني الغضب منك حتى لو أردت... أضاف... هل هذا ما طلبه منك والدك تلك الليلة.

_ أجل طلب أن أترك ياقة صالح لأنه بسببي لم يعيش الحياة التي يريد وقال أنه يجب أن أقنعه أنني تزوجت بإرادتي وألا أخبره بما حدث ذلك اليوم.

_ فهمت... عاد لصمته وهو يفكر بما طلبه الشاه ميران حاول أن يفهم لما فعل هذا قال: إذا أردت يمكنني أن أستطلع عن وضعه سأرسل أحد رجالي إلي تشكورفا ونرى.

_ لا دعه يعيش حياته من دوني كنت سبباً لكل مشاكله يكفي أنني عشت عالية عليه... وأنت لديك الكثير من العمل ولا أريد أن أكون عبئاً إضافياً عليك.

أبتسم مضيئاً وهو يسبح بزرقه عيناها: أن كنت ترين نفسك عبئاً علي فلن أعارض... لأن كلامك صحيح أنتِ عبء علي... صدمت من كلامه ظلت تنظر في عينيه التي لم ترجف أثناء قوله لهذه الكلمات القاسية التي لم تعهدها عليه منذ أن عرفتة أكمل... وليس كأني عبء أنتِ العبء الوحيد بحياتي الذي أتمنى أن يظل معي إلي آخر العمر... توردت خجلاً وعقد لسانها ولم تجد ما تقول ، ضحك بدوره وعاد إلي عمله وكأنه لم يقل أي شيء.

بعد ذهاب كل واحد إلي عمله أو دراسته ، لم يبقى بالمنزل سوى خديجه وجونول ، غادرت جايدة إلي الجمعية ، اليوم لم يكن صباحاً عادياً فقد كان التوتر والاضطراب هو الجو السائد علي المائدة ، بعدما أخبرهم علي أشرف بأن أوزبرنجي انفصلت عن خطيبها ليفنت بسبب ما نشر عنه ، جاءت الخادمة وقالت:

_ سيدة جونول السيد علي أشرف يطلب رؤيتك؟

_ ماذا؟... رؤيتي؟!.. قالت بتوتر... ألم يغادر أبي علي أشرف؟

_ لا يرغب بالعمل في المنزل... أجابت خديجة.

_ لما يريد رؤيتي إذاً؟... سألت جونول بخوف.

_ إهدائي لا تقلقي ربما يرغب بالتحدث معك عن شيء ما؟.

دخلت إلي مكتبه وبرأسها ألف فكرة وسؤال ، هل علم بشأن حقيقة زواجي بأرغوفان ، أم علم بقصة جانير ، أم أن أحد أخوتي قد جاء إليه... جلست ويدها ترتعشان قالت: أبي علي أشرف قيل لي أنك طلبت رؤيتي؟

_ أجل يا أبنتي منذ أن أصبحت كنة لهذه العائلة لم نجلس أنا وأنتِ علي انفراد ونتحدث بحرية.

_ هذا صحيح لكن هل فعلت شيئاً قد أغضبك؟.

_ هل يجب أن أكون غاضباً منك حتى أتكلم معك؟!!

_ لا بالطبع لا داعي.

_ كيف حالك؟... ليلة أمس قلت بأنك متعبه.

_ بخير الحمدلله... كنت أحتاج للراحة علي الأغلب أصبحت بخير بعد أن استلقيت قليلاً.

_ الحمدلله... ما أخبار أبنني معك هل يزجك بشيء؟

_ لا علي العكس أنه يفعل كل شيء حتى أستطيع التأقلم معكم بسرعه.

_ جيد أبلغيني أن أخطأ معك بشيء.

_ لا أظن أنه سيفعل لكن حسناً.

_ جونول أبننتي!!

_ نعم أبي علي أشرف.

_ أنا أقول لك أبننتي وأنتِ تتناديني بأبي... هذه ليست مجرد ألقاب ننادي بعضها بها... عندما قلت لك أبننتي وأعطيتك يدي لتقبليها لأنك أبننتي ولا فرق لك عن من خرجت من صلبني لذا أريدك أن تفعلي المثل... لقد أخبرني أرغوفان عن عائلتك قليلاً... وربما لم يكن والدك مثلاً يحتذى به لكن أنا لست أباك... أنا أحمي جميع أفراد عائلتي وأقف خلف أخطأهم وإنجازاتهم ولا أترك أحداً دون رعاية مني... لذا يا أبننتي بالمختصر ليس فقط أبنني بل كل شخص يخطئ بحقك من العائلة أو من خارجها

أعيدوا لي قلبي

فأنتِ لكِ أب هنا اسمه علي أشرف ستأتين إلي وتشكي لي همك كيفما كان ومهما كان أنا سأحله دون مشاكل.

_ أدامك الله لنا يا أبي.

_ لقد حلت أمر عديم الشرف ليفنت من جذوره... نظرت إليه بدهشه فأضاف... عدم إخبارك لزوجك كان قراراً حكيماً لكن صمتك عن الأمر كان خطأ جسيماً... لكن يا أبي... أدرك تماماً ما كنتِ تحاولين القيام به تفكيركِ بشمل الأسرة قد جعلك تكبرين في نظري لكن... لا يجوز الصمت عن الخطأ كيفما كان... لن تتحلمي علي نفسك من أجل أي شيء أنتِ لست وحيدة... نحن عائلتك بعد الآن والعائلة لن تظل عائلة أن تحامل كل شخص وحده أو عانى وحده أن كنتِ ستشكين من شيء سنشكو معك وإن تألمتِ سنتألم معك لا قدر الله طبعاً.

دمعت عيناها دون أن تدرك ، كانت هذه المرة الأولى التي توبخ بها لأنها لم تشكو ، المرة الأولى التي يهتم أحد لما يزعجها ويجد لها حلاً ، ويهتم للدمعة التي سقطت من عيناها ، والمرة الأولى التي تسمع بها "أنتِ لست وحيدة" ، ربت علي يدها قائلاً:

_ لا تبكي لا أدري ما الذي مررت به لكن أنتِ لم تعودي وحدك الآن ولم تعودي مجبره علي تحمل ما لا ترغبين به...أمسحي دموعك الآن ودعيني أتحدث إليك حول الأمر الذي أرسلت بطلبك لأجله.

بعد أن هدأت قالت: تفضل...

_ علمت أنكِ قد تخرجتِ الأولى علي دفعتك في الجامعة وكانت الأطروحة التي قدمتها من أجل مشروعك استثنائية.

_ أجل صحيح!.

_ إذاً ما رأيك بالعمل معنا في الشركة؟

_ حقاً!!! قالت بحماسة.

_ أجل لكن لن تكون لكِ أي امتيازات كونكِ كنتي.

_ بالطبع لن أرضى بأي تنازل.

_ إذاً إبدائي بأطروحة تقديمها للجنة الموارد البشرية الأسبوع القادم.

_ هل تتحدث بجدية يا أبي؟

_ وهل يبدو أنني أمزح؟

نهضت بفرحه عارمة احتضنته وقبلت يده خرجت لتزف الخبر إلي خديجة.

طرق باب المكتب فقال: تفضل...

أخي هل أنت متفرغ قليلاً؟

تعال أصلاً.

بعد دخوله قال: وصل خبر من أحد رجال سلجوق بتشكورفا... هنالك شخص يجمع المعلومات عن عائلة ديمير ويخص بأسئلته جونول.

ومن يكون؟

_حتى الآن نمتلك أسمه أنه صحفي واضح أنه قد أستؤجر من قبل شخص ما... لقد أخبرت الشباب وسيكون بين أيديهم بعد وقت وسنعلم من أرسله لكنني أردت أن أعلمك.

لا تهمل الأمر بما أنه صحفي إذاً أما أحد أفراد أسرتي أو السيدة زليخة قد أستأجره.

ولما تشك بها؟

_هي لم تستلظني منذ أن رأيتي مهما أدعت عكس هذا وتحاول إقناع جونول أنها غير مجبرة بالبقاء معي.

وهل ترى أن لها تأثير عليها؟

_أنا لم أقم بكل هذا لتكون خالتها عائقاً لي سنرى إذا كانت هي خلف هذا الأمر فسوف أتصرف بطريقتي.

_كما تريد سوف أوافيك بالأخبار فور وصولها.

_حسناً يمكنك الخروج.

تشاهد تساقط أولى قطرات مطر الشتاء ، من خلال زجاج باب الحديقة ؛ قاطع صوت ألتان انسجامها مع المشهد...تهانينا!..

شكراً هل سمعت بالخبر إذاً؟

_أجل أخبرني أبي قد فرحت جداً عند سماعي بالنبأ لأنك ستعملين رفقتي علي ما أظن.

أنت تعمل بقسم المعماري لكنني في قسم تصميم الديكور؟

_ماذا؟!..قال بتهكم...لسنا بنفس موقع العمل إذا...ستعملين عند أبي إذا.

أعيدوا لي قلبي

_ لا تقل ستعملين أنا لم أبدأ بمشروعي بعد.

_ لا تقلقي ستحظين بموافقة فورية من رئيس قسم الموارد البشرية.

_ لما هذا؟

_ لأن الرئيس عمتي أوزغور.

_ والله السيد علي أشرف قد نطق بالحكم وقال أن لا امتياز لي.

_ مع هذا أنا واثق من نجاحك.

_ وكيف هذا؟

_ لست خائفة أو متوترة حتى وأرى ثقتك العالية بنفسك وأنا أثق بما أراه.

_ سلمت...مرت بهما لحظة صمت تراقب بها تساقط المطر ، ينظر تارة إلي تساقط

المطر وتارة عليها ، قالت بشرود: شكراً...

_ علي ماذا؟

_ أعلم أنك أنت من أخبر أبي علي أشرف بخصوص ذلك الأمر.

_ آها ذلك الأمر... رأيت أنه من الحكمة أن يعلم جدي بهذا الأمر هل قال لك شيء؟

_ أجل "لقد حللت أمر عديم الشرف من جذوره" هكذا قال.

_ من الجيد أنه قد تدخل.

_ حقاً من الجيد أنه قد تدخل ومن الجيد أنك موجود.

توتر ثم قال وعلي محياه ابتسامة كبيرة...كل ما احتجت إلي شيء أنا موجود دائماً

بجانبك اياك أن تترددي.

_ شكراً لك..

قال بتهكم: توقفي عن شكري كل مرة لا يوجد بيننا شكراً بعد الآن...

_ لكن...

قاطع كلامها... لا اعتراض لن تشكريني علي أي شيء بعد اليوم.

_ حسناً كما تشاء..

عادت إلي صمتها ومرآبتها للمطر ، لم يبعد نظره عنها ، كان يتجاهل هذه المشاعر

التي تتأكل من داخله ؛ طوال هذه المدة ، لكن مذ فجر ليفنت تلك الكلمات بوجهه ،

لم يعد يستطيع كبح جماح صبوة قلبه ، مدركاً تماماً أنه يكن المشاعر للشخص الخطأ

، لكن لم يكن لديه أي قوة تدفع بهذا الحب عن باب فؤاده ، قال بشرود:

_ أنا أتسأل دائماً... نظرت إليه بتعجب... كم تأذيت حتى أصبحت بهذا الهدوء؟
_ لم تجب وأكتفت برسم ابتسامه طفيفة علي ثغرها وعادت للنظر إلي تساقط المطر
بنظرة يغمرها الحزن.

كانت تراقب من بعيد تصرفات ألتان الغير مبررة ، ابتسامته العريضة اضطرابه ،
حتى وقفته المليئة بالتوتر، نظراته إلي جونول ؛ فقالت لكليتش ومارت:

_ ألا تلاحظان تواجد ألتان طوال الوقت بالقرب من أختي جونول؟!..

لم يبالي مارت أو يرفع نظره عن الهاتف ، أما كليتش أجاب وهو شارد بمتابعة
مسلسله...هما من نفس العمر تقريباً وإن يكونا مقربين أمر طبيعي كما نحن الثلاثة
تماماً.

_ لا أعلم لكن لا يعجبني تقربه المبالغ به من جونول هي زوجه عمه وليست صديقتة.
شدت كلمات بهار مارت للحديث فقال بعدما أطفأ الهاتف:

_ هل تدركين علي ماذا تلمحين؟

_ لا تغضب أنت تعرف أنني لا أرتاح قبل أن أقول ما أفكر به أنظر أنهما يتحدثان
منذ وقت ليس بطويل لكن الابتسامه لا تفارق ثغره منذ وقف معها.

قال كليتش باستهزاء: ربما يتحدثان عن أمر مضحك.

أنتبه مارت إلي أن ما تشير إليه بطريقة غير مباشرة صحيح...أضافت باستهجان:

_ لا تستهزئ أنظر أنها لا تبتسم حتى...

لم يعرها اهتماما بينما يكمل المشاهدة فقال مارت وكأنه لا يبالي:

_ بهار نحن نعلم ما يقبع خلف حديثك كوننا معاً طوال الوقت وأحياناً نفهم بعضنا
دون كلمات لكن أن وقع ما تفكرين به بصوت مرتفع علي مسامع أحد من أعمامي

أو أبي تعلمين أن الأمور لن تكون بخير صحيح؟

_ أجل أعلم.

_ أنت لا تهديني قبل أن تقولي ما تفكرين به قلت ما تفكرين به ونحن سمعناك...

أضاف وهو ينهض... لا أريد أن أسمع هذا الكلام يخرج من فمك مرة أخرى.

_ أردت أن أقول ما يجول بفكري فقط ولا تقلق لن أخبر أحد.

دخل إلي غرفة والده ، كانت الأوراق كثيرة علي الطاولة وهو يتكلم بالهاتف ، جلس بعد دخوله في انتظار أن ينهى الاتصال.

_ مارت!!.. قال بعدما أكمل المكالمة... هل هناك شيء ما؟.

_ لا أتيت لتفقدك فنحن لم نلتقى اليوم بعد الصباح أبداً..

_ مشغول بقضية مهمة هذه الأيام... ما أخبارك؟

_ بخير... وأنت.

_ أنا كذلك بخير أخبار دراستك؟.

_ لا بأس بها... ما... تردد في البداية ثم أكمل... ما أخبارك أنت وأختي جونول؟.

أجاب بتعجب وهو يبتسم... نحن بخير.

_ إذاً لا زلت علي حالك؟.

_ ما الذي تقصده بـ "علي حالك"؟!.

_ ألم تقل أنك لا تعلم إذا ما كانت تحبك أو لا؟.

_ بني... أنظر أقول لك بني وبما أنك كذلك فلا يجب أن أجري هذا الحديث معك.

_ أبي لم أقصد هكذا لكن أختي جونول ستبدأ بالعمل.

_ يعني!..

_ أبي ربما لا تلاحظ لكن زوجتك لم تبلغ الثلاثين بعد جميلة أنيقة هادئة ولطيفة أتدرك أن أي شخص يمكن أن يقع بحبها ويخطف قلبها قبلك.

_ ما الذي تحاول قوله... أضاف بحده... أم قد سمعت شيئاً ما!؟

_ لا لم أسمع أي شيء أتحدث هكذا لأنني أرى كيف تعمل طوال الوقت وهي أما في الغرفة تقرأ كتاباً أو في الحديقة أهتم بها قليلاً خذها وقم بجوله بالمدينة أو أذهب إلي السينما لا أعلم أفعل ما تريد لكن لا تكن منغمساً بعملك لهذه الدرجة.

أضاف وهو يربت علي رأسه: أيهيئ لي أن أبني يهتم بأمر زواجي؟

_ أخبرتك من البداية يا أبي ما تهمني هي سعادتك.

_ إذاً بدأت تحب جونول بما أنك تهتم لعلاقتي بها؟

_ أنظر عن ماذا أتحدث وأنت عن ماذا تتحدث... قال بانفعال: أبي حتى ألتان يقضي معظم وقته مع جونول هو يحضرها كل أسبوع لتنظم إلينا وعندما ذهبنا لمدينة الالعاب والسينما هو من أحضرها.

_ أنت ما الذي تحاول قوله؟_

_ لا تجعل الآخرين يهتمون بزوجتك... أردف بانفعال هذه الأشياء من الطبيعي أن تذهب إليها معك أنت كان يجب أن تتجول بالمدينة لأول مره برفقتك لا برفقتنا.

_ لما انفعلت هكذا أهدأ.

_ أعذر لم أقصد فقط أنزعج من تدخل الآخرين بشؤونكما.

_ مجرد اهتمامك بسعادتي وراحتي يسعدني كثيراً لكن لا تقلق هي تمضي الوقت رفقة ألتان لأن لا أصدقاء لها لذا تعتبره صديق فكما تعلم هو يكبرها بعامين فقط لذا أعمارهما المتقاربة سبب بكونهما صديقين.

_ هل أخبرتك بهذا؟_

_ لا داعي لتخبرني فهذا أمر واضح.

_ فهمت...أضاف وهو يغادر...علي أن أذهب لأدرس نلتقى علي العشاء.

ازدادت زخات المطر مع منتصف الليل ، والسماء تدوى برعود وبروق لا حصر لها، كأنها تقاتل الأرض؛ بظلمة هذا البيت وهدوئه ، وجميع أهل المنزل يغطون بنوم عميق، أستيقظ علي رعشات جسدها الضئيل ، وأحس بأنفاسها التي توحى علي ذعر كبير ، منذ شهرين علي قدميها هذه المرة الأولى التي تبتعد فيها عن الطرف الذي اعتادت النوم عليه، لم يستدر وأكمل ادعائه النوم ، كي لا يخجلها إن علمت باستيقاظه ، هدأت أنفاسها مع توقف عريضة السماء علي الأرض ففهم أنها نامت أخيراً، عاد الهدوء ليعم رفقة زخات المطر التي لا تفكر بالتوقف خلال هذا الأسبوع، ببطء شديد أستدار إليها، أنها المرة الأولى التي تكون فيها جونول قريبة منه إلي هذا الحد، لدرجة أنه أحس بأنفاسها ، وبرودة جسدها المعتادة ، والتي دائماً ما تقول أنها حرارة جسدها الطبيعية، لم يستطع التفريط بها وهي منكمشة بجانبه، تتنفس بهدوء بعد نوبه فزع عاشتها بسبب الرعد ، شعرها الطويل يغطي كتفيها والقليل من وجهها ، مرر ذراعه ببطء ولفها حولها ، كي يدفى هذا الجسد الذي لا يعرف سوى البرد ، أغمض عينيه محاولاً النوم ، لكن نومها بعمق بين ذراعيه قد أثر به كثيراً ؛ أن تشعر بالراحة أثناء نومها بجانبه لا يدل علي أي بادرة عاطفيه، أو إلي أي ميول غرامي اتجاهه ، بقي جامداً يراقب حتى الهواء الذي تنفسه، رغم تشنجه توتره وهيجان مشاعره ، ألا أنه كان ممتناً للسماء التي قررت أن تعصف وتبرق بهذا اليوم ، كان يتمنى أن يتوقف الزمن وأن تطول هذه اللحظة إلي الأبد ، رغم الصراع الذي كان يدور بينه وبين مشاعره وأفكاره ، ألا أنه فضل ألا يكرهها وأن ينتظر أن يملأها الحب اتجاهه

شياً فشيئاً كما حدث له ، ما أن أطل ضوء الفجر من نافذتهما حتى اختفى أرغوفان ، ولم تلتقي به جونول إلا في العاشرة مساءً دون أن تفهم سبب تهرب أرغوفان الذي أمضى ليلة مليئة بالمشاحنات والصراعات الداخلية بسببها.

مضى أسبوعين علي عملها في الشركة، وتوطده العلاقة بينها وبين ألتان أكثر، وبعد مراقبة مارت لتصرفات ألتان، صارت المشاحنات بينهما تزداد يوماً بعد يوم؛ فمارت يدرك حقيقته مشاعر والده اتجاه جونول، لأنه يرى بأنه يصبح شخصاً آخر رفقته، ومجرد تواجد جوارها يصبح أسعد إنسان علي وجهه الأرض ، كان مستعداً للقتال بدلاً من والده كي لا تصل المسألة إلي كبار الأسرة ، وتتولد مشكلة تنتهي بتحطيم فؤاد أبيه.

ما الذي ننتظره؟... قال مارت عند قدومه.

لقد ذهبت نيسان لتسأل جونول إذ ما كانت ترغب بالمجيئ معنا... أجاب كليتش.

جلس رفقتهم للانتظار... لا تريد الذهاب لديها عمل كثير... قالت نيسان عند قدومها.

ماذا؟... قال ألتان... لا يعقل أنها منهمكة في العمل منذ أيام سأذهب لإقناعها.

دعها وشأنها ربما لديها خطط أخرى تقوم بها... قال مارت بحده.

أعتقد أنه لا جدوى من الإصرار عليها... أضافت نيسان.

لن أصر فقط سأسألها وأعود.

ألا يستوعب عقلك المرأة غير متفرغه ولديها عمل لما كل هذا الإصرار لترافقنا يجب أن تحشرها بيننا في كل مرة نخرج بها... صاح به مارت.

ما بك يا فتى ألم تنتهي من عقدتك هذه أبداً أنا أقول هذا فقط لتروح عن نفسها ليس الأ.

لديها زوج يرفه عنها إذا تضايقت هو من سيخرج معها للتنزه ما شأنك أنت؟.

مارت... قال بانفعال... أنت تتصرف بوقاحه منذ فترة لا تجبرني علي ضربك الآن.

كن رجلاً أولاً..

تهجم كل منهما علي الآخر فتدخل بينهما بهار وكليتش ونيسان ، سحب نيسان ألتان من ذراعه قائله:

هل أنت مجنون هل كنت ستضربه حقاً؟.

ألم تسمعي كيف يتحدث معي وكأنني عدواً له أنني أتحملة طوال الفترة الماضية

أعيدوا لي قلبي

أقول يا رجل لا تتكلم أنه مراهق ويمر بمرحلة تمرد لكن ما هذا؟.

أخرج كليتش مارت إلي الحديقة قائلاً:

_ ما الذي جرى لك يا رجل ما بك تعامله كعدو عرض منذ أيام.

_ لا أفعل هذا لكن لا يستفزني بأسلوب أنه المهتم بمشاعر الآخرين ما شأنه بجونول أن خرجت أو لم تخرج هل بقي أمر التفكير بها عليه.

_ بني هل تصدق ما قالته بهار المجنونة أم ماذا؟.

_ لا يا رجل لكن لا داعي أن يحشر جونول في كل شيء نرغب بالقيام به.

_ أنا لم أعد أفهم أي شيء هل أنت غاضب لأن جونول تأتي معنا دائماً أم لأن ألتان هو من يحضرها معنا... أبتعد عنه قائلاً: لا داعي أن تفهم أي شيء.

توقفت عن العمل بعد ساعتين متواصلتين ، نزلت إلي المطبخ لشرب شيئاً ما... أختي جونول... قالت نيسان.

_ ماذا ألم تذهبي مع الشباب؟.

_ تم إلغاء السهرة اليوم.

_ حقاً لما...

_ أن كنتِ انتهيتِ من العمل لنجلس في الحديقة ونتحدث فتاة لأخرى.

_ حسناً لأحضر شيئاً لأشربه.

_ هيا لنخرج وستجلب لنا إحدى الفتيات شيئاً ما.

جلستا في الحديقة فقالت جونول: أخبريني لما لم تذهبوا؟..

_ مارت وألتان تشاجرا لذا ألغينا السهرة كان السبب تافه فمارت يبدو هذه الأيام وكأنه تعطش للشجار مع ألتان والمسكين منذ أيام وهو يتجاهله لكنه اليوم انفجر عليه.

_ أخبرني أرغوفان أن مارت بطبيعته سليط اللسان وعصبي.

_ أجل لكن وكأنه هناك مشكلة ما وهذا الأمر يورق ألتان فهو لا يفهم سبب معاملة مارت له بهذه الطريقة فهما مقربين.

_ لا أعلم أتريدان أن أخبر أرغوفان ليتحدث معه؟.

_ لكن أرجوك لا تخبريه عن شجارهما فألتان لا يريد لعمي أن يعرف بالأمر أنتِ

أعيدوا لي قلبي

تعلمين ألتان يحب عمي أرغوفان كثيراً وإن علم بأن هناك مشكلة بينه وبين مارت سيحزن منه... ابتمت ولم تقل أي شيء ، تعجبت نيسان متسائلة: ما الأمر؟

_ هل تحبينه؟

_ ماذا؟!... قالت بتوتر وأحمر وجهها.

فأضافت جونول وهي تضحك... أهدأي ما الذي أصابك؟

_ لا أنا هادئة.

_ أجل واضح... قالت وهي تضحك... إذاً؟

_ كيف فهمت؟

_ أنت لا تنتبهي لنفسك لكن دائماً ما تهتمين لكل تفصيل بآلتان حتى أثناء اللعب تهتمين لمشاعره وتراعيها والآن تحاولين حل مشكلة تورقه مع أنه يستطيع حلها بنفسه.

_ لم أكن أعلم أن الأمر واضح هكذا؟

_ أنه ليس كذلك لكن أنا أهتم بتفاصيل من حولي عادة.

_ ولهذا أنت لا تتحدثين كثيراً.. تبادلنا الضحكات فقالت... لكن هو لا يراني حتى؟

_ هل له حبيبه؟

_ لا أعلم... قالت بعد أن خطرت ببالها فكرة... هل تسألينه إذا كانت له حبيبه؟

_ ماذا أنا..؟... قالت بدهشة.

_ أرجوك جونول هذا الأمر يؤرقني كثيراً... فتصرفاته توحى علي أنه واقع بالحب لكن لا أعلم أن كانت له حبيبه أم لا.

_ وكيف علمت أنه كذلك؟

_ شارد الذهن معظم الوقت وأحياناً يبتسم بلا سبب وبعض الأوقات يكون بقمة السعادة ولو طلبت منه أي شيء يوافق دون أن يسأل وأحياناً يكون مثل النار لا يمكن الاقتراب منه.

_ وهكذا فهمت أنه واقع بالحب؟

_ لا تنتشت أفكار وحياة المرء إلا وهو واقع بالحب.

_ فهمت حسناً سوف أساعدك.

_ حقاً ما تقولين؟... قالت بسعادة.

أعيدوا لي قلبي

_ أجل سأفتح معه الحديث بطريقة ما وأفهم لك الأمر.

احتضنتها قائله: حقاً شكراً لك.

_ لكن نيسان ماذا أن كان يعشق امرأة أخرى؟

_ علي الأقل لن أضع لنفسي أملاً زائفاً... علي أي حال... لا تنسي أمر مارت.

_ لن أنسى أي من الأمرين لا تقلقي.

عادت لاحتضانها قائله: من الجيد أنك موجودة.

_ وأنت أيضاً.

_ ما الذي يجري هنا؟.

استدارتا قالت نيسان: عمي أرغوفان اهلاً بك.

_ هل هنالك حفلة عناق أم ماذا؟

نهضت قائله: لا ولكن هكذا احتضنت زوجة عمي بلا سبب أم أنك غرت.

_ ولما أغار أيتها الشقية أفرح إذا مضى يوم ولم تحضنيني فيه.

اقتربت منه وهمست... قصدت "هل غرت علي زوجتك؟".

فرت هاربة بعد أن تفادت ضربته قائلاً خلفها: قليلة حياء... جلس بمحاذاتها وقال:

منذ استلامك للمشروع مع ارطارول لم أعد أراك إلا نادراً.

_ هذا صحيح تبقى القليل... ربما ثلاثة أيام.

_ أوف... ثلاثة أيام كثيرة... أعتدل في جلوسه وأضاف وهو ينظر داخل عينيها...

اشتقت لرؤية عيناك... أحمر وجهها من الحياء ضحك مضيئاً... ليس فقط عيناك بل

حتى مظهرك حين تخجلين.

توترت وحاولت إيجاد شيء ما لتغير به الحديث ، فلم يخطر ببالها سوى أمر واحد

فقالت: هل تحدثت مع مارت؟

_ ما به هل فعل شيء ما ؟

_ لا شيء لكن أراه بهذه الأيام غاضباً طوال الوقت حتى أنه يتهم علي من حوله

كألتان وكيليتش.

_ حقاً... قال بعد تفكير... تحدثت معه قبل العشاء كان منفعلاً بحديثه دون مبرر.

_ حاول فهم الأمر منه لكن لا تضغط عليه أنه بسن المراهقة وتمرده أمر طبيعي.

_ أجل سأفعل.

تجلس وحيدة بغرفتها شاردة الذهن...أبنتي ما الأمر؟..قالت أوزغور.

_ لا شيء.

_ ألم تذهبوا إلي السينما؟

_ ألغينا السهرة اليوم...لم نتفق إلي أين سنذهب وكذلك خالتي وزوجة خالي لم يذهبا
لذا ألغيناها.

جلست أمامها وقالت: أبنتي من الواضح أن هناك خطب ما أخبريني.

_ لكنك ستغضبين وستضخمين الأمر كعادتك.

_ حسناً أخبريني وأعدك أن أحاول ألا أغضب عليكِ وألا أضخم الأمر.

_ قلت شيئاً لم يكن يجدر بي قوله وأظن أنني تسببت بمشكلة.

_ هل في المدرسة؟

_ لا هنا في البيت

_ يا إلهي...ماذا ولمن قلت؟

_ لقد لاحظت شيئاً ما وعندما شاركت به مارت وكيليتش أعتقد أنني تسببت بمشكلة.

_ أبنتي لقد أنتفخ قلبي لا تغضبيني وتكلمي جيداً حتى أفهمك.

_ أن....أخي ألتان...

_ ما به؟..

_ م...معجب بأختي جونول.

_ ماذا؟...قفزت من مكانها بفرع...ما هذا الذي تقولينه؟

_ ما سمعته يا أمي.

_ وقد أخبرت ما تشكين به لمارت وكيليتش.

_ لا أشك أمي أقسم لك أنني متأكدة من ما أقول فأخي ألتان لا يتصرف معها علي
أنها زوجي خالي.

_ أبنتي الكلام الذي تتفوهين به ليس كلاماً عادياً إذا سمع خالك أو جدك سوف يقتلون
ألتان بسببك.

_ أرايت لقد ضخمتي الأمر أمي!

أعيدوا لي قلبي

_أضخم ماذا يا هذه لو سمع خالك ارطارول بهذا ستعلمين كيف يكون تضخيم الأمور.

_أول مره لاحظت الأمر لمحت له أمام جدتي خديجة.

_يا ويلي!...ماذا قلت لأمي خديجة أيضاً؟

_لم أقل لها كنت أتحدث مع ألتان بتواجدها أخبرتني أنه من الجيد التقرب من جونول ولم تأخذ كلامي علي محمل الجد والثاني غضب مني وغادر.

_إذاً ما المشكلة التي قلت أنك قد تسببت بها؟

_ألم أقل لك أنني شاركت مارت وكيليتش بما أفكر به

_يعني؟!

_كليتش لم يأخذ الأمر علي محمل الجد ومارت كذلك في البداية لكنه قد لاحظ ما لاحظت وبدأ يتشاجر مع ألتان كلما رآها يتحدث مع أو عن أختي جونول.

_وجونول؟.

_لا يا أمي أقسم لك أن أختي جونول لا تدرك الأمر حتى أنها تعامله مثل ما تعاملنا.

_أي أن قلة الشرف ظهرت من أبننا؟.

_هل ستخبرين جدي؟

_لا أن علم أبي بالأمر لن يتردد في نفي ألتان من المنزل...وأيضاً لا يجوز الصمت عن الأمر.

_إذاً...!

_سيغلق هذا الأمر هنا ولن نتحدثي به حتى مع نفسك أنا سأذهب الآن وأحل الأمر.

حين كانت متجهه إلي غرفة ألتان تصادفت مع أرغوفان...أخي هل ذاهب إلي النوم الآن؟.

_لا ذاهب للحديث مع مارت أنه عصبي جداً هذه الفترة أريد أن أفهم ما الذي يغضبه إلي هذا الحد؟

ضحكت بتوتر وقالت: هل تتركه لي من فضلك؟

_أليس من الأفضل أن أتحدث أنا إليه؟

_لا أنت تعلم هو الآن بمرحلة تمرد أن تحدثت إليه سيظن أنك لا تثق به وسيضخم

أعيدوا لي قلبي

الأمر لذا دعه لي من فضلك.

_ حسناً لكن ستطلعيني علي ما يحدث معه بعد أن نتحدثي إليه.

_ حسناً أعدك.

عاد من حيث أتى وأكملت بدورها وجهتها، طرقت الباب ودخلت ، كان مستلقياً علي السرير فجلس قائلاً بتعجب: عمتي أوز ما الأمر؟

_ أتيت لأتحدث معك... قالت بغضب.

_ هل هناك خطب ما؟

_ أجل وأنت هو هذا الخطب.

_ فهمت... أخبرتك بهار عن شجارنا... عمتي أقسم أنه أخرجني عن طوري لقد استفزني وإلا.....

قاطعته قائله: عن ماذا تتحدث أنت؟

_ ألسنتِ غاضبة لأنني تشاجرت مع مارت؟

_ وهل تشاجرتما أيضاً

_ ظننت أنكِ غاضبه لهذا السبب!.

_ لا أتيت من أجل أمر آخر.

_ ما الأمر إذاً؟.

_ ستبتعد عن زوجه عمك جونول لن أراك بجانبها أو تتحدث إليها حتى.

_ ماذا؟... لما. تقولين هذا فجأة... ماذا فعلت؟!.

صاحت به... ألتان... لا تمثل دور الجاهل رأيتك كيف... لساني لا يطاوعني لقولها يا عديم الاخلاق.

_ عمتي أقسم أنني لم أفعل شيء يسيئ لعمي أنا حتى لم أنظر لها بطريقة خاطئة فقط ما يحدث لي خارج عن إرادتي.

_ عن أي إرادة تتحدث أنها زوجه عمك يا أخرق.

_ أوز أنتِ ذقتِ من كأس الهوى طعم سكرته وشهوته لذا لا يمكنكِ لومي.

_ اللعنة علي هواك وطعمه وسكرته لا ألوم عليك لمشاعرك بل لأنها للشخص الخطأ.

صاح قائلاً: أتظنين أنني لا أدرك هذا أنا مدرك للأمر ولكن لا يمكنني أن اطفأ النار التي تستعر بين جنبات قلبي.

_ اللعنة علي قلبك الفاسد ألا تسمع أنها زوجه عمك يا عدو العرض.

صاح بها... لست كذلك أتفهمين عقلي لا يمكنه فهم تصرفات قلبي لكنني لم أسئ لأحد أنا أعيش مشاعري وعذابي بداخلي.

_ إذاً ستبتعد عنها ولن أراك بجانبها أفهمت أن فهم عمك أنك تكن مشاعر لزوجته سيقتلك.

_ لا تزال تقول زوجته وزوجته... أضاف بغضب... هي ليست زوجه عمي فهمت.

_ ماذا الآن ستتبرأ من عمك؟... صاحت به.

_ لا أنها ليست كذلك حقاً.

حاولت أن تستوعب ما يحاول قوله ثم قالت: كيف هذا؟

_ لقد سمعت حديثاً دار بينهما... بأزمير عندما توجهت إلي غرفة عمي وقبل أن أدخل سمعت جونول تقول "هكذا سيشكون بأمر زواجنا... إذا كنت لا تريد أن تخبرهم بالطبع عن سبب زواجنا" فأجابها "نحن بيننا اتفاق سنظل متزوجان ولن يعلم أحد أننا غير ذلك حتى ثلاثة الأشهر القادمة ثم سننفضل بأول جلسة" هذا كل ما سمعته.

_ لكن ما سمعته لا يعتبر مبرراً لك هذا كان قبل شهر ونصف وأنت الآن أن كنت لا ترى فأفتح عيناك عمك يحب جونول حتى أنني متيقنة أنها هي كذلك أيضاً.

_ لا ليست كذلك... قال بانزعاج.

_ ما هذه الثقة التي لديك... ثم قالت بفرع... أم أن هناك شيء بينكما يا عديما الشرف.

_ لا عمتي أقسم لك أن جونول لا تدرك الأمر حتى أنك أول شخص أتحدث معه بالأمر.

_ لكنني لن أكون الوحيدة علي هذا الحال لذا أبقى بعيداً عنها.

_ حسناً سأحاول.

_ وأياك أن تفكر بالدخول بينها وبين عمك فهمت... أنه يقاتل لنيل حبها ولن أسمح لك بالوقوف عقبه في طريقة.

_ ومتى فعلت أمراً كهذا؟

_ ألتان في أثناء حديثك معها في المستشفى لو لم أتدخل لأخبرتها بأمر خطبة أرغوفان وأنت من أخبرها بأمر نادين.

_ لا أنكر أنني فعلت هذا ولكن ألا يحق القتال لأجل من أحب.

_ يا أحمق قبل أن تتزوج بعمك كانا في مرحلة تعارف وإن كنت تظن أن زواجهما

جاء بسبب ضغط أسرتها فأنت أكبر أحرق أراه بحياتي ما فعلوه أنهم عجلوا بالأمر ليس إلا... وهل توجد قوة تخضع عمك لأي شيء لا يرغب به؟.

_ أجل ربما كانت تعرف عمي قبلاً لكن لا علاقة عاطفية تجمعهما ثم ما أدراك أنها كانت لتوافق علي عمي إذا كان الخيار لها.

_ أيها المعتوه أنا رأيتها كيف انهارت باكيه بالمستشفى عليه ولا توجد امرأة في العالم تبكي علي رجل لا تحبه وإن كنت لا تريد أن ترى إذا أسألها عن مشاعرهما اتجاهه وأفتح أذنك أن كنت لا تستطيع فتح عينيك... استدارت قبل خروجها قائلة: لا تجبرني علي إخبار والدي.

ضرب السرير برجله بعد خروجها... اللعنة كان ينقصني هذا

مضى يومان وألتان يواصل تجنب جونول بعدما قامت أوزغور بتوبيخه ، كان يجلس وحيداً في مكتب جده ، يعمل من أجل اجتماع الغد... ألتان!... قالت بصوتها الحنون العذب.

_ اهلاً جونول.

_ هل أنت متفرغ؟

_ لا... أتجهز لاجتماع الغد.

_ حسناً... أرادت أن تخرج ترددت ثم جلست علي طرف الأريكة قائلة: هل أزعجتك بشيء؟

_ لا علي الإطلاق.

_ لماذا إذاً تواصل تجنبي؟!.

_ لا هذا لم يحدث.

_ لكن لما أشعر وكأنني أغضبتك بشيء ما؟

_ حقاً أنا أعتذر إذا ما جعلتك تشعرين علي هذا النحو... لكن فقط هنالك أمراً يؤرقني ويشئت تفكيري.

_ ما هو؟

_ لا تهتمي.

_ ظننت أننا صديقان ولهذا كنت أحدثك عن أي شيء يؤرقني لكن أنظر إليك تأبى الحديث إلي حتى.

_ لا ليس كذلك أنتِ صديقتي ولكن لا أريد أن أوجع رأسك فقط.

قالت بإصرار:

_ لا تقلق لن يوجعني رأسي منك... لكنه ظل صامتاً بعد أن ملت من انتظاره أردفت... دعني أأخمن إذاً... هل ما يؤرقك أمر بخصوص فتاة ما؟.

أتسعت عيناه وقال بتوتر: لـ... لا من أين أخرجتي أمر الفتاة.

ضحكت قائلة: لما توترت إذاً؟.

بسبب ضحكتها توتر حتى تعرق أبتعد في الجلوس عنها قائلاً بعدما استسلم ولم يقوى علي المقاومة أكثر... أجل أنه بسبب فتاة.

_ هل تعمل في الشركة؟

_ أجل لكن لن تسألني عن الاسم أو أي تفاصيل تفضح من تكون وإلا لن أتكلم.

_ حسناً أعدك لن أحاول كشف هويتها.

_ اتفقنا إذاً... بعد صمت بدأ يروي قصة حبه لها وكأنه يتكلم عن فتاة أخرى... أعرفها منذ وقت قصير حوالي شهرين تقريباً... لم أقع بحبها فجأة أو من النظرة الأولى... بل عشقتها رويداً رويداً حتى أنني لم أنتبه لنفسي ألا بعد أن وضعت بعينيها.

_ أتضح أنك رومانسي... حسناً ماذا عنها؟

_ هي لا تراني أو تلاحظ وجودي فهي تعتبرني صديق فقط.

_ إذا كانت لا يوجد شخص بحياتها فلا تنتظر وأخبرها عن مشاعرك ربما تكون لك فرصة معها.

_ لا يمكنني فلي صديق مقرب هو أعلى من روعي حتى لو طلب روعي لن أتردد في إعطائها له وهو يفعل نفس الشيء لي...

_ وذلك الصديق الوفي يحبها أيضاً... أكملت من خلفه.

_ مع الأسف.

_ وهي تحب صديقك؟

_ لا حالياً... أنه يحاول التقرب منها أن يكونا معاً مسألة وقت فقط.

_ ولما عليك أن تتنازل عن الفتاة التي تحبها اذ كان وفياً كما تقول ألا يجب أن يتنازل هو عنها لأجلك.

_ هو من عرفني عليها أي أنه يعرفها قبلي.

__ هذه ليست بحجة قد تختارك بدلاً عنه.

__ أعتقدين هذا حقاً... أستفاق من فرحته مكملاً.. وصديقي!.

__ هل أخبرته بمشاعرك اتجاهها؟

__ لا وهو كذلك لم يفعل.

__ لكنك تعلم أنه يحبها لذا لا يجوز لك فعل أي شيء.

__ ألم تقولي قبل قليل أنه لا يجب أن أكون أنا المضحى.

__ قلت هذا بلحظة انفعال لكنك تعرف مشاعر صديقك لذا لا يصح أن تغدر به.

__ أرايتِ هذا ما يؤرقني.

__ حكايتك صعبه يا صديقي... لكنني أتسأل كيف تبدو؟

قال شارداً بها: أنها أجمل امرأة رأتها عيناى... حين أنظر داخل عينيها أضيع ولا أرب بالعودة... أشعر مع ضحكاتنا بنشوة الحب... أحب الحديث معها وأحاول أن أشبع كل وقتي بها... صوتها يشعرنى بنشوة السكر الذي لم أذقه بحياتي... باختصار... إن حبها عذاب لي... عذاب رقيق أدمنته ولا أقوى علي تركه.

كانت تستمع لكلماته والابتسامه علي وجهها قالت: شعرت للحظه أنني أقرأ كتاباً ما إذا كانت تمتلك ذرة عقل فعليها أن تختارك فأن يحبك شخص بهذه الطريقة لهو أمر دافئ.

قال بصوت يملأه الأمل: حقاً أترين أنها يجب أن تختارني؟.

قالت وهي تنهض للمغادرة... للقلوب حكم لا يفهمها العقل.

__ تعال... قال بعد سماعه لطرق الباب.

__ أردفت وهي تطل من الباب: أرغوفان هل أنت متفرغ؟

__ تعالي أوزغور أنا أنهى بعض الأعمال للغد.

__ أين جونول هي ليست في الأسفل؟... تسألت عند دخولها.

__ إذا فهي تعمل مع ألتان.

__ وهل تعمل معه في العادة؟!.

__ عندما يكون ارطارول مشغول... قال بتعجب... لما تتسألين؟

__ لا شيء... جلست بجانبه وأكملت... كيف حالكما؟

أعيدوا لي قلبي

_ نحن بخير.

_ لا أقصد صحتكما طبعاً؟

_ آه فهمت... أجل نحن علي ما يرام...لما تسألين فجأة؟

_ لا يوجد سبب فقط بأخر حديث لنا كنت تشعر بالغيرة من أونور وكنت تخشى أنها لن تتقبلك.

_ ما الذي ذكرك بذلك التافه الآن؟

_ رأيت لا زال يغضبك الحديث عنه...قالت بضحكه.

_ أظن أنك أتيت لتعكري صفوي.

_ علي الأطلاق سامحك الله يا أخي...إذا هل سألت جونول؟

_ عن ماذا؟

_ إذا ما كانت ستقبل بالزواج بك إذا لم تكن تحت الضغط؟

_ لا زلتِ تذكرين هذا الأمر؟

_ لا أنسى أي شيء يؤرقك.

_ وهل هكذا يبدو الأمر؟

_ والله هذا ما يبدو فصحيح أنكما متزوجين لكن يبدو من حديثك كأنك تخشى رحيلها في أي لحظة...صمت ولم يبد بأي كلمة أكملت...في اليوم الذي استيقظت به في المشفى وسألت عنها بقلق علمت أنك تحبها لكن السؤال هنا لما تفعل كل هذا لأجلها وأنت لا تدري إذا كانت تحبك أو لا؟

_ لا أدري لما لكنني سأظل بجانبها أساعدها وأزرع بها الثقة والأمل كما تزرع الشجر.

_ حتى وإن كنت لن تجلس تحت ظلها؟

_ لن يردعني أي شيء عنها.

_ كم أغبط جونول الآن فإلي أي درجة تحبها؟

_ الحب لا يوصف فلا توجد كلمات تكفيه...دائماً ما أجد نفسي أبتسم عند حديثها حتى وإن كانت لا تخبرني بشيء مميز...يمكنني القول أن حبها جاء صدفة ودون قيود كأنها قدرتي الذي لا يمكنني تغييره.

_ لقد حولتك من محامي إلي شاعر مخضرم.

أعيدوا لي قلبي

ضحكا معاً ثم قال: حقاً يا أوزغور لقد سلبتني راحه قلبي وعقلي... كيف أحب شخص أن يشنت حياتنا.

_ أخي ماذا إذا ما طلبت جونول الرحيل يوماً ماذا ستفعل؟

_ لن تفعل... قال بثقة.

_ هل أخبرتك أنها تحبك؟

_ لا لكنني أشعر بها... فنبرة صوتها تعبر عن مشاعرها التي لا تقوى علي بوحها... نظرة من عينيها تقول ألف كلمة يأبى لسانها قولها... حتى عتابها لي أفهمه من صمتها... هي ليست واضحة كما تبدو لكنني بدأت أفهمها... المشاعر التي تخفيها أصدق وأعشق من التي تبوح بها لأنني بت أراها بحدسي وإحساسي والشعور لا يخطئ أبداً.

_ مع هذا يا أخي لا تعطي فرصة لأحد فزوجتك هادئة ولطيفة وجميلة وألف رجل يتمناها لا تهملها بسبب عمك أو عملها في النهاية نحن النساء نحب ونتعلق بمن يهتم بنا.

عقد حاجبيه وقال بشيء من الغضب: ما الذي تحاولين قوله؟

_ ما بك غضبت لم أقصد قول شيء عن جونول.

_ لم أقصد هذا هل هنالك من يحاول التقرب منها في الشركة؟

_ لا ليس كذلك.

_ لا تقولي أنها مجرد نصيحة فلقد أتتني نفس النصيحة بذات الأسبوع لذا لا تتوقعي مني أن أصدق أنها صدفة.

_ من قال لك شيء قبلي؟

_ دعك من هذا وأخبريني عن ما تعرفينه؟

_ أخي أنا...

صاح بها... أوزغور لا يمكنك أن تزرعي في داخلي شك ومن ثم تقولين أنه لا يوجد شيء سأعرف بالأمر الآن أو لاحقاً لذا قل لي الآن ليكون خيراً للجميع.

حاولت أن تجد مخرجاً يخرجها من الورطة التي تورطت بها دون ذكر أسم ألتان فقالت: لا يوجد شيء يدعوا للقلق أهدأ.

_ أنا هادئ تكلمي.

_ سمعت الموظفين بالشركة يتهامون حولها ولذا قلت أن أخبرك بطريقة غير

أعيدوا لي قلبي

مباشرة لتتهم بزواجك ليس إلا.

يتهامسون بماذا؟

عن إذا ما كانت هي ابنة ارطارول أو كنة للعائلة يعني يتسألون بشكل عام عنها.

فهمت ساهتم بهذا الأمر وسأضع حداً لتساؤلاتهم لا تقلقي.

علي أي حال لم أقصد تعكير مزاجك لكن تصبح علي خير.

كانت تتجهز لليوم المنتظر ، فقد انتهت من المشروع الذي تقوم به رفقة ارطارول وبقية فريق العمل؛ رن هاتفها بجانب أرغوفان الذي يتجهز للذهاب إلي عمله ، ألقى نظره علي من يكون المتصل عقد حاجبيه قائلاً:

لما يتصل ابن خالتك بهذا الوقت الباكر؟...

توجهت نحو الهاتف بفرع قالت: أرجو أن تكون خالتي بخير... أجابت علي الهاتف بينما هو يركز علي كل تفصيل وإيمائه تقوم بها، شعر أن نيران الغيرة تأكله ببطء ، ما أن أنهت الاتصال حتى قال:

يبدو أن خالتك بخير؟.

أجل أنها كذلك الحمدلله.

إذاً لما أتصل بهذا الصباح؟

خالتي طلبت منه أن يسألني إذا ما كنت متفرغه علي الغداء كي أمر بها.

ولما لم تتصل خالتك بنفسها.

هاتفها معطل.

آه معطل!... أردف بامتعاض... إذاً هل ستذهبين؟

لا اليوم سنسلم المشروع ويقع علي عاتقي أن أشرح كل تفاصيله أمام مجلس الإدارة وهذا يوترني كثيراً.

تقدم نحوها محاولاً تهدئتها... لا تقلقي سوف تتجحين أنت اليوم جونول بوزدا وعملت بجد طوال هذا الأسبوع لذا ستجحين فأنا أثق بك.

حقاً شكراً لك لقد أراحتني كلماتك قليلاً فقط...

لما ألتزمت الصمت أكلمي... قال بعجله.

دائماً تمنحني الثقة أتمنى لو أمكنك حضور الاجتماع عندها ما كنت لأخشى شيء.

أعيدوا لي قلبي

ظل ينظر إليها و علي محياه ملامح السعادة قال شارداً بها: لو أمكنني الحضور لكنت أشاهد مفتخراً بزوجتي أمام أفراد مجلس الإدارة.
خرجت من ثغرها ابتسامة لم تستطع السيطرة عليها وقالت: علي الذهاب يجب ألا أتأخر.

بعد الانتهاء من اتصالاته قال لأصلان:

_ لن نذهب للمكتب اليوم هناك أمر يجب عليك أن تقوم به.

_ ما هو؟..

_ لمحت لي أوزغور علي أن هناك شخص يحاول التقرب من جونول وليست هي فقط بل حتى مارت فعل هذا يعني أنه ليس مجرد شخص يعمل في الشركة فقط وهما يحاولان التستر عليه لا أدري ما السبب لذا حاول أن تعرف لي من عديم الشرف هذا الذي يضع عينه علي زوجتي لأقتلها.

_ كما تأمر.

_ ماذا بخصوص الصحفي الذي بتشكورفا؟.

_ تواصل مع بعض الأشخاص ثم غادر تشكورفا إلي أمسيا وهناك فقدنا أثره لعدم تواجد رجال لي بتلك المدينة.

_ لن تترك الأمر لأنك لا تملك رجال هناك علي ما أظن!.

_ بالطبع نحن في انتظاره ما أن يعود لمنزله وعمله هنا سأعرفه علي نفسي وسنعلم لما كان يبحث خلفنا.

_ أنسة جونول!... قالت جولين عند دخولها... عليك الاستعداد تبقى القليل علي وصول أعضاء المجلس.

_ أنا متوترة لذا لا تحمليني ما لا أطيق... أردفت بتذمر.

جولين هي أساس الشركة ؛ في الخمسين من عمرها، نصف أعمال الشركة تقع علي عاتقها، ليست مجرد مساعدة لنائب الشركة ، بل هي أساس كل اجتماع ، وكل صفقة قامت بها الشركة، وكل عقد قد وقع أو لم يتم كانت شاهدة عليه.

_ لم أقصد أنا أعتذر...

_ من سيأتي للاجتماع؟.

_أفراد المجلس وهم رئيس الشركة السيد علي أشرف والسيد ارطارول سيكون بصفته نائب ورئيس قسم الإنشاءات ونائبه ورئيس قسم الإعمار السيد ألتان ونائبه ورئيس قسم الموارد البشرية السيدة أوزغور ونائبها وكذلك سيكون هناك رئيس قسم المالية ونائبه وقرر رئيس القسم القانوني الانضمام في اللحظة الأخيرة وبالطبع ستتواجدين أنتِ هناك مع فريقك.

_ كل هذه الأسماء لقد بدأت أشعر بالغثيان بسبب التوتر.

_ أشربي قليلاً من الماء ولا تقلقي ستكونين بخير هيا قفي بشموخ فأنتِ قائدة فريق يعمل علي هذا المشروع منذ شهر يجب أن تمالكي نفسك من أجلهم ولا تخذلي جهودهم التي عملوا عليها.

_ حسناً.. بعد شربها للماء هدأت قليلاً وقالت..شكراً لك جولين كلامك قد فادني قليلاً. اجتمعت مع فريق عملها قبل الاجتماع بدقائق ؛ ليراجعوا كل شيء معاً حتى قاطعتهم جولين...المجلس اجتمع وهم في انتظاركم.

دخل فريقها إلي غرفة الاجتماعات، جلس الجميع ووقفت هي بمنتصف الغرفة، لتبدأ بشرح مشروعهم ، كانت شديدة التوتر ، وضعت الأوراق علي الطاولة وهي ترتجف ، رفعت رأسها بعد أن استجمعت رابطة جأشها ، لتقع عينيها علي من يجلس بيسار علي أشرف، غمرتها سعادة لم تخفى عن الحاضرين، تلاشى ذلك التوتر الذي أنهكها منذ بداية اليوم، بكل حرفيه شرحت عن المشروع، وأجابت عن كل الأسئلة التي قد طرحت بفضله ، وكأن هذا العمل ليس بالعمل الأول الذي تقوم به ، كان كل ما يتردد برأسها كلماته تلك "أشاهد مفتخراً بزواجتي أمام أفراد مجلس الإدارة." كانت كل ما عملت لأجله ، لتردد دين الحرية الذي منحه إياها ، أرادت أن تحقق ولو شطر واحد، من حزمه الأمنيات التي تمنى أن يراها بها ،ها هي ذي اليوم تقارع الحياة ، لتحقيق حلمها بعد أن وثقت به ، وسمحت له بالتوغل داخلها ، تركض نحو التغيير ؛ فجونول اليوم التي تناقش الآخرين حول رأيها واهتمامها ، وتحاول إقناعهم بأرائها وأفكارها ما هي إلا نتيجة إصراره وإيمانه بها...أنتهى الاجتماع بعد قبول علي أشرف بالمشروع ، وطلب أن ينهي الفريق القانوني الإجراءات اللازمة للبدء بتنفيذه ، بدأ الجميع بالتسلل خارج الغرفة واحداً تلو الآخر ، ولم يتبقى سواهما ، توجه نحوها والابتسامة ترتسم علي ثغره ، وقف علي مقربه منها أنحنى نحوها هامساً...لقد كنت فخوراً بك للمرة الأولى أراكِ تجادلين بإصرار...ضحكت بتوتر لقرب المسافة الغير معتادة بينهما قائله:

_ هذا بفضل تواجدك فقد زادني ثقة.

أعيدوا لي قلبي

قصرت المسافة المتبقية بينهما ليحشرها وأضاف... لا أتي لحضور اجتماعات كهذه لكن عندما تمنيت حضورى في صباح اليوم أتيت.

قالت وقد علا التوتر علي صوتها:

_ ما الذي يجرى أرغوفان؟.

أبتعد قليلاً معتذراً... لم أقصد فقط لأن الغرفة جدرانها زجاجية أردت أن جذب الانتباه إلينا.

نظرت من حولها فرأت أنه قد نجح في جذب الإنباه ، الجميع كان ينظرون إليهما ويتهامسون قالت وهي خجله:

_ لكن لما فعلت شيئاً كهذا؟!.

_ أخبرتني أوزغور أن هنالك من يتسألون عنك في الشركة لذا الآن أحببتهم أنك زوجتي وهم يعرفون ماذا سيحدث لمن يقترب منك...أعتذر مجدداً إذا ما أزعجتك.

_ لم أفهم لما فعلت شيئاً كهذا فجأة...ولا أرى داعي ففي النهاية نحن لسنا متزوجين حقاً!.

لم يجبها وظل ينظر إليها بنظره منتشيه بالحب أضاف بعد صمت...لنشرب القهوة في مكتبك؟.

نزلا إلي الطابق الذي تعمل به ، وعند توجههما إلي مكتبها لم يغب عن مسامعها الهمسات التي يطلقنها الفتيات حول أرغوفان ، والتساؤلات حوله ، فهمت جونول بهذه اللحظة مقصد أوزغور عندما قالت "أجزم أن كل فتاة في المكتب تتمنى لو ينظر إليها بطرف عين" بدا واضحاً الانزعاج عليها ، ولهذا لم يستطع إخفاء سعادته لغيرتها عليه ، فقال عند جلوسه:

_ هل أنت منزعه من شيء ما أم هذا ما يبدو لي؟.

_ ماذا ألم تستمع لكلامهن؟.

_ أجل سمعته لا تبالي فهن لا يعلمن أنني زوجك في النهاية.

_ آه وهذا مبرر كي يتغزلن بك بصوت مرتفع.

ضحك وقال: ألم تقولي قبل قليل "في النهاية نحن لسنا متزوجين حقاً!".

توترت وحاولت إيجاد إجابته سريعة فقالت: ألم نتفق علي أن نكون خارج غرفتنا كالمتروجين....

ضحك مجيباً...صحيح غاب الأمر عن عقلي!..

أعيدوا لي قلبي

أردفت بثهكم... وأنت تضحك وكأن الأمر أعجبك؟.

تمالك نفسه وأخفى ابتسامته قائلاً: لا ليس هكذا... فرك رأسه متوتراً ثم قال: هناك فتاة تلقب بالصحيفة المتنقلة لا أذكر أسمها أرسلني بطلبها.

لما؟!

_قومي بالأمر فقط... وأطلي منها إحضار القهوة كحجة.
بعد برهه جاءت الفتاة ومعها القهوة، وضعتها أمامه متسائلة:

_سيد أرغوفان أهلاً بك بقسمنا.

_اهلاً بكِ.

_أعتدنا رؤيتك أما بالقسم القانوني أو في المطعم ونادراً أيضاً فلن ندين بشرف زيارتك لنا.

رسم ابتسامة عريضة علي ثغره قال وهو ينظر إلي جونول التي توردت خجلاً:
تدينون به لزوجتي جونول.

بهتت الفتاة وقالت: هل السيدة جونول هي زوجتك؟.

أجل... ثم أضاف بتعجب... ألم تعلموا أنها كنة بوزدا؟!

_أجل لقد ظننا أنها... غيرت الموضوع فجأة قائله: تهانينا لك سيدي وكذلك أنتِ سيدة جونول.

بعد خروجها قال: باتت كل الشركة تعلم أننا زوجان الآن هكذا لن أنزعج من الذين يتهامسون عنكِ وأنتِ لن تنزعجي من اللاتي يتهامسن علي.

_لكني لم أنزعج... قالت بحياء.

_هل نخرج لتناول الطعام؟... قال ليغير الموضوع.

_لا يمكنني الخروج من الشركة فهل ننزل إلي المطعم؟.

_حسناً إذاً أنزلي وسأوافيكِ لدي عمل مهم.

أثناء توجهها نحو الطاولة ، سمعت ألتان يناديها...جونول تعالي هنا...توجهت نحوه ، وكان برفقته شخصان غريبان لها ، قال:

_أن كنتِ لست بانتظار أحد انضم إلينا.

_دعني لا أزعجكم.

أعيدوا لي قلبي

قال صديقه الأول: زوجة أخي لا يمكن ذلك تفضلي.

أضاف الثاني... أن كنتما تريدان المكوث علي انفراد فلا مشكلة.

نظرت إليه بتعجب ،قال لصديقة...توقف يا هذا..

انزعجت من عدم توضيح ألتان الموقف لأصدقائه ، قالت بجدية تامة:

_ أعتقد أن هناك سوء تفاهم في الوسط ونسى ألتان توضيحه...أنا زوجة أرغوفان

بوزدا وليس ألتان بوزدا...شعرا صديقه بالإنحراج واعتذرا فقالت بتجهم: عن إذنكم.

تبعها ألتان قائلاً:

_جونول هل تنتظري قليلاً؟.. كل ما في الأمر أنه عندما أنتشر أنك كنه لأسرة بوزدا

ظن أصدقائي أنك زوجتي.

_حسناً ولما لم تصلح الأمر إذا؟

_لم أكن أعلم الآن فقط انتبهت للأمر ولم أكن أظن أن الأمر يستحق.

_إذاً أعلم الآن أنه يستحق...فانتشار شائعة كهذه تسيئ لأرغوفان أولاً ثم إلي.

_لم أعتقد أنك ستغضبين هكذا؟

_ألتان أن أرغوفان زوجي وبالطبع أي شيء يسيئ إليه يزعجني.

ألمت كلماتها ألتان ،ولم يستطع رد أي إجابته، أنسحب من أمامها بألم وانكسار ، يجر

خبيته خلفه.

مضى أسبوع منذ شجار جونول وألتان ،وقد تسربت المياه من ذلك الجسر الكبير .،

الذي ربط بينهما ، أصبحت الكلمات بينهما جافه ، وأختلط حديثهما الذي أصبح نادراً

بقليل من الجفاء ، شعرت بالإهانة بسبب فعلته ، ورأت أن عليها الابتعاد عنه قليلاً

حتى تتجاوز الأمر ، وتفهم لما لم يبرر وينهي تلك الشائعة.

عكس الأيام الماضية كانت تعمل من المنزل، بمكتب أرغوفان تعد للمشروع الجديد،

رن هاتفها وكان الرقم مجهول ، أجابت: تفضل!.

_ هل معي جونول بوزدا؟

_ أجل من معي؟

_ هل أنتِ وليه أمر مارت بوزدا؟

_ أجل أعتبر كذلك هل هو بخير؟

_أجل هو بخير لكنه لدينا في مركز جيهانغير للقيادة دون رخصة وقد أعطانا رقم هاتفك كونك من ذويه.

بعد خروجهما معاً من مركز الشرطة ، قال مارت:

_هل أخبرت أبي؟

_لقد أتصلت بي وهذا يعني أنك لا تريد لأبيك أن يعلم بالأمر.

_أجل هذا صحيح.

صعدا إلي السيارة فسألت...هل ستخبر والدك بنفسك؟.

_لا وسأكون ممتناً إذا لم تقولي أي شيء؟.

_أن كنت ستخبرني ما الذي أوصلك إلي هنا فلن أخبر والدك بشيء؟...تأفف وأراد النزول من السيارة ، أمسكت بذراعه قائلة: حسناً دعنا نتوقف أمام صيدلية ما ونضمد هذه الكدمات بوجهك.

بعدما ترجلا من السيارة قال مارت:

_يمكنك انتظاري بهذا المقهى سأضمد كدماتي وأعود.

خرج بعد عشرين دقيقة، رأى شخص ما يجلس قبالة جونول، تقدم ببطء محاولاً فهم من يكون هذا الشخص لكنه لم يتعرف إلي هذا الشاب، في عقده الثلاثين..أسمر البشرة...أكل العينين...متوسط القامة...شعره مجعد أسود اللون...تذكر حواراً دار بينه وبين أبيه، حول جونول وعائلتها، وكيف أنه إذا لم يتزوجها بذلك اليوم لثم قتلها بسبب سوء تفاهم، عندما طرأ هذا الحوار علي باله ،كان ينظر إلي جونول أمامه وهي تبكي وتضم يديها إلي صدرها، وهذا الرجل يصيح بها غاضباً، لم يتمالك نفسه، توجه نحوهما راكضاً وأنقض عليه، تبادلا العديد من اللكمات، ليسقطه مارت أرضاً قبل أن يتدخل الناس لإنقاذه، أمسك بذراعها وجرها معه قائلاً:

_لا تخافي...أضاف وهو يخرج هاتفه...سأتصل بأصلان وسوف يعرف ما معنى أن يتعرض لفرد من بوزدا...

أوقفته قائلة بتوسل:

_مارت...مارت...لحظة...من فضلك لا تخبر أحد لا أريد أن أورط أرغوفان معي.

_لا تخافي أبي ليس شخص يسهل التلاعب معه.

_مارت أنت طلبت ألا أخبر أبيك بأمر مركز الشرطة وأنا قبلت الآن لا تخبر أحداً

أعيدوا لي قلبي

علي الإطلاق وأنا سأخبر أرغوفان عندما أكون مستعدة.
تنهد وقال: حسناً...إذاً لنتفق علي ألا يتكلم أي منا وإن سأل أحد المدرسة استدعتك
لأنني تشاجرت مع أحدهم وأنت أخذتني من هناك...لكن لدي شرط.
_ ما هو؟

_ أن تعرض لكِ هذا التافه مجدداً لن أبقى علي وعدي.
_ أساساً أخبرتك سأبلغ أرغوفان ما أن أكون مستعدة...هيا بنا...
_ لكن هل يمكنك القيادة وأنت بهذه الحالة...
_ أجل لا تقلق.

كانت هذه المكالمة الثالثة، لم يستطع الإجابة لأنه بخضم مرافعه لقضية مهمة، خرج
من المحكمة أعاد الاتصال بنفس الرقم ، أجاب...تفضل!
_ لقد أتصلت بي قبل عشر دقائق لأكثر من ثلاث مرات ولم أستطع الإجابة.
_ لحظة من فضلك سيدي...أجاب علي الهاتف شخص آخر...مرحباً هل أتكلم مع
أرغوفان بوزدا؟
_ أجل سيدي تفضل.
_ أتحدث إليك من قسم الطوارئ تم إسعاف زوجتك وابنك إلي هنا قبل نصف دقيقة.
_ ماذا؟...قال بفرع...ما وضعهما؟
_ كلاهما لا زال في قسم الطوارئ أبنك مستيقظ وهو من أعطانا رقم هاتفك لكن
زوجتك لا زال الأطباء يهتمون بها.
_ أرسل لي عنوان المستشفى حالاً من فضلك.

الفصل الخامس

"لا أريدُ أن أشهدَ غِيَابَكَ ، أريدُ أن أُغِيبَ مَعَهُ!.."

يركض مسرعاً نحو قسم الطوارئ ، دخل إليه بأصوات أنفاس عالية ، ونبضات قلب متسارعة ، كمن خير بين قلبه وروحه ، يبحث بعينه السوداء الجاحظتين عن ملامح تعود لأحدهما ، سمع صوت من خلفه أنعش قلبه ، توجه نحوه مسرعاً وأحتضنه...بني هل أنت بخير؟..

أجاب وهو يتألم من كتفه التي يضغط عليها...أج...أجل أنا بخير كسر بكتفي وبعض الرضوض.

ألثف حول نفسه وسأل: جونول!...ماذا عن جونول؟.

_ كانت هنا قبل قليل...أمتلىء صوته حزن وعينيه بالخوف وأكمل...أخذوها.

_إلي أين أخذوها؟

_ سمعت الطبيب يقول "جهزوا غرفة العمليات".

أستدار بحثاً عن من يمكنه إعطاء أي معلومات حولها...عذراً هل ينظر إلي أحدكم؟...صاح بهم...تقدم طبيب شاب لا زال متدرب...تفضل...قال.

_ هذا ابني وكانت معه زوجتي في نفس الحادث هل يطلعني أحدكم علي وضعها؟

_ لحظة من فضلك...ما أسم زوجتك سيدي؟

_جونول بوزدا.

نظر بين أسماء المرضى ثم قال: تم نقلها إلي غرفة العمليات لأنها تعاني من نزيف داخلي سأرشدك إلي غرفة العمليات وأنتظر الطبيب هناك سيعطيك معلومات أدق عند خروجه.

اجتمعت أسرة بوزدا أمام غرفة العمليات ، كان يبدو علي أرغوفان التوتر والخوف ، وعلي أشرف يسبح ليخفف من اضطرابه ، وبجانبه خديجة تدعو لنجاة جونول ، أما ألتان الذي لا يدري كيف يسيطر علي هذا الهاجس الذي يأكله ، كان يتحرك في القاعة بين جيئة وذهاباً...أما البقية باستثناء كليتش وبهار واقفين بتوتر ولا تسمع إلا همساً ، توجهوا نحو الطبيب عند خروجه قال: أنتم عائلة جونول بوزدا؟.

_أجل نحن عائلتها...قال علي أشرف...ما أخبار أبنتي؟

_ بسبب الحادث كسر لديها أربعة أضلاع وأحد الأضلاع تسبب لها بنزيف داخلي حللنا الأمر وهي بخير الآن...نظر إلي علي أشرف وسأل...أنت والد المريضة؟.

_ لا أنها كنتي.

_ أنا زوجها... أردف أرغوفان... ما الأمر؟

_ قد تعاني المريضة من بعض المضاعفات بسبب الحادث كصعوبة بالتنفس فجأة أو بعض الغثيان عند التحرك بسرعه والدوار أثناء حملها لأي شيء ثقيل... لا تقلق عليها إذا حدثت لها أي من هذه الأمور سأكتب لها مسكن ألم وستبقى لدينا ليومين ثم يمكنها الخروج وعليها تلقي الراحة حتى تشفى أضلاعها.

_ حسناً شكراً لك.

_ زال البأس.

غادر الطبيب وتنفس الجميع الصعداء ، قال علي أشرف: حفيدي لما كنتما معاً في نفس السيارة؟

أضاف أرغوفان بعد أن تذكر: أساساً لما لست في المدرسة كبحار وكيلايتش؟

_ حدثت مشكلة بالمدرسة وجاءت أختي جونول وأخذتني.

_ بأي صفة حتى تتصل بها؟...صاح به أرغوفان.

أمسك بذراعه ارطارول قائلاً: أخي أهدأ...

_ أنتظر لحظة يا أخي ولا يتدخل أحد أريد أن أفهم.

توترت مارت قائلاً: طلبوا مني الاتصال بأحد ذويي لذا أتصلت بها لأنك كنت ستغضب مني.

صاح به وهو يدفعه من كتفه بأصبعه: أنا والدك ستتصل بي حين تقع بورطة وإن كنت تخشى من غضبي فلما لم تتصل بأحد آخر أحد أعمامك ألتان أصلان؟...هل بقى حل مشاكلك التي لا تنتهي علي جونول؟.

وقفت بينهما جاودة قائله بغضب: توقف عن هذا وأنظر إلي الحالة التي وصل بها أبناك بسببها وتلومه.

قال بغضب:

_ إياك والتدخل بيني وبين أبنائي أنتظنين أنني غير منتبه إلي أنك تحرضينه علي كل ما أفعله أو أقوله...أضاف بلهجة تهديد...إذا لم تتوقفي عن التدخل بشؤوني فأقسم أنني لن أقول أنك زوجة أخي أحرقك وأعبر.

_ أرغوفان!...صاح علي أشرف...ما الذي تفعله؟...نفهم أنك تتألم لكن أنظر أبناك يقف بيننا سالماً وزوجك طمأننا عليها الطبيب لذا أخرج وأستنشق بعض الهواء وأحمد الله.

_ هون الله عمك... قال ألتان لموظف الاستقبال.

_ سلمت يا أخي تفضل.

_ جونول ومارت بوزدا وصلا في الظهرية إلي هنا بسبب حادث سيارة.

_ أجل هل ترغب بمعرفة وضعهما؟

_ لا... أريد رقم غرفة الشخص الآخر الذي تعرض للحادث.

_ أنه بخير وسيخرج بعد ساعه... قال أحدهم من خلفه.

_ أستدار قائلاً: أخي أصلان ماذا تفعل هنا؟

_ كنت خارجاً وعندما رأيتك هنا أتيت إليك لتحدث قليلاً.

_ بخصوص؟!

_ دعنا نخرج وستعرف... خرجا وجلسا بالخارج قال أصلان: هل تعرف كيف ألتقينا

أنا وعمك؟

_ لا ولم يخطر ببالي أن أسأل قط.

_ سأخبرك... كنت في الماضي الذراع اليمنى لرجل ذا نفوذ كبير كنت أبطش بهذا

وبذاك حتى أنني كنت أسير على الثلج ولا أترك أثراً... وقعت يوماً ووضع نائب

أمامي أدلة لجريمة ما... لكن كل ما عرضه أراه للمرة الأولى... شعرت بالظلم لأول

مره في حياتي... ما ألمني أنني وقعت بتهمة لم ارتكبتها... وقد حكم علي بـ25 عاماً...

لم يصدق أي أحد أنني بريء حتى المحامي.

_ ماذا عن الرجل الذي تعمل معه؟

_ لم يشك بي حتى... بحث كثيراً عن محامي جيد يخرجني من ما أنا فيه... وبيوم ما

كنت قد بيئت فيه من الخروج وقف أمامي عمك لا يزال شاباً بالخامسة أو السادسة

والعشرين... نظر في عياني وسألني "هل أنت من فعلتها؟" نظرت بدوري إلي عينيه

"لأول مره في حياتي أكون بريئاً" قلت... لم يتهاون عمك في قضيتي وصدقاً مع أنه

كان يتكلم بكل ثقة إلا أنني لم أكن مقتنعاً أن هذا الشاب اليافع بإمكانه إخراجي وبعد

شهر منحني حريتي

_ يا إلهي أنظر إلي عمي.

_ منذ ذلك اليوم بت أدين لعمك بروحي... سخرت معارفي وكل من أعرفهم لحمايته

من أصحاب النفوذ الذين يتورط معهم بعد خسارتهم أمامه... أقسمت علي أن أحرق

روح من يؤذيه أو يحزنه أو حتى يفكر بكسر قلبه.

قال بإعجاب: أنت أسم علي مسمى أصلان "أسد".

_ لكن هناك أمر يؤرقني... علمت بأمر لا يجب أن يسمع به عمك وصمتي عن الأمر يسبب لي الأرق.

_ ما الأمر؟... قال بقلق... أخبرني ربما بإمكانني مساعدتك.

_ ولهذا أتيت إليك... قبل أسبوعين وقع علي مسامع أخي أن هنالك عديم شرف يضع عينه علي زوجته وطلب مني محاولة معرفة من عديم الشرف هذا... صمت قليلاً ، وتجمد الثاني في مكانه ، لم ينطق لسانه ، كان يعرف جيداً أنه إذا ما بحث خلف أمر ما يجده وإن كان بعمق البحر ، أكمل... تتبعت الأمر بدوري ومن الشائعة التي قد نشرت في الشركة وكذلك من قراءة بعض التصرفات المشكوك بها من طرفك فهتمت الأمر وأدركته... أخي أصلان أن... قاطعه مكملاً... كنت أقول أنني فهمت ما يحدث وأدركته أنت بشر بالنهاية ونحن لسنا معصومين عن الخطأ... وأمور القلب لا يمكن فهمها... أنت لم تخطئ بحق عمك أفهمك تماماً... والأهم أنها لا تدرك مشاعرك... لكن لا أستطيع توقع ردة فعل أخي علي الأمر ولا أرغب بتدهور علاقتكما لأنني أعلم كم أنت غالي بالنسبة له لذا... سأقول هذا الكلام لمرة واحدة ولن أعيده... طالما جونول علي ذمة أخي أرغوفان لن نتحدث معها إلا أن وجد شيئاً ضرورياً ولن تكونا بمكان واحد بمفردكما لأكثر من خمس دقائق وإن أصرت أخرج حجة ما وغادر... لن تتدخل بأي أمر يخصها أو له علاقة بها وإن سمعت أو رأيت أنك تحاول بطريقة أو بأخرى تشتيت العلاقة بينهما عندها ستجدني أمامك... وأقسم لك أن وقوفي أمامك لن يكون أمر يحمده عليه... نهض وأضاف قبل أن يغادر... واعلم أنك منذ هذه اللحظة بت تحت نظري.

ضرب يده علي رأسه قائلاً: ما الذي أوقعت نفسي به؟

جلس بهدوء ولم يتفوه بأي كلمة ، خرج عن صمته بعد وقت قائلاً:

_ أنا آسف أبي... لم أكن أعلم أن هذا سيحدث أقسم لو كنت...

أحتضنه أرغوفان ، فبكى بحضن أبيه معتذراً ليقول له:

_ لا تعتذر أنت لا ذنب لك ولهذا سمي حادث... قبله علي رأسه مضيفاً... لا تؤاخذني

أنا انفجرت بك قبل قليل دون قصد وإلا أنا لا ألومك علي الإطلاق وأنت كذلك لا

تفعل ما حدث لجونول كان ليحدث أن كنت برفقتها أو لا.

أعيدوا لي قلبي

إِذَا أَنْتَ لَسْتَ غَاضِباً مِنِّي؟

لا لست غاضب كنت متوتر وقلق فقد امتحنت اليوم بأغلى شئئين بحياتي وكان صعباً جداً..

أحتضنه مردفاً...سيمضي وأختي جونول بخير الآن.

هيا أنت أذهب مع عمك ارطارول إلي المنزل نم وأرتح.

حسناً لكن سأتي غداً مع جدي...تصبح علي خير.

أرغوفان ألتان علي أشرف خديجه وكذلك أوزغور رفقة مارت ، جميعهم في انتظار خروج الطبيب ليبلغهم بوضع جونول بعد فحصها.

زال البأس مجدداً...قال الطبيب عند خروجه.

قال أرغوفان: سلمت أيها الطبيب ما الأخبار؟

لا يوجد وضع يدعو للقلق كما أخبرتك بالأمس قد تكون لديها بعض المضاعفات وهذا أمر طبيعي عليها أن تلزم الراحة فقط وسأوقع علي خروجها بعد غد فور أن أتأكد من وضعها.

حسناً وشكراً لك مجدداً يا أبنني الطبيب...قال علي أشرف.

جل الأسرة مجتمعة حولها ،يمزحون ويضحكون تغييراً لأجواء المستشفى ، لكن لم يغب عن أرغوفان وضع جونول والتي كانت حاضره بجسدها وروحها وعقلها غائبان ، أمسكت أوزغور بيدها وقالت:

عزيزتي هل أنت بخير؟.

أفاقت من الأفكار المتراكمة برأسها قائله وهي تنظر لأسفل: أجل أنا بخير.

قال علي أشرف:

فلتكن زيارتنا قصيرة هيا لنخرج.

خرج الجميع ،ظل مارت واقفاً ينظر إلي جونول بقلق ، لأنه الوحيد الذي يدرك ولو جزء بسيط مما يقبع وراء حالتها هذه، أمسكته أوزغور من ذراعه وهمست له: دعنا نتركهما وحدهما قليلاً.

لم يبقى بالغرفة غيرهما ،يجلس علي الكرسي مشبك يديه في صمت ،وهي بصمتها المريب تنظر إلي يديها...خرجت عن صمتها قائله:

أنا آسفه كدت أن أتسبب بأذية مارت.

_ لا تعتذري كان حادثاً.

_ لم أركز أثناء القيادة...تساقطت تلك الدموع من عينيها ، هرع إليها وجلس بجانبها ، أراد احتضانها أن يمسك بيدها ليهدهئها ، رغب بمواساتها بالتربيت علي شعرها ، لكنه لم يستطع فعل أي من هذه ، بسبب الوعد الذي قطعه لها "لن أمس شعرة منك ما لم تريدين" أكتفى بقوله:

_ لا تبكي ما حدث لم يكن خطأك كان حادث وقد يحدث مع أي واحد منا...يكفي أنه لم يتأذى أي منكما...لم تكف الدموع عن السقوط فأضاف...لما لا زلت تبكين؟

_ اعتذر كل ما في الأمر أن كل هذا كثير.

_ ماذا تقصدين؟

_ كل شيء بات علي كاهلي ثقيل...دخلت بحياتي ثلاث مرات للمستشفى...المرّة الأولى عندما كنت في التاسعة عشر لا أذكر ما حدث وعندما استيقظت بقيت وحدي حتى خرجت...وعندما تدخلت لإنقاذي كانت تلك المرة الثانية لم يكن معي سوى أختي عائشة وقد كانت هناك بفضلك...أما هذه الثالثة...مسحت الدمعة التي تسالت من عينيها مكملة...والمرّة الأولى التي لا أكون بها وحيدة.

قال وهو يحاول النظر بعينيها وهي تتجنب النظر إليه: أنتِ لم تعودي وحيدة نحن جميعاً معك.

_ أعلم لكن اعتيادي علي كل هذا يجعلني أشعر بالاسى فبعد شهر ونصف لن أعود واحدة منكم.

بدأ يسمع اقتراب الأجل في صوتها ، ما يفصله عن سماع أسوء نبا يخرج من بين شفثيها سوى القليل ، ما لم تكن قد حانت ساعته ، لم تنتظر إليه أو إلي أي من كان متواجد، لم يفهم أيهما أهي تعاتبه أم تخفى شيئاً ما عنه، أقترب منها مد ذراعه إلي الطرف الآخر من السرير، لعله باقترابه يجبرها علي النظر إليه، كان يتأملها بصمت ،لم يرغب بأن يبأس وأراد أن يحاول ويجعلها تراه وتشعر به، قال:

_ عندما وردني الاتصال وسمعت بنبايكما شعرت كأن الدنيا هدمت فوق رأسي...وعندما رأيت مارت بخير ارتحت لكن تلك الراحة لم تدم...أن المرة الأولى التي أطلب بها الله أن يأخذ من عمري ويعطيه لشخص آخر...عندما سمعت أنكِ بغرفة العمليات لم أهدأ حتى دخلت إلي هنا ورأيتك بخير...لم تتكلم أو ترفع عينيها... بصمت منتظراً أن تروى صحراء قلبه بزرقه عينيها لتنتفح الأزهار بهذا القلب المتلهف لنظرتها.

_ آه عصفورتي الصغيرة...قاطعتهما زليخة أضافت عند ابتعاد أرغوفان عن جونول

...أعتذر لقد دخلت هكذا فجأة.

_ لا أستغفر الله... قال أرغوفان...كنت سأخرج أساساً تفضلي.

_ خالتي...قالت وهي ترسم ابتسامه رقيقة علي ثغرها.

كان يراقبها عند احتضانها لخالتها، حديثها معها وهي تبتسم إليها، أنسحب بهدوء
يجر خلفه العديد من التساؤلات.

جالساً بالهواء الطلق يفكر بتمعن، قبل أن يقاطعه أصلان...سيدي هل أنت بخير؟

_ أجل أنا بخير...ربت علي الكرسي...أجلس وأخبرني.

جلس قائلاً: اهتمت بأمر صاحب الشاحنة لحسن الحظ لم يتعرض لضرر كبير
خرج قبل قليل...لقد أعطيته باسمك وصل لأحد معارض السيارات وقد تواصلت
معهم مسبقاً ليذهب ويستلم شاحنة جديدة عوضاً عن التي تحطمت بالحادث.

_ ولهذا السبب لم يشتكي؟

_ لا لم يشتكي عندما علم أن جونول في غرفة العمليات.

_ جيد ما حدث.

_ هل جونول بخير؟

_ أجل أنها كذلك والسيدة زليخة معها الآن.

_ أعلم أنني قد أتجاوز حدي ولكن يبدو أن هناك مشكلة ما؟

_ أجل كأننا بدأنا من البداية أنها تتحدث إلي بغرابه منذ استيقاظها...تنهد قائلاً بحسره
...ولم تنظر إلي أبداً.

_ وبالطبع هي لن تتكلم.

_ مستحيل...بالتأكيد قد حدث شيء ما لكن لن تخبرني علي الإطلاق.

_ وكيف فهمت أن هناك أمراً قد حدث؟

_ جونول لا تنظر إلي إلا بحالتين إما أنها تخفي شيئاً ما أو أنها تعاتبني علي شيء
ما؟!!

_ والفرق؟

_ أن كانت تخفي شيئاً ما فهي تنظر لأسفل عند حديثها معي وقد حدث هذا سابقاً...
وعندما تنظر إلي كل مكان إلا وجهي فهي تعاتبني.

_ ما دمت تقول هكذا سأحقق في ما حدث يوم الحادث وسنجد ما تخفيه...لا تنزعج.

أعيدوا لي قلبي

ربت علي كتفه بامتنان... أنت أسدي.

في المساء عند دخوله نادته من خلفه: أخي أنتظر.

_ أوزغور؟!.. ما الأمر.

_ أنت هنا منذ يوم الحادث ولم تترح إطلاقاً سابقى اليوم هنا وأنت أذهب وأسترح.

_ لا داعي حقاً.

_ أذهب إلي المنزل أستحم ونم مطمئناً زوجتك بأيدي أمينة.

_ حسناً... هيا بنا.

عند دخولهما قالت أوزغور:

_ مساء الخير.

_ مساء الخير... أجابنا معاً.

_ سيدة زليخة موعد الزيارة أنتهى دعيني أوصلك بطريقي للمنز... قال أرغوفان.

_ وجونول؟!.. قالت بتعجب.

_ أنا سابقى بجانبها... أردفت أوزغور... أن لم يكن لديها مانع.

قالت جونول: شكراً لك أوزغور لكن أرغب أن تبقى معي خالتي زليخة.

_ حقاً لا مشكلة ببقائي معك.

_ أعلم هذا وأقدره لكن لديك عمل يكفي ما تسببت به حتى الآن.

كان لكلماتها وقع قاسي عليه، أمسك بذراع أوزغور قائلاً بانزعاج: هيا بنا.

_ عمتما مساء... أردفت قبل خروجها خلف أرغوفان الذي غادر غاضباً ودون أن

يقول أي شيء... قالت وهي تحاول اللاحق به... أخي ما الذي يحدث؟

_ نحن نغادر المستشفى.

_ لا أقصد هذا بالطبع ما الذي يحدث بينكما هل تشاجرتما؟

_ لا علي الإطلاق.

أمسكته من ذراعه وشدت جذعه لتوقفه... هل قمت بإلقاء اللوم عليها كما تكلمت تلك

الغبيه جاهدة؟

_ وهل هكذا أبدو لك؟

_ إذاً ما الأمر؟

أعيدوا لي قلبي

_ ليتني أفهم ما الذي يحدث أيضاً يا أوز غور... ليتني؟!.

_ لم أفهم؟.

_ لا تهتمي دعينا نذهب.

عند قدومه للمستشفى في الصباح، وقف أمام الغرفة انبعثت بداخله راحة، عند رؤيته لجنونول تضحك وتحدث، وإن لم يكن هو من تتحدث إليه وتضحك معه، إلا أنه كان راضياً برؤيتها سعيدة ، تلاشت تلك السعادة من محياها عند دخوله وقال بحنقه:

_ صباح الخير!.

_ صباح الخير... أجابا.

_ أين السيدة زليخة؟

_ لقد ذهبت والدتي لتناول طعام الفطور في المطعم.

_ يمكنك الذهاب لا نشغلك هنا أنا موجود... قال بحده.

_ لا عليك أنا بخير... قال بابتسامة صفراء.

أطفأت جنونول شعلة النصر التي أراد إشعالها قائله: أونور يمكنك الذهاب لمتجرك لا تتأخر عليه.

أضاف بامتعاض... حسناً كما تريد.

بعد مغادرته سحب أرغوفان الكرسي جلس قائلاً:

_ كيف حالك اليوم؟

_ بخير... بعد صمت مريب قالت: هل لنا أن نتحدث؟...

أعتدل بجلوسه ظناً منه أنها ستخبره بما يزعجها ، أجاب... بالطبع..

أضافت بتوتر... أخبرتك بالأمس لقد تبقى لنا شهر ونصف الشهر لذا... أريد أن أنتقل للعيش مع خالتي حتى يحين موعد انفصالنا.

_ جنونول نحن لم نتفق هكذا؟

_ أعلم ولكن اعتيادي علي كل شيء سوف يصعب انفصالي عنك وعن عائلتك.

_ أطلبين هذا فقط لأنك لا تريدين الاعتياد أم إنك تخشين من الاعتياد؟

_ كلاهما.

_ جنونول حباً بالله أعطيني عذراً جيداً لأستطيع فهمك؟

_ أرغوفان أنا أشعر وكأنني أختنق أرجوك دعني أبتعد عنكم.

_ يا للهول!... قال بحسره: أل هذه الدرجة كنتِ تعانين ببقائكِ بيننا... أضاف بغضب... أخبرتكِ من البداية أنكِ لستِ مجبرة علي القдом معي أن كان بقاءكِ بجانبني ومع عائلتي يعذبكِ إلي هذه الدرجة فلما لم تقولي... أظننتِ أنني سأجبركِ... أنا لن أجبركِ علي أي شيء ألم أقل لكِ هذا سابقاً... اعتقدتِ أنكِ ترينني مختلفاً لكن واضح أنكِ تشبهيني بهم.

بكت بصمت فشعر بتمزق في قلبه ، بخطوات سريعة توجه نحوها ، جلس محاذاتها رفع يده بالقرب من وجنتها... لا تبكي... قال بحسره، ضم قبضته وضعها علي فخذه مردفاً...دموعكِ تحرق داخلي... أنا أعذر لقد انفجرت فجأة لأن ما قلته ألمني... قبل أن تخرج الكلمات من بين شفتها رن هاتفه... المعذرة اتصال مهم... اتجه إلي النافذة وأجاب: نعم أصلاً!

_ بيوم الحادث مارت لم يأتي للمدرسة علي الإطلاق.

نظر إلي انعكاسها في النافذة ، كانت تنظر إليه وابتسامه خفيفة علي ثغرها ، أبتسم قائلاً: هذا يعني أن شيئاً ما قد حدث؟.

_ أجل وأرجح أن مارت يعرف بما حدث.

_ حسناً أصلاً أنا سأكمل من هنا... أنهى المكالمة وأستدار بسرعة ، لتدعي أنها لم تكن تنتظر إليه، أخفى تلك الابتسامة من ثغره قائلاً بهدوء: حديثنا لم ينتهي هنا سأعود وسوف نتحدث مطولاً وأعدكِ أنني لن أجبركِ علي شيء وسيحدث مثلما تريدين.

عند مروره بالاستقبال سمع فتى التوصيل يقول... هذه الزهور لجونول بوزدا... توجه نحوه وقال:

_ مرحباً هل قلتِ أن هذه الأزهار لجونول بوزدا؟!.

_ أجل سيدي.

قال لموظفة الاستقبال: أنا زوجها وزوجتي تعاني من حساسية اتجاه الأزهار لا ترسلوها لغرفتها... وأضاف للفتى... من أرسلها؟!.

_ لا أعلم بها بطاقة أنظر لها إذا أردت.

أخذ البطاقة ثم قال بلامح توشي علي الغضب: أين يقع المتجر الذي أرسل هذه الأزهار؟.

_ في الشارع المقابل.

خروج وأتصل بأصلان وما أن أجاب قال:

أعيدوا لي قلبي

_ وصلت للتو باقة زهور لجونول من المتجر المقابل للمشفى أعرف من أرسلها.
_ حالاً أخي.

قرأ مجدداً ما كتب علي البطاقة قبل أن يرميها "مهما باعدتنا الحياة ستلتقي دروبنا يوماً__ زال البأس".

مزق الورقة ورماها قائلاً: ستكون نهايتك يا أونور أن كنت وراءها.

مستلقياً يضع السماعات علي أذنيه ويشاهد فيلماً ما ، فتح الباب فجأة فقال بتعجب:

_ أبي!... هل هناك خطب ما؟

_ اجلس ودعنا نتحدث... قال بغضب.

خلع سماعاته وأعتدل بجلوسه قائلاً بتروبي: ما الأمر أبي يبدو أنك غاضب.

جلس أمامه قال وهو ينظر بعينيه... ماذا حدث بيوم الحادث ولم تخبرني به؟

توتر فوراً... ل... لقد أخبرتك... أخبرتك كل شيء.

_ دعني أسألك هكذا... لما كنت مع جونول وليس بالمدرسة؟

_ أخبرتك أبي... تشاجرت مع أحد...

قاطعته باستهجان... لا تكذب علي... صاح به... أنت لم تذهب إلي المدرسة يوم الحادث

حتى معلمتك تعتقد أنك قد تعرضت للحادث أثناء قدومك للمدرسة... أضاف بلهجه

تهديد... أنظر جيداً تدرك أنني ما أن أضع أمراً بيد أصلان تكون مجرد ساعات قبل

أن أعرف الحقيقة... أخبرني أنت ولا تجبرني علي تغيير معاملتي معك.

_ أبي... قال بتردد... أعتقد... دع جونول تخبرك بنفسها.

_ لو كانت ستتكلم هل أتيت إليك؟

_ وعدتني أن تخبرك ما أن تصبح جاهزة.

صاح به... بماذا ستخبرني؟

_ أرجوك أبي لا تدخلني بالأمر.

_ إذاً لما لم تذهب للمدرسة؟

_ ذهبت مع أصدقائي للتنزه.

_ ومن هؤلاء الأصدقاء؟

_ صديق جديد أنت لا تعرفه.

_حسناً سنتحدث عن هذا الأمر عند عودتي بالمساء والآن أخبرني لأرى ما الذي حدث؟

_ألا تزال مصراً يا أبي؟... لا تدخلني بخصوصيتكما؟

_لا تجعلني أبداً بلعن الخصوصية تحدث ولا تغضبني؟

بعد صمت قال: لقد وصل إليها أحد أخوتها.

_ماذا؟... قال بفرع... وما أدراك أنه شقيقها؟

_هذا ما فهمته كان يصيح بها وهي تضم يديها لصدرها وتبكي فقط.

_اللجنة!... همس لنفسه... هل لهذا لا ترغب بإخباري... ضغط على رأسه ثم همس... مستحيل أن يكون أحد أشقائها...

أكمل مارت... عندما رأيتها بتلك الحالة لم أحتمل وتشاجرت معه ثم سحبت جونول معي وغادرنا طلبت مني ألا أخبرك بما حدث حتي تخبرك هي بنفسها بالوقت المناسب.

_أتعني أن ما بوجهك كدمات ليست من فعل الحادث؟.

_لا أنها من أثر الشجار.

_صفه لي كيف يبدو؟

_في عقده الثلاثين أعتقد... أكحل العينين... شعره أسود... متوسط القامة.

_اللجنة... نهض مسرعاً فقال مارت: أبي تعرف من يكون؟

_أجل... غادر الغرفة وهو يتصل بأصلان قال عندما أجاب: أصلان هناك ضيف غير مرحب به في المدينة أريد منك إحضاره لي وإن كان في قاع الأرض.

في المساء كانت تطالع كتاب قد تركه لها ألتان سابقاً ، وخالتها تلعب علي الهاتف ، بعد دخوله أبعدت عينيها عنه قبل أن تلتقي بعيناه... مساء الخير!... قال

_مساء الخير سيد أرغوفان!... أجابت زليخة بتعجب... لما أتيت يكاد ينتهي وقت الزيارة؟.

_بخصوص هذا الأمر... يمكنك الذهاب إلي منزلك اليوم لترتاحي... أساساً ستخرج جونول غداً.

_سأبقى أن كانت ابنة أختي ترغب بهذا.

أعيدوا لي قلبي

قبل أن تجيب جونول قال بتهكم: أتيت لأنني اشتقت لزوجتي يا سيدة زليخة.
شعرت بالإحراج فقالت وهي تهم للمغادرة: المعذرة تصبحان علي خير.

_ أن سلجوق في انتظارك بالأسفل هو من سيوصلك.

جلس بمحاذاتها بعد خروج زليخة قالت: لقد أخرجتها.

_ قلت الحقيقة فقط وعلاوة علي هذا أردت أن نكمل حديث الصباح.

_ لكنني أخبرتك بما عندي.

_ حسناً أنا أفهمك... لكن سأسألك شيء وأريد إجابة واضح!

_ حسناً أسأل!!

_ من الواضح أنك مشوشة التفكير فهل جانير هو السبب؟

نظرت إليه بصدمة، روت زرقة عيناها قلبه الصائم عن نظراتها، حاول احتواء هذه
السعادة التي فاضت من فؤاده، لكن عيناها أبت إلا أن تنظر لها بنشوة حب، اضطربت
وأبعدت عيناها عنه...

جلست علي إحدى الطاولات، في انتظار أن ينتهي مارت من تضييد جراحه ، وقبل
أن تنادي النادل قال: جونول؟!.

استدارت وارتسمت السعادة علي محياها، رغم كل شيء يظل صديقها وله مكانته
الخاصة ، نهضت قائله:

_ جانير لقد مضى وقت طويل؟!.

لم يتهاون في احتضانها، علي عكسها التي تجمدت في مكانها ، أبتعد عنها قائلاً:

_ لم أقصد أعتذر جرفتنني الحماسة.

_ تعال أجلس... بعد جلوسه أضافت... لم أتوقع رؤيتك ما الذي تفعله هنا؟

أعتلت وجهه نظرت التعجب متسائلاً: ما الذي تعنيه؟

_ ماذا؟

_ أنت أرسلت بطلي للقدم إلي هنا... أعني عندما أرسلت لي لنتقي أتيت مسرعاً!!..

_ لا أنا لم أرسل للقائك... ثم كيف علمت بمكان تواجدي؟

_ الرجل الذي قال "أنك أنت من أرسله" أعطاني عنوان منزلك وعند وصولي رأيتك
تهمين مسرعة بالخروج لذا لحقت بك.

_ أنا حقاً لم أرسل إليك أي أحد أعتقد أنه هناك خطب ما؟

__ اللعنة!... هل أنت متأكدة؟

__ جانير في آخر مكالمة لنا طلبت منك أننا لن نتواصل مجدداً فكيف أرسل لرؤيتك؟.

__ اعتقدت أنكِ غاضبة بسبب تهوري وما فعلته بذلك اليوم في أزمير.

__ لم أفهم؟... ما الذي فعلته؟

__ ظننت أنكِ تعلمين؟... اعتقدت أنه سيزف لكِ الخبر فور أن يستيقظ؟

__ جانير لقد بدأت تثير قلقي من سيخبرني وبماذا؟

__ أستند علي الكرسي مطلقاً تهديده طويلة وقال: ذلك المحامي!

__ أرغوفان؟... ما به؟... قالت بفرع.

__ إهدائي أتحدث عن شيئاً قد مضى... ألم... يتم طعنه؟

__ أجل!... ثم قالت بتعجب: وما أدراك أنه قد طعن؟... كنت أنت في أمسيا عندما حدثت الحادثة؟

__ أنزل رأسه للأسفل وقال بينما يفرك رأسه توتراً: كنت في أزمير تلك الليلة... كنت قد أتيت لرؤيتك.

__ ماذا؟... توترت وأجبرت علي طرح سؤال تخشى إجابته سألت والدموع بعينيها: هل... كنت أنت؟... لم يجب فانهارت باكيه.

__ صاح بها... لا تبكي لما تبكين لأجله؟.

__ خرجت الكلمات منها بصعوبة تحت وطأة الدموع: هل تدرك... أنه قد... تأذى بسببي؟
__ المشكلة أنكِ تعتقدين أنه رجل جيد لأنه قد أنقذك ذلك اليوم ذلك الرجل كابوس أنه سيئ بكل ما تعنيه الكلمة.

__ هو لم يؤذني بشيء بل فعل ما لم يستطع أي منكم فعله ما السيئ في ما فعله؟.

__ رجاله أخذوني من داخل منزلي هل ترين هذه اليد... رفع يسراه مكماً... كانت مكسورة قبل شهرين أبرحوني ضرباً انتقاماً لما فعلته رجل يأخذ انتقامه بهذه الطريقة هو ليس برجل نظيف.

__ أخبرها بما جرى له ذلك اليوم ، وهي منهارة من البكاء ، لأنها قد تسببت بالأذى لأرغوفان الذي كاد أن يفقد حياته بسببها ، ولم يسلم أعز أصدقائها من الأذى بسببها بلحظة أنقلب كل شيء بتدخل مارت المفاجئ.

__ كيف علمت بالأمر؟... قالت بعد أن عادت من رحم هذه الذكرى.

أعيدوا لي قلبي

_بتي الآن تعلمين أنه لا يوجد شيء يمكن أن يخفى عني.

_مارت أخبرك؟

_أجل ضغطت عليه فأخبرني وعندما أعطاني الموصافات فهمت أنه جانير.

_وهل تعرف جانير من قبل؟...قالت بتعجب.

_ألم يأتي إلي الفندق ويخبرني بما حدث معك من هناك أعرفه.

_أه صحيح!..

ساد الصمت للحظة فأضاف...قد أتضح سبب تشوش أفكارك لكن لا ألومك فالمرء حين يقابل شخصاً...تردد في قول...يحبه...يتبعثر وتشتت كل موازينه.

_ماذا تقصد؟...قالت بتعجب.

_ألم يكن لقائك به السبب في تبعثرك وتشتت أفكارك؟

_لا أقصد هذا بل كلامك عن من نحب وما شابه؟

_أجل وأليس جانير هذا هو ابن البقال؟

تنهدت وأراحت رأسها علي الوسادة بصمت ، تذكرت أنها لم توضح أي شيء لأرغوفان فقالت: أعتذر كان لا بد لي من شرح الوضع لك من قبل فمعرفتك للحقيقة أمر لا بد منه.

_عن أي حقيقة تتكلمين؟.

_كل ما حدث ذلك اليوم كان بسبب سوء تفاهم وقع به جمال الدين ولأنه نطق بالحكم علي دون أن يستمع لي أو يمنحني الوقت للدفاع عن نفسي لم أستطع شرح الأمر لأن جانير لم يكن حبيبي ولا تربطنا أي علاقة عاطفية...حاول احتواء السعادة التي غمرته ، وأمسك بالضحكة التي كادت ترسم علي ثغره ، لكنها تسللت من عينيه.. أكملت...لقد أخبرتك سابقاً أنه كان لكي صديق شاب...أنه هو كان يعمل أمين مكتبة الجامعة عندما كنت أدرس...ألتقينا هناك وكان يعرض علي الكتب لقراءتها...وبعد أن أنهيت دراستي لم أعرف كيف أجلب الكتب وأقرأها لذا أصبحت ألتقي به كلما خرجت للتسوق بعد أن أتسلل من حرس والدي وأذهب للقائه في أحد المقاهي...كان يعطيني كتاب أو اثنين حتى موعد لقائنا القادم...وعندما علم أخي بالأمر ظن أنني ألتقيه سراً لأنه حبيباً لي.

قال بسعادة واضحة بصوته:

_إذا أنتما لستما حبيبان ولا أي شيء من هذا القبيل؟.

_ لا علي الإطلاق.

_ إذاً لماذا؟... قال بتعجب: لما تتهرين بنظراتك مني إذا لم يكن جانير السبب... لما تتعاملين معي ببرود وتريدين الرحيل... هل أخبرك بشيء ما؟... أعتقد أنه يحق لي معرفه الحقيقة؟

_ أشعر بالخجل منك فكل ما أجلبه لك هي المتاعب.

_ عن ماذا تتحدثين؟

سحبت يدها وضعتها بلطف علي بطنه بمكان إصابته...بت أدرك أنني السبب في إصابتك... قالت... أغمض عيني به بقوة لتعود به ذاكرته لذلك اليوم ، كان يضحك بتوتر فنظر من حوله ليخفف من توتره ، لمح عندها جانير يقف بعيداً منهما ويراقب قال: سأعود لا تبرحي مكانك... توجه نحوه وأدعى الثاني أنه يتأمل الأجواء من حوله ، لكن ما أقترب منه حتى أنقظ بقبضته علي عنقه، وشدة من جذعه بعيداً عن نظرها، قال مدعياً عدم معرفته: من أنت ولما تقوم بمراقبتنا منذ وقت؟.

_ لا هناك سوء تفاهم أنا لا أضمر شراً.

تركه قائلاً: من أنت وماذا تريد؟

_ أنا جانير ألب أتيت للتحدث مع جونول.

_ وبأي صفة ستتحدث مع زوجتي.

_ بدأنا بالتباهي... أردف بانزعاج... أنا ابن البقال الذي حدثت بسببه المشكلة ولو أنني لم أكن مصاباً بذلك اليوم لما سمحت لك بالوقوف علي طاولة عقد القيران.

_ إذاً كان عليك الوقوف أمام أسرتها وتطلب يدها قبل أن تصاب إذاً.

_ لا تقم باستفزازي وألا...

_ وألا ماذا؟... لم تستطع الوقوف بجانب حبيبتك وتحميتها هل بإمكانك فعل شيء لي الآن؟.

_ أسمع يا هذا لا تجعلني أجن عليك الآن... أن كانت جونول بجانبك فلأنها مجبره لكن قلبها معي أنا.

ضحك باستهزاء وقال: جونول لم يكن لها هاتف من قبل أي أنكما لم تكونا علي تواصل دائم تخرج بمواعيد محددة من المنزل وتخرج لرؤيتك ربما مرة بالشهر فهل تعتقد أنني أحقق لأصدق أنها تحب رجلاً لا تراه إلا نادراً؟

_ أنت ظن أننا كنا نلتقي نادراً وسترى حين أخرج أمامها وأسحبها من يدها وأنا

ألوح لك من خلاف.

_جونول امرأة عاقلة لذا لا تتأمل بأن تتخلى عن رجل مقابل ديوث.

أنقض علي أرغوفان كالمفترس، لكن اختياره للفريسة كان سيئاً ، فهو لم يجد صعوبة بطرح جانير أرضاً بلكمة واحدة ، سيطر بصعوبة علي غضبه ثم قال:

_برأيك هل تختار رجلاً كانت تراه نادراً ولم تكن له الشجاعة للوقوف أمام أخوتها وطلب يدها أم رجلاً أمسك بيدها وأخرجها من ذلك المنزل متحدياً كل أسرتها وأيضاً هي بررفته كل ليلة وأظنك راشداً كفاية لتفهم معنى بقاء أثنان بالغان بغرفة واحدة... ضحك باستهزاء مضيئاً...دمت سالماً.

سيطر الغضب علي جانير بتلك اللحظة، لم يكن لينطفئ غضبه إلا بانتقام يوازي الإهانة التي تعرض لها، نظر من حوله لينتبه إلي أداة حادة بأحد الأكواك القريبة منه، سحب تلك الأداة ونادى..أرغوفان!..ما أن أستدار حتى دخلت تلك الأداة بداخله. أفاق من الذاكرة المؤلمة وقال:

_فهمت الآن...هذه الإصابة لم تكن بسببك بل كانت لأجلك...لو أخبرت جانير أننا غير متزوجان أو أوحيت له بعكس هذا ما كان ليتركك وشأنك وعندها لعلم أخوتك بالأمر بطريقة ما وأصبحوا بلاء عليك...ثم أضاف...لقد تحدث وكأنه حبيب لك لهذا صدقت ما قيل.

ترددت بقولها...لقد كان يكن بعض المشاعر لي لهذا السبب ربما تحدث معك بهذه الطريقة.

قال بانزعاج: وهل كنتِ تدركين مشاعره هذه مسبقاً؟

_أخبرني بحقيقة مشاعره بأخر لقاء لنا...لم يتكلم فأضافت...لا تؤاخذني أدرك أنني بت حملاً عليك حتى أنك أصبحت تفكر بي وتهتم لأمرى مجبراً.

أطلق تنهيدة طويلة ثم قال:

_عندما يحب المرء يصبح ملزماً بالاهتمام بمن أحب لأنه يشعر أنه أمانة لديه...

يرغب برسم الإبتسامة علي ثغره طوال حياته...

أن يشعره بالأمان...

أن يتوحد به...

أن يشيخ معه علي نفس الوسادة...

وأن يلفظ آخر أنفاسه بررفته...

أعيدوا لي قلبي

قالت: لم أفهم أي شيء؟

كان يشعر بمشاعر متفاوتة وكثيرة بأن واحد ، فقولها أن جانير مجرد صديق لها ، أجمت مشاعره التي تكاد أن تفيض ، وما هي إلا إشارة خضراء منها لينزل هذا الحمل عن كاهله.

_ لا أهتم بكِ مجبراً... بل لأنني أراكِ أمانة عندي...

أرغب أن أرسم الإبتسامة عليّ ثغركِ ما حييت...

وأن أجعل البكاء كلمة عتيقة في طيات معجم قديم...

أن أكون مرفأ الأمان الذي تلجئين إليه عندما ترغبين في الانعزال عن العالم...

أن أتوحد بكِ وأكون الأول والوحيد في كل شيء يخصك...

أن أشيخ وأنتِ بجواري...

وأن ألفظ آخر أنفاسي في حضنك وأخر ما أراه عينيك...

هل تفهمين الآن أنني لست مجبراً عليّ فعل أي شيء من أجلكِ بل أنا أقوم به طواعية وبسعادة فهذا معنى أن نحب.

أحمرت خجلاً ومن شدة توترها فقدت السيطرة عليّ أنفاسها الغير منتظمة ، نهض وهو يضحك قائلاً: أعتذر قال الطبيب "لا يجب أن تتعرضي للتوتر"...أضاف بعد أن فتح النافذة... لا تؤاخذني لكنكِ لا تعلمين ماذا عانيت وأنا أكبح جماح صبوة قلبي عن قول ما بجوفي لأنني كنت أظنكِ تفكرين برجل آخر...جلس عليّ الكرسي بعد أن هدأت قال: الآن وقد أصبح كل شيء لكِ واضح وبتِ تدركين السبب خلف كل ما أفعله لأجلكِ لي رجاء واحد...نظر بعينيها برجاء مضيئاً... لا تذهبي...أمكثي معي حتى انتهاء المدة وخلال الشهر والنصف هذا أن وجدتِ نفسكِ كما أنتِ الآن لا مشاعر لكِ اتجاهي فلن أضغط عليكِ كما وعدتكِ سننفضل بجلسة واحدة ولن تري وجهي بعدها عليّ الإطلاق.

_حسناً...خرجت هذه الكلمة من فمها بعد تفكير طويل.

زفر بقوة ونهض قائلاً: الآن يمكنني النوم براحة...رمى بجسده عليّ الأريكة وقال: تصبحين على خير.

أغمض عينيه وبدا كأنه يغط بنوم عميق ، أما جونول كانت تشعر بسعادة تغمرها ، أن تكون مشاعره عكس هذه ما هي إلا خيبة أمل لها ، فكيف لها ألا تقع بحبه وهو الرجل الذي غمرها بلطفه وحنانه وطيبته دون مقابل ، أنه أول رجل تتسارع نبضات قلبها لأجله...تتأمل كل تفصيل به وهي تستمع إليّ أجمل لحن قد تعزفه نبضات

أعيدوا لي قلبي

قلبها.. قال: لا تطيلي التحديق بي فقد أثبت قبل قليل أنني رجل يخطف الأنفاس...
قالت بتهكم:

_ لكنني لا أنظر إليك أحاول النوم فقط.

_ هذا جيد.

_ صباح الخير!... قالت زليخة.

_ صباح الخير خالتي.

_ أين أرغوفان؟

_ ذهب لينهي إجراءات الخروج.

_ هذا جيد... سوف أرسل أونور لاحقاً ليجلب لك ثيابك.

_ خالتي... ربتت بجانبها مكمله... هل تجلسين قليلاً لنتحدث؟.

_ بالطبع يا عصفورتي.

_ خالتي أنا سأعود مع أرغوفان إلي المنزل.

_ ماذا أن كنت تعنفدين أنني سأزعج منك....

قاطعتها قائلة: لا ليس هكذا سألتك عن الأمر في حال أنني رغبت بالقدوم إليك ولكن ليس لترك المنزل.

_ صغيرتي هل تظنين أنني حمقاء؟.

_ أستغفر الله خالتي ما الذي تقولينه؟

_ أنتِ قبل اليوم لم تكوني تنظري بوجه زوجك أو أي من أفراد أسرته وتريدين أن تقنعيني أنه لا يوجد شيء.

_ كان مجرد سوء تفاهم وانتهى.

_ أبنتي أدرك أن زواجكما كان تحت الضغط ليس إلا... أتركي كل هذا وتعالى للعيش معي سأجعلك تاج فوق رأسي.

_ أستغفر الله خالتي لكن نحن لم نتزوج تحت الضغط.

_ أبنتي أنا أعرف والدك منذ زمن طويل وأعلم أن هذا الزواج ما كان ليتم لو لم يكن يصب بمصلحته لذا لا تجاربه بما يريد القيام به... لحظة قدوم أرغوفان وقع علي مسامعه أسوء شيء قد يسمعه بحياته... أطلبني من الطلاق وتعالى للعيش معي... لم

أعيدوا لي قلبي

يدخل وقف مكانه ليفهم ما الذي تحاول زليخة الوصول إليه بتحريض جونول والتي قالت: ما الذي تقولينه حياً بالله يا خالتي.

_ ما سمعته... هناك لا تلقين أي احترام أظنين أنني لم ألحظ معاملة تلك المدعوة جاهدة أو أبن أرغوفان الذي لا يتحدث إليك علي الإطلاق.

_ الأمر ليس كذلك كل عائلة أرغوفان تحترمني حتى أنني أتفاهم معهم بطريقة جميلة حتى مارت أما بالنسبة لجاهدة فهذه طباعها ولن تتغير.

_ رأيت كل ما ذكرته كان بعيداً عن أرغوفان ذكرتي أسرته ولكنك لم تقولي قط أرغوفان.

_ آه خالتي... أضافت بتذمر... لنقل أنني سايرتك وفعلت ما طلبته ماذا ستكون حجتي له... لا تؤاخذني خالتي لا تراك مناسب لي ويجب أن ننفصل... أتركي الأمر خالتي حياً بالله.

_ أبنتي أن كان الأمر متعلق بأخوتك وأبيك فهنا لا سلطة لهم وإن كان من أجل الوظيفة فسيجد لك أونور ووظيفة كهذه بل في أفضل الشركات.

_ حياً بالله لنغلق الموضوع ولا تضغطي علي أنا لا أحتمل التوتر وأشعر أن تنفسي بدأ يضيق... وقد يأتي أرغوفان بأي لحظة لا أريده أن يسمعك تتكلمين عنه فهو أساساً يدرك أنك لا تتقبلينه.

_ جيد أنه يدرك هذا.

_ خالتي!.

_ حسناً فهمت.

أبتعد قليلاً عن الغرفة ، ثم عاد للدخول وكأنه قد وصل توأ قال: آه سيدة زليخة طاب يومك.

_ ويومك!... قالت بتهكم.

نظر إلي جونول أشارت إليه كأنها تقول "لا تبالي" أضاف... هيا أصلان في انتظارنا لنخرج.

بعد وصولهم خرج للحديقة في انتظار أصلان... أخي!... قال عند قدومه.

_ أصلان أحتاج منك أن تتبع أمراً ما... خالة جونول تحاول جاهدة أن تجعلها تنفصل

أعيدوا لي قلبي

عني هل لك أن تصل إلى السبب الذي قد يدفعها لهذا؟

_ربما يكون أبنها السبب.

_فكرت بهذا ولكن لو كان من أجل أبنها لكان هو من يتقرب منها.

_أتظن أنها تعلم بأمر الوصي؟

_أجل هذا ما أشك به وأريد منك أن تتأكد حول الأمر.

_حسناً سوف أتأكد من الأمر وأخبرك.

_مساء الخير... قالت عند رؤيتها لنيسان وألتان يجلسان في الصالون...

_جونول... نهضت نيسان مضيفه... هل أساعدك؟

_لا عليك شكراً.

_كيف أصبحت الآن؟... قال ألتان.

_بخير أنا أفضل حالياً.. أين الجميع؟

_تعلمين بعد العشاء لا يبقى أحد هنا... قالت نيسان.

_أين عمي؟... سأل ألتان.

_قال أن له عمل مهم.

_أعذريني أختي وأنا يجب أن أدرس تصبحان علي خير.

_تصبحين على خير... قالاً معاً.

بعد مغادرة نيسان ، أراد ألتان الذهاب كذلك ، فبقائه معها وحيداً يتسبب له بالمشاكل

مع أصلان والتي هو في غنى عنها... قالت قبل أن ينهض: يبدو أننا لم نتصالح بعد؟!!

_لا.. لا يوجد شيء كهذا.

_لماذا إذاً لم نعد نتحدث كما كنا؟... أم أننا كسرنا من مكان ما؟

_لا ليس كذلك لكن أنا لست علي ما يرام هذه الفترة.

_إذاً لننتحدث ربما الحديث يريحك؟

حاول التهرب منها قائلاً: سنتحدث ولكن ليس الآن أعدك ما أن أكون جاهزاً حتى

أخبرك بما يجري معي.

_إذاً وعد... قالت والابتسامة تملو محياها.

_ أنه وعد...أضاف وهو يدير وجهه عنها...علي الذهاب عمل.
غادر وترك بداخلها العديد من الأسئلة ، إذا ما كانت هي السبب في حالته هذه ، أو أنه شعر بالإهانة لما حدث بينهما ولم يعد يراها صديقتة ، قاطع حبل أفكارها...مساء الخير!..

_ آه مارت...مساء الخير...تعال أجلس.
جلس بجانبها متوتراً ، وبقي صامتاً لم يقل أي شيء ، لكنه لم يطل حتى خرج عن صمته قائلاً: أنا أعتذر لم أقصد أن أخبر أبي لكنني كنت مجبراً.

_ لا داعي لتعتذر تحدثت مع أرغوفان وحللتنا الأمر.
_ لكن أنت كنت أفضل مني لم تخبري أبي بشيء.
_ ولهذا أنا أفكر كان يجب على رد الجميل بإخبار أرغوفان ...قالت بحده

_ أقسم لك أن أبي قد ضغط على وإلا ما كنت لأتكلم...قال بتوتر.
ضحكت مضيفه...كنت أمزح...وعدتك أنني لن أتكلم لكنك مجبر علي إخباري بالأمر أنت تدرك أن ما حدث معك لا يمكن الصمت عليه.

قال بانصياح...أجل أدرك عيدني أن ما أخبره لك سيظل بيننا
_ مارت أنت تدرك أنك لست بوضع تضع به الشروط!..
_ عيدني أولاً وسأخبرك بكل شيء.

_ أعدك أنني لن أخبر أرغوفان بشيء.
_ حسناً...تتهد وقال...لدي صديقة تكبرني بعامين تعرفت إليها مؤخراً...تظن أنني في الجامعة...تغيبت عن المدرسة بيوم الحادث لأقابلها...تجولنا في المدينة...وكانت بحوزتها سيارة وأنا قمت بقيادتها لأستعرض أمامها بأنني أستطيع القيادة بسرعه.

_ وهل تجيد القيادة أساساً حتى تستعرض أمام حبيبتيك؟
_ أجل علمني...ثم تدارك ما قالت وأضاف باضطراب...ليست كذلك نحن مجرد أصدقاء.

_ آه صحيح ولأجل صديقتك تركت مدرستك وقمت بقيادة سيارة وأنت لا تحمل رخصة قيادة.
_ لا تجعليني أندم لأنني أخبرتك...يجب أن تبتعدي عن ألتان حقاً بدأت تشبهينه.

أعيدوا لي قلبي

ضحكت قائلة: لا تقلق لن أخبر أحد عن "صديقتك" الغالية... ولكن لدي شرط.

أه بدأنا بأمور الابتزاز.

والله هذا ما لدي ولا يمكنك الرفض أنت وشيت بي وأنا لم أقم بمسامحتك بعد.

حسناً... قال باستسلام... ما هو شرطك؟

ستعرفني علي صديقتك.

ماذا هذا مستحيل؟

أه كما تريد..

توقفي... قال بعد تفكير... حسناً لكن لن أقدمك لها لنذعي أنها مجرد صدفة جمعتنا

بمطعم واحد.

حسناً قبلت.

تسأل... لو توجب معرفة أبي هل كنت تخلفين بوعدك؟

أنا لا أخلف وعداً لكن... لأخبرت أبي علي أشرف بالأمر.

يا لك من مكره...

هل يمكنني أن أقول لك شيئاً وأعتبره إبداء برأيي ولا أفرضه عليك قط؟

أسمعك!

مهما كان نوع العلاقة التي تبنيها مع شخص ما لا تبدأها بالكذب.

لكنني لم أكذب!

هي لا تعلم أنك بالثانوية لذا أخبرها الحقيقة ودعها تقرر نوع العلاقة التي ستكون

بينكما.

لا أرى مشكلة في الأمر.

أنت ربما تراه أمر عادي لكن ربما هي لن يكون عادياً بالنسبة لها.

ألم تقوما أنت وأبي بنفس الشيء وها أنتما معاً!..

لم أفهم؟

أخفى والدي أن له ابن عنك... وأنت ما كنت لتخبريه بأمر ذلك الشاب لو لم أخبره.

هذا مختلف أولاً والدك لم يخفي عني أي شيء فقط لم يجد الوقت المناسب ليخبرني

وأنت تعرف أصل الحكاية... حتى لو علمت بالأمر ما كانت لتتغير النتيجة... وبالنسبة

لأمر الشاب فأخبرتك مسبقاً أنني سأخبره بالأمر ما أن أكون مستعدة.

توجهت نحو الباب متسائلة:

_ من أتى بهذا الوقت يا ترى؟...

أعتلت وجهها الدهشة وأمتلى صوتها قلقاً قالت: سيد أرغوفان هل جونول بخير؟.

_ بخير... بخير أتيت للتحدث إليك هل تسمحين لي بالدخول؟

_ تفضل.

بعد دخوله سأل: هل أونور هنا؟

_ لا لم يحن موعد عودته بعد.

_ جيد حتى نتحدث براحه أكثر.

_ لقد أقلقنتي بخصوص ماذا سنتحدث؟

_ حول كل شيء وبصراحه.

_ لم أفهم ما الذي ترمي إليه؟!

_ سأشرح لك... أنا علي دراية تامة بمحاولتك لإقناع جونول بالانفصال عني.

_ هذا صحيح فأنا خالتي وأرى جيداً أين تكمن مصلحتها.

_ جميل لا تنكرين الأمر لكن... أظن أنك تهتمين بمصلحتك أكثر من مصلحة جونول؟!.

_ ما الذي تقوله يا هذا؟

_ سأخبرك بالحكاية التي وصلت إليها... بعد وفاة والدك اكتشفتم أنه قد ترك ثروته لحفيديه أونور وجونول... لأنه يعلم بطمع وجشع شاه ميران جعل لجونول وصياً علي ثروتها ولن تسلم لها تلك الثروة إلا بعد أن تنجب أبنها البكر... أما بالنسبة لأونور فهو لم يكن يعلم بأمر والده الذي كان مولعاً بلعب القمار... خسر زوجك كل تلك الثروة بغبائه ولم يتبقى لكم شيئاً بعد موته المشبوه سوى المتجر الذي يعمل به أونور وأكوام من الديون.

_ أنت كيف؟... قالت بدهشة.

_ أنتظري لم أبدأ بعد... أبنك لا يعلم بأمر الثروة ولا بأمر الديون وأنت تسعين لأن تنفصل جونول عني وتتزوج أبنك لتستطيعي سد الدين المتراكم بعد أن تنجب لك الحفيد.

_ لا ما تقوله ليس صحيح... قالت بتوتر.

_ سيدة زليخة صدقيني أنك أنتِ وأبنيك لا تهمني بمقدار ذرة ولكن جونول مع الأسف تراكِ أسرتها وتحبكِ ولا أقوى علي رؤية حزنها إذا ما أرسلتكم بعيداً عن المدينة وصدقيني يمكنني أن أرسلكم خلف الشمس إذا أردتِ.

_ من فضلك لا تخبر جونول بشيء أقسم أنني مجبرة فقط لحماية أبنني... وأونور أساساً لا ذنب له.

_ قلت لك لا أقدر علي حزن جونول لذا ستأتين لزيارتها بما تبقى من احترامك ولن تتدخلني بيننا مهما حدث ستدخلين إلي منزلنا بصفتك خالتها وتخرجين دون التفوه بالترهات التي أعتدتِ عليها... وبالنسبة لديونكم تم دفع ثمنها بالكامل.

_ شكراً لك سيد أرغوفان... قالت بفرحه ترافقها الدموع... أنت لا تدري ما الخير الذي قدمته لي ولأبني لو أفديك بروحي لن أوفيك حقك.

_ أبقى روحكِ داخلك يكفيني أن لا تتدخلني بحياتنا الخاصة... قال قبل أن يغادر... إن وقع علي مسامعي أنكِ تحرضين جونول فسوف أسلم كل ما بحوزتي من سندات لأبنيك الغالي.. دمتي سالمة.

عند صعوده السلالم سمع أصوات من الصالون ، تعجب ففي هذا الوقت لا يكون أفراد الأسرة متواجدين بالأسفل ، دخل بخفه فسمع مارت يقول:

_ علي أي حال لن تقولي لأحد.

قالت بتعالي: أنا لستُ أنتِ قلتُ أنني لن أخبر أحد فلن أفعل.

_ هل لي أن أسألكِ سؤالاً لكن لا تعتبريه تدخلاً بكِ؟

_ أسأل؟

_ لو لم يحدث أي من سوء التفاهم ذاك هل كنتِ لتوافقي علي أبي؟

أحمرت خجلاً وتوترت قائلة: ماذا؟... أنا..

_ مساء الخير!... قال أرغوفان.

_ مساء الخير أبي.

_ ماذا تفعلان هنا؟

_ لا شيء كنا نتبادل أطراف الحديث.

_ جونول يجب أن تكوني مستلقيه بفراشك الآن الجلوس هكذا غير جيد لكِ.

أعيدوا لي قلبي

_أجل... سأصعد الآن.

_هل أخذتما أدويتكما؟

_أنا أخذته بعد العشاء فوراً... قال مارت ثم تهرب... تصبحان علي خير.

ما أن مر بجوار أرغوفان حتى همس له: يبدو أنك أعتدت علي التدخل فيما لا يعينك.

همس... لم أقل أي شيء خاطئ إلا ترغب بمعرفة الإجابة أيضاً؟.

_لا فضول لدي هيا اذهب إلي غرفتك... أضاف لجونول بعد خروجه... دعيني أساعدك للصعود.

_لا داعي سأصعد بنفسي.

لم يبالي برفضها وشبك ذراعه بذراعها قائلاً:

_استعرت ذراعك حين كنت مصاباً والآن يمكنك الاستناد علي أثناء صعودنا الدرج.

من شدة توترها واضطرابها لم تستطع النظر إليه ، صعدا تلك السلالم ذراعاً بذراع حتى وصلا الغرفة ، قال بينما يساعدها علي الاستلقاء... أعذر عن حماقة مارت.

_أظنك سمعت سؤاله عند دخولك؟

_أجل.

_لديه فضول حول الأمر ليس إلا.

جلس علي طرف السرير وقال: أظن أن علاقتكما بدأت تصبح أقوى.

_علي الأغلب.

_ما الذي قال أنك لن تخبري به أحد؟

_بما أنك سمعت ما قال إذاً أعتقد أنك سمعت إجابتي.

_حسناً.. قال باستسلام... لن أتدخل.

_الأمر ليس بتدخلك لكن أفسح له المجال ليخبرك هو بنفسه عن ما يدور معه لا داعي لأن تبحث خلف كل ما يقوم به.

_هكذا تقولين؟

_أجل... بعد صمت قالت بتردد: السؤال الذي سألني... ألا... ترغب بمعرفة الإجابة؟.

_لا... لأن الجميع يسألون هذا السؤال بسبب جهلهم بالقصة كاملة ولأنني أعرف الإجابة فليس هذا السؤال الذي أطرحه.

_ما هي الإجابة التي تعرفها؟

_ لو لم يحدث ما حدث وتقدمت لخطبتك لرفضتي فأرغوفان بذلك الوقت ليس كما تعرفينه الآن كُنت مجرد غريب ألتقيته صدفة بمكتب والدك.

_ وما السؤال الذي تطرحه؟

_ بما أننا بتنا نعرف بعضنا جيداً فلو اليوم أطلب أن تكون زوجتي وشريكة حياتي هل تقبلين؟... توردت خجلاً وأتضح توترها من أنفاسها قال والابتسامة علي ثغره: دوائك بجانب كوب الماء تناوليه قبل أن تصابي بنوبه بسبب التوتر.

بعد تناولها للدواء ، بقي ينظر إليها بصمت منتظراً أن تجيب عن سؤاله قالت:

_ سأستخدم حقي بالصمت...

ضحك بشدة حتي وضحت تقاسيمه فاحمرت خجلاً قال:

_ فكري قدر ما تشائين سأنتظرك ولو إلي آخر العمر... تصبحين على خير... أضاف قبل أن يغادر... سأعمل حتى وقت متأخر لذا سأبقى في المكتب اليوم... أن احتجت لأي شيء أتصلي بي.

_ حسناً تصبح على خير.

كان العمل مجرد حجة له ، فمشاعره لم تعد تتسع داخله ، ليس النوم جانبها علي نفس السرير كالأخوة ، بل حتى البقاء بنفس الغرفة أصبح له أمراً مستحيل.

في الصباح اجتمعت الأسرة ، لتناول وجبة الإفطار قام علي أشرف بكسر الصمت بقوله... أريغيت أنت لم تأخذ عطلتك السنوية بعد صحيح؟

أجاب بتعجب... أجل لكن لما تسأل؟!!

_ لقد مررنا هذه الأيام بتوتر كبير ونجاة كنتي وحفيدي من الحادث أمر يستحق أن نحفل به.

_ بماذا تفكر يا أبي؟... قالت أوز غور.

_ بالذهاب إلي منزل الجبل بعطلة لمدة ثلاثة أيام.

_ والله نحن بحاجة للراحة من ضغط العمل... قال ارطارول.

قال كليتش بتوسل: أبي من فضلك قم بأخذ إجازة نحن لم نذهب إلي منزل الجبل منذ زمن.

_ أجل خالي أرجوك... أضافت بهار.

قال مستسلاً: حسناً سأقدم اليوم الطلب لكن أبي لا يمكنني أخذ أكثر من يومين.

أعيدوا لي قلبي

حسناً لا مشكلة ويومان كافيان.

غمرت الجميع السعادة وانطلقوا لبداية يومهم بحيوية بعد سماع نبأ العطلة من كبير أسرتهم.

على العشاء كان أرغوفان مشتتاً ، وينظر إلي ساعته بين فينه وأخرى ، صعد إلي غرفته بعد العشاء مباشرة بحجه أن له عمل مهم ، لم يرغب الأمر عن جونول التي قد لاحظت تصرفاته المريبة، كأنه بانتظار نبأ ما...جالساً علي حافه النافذة يتأمل المضيق ، شارداً بين أفكاره المزدهمة ، قاطعت خلوته قائله: هل أنت بخير؟
_ أجل وأنتِ؟.

_ بخير...يبدو أنك مشغول البال؟

_ أجل لقد حدثت العديد من الأشياء هذه الفترة تثير حنقي.

_ استندت علي النافذة قبالتة وقالت: هل لي برجاء؟

_ أنتِ لا ترجي بل أطلبي وسينفذ.

_ أستغفر الله ليس هكذا بل...تنهدت قبل أن تقول...لم أرى أصلان اليوم علي الإطلاق.

_ لا يتواجد أصلان في الوسط كثيراً عادة ولكن لما تسألين عنه؟

_ عندما لا يكون أصلان يتواجد سلجوق لكن الآن لا أحد منهما متواجد لذا سألت؟

_ جونول....ما الذي يشغل بالك؟

_ جانير...قالت فجأة ودون تردد ، ضغط على أسنانه بقوة وعاد للنظر من خلال النافذة دون أن يسأل فأكملت...لقد قال لي "أن رجالك قد كسروا يده وأوصلوه إلي حاله مزرية بعد طعنه لك".

_ حدث هذا أثناء تواجدي بالمستشفى...ولم أكن أستطيع السيطرة علي غضب أصلان ولا سلجوق.

_ لكن كان بإمكانك الإبلاغ عنه.

نظر إليها بحده قائلاً: حينها كنت ألقيت بك في النار لو علم أبي أن من طعنني كان من طرفك لكانت نشبت الحرب العالمية الثالثة بيني وبين أبي.

قالت بتوتر: هل أزعجك بأسئلتني؟

زفر بقوة قال وهو يحاول مسح الانزعاج من ملامحه...أنا لا أنزعج منك أبداً لكن

الحديث عن جانير هو ما يزعجني.

_أردت أن أعرف فقط هل تبحث عنه من جديد؟...لم يجب فأردفت...أردت أن أطلب منك أن لا تؤذيه لأجلي.

نظر إليها بنظرة مليئة بالغيرة والغضب قائلاً بحده: أرى أن عزيزنا جانير يشغل تفكيرك كثيراً.

_لا الأمر ليس كذلك لكن المرة الماضية تأذيت أنت بسببي وأضح أنه قد تأذى كذلك...

قاطعها بغضب...ليس بسببك بل بسبب ما فعله بي.

_ولم تصرخ بي؟...قالت باضطراب.

_أنت تجبريني علي الصراخ عليكِ تقولين أنه صديق لكِ ولكنكِ تتصرفين وكأنه أكثر من ذلك ولهذا أنا أنزعج.

_أرغوفان أفهمني أرجوك أنه صديقي ومهما جرى سيظل كذلك هل تظن أنني سأنام مرتاحة البال وأنا أدرك أنه قد يتعرض للضرر بسببي.

_لقد حذرتة أخبرته أن يبتعد عنكِ وأن لا يظهر أمامكِ مجدداً وهو لم يستمع إلي.

_لكنه لم يأتي بإرادته لقد ظن أنني أنا من أرسلت لرؤيته.

_ماذا؟...قال بصدمة.

_هناك من أوصل له خبر أنني أرغب برؤيته وأعطاه عنوان المنزل وعند خروجي تبعني ظناً منه أنني أنتظره.

_وهل أخبرك من فعل كل هذا؟

_لم يخطر ببالي أن أسأل...بعد صمت قالت برجاء...من فضلك لا تفعل به شيء سيئ.

_وهل يهملك إلي هذه الدرجة؟...قال بياس.

_أرغوفان...قالت باستسلام: لا تفعل هذا...هل ترضى أن يتأذى صديق لك بسببك.

مسح بيديه علي وجهه وقال: أعتذر أن هذا الفتى يوترني بطريقة جنونية...حسناً لن أجعل أحد يلمس منه شعره.

قالت بسعادة: أتعدني.

رسم ابتسامه علي ثغره مجيئاً: أعدك.

للمرة الأولى تتقابل أعينهما ولا تهرب عيناها الزرقاء بعيداً ، تنظر إليه بنظرة مليئة بالحب ، لم تفصح عن مشاعرها ولم تشعره يوماً أنها تكن له ولو القليل من الإعجاب ، لكن نظرتها هذه أوقفت الشكوك برأسه حول مشاعرها ، بل وأكدت أحاسيسه التي كانت دائماً ما تخبره أن جونول تبادله المشاعر ذاتها ، نبضات قلبه متسارعة ومشاعره هائجة ، رغب بسحبها من جذعها يحتضنها بقوة أن يتنفس رائحتها ، قاطعت أفكاره ورغباته قائله:

_أتعلم...أحياناً...أشعر أن كل هذا وحتى أنت مجرد حلم أخشى الاستيقاظ منه...
وأحياناً...يطراً ببالي سؤال غريب.

_ ما هو؟.

_ماذا لو كنت من نسج خيالي ليس إلا؟...ضحك من صميم قلبه ، قالت وهي تتورد خجلاً: قرأت ذات مره أن هنالك رجل وجد حب حياته وتزوجها وأنجب منها طفله وماتت بعد موت زوجته دخل حاله شديدة من الكآبة وبعد جلسات طويلة مع الطبيب أتضح أن كل ما عاشه من نسج خياله.

_أحقاً ما تقولين؟...قال بدهشة.

_أجل.

_والله أن كنت من نسج خيالك فشكراً لأنك جعلت مني شخص وسيم.

_قالت بإحراج: الذنب علي من تحدث.

_توقفي لحظة لا تتجهمي هكذا أمزح معك...أعدل جلسته وقال بصوت يملأه الجدية:
لنقل أن ما تعيشه حتماً سأطرح سؤال عليك...ما الذي يجبر المرء علي الاستيقاظ من حلم جميل؟.

_شيء مزعج يحدث بجانبه أو يتعرض لصدمة داخل الحلم.

_هذا جيد أنت تعرضت لصدمتين أحدثها الحادث وبهذا تتأكدين أن ما تعيشه ليس حتماً بل واقع...ثم أبتسم مكملاً...أما بالنسبة لي إذا ما كنت من نسج خيالك أم لا...مد يده لها مضيفاً...يكفي أن تلمسيني لتتأكدي.

مدت يدها إليه ولا يفصلهما سوى إنش واحد ، يحاول جاهداً السيطرة علي توتره ، لكن سرعان ما أصيب بخيبة أمل مؤلمة، بعدما تراجعت عن لمس يده ، ضرب يده بحسره علي فخذه قائلاً وهو يحني رأسه حتى لا تلاحظ الخيبة التي قد تعرض لها: يبدو أنك لست مستعدة للم...لم ينهي جملته حتى شعر بوقع يدها الناعمة علي وجنته ، رفع عينيه ببطء ، رجفه يدها الناعمة لم يكن وقع هذا الاحساس سهلاً ، كان كزلزال

رج كل كيانه ، أدرك أنه لم يبقى الكثير علي فقدانه للسيطرة ، وبدورها لم تكن هادئة كانت مضطربة متوترة وأصوات أنفاسها الغير منتظمة تثبت توترها ، طرق الباب فانسحبت من أمامه بحركة سريعة وجلست علي السرير ، قال بتهكم: ما الأمر؟.

_أبي أخي أصلان يريد رؤيتك قال أن الأمر مستعجل.

_أنا قادم.

تقدم نحوها وقال: يبدو أنه قد وصل إلي جانير...لن نلمس منه شعره واحدة كما وعدتك سأستفسر حول من أرسله إلي هنا ثم سنعيده من حيث جلبناه...لم تجب لأنها لا تزال تحت تأثير صدمه كبيره ، فهذه المرة الأولى التي تتجراً بها علي فعله كهذه ، ربما كانت عاديه لأرغوفان لكنها لم تكن كذلك لفتاة لم تمشي بجانب رجل وهي تمسك بيده علي الإطلاق...أبتسم لأنه فهم أنها لا تزال تحت تأثير الصدمة ، أمسك بفكها ورفع رأسها نحوه قال مماًزحاً اياها: لا تفزعي ما حدث جيد أتضح أنني لست من نسج خيالك...طبع قبلة طويلة علي رأسها وأضاف...لن أعود إلا في الصباح نامي باكراً غداً نذهب إلي منزل الجبل.

رمت جسدها علي السرير بعد خروجه ، قالت وهي تحدث نفسها...ما الذي تجرات علي فعله؟...ضحكت بهستيريا قائلة: لا أدري من أين أتتني هذه الجراءة...جلست متذمرة من نفسها: طلب أن أمسك بيده وأنا كالحمقاء وضعت يدي علي وجهه...عادت لترمي بجسدها علي السرير مكلمة...آه يا جونول آه...ما الذي فعله بك؟.

الهواء عليل والنسيم مريح للأعصاب، الطقس كأنه ربيع مع أنه منتصف الشتاء ، ترافقه رياح طفيفة باردة ، أصوات السعادة المرافقة لأجوائهم العائلية كانت عالية ، وقف خلف آلة الشواء قد جهز كل شيء رفقة بيسان وبهار، بعد أن أشعل الآلة سحب أريغيت من يده سيخ اللحم الذي كان يعدله قائلاً: يحتاج الشواء لساعة ونصف ليكون جاهزاً.

تعجب مجيباً...يعني!.

_يا رجل خذ زوجتك وتنزها سأصل بك بعد أن يكون كل شيء جاهزاً.

ربت علي كتفه بامتنان...شكراً.

لم يتأخر في تنفيذ فكرة أريغيت، أخذ جونول معه وذهبا إلي داخل الغابة، يراقبها منتشي بشعور البهجة والراحة اللذان تبعتهما بداخله ، تمشيا بين الأشجار ثم إلي مخبأ سري أعده رفقة أشقائه عندما كانوا أطفالاً ، وصولاً إلي طريق وعره تؤدي إلي قمة الجبل ، طلب منها أن تتمسك به لكنها رفضت وصعدت بحركة بطيئة كي

لا تتعثر ، هذه المرة لم يجد شعور الخيبة مكاناً بداخله بعد رفضها للتمسك به لأنه مفتون بها وروحه مغمورة بالسعادة ، بعد أن أمضيا وقت ليس بطويل علي التل نزلاً ، وفي أثناء نزولهما تعثرت ، فأجبرت علي التمسك به ، سحبت يدها أمسكها قائلاً: لن تسقط السماء كسفاً إن بقيت متمسكة بي!...لم تجب وأكتفت كعادتها برسم ابتسامه خجولة علي ثغرها ، كانت نهاية النزهة إلي بحيرة صغيرة ، جلسا علي أطلالها ، حدثها عن طفولته وذكرياته الكثيرة بهذا المكان، أخبرها عن والدته وما يحمله داخله من ذكريات طيبة لها ، لم تكن تستمع إليه فقط بل تصغي إلي كل ما يقول بكل حواسها ، صوته الذي كان لها أعذب الألحان ، وأجمل موسيقى قد عزفت هي ضحكته ، أصبحت أجمل كلمة قد تسمعها وتبعث بداخلها السعادة هي أسمه ، باتت كل تفاصيله مميزة لها ، وأفضل مكان بالعالم بجانبه ، حين كان ينظر بداخل عينيها مفتوناً بها ، وهو يحدثها عن نفسه ، شدتها رغبة قوية في احتضانه ، لكنها لم تكن شجاعة كفاية لتتبع رغبتها ، تراكمت كل مشاعرها طوال هذه الفترة لكنها فهمت الآن ، أنه ليس مجرد شخص جعل من حزننا هملاً له ، ومن إسعادها مسؤولية ، واحتواءها واجب، بل الآن تأكدت أنها قد وقعت في حبه ، سلمت قلبها دون مقاومة أو شروط ، لأنها وجدت فيه كل ما يثير نفسها ، ويأخذ من رأسها عقلها ، ويضاعف نبض قلبها ، ويرسم الحب علي خدها ، لأنه الوسامة في وجهها ، والجمال المتربع بعينيها ، والحسن المعقود في شعرها...لم تعد تسمع ماذا يقول؟!...مع أنها كانت تنظر إليه ، إلا أن تفكيرها كان مشغولاً بكيف تستجمع شجاعته ، كما فعلت الليلة الماضية وتمسك بيده ، صمت عندما فهم أنها شاردة قال:

_ هل أنت بخير؟.

أفاقت من شرودها قائله:

_ اعتذر لقد شردت قليلاً..

نظر إلي الأفق وعلي ثغره ابتسامة عريضة ، عاد للنظر لعينيها وانحنى نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه قال:

_ هل كنت شاردة بي؟.

توردت خجلاً وتوترت أجابت متلعثمة...لا...لا...لما...ظن...ظننت هذا؟.

لم يتحرك ينظر داخل عينيها بحب أردف...إذاً لا تنظري إلي هكذا وأنت شاردة.

_ كيف؟!...

كأنما قرأ أفكارها قائلاً: تنظرين وكأنك ترغبين في أن أحتضنك..

ابتعدت عنه مردفه بعد نهوضها...فهمت الأمر خطأ كل ما في الأمر أنني شردت قليلاً.

ضحك من صميم قلبه وقال: هيا لنغادر...تجمدت مكانها أستدار نحوها عندما لم تتبعه وقال: هيا لقد أرسل لي أريغيت لنعود.

علت صيحات الفرح عند قدوم أريغيت وألتان ، بالأطباق المليئة باللحم ، الجميع جالسون حول المائدة بعد أن تجهزت مسبقاً ، كل وضع أمامه صحنه الخاص ، وقبل أن يشرعوا بالأكل قاطعهم صوت من خلفهم: بالهناء والعافية...نظر الجميع بتساؤل نحو أرغوفان ، الذي لم يهتم سوى لردة فعل جونول ، والتي بدورها لم يبد علي ملامحها المبالاة ، قال علي أشرف والذي بدا الانزعاج بصوته:

_ بني كان يجب أن تبلغنا أن هناك ضيوف قادمون!.

نهض أرغوفان من مكانه وقبل أن يجيب قالت: هو لا يعلم بقدومي أعتذر أن أزعتكم عمي علي أشرف؟

_ أستغفر الله ليس كذلك ولكن أخبرت الجميع أن لا أحد منهم سينشغل بالعمل.

_ أكرر اعتذاري ولكن الأمر مستعجل.

_ كيف علمت أننا هنا؟..تسأل أرغوفان بتعجب.

_ أنا أخبرتها...قالت جايدة وهي تنظر إلي جونول بابتسامة صفراء وأضافت...لم تستطع الوصول إليك أو لأوزبرنجي أتصلت بي وأخبرتها أنه يمكنها القدوم فهي ليست غريبة تربطنا علاقة قديمة.

ساد الصمت لوهلة ولم يتكلم أحد ، كان يبدو علي جونول الهدوء ، عكس ما كانت تشعر به من داخلها بانزعاج ، لم ترفع عينيها بأي منهم وأكتفت بالجلوس مكانها مصغية إليهم خرج أرغوفان عن صمته قائلاً: تعالي معي...دخل إلي داخل المنزل وهي من خلفه ، بعد أن ألقت نظره مستفزة لأوزغور ، والتي قالت بانفعال:

_ لم أرى بحياتي أوقح من هذه المرأة.

أضافت جايدة باستفزاز...علي العكس تماماً أنها امرأة راقية ومجتهدة بعملها لقد سمعتها قالت أن الأمر مهم.

_ لا تدعيني أبدأ بأمرها المهم الآن...وأنت لما أخبرتها أين نحن؟

_ ما بكِ انفعلتِ هكذا زوجته لم تبالي فما شأنك.

_جاهدة...قال أريغيت...كان عليك سؤال أخي أولاً.

_ألم تكن تأتي إلينا باستمرار لم أظن أن قدومها سيزعجكم.

_ذلك بقى بالماضي...قال علي أشرف...منذ الآن أن طلبت القدوم ستأخذين الأذن أولاً.

_ما الذي جرى أبي علي أشرف قبل مدة قصيرة كدت تتبرأ من أرغوفان لأنه رفض الزواج منها.

_وأنت كنت تكرهينها فما هذا الحب الذي وقع داخلك فجأة...قالت خديجة بانزعاج.

_جاهدة...أضاف أريغيت بحدة...إياك والقيام بأمور كهذه مرة أخرى وألا سيكون لي تصرف آخر.

مع هذه الجدالات كان ألتان الذي يجلس بجانب جونول الوحيد الذي أنتبه لانزعاجها ،تتلاعب بالشوكة بتحريك السلطة كأن عقلها ليس معهم ورجلها تهتز من التوتر والغضب ، كل الجالسين كانوا منزعجين من قدومها وتعكيرها صفو العشاء ، لكنه علي عكسهم فما كان يزعه أنه رأى نيران الغيرة تشتعل بداخل جونول ، ألمه هذا المشهد فكما قالت له أوزغور سابقاً أن مشاعر عمه ليست من طرف واحد ، لم يحتمل رؤيتها هكذا فهمس لها:

_أذهبي خلفهما...لن ترتاحي إلا إذا رأيتِ وسمعتِ عن ماذا يتحدثان ولما أتت إلي هنا؟

_وبأي حجه سأنهض؟.

_لست بحاجة لأي حجه أنهضي وغادري بعد أن تستأذني لن يسألك أحد.

مع كل تحذيرات والتهديدات التي أتت إليه ، لم يستطع إلا وتدخل بينهما ، كان يعلم أن نادين تعشق عمه كالمجنونة ، وكل ما أتحت لها الفرصة إما أن تحتضنه أو تقبله قبله سريعة علي خده ، تمنى أن تنقلب الموازين ما أن ترى أحد هذه المشاهد ، كانت حركة بائسة ورخيصة منه ، لكن غيرته بعدما فهم مشاعر جونول ، دفعته ليقوم بهذه الحركة...لم تتهاون أو تفكر نهضت قائلة: عن إذنكم...لم يتدخل أي أحد أو يقول لها أي شيء ، فمن حقها الانزعاج ، لأن قدوم حبيبة زوجها السابقة إلي هنا ما هي إلا مهزلة غير مسبوقة.

عند دخولها سمعتها يتحدثان بشرفة المطبخ، حاولت أن تفهم عن ماذا يتحدثان لكن الاستماع من بعيد أمر مستحيل ، تقدمت دون أن يلاحظا تواجدها ، وقفت خلف باب الشرفة ، فسمعت الحديث بوضوح ، يتحدثان عن موكلهما الذي فقد سيطرته وتهجم

علي منزل زوجته السابقة ، هذا ما استطاعت فهمه من غضب أرغوفان علي هذا الموكل ، أنهى الحديث قائلاً:

_تكفلي بالباقي موعد الجلسة بعد غد سأكون هناك يوم المحكمة ولن تستطيعي الوصول إلي دائماً بينما أنا هنا لذا أعتد عليك.

حين استدارت لتعود سمعتها تقول: هل أنت جاد حقاً؟

_بماذا؟...ببقائي هنا؟

_أنت تدرك عن ماذا أتحدث؟...عن الفتاة التي تزوجت بها.

_تدعى جونول...ولا أنكر أنني أمازح من حولي؟

_لا أقصد هذا لكن أنت لم تخبرني عنها حتى؟

_ومنذ متى أحدثك عن حياتي الخاصة؟

_منذ متى تعرفها حتى تتزوج بها؟...كم مرة توصلت إليك لتعرفني علي مارت ولم تقبل وماذا فعلت الآن تزوجت بفتاة تعرفها منذ يومين؟

_يا إلهي ألن ننتهي من هذا الأمر علي الإطلاق...أنظري لا أرغب بقول شيئاً يكسر قلبك...وأيضاً لست مجبر على تقديم تبرير علي أي شيء أقوم به.

_حسناً أخبرني منذ متى تعرفها؟.

_وقت كافي لأحبها.

_عندما أتصلت بك وقلت لي أنك بتشكورفا هل كنت معها؟

_أجل...إذا تحصلت علي أجوبة لأسئلتك غادري الآن.

قبل أن يبتعد عنها أمسكت بيده قائله:

_أنت لا تحبها يا أرغوفان أنا أعرفك أكثر من نفسك.

شعرت جونول بشيء يضغط علي صدرها قبل ساعات كانت تعاني لتمسك بهذه اليد التي أمسكتها هي بكل سهولة ، بدأت الدماء تغلي برأسها ، كان شعور الغيرة غريب عليها ، لدرجة أنها لم تفهمه ، سحب أرغوفان يده وقال بابتسامة:

_صدقيني الجميع يظن ذلك لكن كل شخص منكم قد رأى جزء بسيط مني ولا يوجد أحد يعرفني بهذه الحياة سوى أصلان لأكون منصفاً يعني.

_أرغوفان أنا أتحدث بجدية...قالت بحده.

_حسناً...إذا كنت كما تزعمين المعرفة فلما أنا مع جونول الآن إذا لم أكن أحبها...

وإذا قلت مجدداً عناد بكِ وبأبي سألقي بكِ من هذه الشرفة لتفهمي أن الكون لا يدور لأجلك.

_ لا لن أقول... ثم أضافت بعد تفكير... وأدرك أنك لن ترمي بي من هنا... علي أي حال... أنت تظن نفسك تحبها وأنك كمجنون ليلي لكن هذا ليس صحيح أنت تعاني من متلازمة تجبرك علي مساعدة الضعفاء لقد رأيت شخصيتها أنت تتجذب إليها فقط لتجعلها أقوى وتروى تعطشك من مساعدة الآخرين أنها بالضبط كأحد موكليك لكنك تعطيها امتياز لا أكثر.

تجمدت جونول مكانها لتسمع إجابته ولتفهم من هي بالنسبة له ، فصدمت بإجابته التبت قالها بعد تفكير:

_ فعلاً... أنا لا أحبها كلامك منطقي... لقد فكرت الآن وفهمت شيئاً... أنا لست مجنون بها كمجنون ليلي كما كنت أظن أتعلمين لماذا؟!... لأنه لم يكن الحب بطل حكايتهما بل الحرمان... لو تزوجها لأحب غيرها ولهذا السبب أنا لست مجنون ليلي... فليس الحرمان بطل حكايتي بل الأمان... حين يشعر المرء بالأمان بجانب شخص ما لن يهتم بأي شيء علي هذه الأرض بقدر اهتمامه هو... لا أدري إذا ما كنت أنا الملاذ الأيمن لها لكنها كذلك بالنسبة لي..

عادت للحياة بقربها أحلام قلبي...

وصلت أماني إلي بر الأمان بعد أن تاهت لسنوات بين الضباب...

كانت الجواب لسؤال يتيم يجول بخاطري...

وأضأت ركن معتماً بقلبي لم يرى النور قبلها...

ورسمت لي في الحب بحراً...

وأنا أسبح فيه حتى أجد منارتها.

لم تتهاون تلك الدموع من القفز خارج عينيها ، قالت بحسره:

_ ألم تقل قبل قليل أنك لا ترغب بكسر قلبي... لقد حولته لرماد.

انسحبت من أمامه واتخذت من سلالم الشرفة مهرباً لها لتغادر بعيداً عن أنظار الأسرة وهي تجر خبيثتها خلفها ، ما أن أستدار حتى وجد جونول تقف وقد تركت الدموع علي وجنتيها إمضاء سلفاً ، قال باضطراب: جو.. جونول لماذا تبكين؟

_ لقد سمعتهما.

لم يستطع الحركة بسبب توتره وسأل: ماذا؟

عندما قالت لك "أنت تتجذب إليها الآن فقط لتجعلها أقوى وتروى تعطشك من مساعدة الآخرين" أنت أحببتها "فعلاً أنا لا أحب جونول كلامك منطقي..."

توجهت نحوه بخطوات بطيئة فقال بحسره وهو يسير بنفس الخطوات نحوها:

لو بقيت مكانك لسمعتي تكلمت كلامي ما سمعته أنت...

قاطعت كلامه باحتضانه، لم يتحرك من صدمته، ظن أنها إحدى أحلامه التي تراوده مؤخراً بكثرة، فخشى هذه المرة أن يحتضنها ويستيقظ كما يحدث بالعادة همست له:

لقد سمعت كل كلمة قلتها... وأسعدني ما سمعته...

أحتضنها بقوة وهو يستنشق رائحة شعرها ، كان احتضاناً طويلاً وكأنه يزيل شوقه لهذه اللحظة منذ ليلة الألعاب النارية في أزميز ، يحتضنها وكأنها أمنية طال انتظار تحققها ، بعدما عرف كلاهما ماذا يعني جانير ونادين لكل منهما ، لم يعد يوجد ما يعيق كلاهما ، وبهذه الليلة قد علم ما هي الإجابة عن سؤاله الذي طرحه قبل يومين حتى وإن لم تقل مباشرة.

أخذت كتابها وخرجت للحديقة ، كانا أرغوفان وأريغيت جالسان يتحدثان حول شيء ما ، نظرت من حولها فرأت ألتان يقف قرب النار منعزلاً عن الجميع ، وضعت الكتاب علي الطاولة واتجهت نحوه.

هل أصبحت أفضل؟... قالت

أفاقته من شروده أجاب...ماذا؟

"هل أنت بخير؟"...سؤال خاطئ لهذا قلت هكذا.

أه فهمت...أجل سأكون بخير.

أظنه لم يحن الوقت للحديث صحيح؟!.

ولا أظن أنه سيحين.

الحديث سيكون أفضل لك لكن...كما تشاء...فقط إذا أردت يوماً الحديث فأنا دائماً سأكون موجودة لأجلك.

أستدار نحوها مبتسماً ، لكن هذه الابتسامة تلاشت عندما لاحظ أرغوفان كيف ينظر بحب إليها من بعيد ، قال بحنقه:

عندما عدت مع عمي كانت واضحة الإجابة لكن هل فهمت لما أتت نادين؟

من أجل أمر متعلق بقضية ما.

أعيدوا لي قلبي

_يسعدني أنكما تصالحتما تكونين مزعجة عندما تغارين.

توردت خجلاً قائله: لا الأمر ليس كما تظن.

_علي أي حال تعالي لنجلس أريد أن أكمل قراءة كتابي.

بعد جلوسه جلست جونول علي الطرف الآخر من المقعد ، خرجت نيسان قائله وهي

تجلس بين أريغيت وأرغوفان...ماذا تفعلون هنا بالخارج؟

_أنا وعمك نعمل وهما كما ترين يقرئان الكتب كالعادة...أجاب أريغيت.

_محامي وطبيب ما العمل المشترك بينكما؟

قال أرغوفان: أيتها السيدة بما أننا سنبرر لك كل شيء...أردت من أبيك أن ينظر

لتقرير ما إذا كان به خطب.

_فهمت وأيضاً يا عمي الغالي أنا لا أطلب التبرير أحاول الفهم من أجل مهنة

المستقبل.

_كأنني صدقت...قال أرغوفان باستهزاء.

أضافت...والله يا عمي أظن أنك قد جلبت للعائلة دودة كتب جديدة وليس كنة.

_نيسان!...قال أريغيت بحده.

_أبي لم أقل شيء أنظر أنهما يقرئان الكتب طوال الوقت.

_أنا حقاً أتساءل...قال أريغيت ليجذب أنتباههما...ما السبب الذي يجذب كلاكما

للكتب؟

_حقاً...أضافت نيسان..أخبرانا ما الذي جعلكما تحبان الكتب أو من المتسبب بالأمر؟

تبادلا النظرات فقالت جونول: أخبرنا أنت أولاً.

_حسناً...أغلق الكتاب وأجاب...كانت أمي تخبرني بالقصص وكل قصة تختلف عن

سابقتها بعد وفاتها انغلقت عن العالم من حولي أذكر أنني كنت في الثانية عشر وقد

كان عمي أرغوفان عائداً من تشكورفا وقد أحضر لي معه كتاب "الملاح التائه"

وهكذا أصبحت عادته كلما عاد من مكان ما جلب لي كتاب حتى أحببت الكتب.

_قصة جميلة...وأنت جونول...قالت نيسان.

_في الحقيقة أنا لا أذكر الأمر جيداً لكن أعتقد أنه بسبب صديق جدي.

_ما الذي تعنيه هل كنت صغيرة؟...سألت بتعجب.

_ليس كذلك لكن بسبب حادث تعرضت له قبل أعوام هناك تفاصيل كثيرة لا أذكرها.

_أتعنين أنك تعرضت لفقدان ذاكرة؟..تسأل أريغيت.

_قيل لي بسبب الصدمة التي تعرضت لها.

_أبي من فضلك هنا تخلى عن دور الطبيب.

_الأمر ليس كذلك لكنني أحاول فهم الأمر.

لم يشارك أرغوفان بأي كلمة ، وهو يستمع إلي هذا الحديث ، أردفت نيسان...هيا جونول أخبرينا عن ما تذكرينه.

_حسناً...صمتت قليلاً لتستطيع تذكر الأمر ثم أردفت...كان جدي دائماً يأخذني معه إلي أي مكان يذهب إليه وبأحد الايام كنت جالسه بانتظاره في حديقة مكتبه...جلس بجانبني صديق له كان في انتظار أن ينهي اجتماعه ، تبادلنا أطراف الحديث...وقبل أن يذهب للقاء جدي أعطاني كتاب وهو أول كتاب يكون ملك لي...نظرت إلي ألتان مكمله وهي تبتسم...وللصدفة كان كتاب "الملاح التائه".

قالت نيسان بدهشة: يا لها من صدفة أنتما تتفقان بكل شيء حتى أول كتاب لكما نفس الكتاب.

أبتسم ألتان بحسره دون أن يقول أي شيء ، سأل أرغوفان:

_هل كنت ترافقين جدك إلي كل مكان؟

_أجل حتى أخي الأكبر جمال الدين كان يتهمك ويعترض قائلاً لجدي "أنا حفيدك الأكبر".

_ومع هذا كنت لا تفارقينه؟..قال ألتان بتعجب.

_أجل كان في كل مرة يقول "أنت حفيدي الأول ولكنها حفيدتي الوحيدة".

_آه يا له من أمر مثير للاهتمام أن يكون رجل مثل جدك يحب الإناث...قالت نيسان.

_جدي حظى بأمي وخالتي فقط وكان يحبهما بشدة وأيضاً كانت له مقولة معتادة "أعطني بالفتاة كقرة عينك فلإناث 99 مهمة وللذكور مهمة واحدة".

_ما هذا؟..قال ألتان محتجاً: وما المهمة الوحيدة لنا؟!!

_استمرار البشرية...قالا أريغيت وأرغوفان معاً ثم تبادلوا الضحكات أضاف أريغيت...كانت جدتي دائماً ما تقول هذه الجملة لنا.

بمنتصف الليل وقد مضى ساعتين علي ذهاب علي أشرف للنوم ، والجميع مستمتعين بالسهرة...سأصعد للنوم تصبحون علي خير...قالت خديجة عند نهوضها...لا تطيلوا بالسهر يا شباب...أضافت قبل أن تصعد.

سألت جونول نيسان: هل هناك غرف تكفي الجميع؟

_ هناك ثلاث غرف واحدة لجدي وجدتي واثنين ننقسم بها نحن الفتيات والرجال ينامون هنا بالطابق السفلي.

في الجانب الآخر من الصالون ، كان ألتان وكيليتش جالسان ، تقدم إليهم مارت متسائلاً: ألن نقوم باللعب هذه المرة؟

_ بالطبع لن يكون لقدمنا معنا أن لم نلعب... ربت علي فخذ ألتان قائلاً: هيا أخي لا يحلو شيء من دونك.

لم ينسى ألتان ما جرى بينه وبين مارت في المرة الماضية ، لأنه لم يجد مبرراً لتصرفاته تلك الليلة، قال بحده:

_ أن كنتم ستدعون جونول فأنا لن آتي.

_ ماذا؟... قال كيليتش... هل تأخذ دور مارت الآن؟.

لم يتكلم مارت وأكتفى بنظره تساؤل منتظراً إجابته... أجاب بنفس الحده... ألم ينزعج مني المرة الماضية لأنني أرافق جونول في كل شيء هيا خذ لن أرافقها بل لن أكون بنفس المكان مع جونول حتى لو طلبتم مني هذا؟

_ وهل قلت شيئاً كهذا؟... قال مارت خشية أن يسمع والده هذا الحديث... أنا كنت منزعج منها فقط ذلك اليوم لم أقصدك حرفياً.

_ والله كلنا رأينا قد عاملتني بسوء ذلك اليوم... توجه إلي كيليتش بالكلام متسائلاً: هل أنا مخطي؟

_ لا علي الإطلاق أن أخي معه حق يا مارت... لكن يا أخي إذا لم تأتي معنا لن تأتي الفتيات أيضاً.

_ وإن لم تأتي جونول سيظن أبي أنني خلف عدم قدومها.

حين كان يفكر خطرت بباله فكرة بلهاء أخرى قال: حسناً ولكن أنا سأختار اللعبة.

_ أتفقنا... قال كيليتش بحماسة.

اجتمع طاقم اللعب المعتاد، بجانب ارطارول وأريغيت، اللذان يلعبان لعبة الطاولة ، تحت إشراف جاهدة وأرغوفان المعروفان بحرفتهما في اللعبة ، لكن هذه المرة انضمت لهم أوز غور قالت:

_ ما نوع اللعبة التي سنلعبها؟.

نظر الجميع إلي ألتان منتظرين أن يجيب فقال بعد صمت: لعبة الأسئلة السبعة.

أعيدوا لي قلبي

_وما هذه؟...أردفت بتعجب.

_من...من أجل من؟...متى؟...هل...؟...أين؟...لماذا؟...يا ترى؟...هذه الأسئلة التي سنطرحها.

_لكن كيف تلعب؟...سألت جونول.

قبل أن تجيب نيسان قال ألتان: سنريكما القواعد عند اللعب.

_حسناً...قالت جونول فأضافت بهار من خلفها...أنا لن ألعب...نظروا إليها بتساؤل لتجيب...أمي معنا وإن اضطررت علي الإجابة علي سؤال ما ستضخم الأمر وأقع بمصيبة.

قالت أوز غور بتعجب: وهل لديك شيء تخشين أن أعرفه؟

_أمي أنتِ تضخمين كل شيء تحولين موضوع بسيط إلي شجار كبير لذا دعيني لا ألعب وأكتفي بالمشاهدة.

_ها هما مارت وكيليتش يجلسان ووالدهما يراقبان لما لم يتركا اللعبة لأن أبواهما يشاهدان؟.

_أمي قلت للتو أخوالي ليسوا مثلكِ أنتِ تضخمين الأمور مثل ما تفعلين الآن.

تدخل أرغوفان لينقذها من لسان أوز غور...أوز دعي الفتاة وشأنها أن كانت لن تشارك فهذا رأيها.

_وأنتِ جونول ألن تنسحبي؟...قالت بتساؤل.

_لما سأترك اللعبة...أضافت وهي تسأل ألتان...هل تسألون أسئلة محرجة أو شيء من هذا القبيل؟

_لا علي الإطلاق...لكن أوز تقصد إذا ما قد تكون هناك إجابات لا تريدي لعمي أن يسمعها.

شد السؤال أرغوفان الذي كان يدعي مراقبه لعبه الطاولة فقالت:

_لا يوجد شيء أخفيه.

حاول احتواء ابتسامته وأكمل ألتان بانزعاج...فلنبدأ...أخرج سبعة أشرطة كل واحد بلون مختلف ، ناول البقية قصبات بلاستيكية مشابهه لألوان الأشرطة قال: سأخلط هذه الأشرطة وأرميها وبحسب ترتيبها تبدأ أدواركم سيكون بحسب توافق لون القصبه البلاستيكية التي بأيديكم مع الشريط الذي بالأرض...والموضوع علي "الكذب"...رمى الأشرطة علي الأرض قال: نبدأ بالأصفر...من منكم.

أعيدوا لي قلبي

_ أنا... قالت جونول.

أبتسم ابتسامة صفراء وقال:

_ يا ترى؟... من أجل من؟... السؤال منذ قدمك لعائلتنا كم مرة كذبتى يا ترى؟... ومن أجل من؟

تعجب أرغوفان من السؤال الذي طرحه ألتان ، لكنه لم يستطع التدخل ، وفهمت أوزغور الغاية من سؤاله... قالت أوزبرنجي: ألتان ما هذا السؤال؟

_ أوزي أنت تعلمين أننا نلعبها هكذا ثم زوجة عمي لا تخفي أي شيء لا تقلقي.

ساد صمت بينهم مقلق ، ومن بجانبهم منتبهين للعبتهم إلا أن أرغوفان كان منتبهاً وبدقة... أجابت... كذبت مرتين... الأولى من أجل أرغوفان والثانية من أجل مارت.

_ كانت سهلة فقط لأنكم لم تعتادوا علي اللعب مع جونول بعد... هيا التالي.

_ أنا... قالت أوزبرنجي... لكن الإجابة علي سؤالك صعبه ربما بدأت الكذب منذ اللحظة الأولى التي تكلمت بها ولا أذكر الأشخاص أو الأسباب التي كذبت من أجلها.

ضحك الجميع معاً قال ألتان: سأعيد صياغة السؤال للبقية. متى آخر مره كذبتى؟ ومن أجل من؟... أجاب الجميع علي أسئلته فقال: أوزي أنت ستسألين.

_ حسناً... بعد تفكير قالت: سيكون التالي عن "الحب"... رمت الأشرطة وقالت:

من؟... وأين... أجاب كليتش أولاً وأوزغور ، كان أرغوفان ينتظر جواب جونول عن السؤال بفارغ الصبر ، قالت أوزبرنجي: سأعيد السؤال... جونول من هو حبك الأول؟.

قالت بهار باستهزاء: إذا قلت خالي سأخنق نفسي هنا.

_ بهار... صاحت أوزغور بينما علت أصوات الضحكات.

قالت:

_ لا... لكن لحظة حتى أستطيع تذكر الأمر جيداً... بعد تفكير أجابت... كان معلم الرياضيات في الثانوية.

_ زوجة خالي أظنك مولعة بالرجال الأكبر منك سناً منذ صغرك... قالت بهار... لتضربها علي كتفها أوزغور قائله: ما هذه الوقاحة التي لديك.

_ توقفي أوزغور أنها تمزح.. تدخلت جونول بينهما

_ السؤال التالي... أضافت... أين هو الآن هذا الوسيم؟

_ من أين خرجت كلمة "وسيم"؟...

أضافت مختلسه النظر إلي أرغوفان ، الذي يدعي أنه غير مهتم بأسئلتهم ، لتجيب نيسان...بتنا نعرف ذوقك...

قال ألتان بحده: دعونا نهتم بلعبتنا بدلاً لهذه الترهات.

_حسناً...قالت جونول: رسبت في مادة الرياضيات فبكييت علي مدار يوم كامل في اليوم التالي ذهبا أخوتي صالح وجمال الدين إلي المعلم أتضح أنه أخطأ برصد علاماتي بعلامات طالبة أخرى...ثم...لم يسمع عنه أحد أي خبر بعد أن غادر القرية.
_ولما غادر القرية؟...قال كليتش.

_ألم تفهم...أجاب مارت...لقد نفوه أخوتها خارج القرية.

_من أجل علاماتك؟...قالت بهار بدهشة.

_ليس من أجل العلامات بل لأنني بكيت كثيراً بسببه.

_يا أسفي علي خالي...قالت بحسره.

صاحت بها أوزبرنجي...يا فتاة ما الذي تنفوهين به؟.

_هذا لأنه أبكاها بسبب العلامات نُفيا من المدينة ماذا لو أبكاها خالي سيرسلونه خلف الشمس.

ضحكت جونول قائله: ليس إلي هذا الحد.

_ستجعليني أنهي السهرة بضربك...قالت أوزغور بغضب.

_هيا لنكمل...أضافت أوزبرنجي...بعد أن سألت البقية قالت:

_مارت أنت التالي.

أخذ الأشرطة وقال:

_سيكون الموضوع عن "المصير"...بعدها رماها أردف...هل؟...والسؤال هو...لو
مرت بك صعوبات مع من تحب وأجبرت علي التخلي عنه هل ستفعل؟...

كان الدور ما قبل الأخير لجونول أجابت:

_لا أتخلي أنا أفضل الخسارة علي التخلي...

بعد أن أجابت أوزغور قال:

_أحيل الشطر الثاني لكليتش...أجاب الآخر...وأنا أحيله إلي ألتان...رمى الأشرطة فكانت جونول الاخيرة قال: السؤال...لو خيرت بين شخص يقف بجانبك ويساندك وبين شخص يحبك بكل جوارحه فمن ستختار؟...اعترضت أوزغور عن السؤال

وطالبت بتغييره فقد فهمت المغزى منه لأنه يحاول فهم ما الذي يعنيه أرغوفان لها ، لم يقبل اعتراضها فلم يرى أحد خطب بسؤاله ، أجاب الكل بدوره حتى جاء دور جونول...قالت: سأختار من يساندني

_ لماذا؟... قال بحده... لم تختارين من سانداك حين يتواجد من يحبك بجوارحه...

تردد صوت ألتان المحشو بالتوتر والغضب بهذا الهدوء الذي ساد بسبب انفعاله ، تدخل ارطارول قبل أن يتكلم أرغوفان الذي بدا الغضب علي محياه:

_ بني أهدأ قليلاً إذا أردت أنها مجرد لعبة.

_ أعتذر يا أبي أزعني الجواب فقط.

_ وإن يكن لا يوجد شيء يستدعي رفع صوتك...أضاف أرغوفان بحده

_ حسناً...أعتذر لم أقصد...إذا...قال وهو ينظر إلي جونول.

_ أنت سألت وأنا أجبتك لما تصر علي الاعتراض الآن؟

_ أحاول أن أفهم فقط أنظري جميعهم اختاروا من أحبهم لما أنت فقط اخترت الخيار الآخر.

_ ألتان عد إلي رشذك ما هذا الانفعال...قال مارت بحده.

_ لا بأس...قالت جونول...سأشرح لك لما أخترت من ساندني ووقف بجانبني لأنه مهما أحب الشخص من جوارحه فالحب وحده لا يكفي.

قالت أوزغور بحده: هل وصلتك الإجابة؟

ألترم الصمت ولم يقل أي شيء ، أخذت أوزغور الأشرطة وقالت:

_ بما أنني فهمت اللعبة دعوني أبدأ...والموضوع سيكون عن "الذكريات"...رمت الأشرطة وأردفت...متى؟...ولماذا؟...كان الدور الاول علي جونول فقالت: السؤال هو...أسعد ذكرى لديك متى كانت؟

_ أعاني من صعوبة في تذكر الكثير من الاشياء أظن أنك اخترت موضوع صعب علي.

_ أي ذكرى سعيدة...بالتأكيد يوجد...قالت نيسان.

كانت استعادت الذكريات شبه مستحيل بحالتها، كل ما طرأ لها ذكرياتها مع أرغوفان بدءاً من أزمير حتى هذا اليوم كلها كانت ذكريات سعيدة...توردت قبل أن تجيب... ذكريات من الماضي تكون صعبه كما تعلمون وحالياً...

صمتت فأضافت نيسان...يبدو أن عمي له علاقة بهذه الذكرى لذا لا داعي لنسأل

أكثر عمتي السؤال التالي.

حسناً... لماذا لا يمكنك نسيان أسوء ذكرياتك؟

توترت وبدأت تضغط علي يديها، لعودة ذكرى مؤلمه إليها، تلك الأرجل التي تركلها بقوة علي جميع أطراف جسدها بذلك اليوم حين رافقت الموت إلي بوابته ، أسوء ذكرياتها، قفز أرغوفان من مكانه كان يعلم أن هذا أسوء سؤال يطرح عليها ، وهو الشاهد علي المعاناة التي عاشتها في الأيام الأولى من تلك الصدمة، كانت تستيقظ بصراخ وبكاء شديد بسبب الكوابيس التي احتاجت وقت طويل حتى فارقتها.

_ أعلم أنكم في خضم اللعبة... قاطعهم قبل أن ينتبهوا لتوترها... لكن أريد أن أستأذن منكم زوجتي.

_ خالي دعهم ينهون لعبتهم أولاً... قالت بهار باحتجاج... وأردف ألتان بحده لتدخله أثناء اللعب...كدنا أن ننتهي أساساً.

_ أكملوها بدونها...مد يده لها فشعر برجفه خوف بيدها حين أمسكت به... عن أذنكم. أخرجها إلي الخارج تمشياً نحو الأرجوحة ، جلست بصمت وهو يقف بجانبها منتظراً أن تهدأ...كسر الصمت بعد وقت قائلاً:

_ أنا أعتذر نيابة عنهم... أدرك أنهم ضايقوك بأسئلتهم.

نظرت إليه بابتسامة مجيبيه: يبدو أنك أصبت بعدوى الاعتذار.

تبادلا الضحكات أضاف... أعلم أن سؤال أوزغور كان قاسياً عليكِ لكن لا تقلقي ستمضي هذه الذكرى المؤلمة ولن يبقى لها أثر.

_ وما أدراك أنها ستمضي؟

_ بسبب خبرتي ثقي بي.

توقفت عن التآرجح وهي تنظر إليه بطمأنينة ثم قالت: من الجيد أنك موجود... ليس بهذه الحياة فقط... بل من الجيد أنك موجود بحياتي.

وضع يده فوق يدها التي تمسك حبال الأرجوحة ، أنحنى نحوها قائلاً بهمس: من قبلك لم أكن أرى لوجودي جدوى.

توردت خجلاً وتوترت من اقترابه، فأبتعد عنها قائلاً بحده: لم أشأ التدخل لكن انفعال ألتان بهذه الطريقة لم يعجبني.

_ لا تهتم فهو مضطرب ومتوتر هذه الفترة.

_ وإن يكن لم يكن لهذه التصرفات أي داعي.

أعيدوا لي قلبي

_ يمر بوقت عصيب ليس إلا.

_ هل تعرفين ما به؟

_ أجل لكن... لن تخبره بشيء لأنه سيعلم أنني أخبرتك.

_ لا تقلقي أخبريني.

_ أنه عاشق.

_ ماذا؟... أضاف بدهشة... أنه خبر جميل لكن ما الذي يسبب له الاضطراب أن كان هذا الأمر.

_ الفتاة لا تبادله المشاعر أو بالأحرى لا تعلم بمشاعره... والأسواء أن صديقة المقرب يكن لها نفس المشاعر ولهذا لا يستطيع أن يقوم بأي شيء اتجاهها.

_ اللعنة ما هذا الحظ السيئ لأبن أخي.

_ مؤخراً أنطوى علي نفسه حتى أنني حاولت أن أجعله يتكلم لكنه ظل يصدني.

_ سأحاول سحب الكلام منه دون أن يلاحظ أنك قد أخبرتني بشيء لعله يتحدث إلي.

_ والله سيكون جيداً أن تحدثت إليه.

_ سأجد فرصة ونجلس رجلاً لرجل.

بعد غداء اليوم التالي ، نهض علي أشرف وقال:

_ أرسلوا لي قهوتي إلي أسفل شجرة التفاح... أرغوفان تعال معي.

تبع والده بصمت، جلسا أسفل شجر التفاح وهو في انتظار أن يبدأ والده الكلام ، والثاني بانتظار أن تأتي قهوته وهو يسبح بهدوء ، بعد قدومها شرب قليلاً ثم قال:

_ في ليلة أمس قدوم نادين إلي هنا لم يعجبني.

_ أبي أخبرتك لم أكن أعلم بقدومها.

رمى المسبحة علي الطاولة قائلاً بانزعاج: جاءت المرأة إلينا قبل مدة وقالت أنها "حبيبتيك" وأنت لم تنكر وعندما طلبت منك أن تتزوجها لأستطيع النهوض بشركتي مالياً عارضت وتركت المنزل... ثم نعم أنك قد تزوجت صدفة... وعلاوة علي هذا تزوجت رغماً عن أهلها... احترمت كل ما قلت وقبلتها بهذه الأسرة لذا منذ اليوم الذي سمحت لها بتقبيل يدي أصبحت أبنة لي... وأنا لا أرضى بمهزلة كالتي حدثت بالأمس أن تحدث لأبنتي.

أعيدوا لي قلبي

_ أدرك الأمر يا أبي وضعت حداً لكل هذه الأمور.

_ لا تهمني الحدود التي تضعها حان الوقت لتنتهي شراكتك بنادين علي الفور.

_ أبي الشيء الوحيد الذي يجعلني أتمسك بها أنها محامية ماهرة.

_ أرغوفان أنت تعلم أنني أكره تكرار كلامي.

_ لكن... لا أستطيع فسخ العقد معها.

_ السبب؟.

_ أنا أمر بضائقة مالية ولا يمكنني دفع الشرط الجزائي.

_ كيف مررت بهذه الضائقة؟.

_ قمت بمساومة لأجل موكلي ولأنقذه دفعت مبلغ من المال.

_ اللعنة وبالتأكيد المبلغ لم يكن هيناً... عندما لم يجب أكمل بغضب... لن تتوقف أبداً علي إقحام نفسك بما لا يعينك.

_ عملي هو إنقاذ حياة موكلي وإن كان الأمر يعني أن أدفع من أموال الخاصة فلا مانع عندي.

_ أتصل بقسم المحاسبة بالشركة أطلب المبلغ الذي تريد وأنها المهزلة فوراً.

_ لا داعي سأحل الأمر.

_ أنا لا أتصدق عليك... سيتم خصم هذا المبلغ من مستحقاتك بالشركة ثم لا أريد أن أرى تلك النظرة تعلق وجه أبنتي.

_ حسناً... قال بسعادة.

_ ما الذي يسعدك هكذا؟

_ جونول لم تحظى بوالد جيد ولم يقف بجانبها يوماً أنا سعيد لأنني منحتها أباً تخلى عن أبنه لأجلها.

_ أيها الأحمق أنا لم أتخلى عنك لكنني لن أرضى لها الظلم.

_ طوال حياتك كنت دائماً تعطيني الحق بكل ما أفعله لذا أنا أشعر الآن وكأنك تخليت عني لأجل جونول.

_ لكن هذا الوجه لا يوحي علي أن الأمر يزعجك؟!.

_ لو كان شخص غيرها لهدمت الدنيا علي رأسه... قبله علي رأسه مضيفاً... أدامك الله.

عند الغروب ورد اتصالين متوالين لأريغيت ولأرغوفان، وكلا الاتصالين كانا لنفس السبب ، موكل أرغوفان الذي حاول الانتحار بعد أن أبلغته نادين أن جلسة الغد لن تكون لصالحهم ، تم استدعاء أريغيت لأن حالته خطيرة ، غادر أريغيت من فوره ، كذلك أرغوفان طلب من مارت أن يعود مع ألتان غداً ، أخذ معه جونول لأنها تحتاج للراحة، وفي طريق العودة، كان مشغول بالتفكير ، حاولت أن تخفف عنه قليلاً قائله: _ لا تحاول أن تلوم نفسك هو فعل هذا لأنه يخشى الخسارة ليس إلا.

قال بغضب:

_ أخبرتني أنه لم يكن بخير كان يمكنني المساعدة لو تدخلت باكراً...

تبددت مشاعر الغضب التي كانت تعتريه فور إحساسه بيدها تمسك بيده...أضافت بحياء...لست بملاك حارس لتحمي الجميع فقط لو وثق بك قليلاً ربما ما كان ليفرط بنفسه...

تبادلا نظرات حميمية فسحبت يدها بخجل ، أمسكها قائلاً:

_ لا تتركيها... احتضنت يده الكبيرة يدها بقوة وبرغبة مخبأه...أكمل... لا يهون علي ترك يدك وهي باردة.

_ لكن كيف ستقود؟.

_ لا تقلقي يد واحده تكفي.

ترجل من السيارة رفقتها بعد وصولهم ، أوصلها إلي الباب وقال:

_ الطقس بارد يبدو أنها ستمطر إذا كانت هناك رعود وشعرت بالخوف أتصلي بي.

_ أنا لا أخاف من الرعد...قالت بثقة

لم يستطع تمالك الإبتسامة التي تسللت لثغره ، عندما تذكر اليوم الذي أجبرت فيه علي النوم بقربه من خوفها...أقصد قد تخشين البقاء وحدك...قال وبثغره ابتسامة.

_ لا بأس من بقائي وحيدة...ايضاً يتواجد الخدم لذا لن أكون وحدي.

_ حسناً...تبادلا نظرات كانت أفصح وأصدق من أي كلام يقولانه أردف...حين أكون مشغول البال لا يمكنني العمل.

أجابت بجهل عن كلامه...مع أنهم يقولون إذا كنت مشغول البال كثف عملك.

_ وماذا أفعل إذا ابتليت بامرأة تخطر ببالي وسط انشغالي؟.

توردت خجلاً قائله: ما الذي تعنيه؟

_ سألتك سؤال وقد اخترتِ حقك في الصمت لكن...أمسك بيديها مكماً..أنا بحاجة

لأن أسمع ردك الآن لأعمل بذهن صافي.

نظرت إلي عينيه بكل حب وشغف ، قالت دون أن تضطرب أو تتوتر أو حتى تتورد خجلاً ، بل كانت مليئة بالحماسة استجمعت شجاعته لتخرج تلك الإجابة من بين شفاهها الحمراء ، غمرته سعادة لم يدرك كيف يحتويها ، أحتضنها بقوة وشغف شديداً قائلاً بهمس:

_ أن كان هناك شيء لن أجعلك تندمين عليه هو قرارك هذا... أمسك بوجهها المتورد مضيئاً... شكراً لأنك جعلت مني أسعد رجل في العالم.

طبع قبلة سريعة من وجنتها، أقرب ما يكون من الفم ، تملكته رغبة جامحة في البقاء ، غادر رغم كل مشاعره ورغباته المتأججة بعد أن وعدّها بالعودة باكراً ، بات موقناً أن حبها ما هو إلا قدره المحتم.

عاد باكراً كما وعدّها ، دخل إلي الغرفة فلم يجدها ، بحث بأرجاء المنزل ولكن دون جدوى ، عاد للغرفة وجد معطفها ولا أثر علي أنها بدلت ثيابها... "هل خرجت لمكان ما يا ترى؟" ...تسأل في نفسه ، أتصل بها فكان هاتفها داخل المعطف ، نزل إلي المطبخ:

_ مساء الخير... قال لمن تتواجد في المطبخ.

_ مساء الخير سيد أرغوفان.

_ هل رأيت السيدة جونول؟

_ لقد غادرت.

_ ماذا؟... إلي أين؟

_ بعد مغادرتك بقليل جاء رجل إلي هنا قال أنه أخ السيدة جونول الأكبر وقد ذهبت رفقة.

الفصل السادس

« أنا بكامل كياني لستُ لي... »

كما أنك أنت لست لك ؛

أنت لي!.. »

باسل نادر

جلست إلي جواره بعد العشاء ، وبيدها طبق به تفاحتين ، أخذ منها السكين قائلاً:
_ دعيني أنا أقطعها كما كنت أفعل في الماضي.

يشاهد المسلسل بانسجام ، أطفأت التلفاز صاح بها: لما فعلتي هذا حباً بالله؟!.

_ لقد مضى يومان وأنت تتجنب الحديث معي.

_ لا يوجد شيء نتحدث به أساساً عقد قيرانك علي ذلك التافه كان خطأ وأنا سأصلحه
وسأجعل لك حياة مثالية بعد الآن...أكمل وهو يداعب شعرها...سأحقق لك كل ما
تمنيته سابقاً.

_ أخي من فضلك أسمعني فقط.

ضرب الطبق علي الطاولة دلالة علي غضبه وقال متمالكاً نفسه..ما الذي ستقولينه
حتى أسمعك أنا أعلم كل شيء لا داعي لتتحدث أنا أخطأت بإدخالي لهذا الوغد بيننا
وأنا من سأخلصك منه.

_ أخي من فضلك لا تتحدث عنه هكذا وأنت لا تدرك أي شيء

_ بل أنت التي لا تدركين ما أنت واقعه به لا أدري ما نوع الأكاذيب التي ألقاها علي
مسامعك لكن أنتظري...نهض إلي المكتب عاد وبيده ملف ما رماه أمامها...أنظري.
لهذا...ألقت نظره فلم تفهم شيئاً من كل هذه الأرقام أكمل...الذي بين يديك كشف
حساب أبيك وحركته...المصنفات التي يشار إليها باللون الأحمر هو المبلغ الذي
أحاله ذلك الوغد أرغوفان إلي شاه ميران لقد تم إرسال المبلغ علي دفعتين بيوم عقد
قرانكما والآخر بعده بيومين.

_ وما الذي يعنيه هذا؟.

_ ذلك الوغد كما توقعت أشرتاك من أبي.

_ هذا غير صحيح!...قالت بدهشة.

_ بلى كما تسمعين...بليلة عقد قرانكما تراجع أبيك عن فكرة تزويجك أياه ولكنه
أصر وعرض هذا المبلغ الطائل كي لا يتوقف هذا الزواج حتى أنه بعد أن دفع
الدفعة الأولى لم يرسل الثانية إلا بعدما أجبر شاه ميران للتوقيع علي منع اقتراب.

_ ولكن من أخبرك بكل هذا؟

_ جمال الدين وأكد لي ما قال سالم ويمان.

_ أخي أقسم لك أن الأمر ليس كما سمعت.

_ يا فتاة...ضرب الملف الآخر علي الطاولة مكماً...فهمت ما يجب أن يفهم لذا

أعيدوا لي قلبي

وقعي هنا ودعينا ننهي هذا الكابوس.

تسألتي: ما هذا؟.

_أوراق الطلاق.

_صالح أرجوك أسمعني أولاً دعني أشرح لك الأمر أقسم...

_جونول!...صاح بها ثم هدأ قائلاً وهو يمسك بيديها...عصفورتي الصغيرة أعدك سأتلافى كل ما تأخرت عليه أدرك أنك ستدافعين عنه لأنك تظنين أنه رجل طيب لكنه ليس كذلك حتى بعد أن سمعت ما حدث من أخي تداركت بعض الأمور مثلاً هو من عثر علي وليس أنا حتى أنه أصر علي أبي ليأخذ القضية أنا متأكد من أنه كان يمتلك خطة طويلة الأمد وها قد نفذها الآن.

_هل تدرك أنك خلطت الأمور ببعضها ما شأن عثوره عليك بحديثنا؟.

_جونول متى رأيت بها أرغوفان أول مره؟

_عندما ألتقي بأخي جمال الدين في المنزل.

_هل أنت متأكدة؟

_أجل وأنت تقول أنه قد عثر عليك ولكن الحادثة حدثت قبل عشر سنوات وأنا كنت في الجامعة ما الذي سيجعلني ألتقي به بذلك الوقت...حباباً بالله فكر بمنطقية قليلاً.

_هناك رائحة بهذا الأمر لكنني سأحله.

_لو تستمع إلي ليست الرائحة فقط بل ستحل كل شيء.

نهض متجاهلاً كلامها...غداً سأضطر للذهاب إلي البلدة لنقل أبي إلي مستشفى هنا بعد أن توقعي الورقة أتركها علي الطاولة سيكون أول عمل لي غداً إيصالها للمحامي.

نزل من غرفته وهو يرتدي سترته ، عندما وجدهم مجتمعين جميعاً قال:

_صباح الخير جميعاً وأهلاً بعودتكم.

نهض مارت محتضناً إياه وهو يقول: أهلا بك أنت أبي.

_كيف حالك؟

_بخير.

_أجل يا بني...أردف علي أشرف...أهلا بك أنت نحن عدنا منذ ثلاث أيام ولكن لم

أعيدوا لي قلبي

نجدكما أنت وزوجتك ولا تجيب علي هاتفك.

_ أعتذر يا أبي كنت مضغوطاً بالعمل ولم أستطع الإجابة علي هاتفني حتى.

_ وكذلك هاتف جونول مغلق منذ أيام...أضافت أوزغور.

_ أجل أنه كذلك...علي أن أذهب لا أريد التأخر عن المرافعة.

_ ألم تصل حديثاً؟...تسألتي خديجة.

_ أجل أتيت لأبدل ثيابي قبل الذهاب للمرافعة...طاب يومكم.

قبل أن يغادر نادى علي أشرف: أرغوفان!...أين جونول؟...أجاب دون أن يستدير

نحوهم: جونول لن تكون هنا لبضعة أيام...إلي اللقاء.

كان واضح للجميع أن به خطب ما، فلامح وجهه توحى علي أنه غاضب ويشعر

بسخط شديد ، قالت نيسان بانزعاج:

_ أمي أرجو ألا تكون قد تسببتِ بمشكلة بينهما.

_ وما شأنى أنا؟

_ ألسنت أنت من سمح لنادين بالقدوم إلي منزل الجبل؟.. أضافت خديجة بحده.

أنسحب ألتان من بينهم دون أن يلاحظه أحد ، تاركهم خلفه بتساؤلاتهم عن "ما الذي

حدث بينهما؟"...لكن كان هناك أمل ولو بسيط بداخل ألتان أن موعد انفصالهما قد

حان ولهذا السبب رحلت جونول فجأة ، حاول الاتصال بها عدة مرات ولكن دون

جدوى...اللعنة!...أردف بغضب، سمع من خلفه أوزغور تقول: لا زال هاتفها مغلقاً؟

أجاب بتوتر: أه...أجل...عندما قال عمي "أنها لن تكون هنا لبضعة أيام" أردت أن

أتصل لأطمئن أين هي؟

ربتت علي كتفه بقسوة قائلة: لا تقلق ستعود فأنا أعرف أخي جيداً يموت ولا يتخلى

عن من أحب.

_ وأنا لم أقل شيئاً!...قال بتذمر.

_ أعلم...أردت أن أذكرك كي لا تنسى.

عادت إلي الداخل وتركت ألتان يستشيط غضباً من كلامها.

طرقت باب غرفته ولم تدخل حتى أذن لها.

_ أبي هل نتحدث قليلاً؟

_ أوزبرنجي ظننت أنك ذهبت إلي العمل؟

أعيدوا لي قلبي

_أردت التحدث معك أولاً.

_تعالى أجلسى وأخبرينى لأرى... ما الأمر؟

بعد جلوسها أطلقت تنهيدة قصيرة وقالت: أخى ليس بخير.

_أى منهم؟!

_أرغوفان.

_كان واضح على وجهه أن هناك أمر ما قد حدث لكن هل تعرفين شيئاً ما؟

_لا أعرف التفاصيل لكنه يستشيط غضباً وصلتني شكاوى عديدة من موظفي مكتبنا في أزمير... يقولون أن أخى كئار يحرق من يقترب منها... وقام بأخذ سبع قضايا دفعه واحدة ورفض التنسيق مع فريق المحامين.

_أى أنه يجهد عقله بالعمل.

_أبى أن وضع أرغوفان لا يبشر بخير... ما أخبرتك أياه هو القليل من ما حدث.

_أطلعيني على كل ما تعلمين وأنا سأصرف.

غارقاً بين أوراق وقضايا موكلية ، طرق الباب فقال بشرود:

_تعال... بعد وهله ترك ما بين يديه ، خلع نظارته الطبية قائلاً: ما الأمر أصلاً؟

_استطعنا معرفه من كان خلف الأحداث التي توالى الفترة الماضية.

_أى أحداث؟

_أقصد الصحفي والأزهار التي أرسلت جونول وكذلك من أرسل خبراً لجانير.

_هل هو من طرفنا؟

_أجل... السيدة جاهدة.

_اللعة عليك يا جاهدة... قال بغضب وهو يرمى بنظارته على الطاولة.

_أعتقد أنه يجب أن نترك الأمر للسيد على أشرف.

_لا... أن علم أبى بالأمر سيتخذ بحقها إجراء يجعل أخى وأبنائه يكرهوننى مدى الحياة وأنا فى غنى عن هذا الأمر.

_إذا... ماذا تأمر؟.

_ما مقدار ما توصل إليه الصحفي هل استطعتم معرفه هذا؟

_ بالطبع لقد وصلت إليه شخصياً لكنه لا يعلم شيئاً مهماً علم أن جانير صديق مقرب للسيدة جونول والسيدة جاهدة عندما علمت بالأمر طلبت من الصحفي أن يجعله يأتي إلي هنا.

_ أرادت أن تظهره علي أنه حبيب جونول تلك الوقحة.

_ هذا ما أعتقد أيضاً.

_ أنت لم تأتي إلي وأنا لا علم لي بأمر الصحفي هذا ما سيفهمه أريغيت أخبره بكل ما توصلت إليه ولا تخبره أن جونول ألتقت بجانير ألغي هذا التفصيل.

_ حسناً أنت لا خبر لك بشيء.

_ ماذا فعلت بالصحفي؟

_ لا تقلق تعرفنا بطريقة جميلة لن ينساها طوال حياته.

_ حسناً شكراً لك.

_ العفو... هناك أمر آخر... تردد في قول... أنه بخصوص عديم الشرف الذي حدثتني عنه من قبل....

_ توقف يا أصلان أن سمعت أي شيء بخصوص هذا الأمر فأنا لن أتردد بارتكاب جريمة فالغضب الذي أنا به الآن يحرق المدينة بأكملها... تصرف أنت بالطريقة التي تليق باسمي.

_ حسناً... عن أذنك... أراد الخروج لكنه لم يحتمل رؤيته علي هذه الحالة... قال: هل ترغب أن أذهب وأحضرها؟

_ ماذا؟

_ عرفت أين يمكنان بأمر منك فقط سأعيدها.

_ لا يا أصلان لا... فعلت لأجلها كل ما يلزم ولو يعود بي الزمن سأعود لأفعل ذات الشيء وهي اختارت البقاء معي لذا أن كانت صادقة بمشاعرها لن تنصاع لصالح وستعود أو تتصل بي لأذهب إليها.

_ لكن اليوم هو اليوم الثالث!.

_ لن أصرع من أجل أمراه لا تقاثل من أجلي... مع أنني لا أريد أن تقاثل فقط أتصال واحد وأنا سأقاتل بدلاً عنها وأهدم المنزل فوق رأس صالح إذا تطلب الأمر.

_ كما تريد... كتب شيئاً ما علي قطعه ورق صغيرة ووضعها علي الطاولة مردفاً... هذا عنوان المنزل أن أردت هدمه أو شيء من هذا القبيل... طاب يومك.

مضت ساعات طويلة من العمل، رمى نظارته العاجية على الطاولة ، سحب ربطة عنقه المرمية علي عنقه ؛ ولحقت بالنظارة ، فتح أزرار قميصه العلوية ، ورفع أكمامه إلي مرفقية، رمى جسده علي الأريكة وهو متهالك التفكير ، في محاوله منه أن يأخذ قسطاً من هذه الهواجس التي تأبى مفارقتة حتى وسط انشغاله ، لكن محاولته فشلت قبل أن يتم تنفيذها، فما أن وصل رأسه إلي الوسادة حتى طرق الباب ، غطى عينيه بيده قائلاً بتهكم: تعال...قفز من مكانه ما أن دوى ذلك الصوت الجهوري بالمكتب قائلاً:

_ هون الله عملك.

بعينين متسعيتين قال: سلمت يا أبي...أضاف مشيراً إلي الكرسي بينما يرتب هندامه...تفضل...قال بعد جلوسه:

_ هل أتيت في وقت غير مناسب؟

_ أستغفر الله كنت أحاول أن أرتاح قليلاً...هل هناك أمر ما؟

_ وهل يوجد عيب في زيارتي لأبني بمكان عمله؟

_ لا أستغفر الله ولكن ليس من عادتك القدوم إلي هنا إلا إذا وجد أمر طارئ!

_ وأنا أتيت من أجل أمر طارئ كذلك.

قال بفرع: ما الأمر هل هناك أحد منا متورط بشيء؟

_ أهدأ ليس كذلك...هذه المرة أنت هو الأمر الطارئ.

_ لم أفهم؟

_ بني أنا مدرك لكل شيء شجارك مع النائب العام في أزمير غضبك من الموظفين وبحسب ما فهمت من سونيا لا تنام ولا تأكل منذ ذهابك إلي هناك وتضغط نفسك بالعمل هذا ليس جيد لصحتك.

_ أنا متوتر قليلاً سأصبح بخير بعد يومين كأقصى تقدير لذا لا داعي لتقلق علي يا أبي.

_ وكيف لا أقلق عليك أنت قرت عيني...بعد تردد قال: هل غياب جونول له علاقة بالأمر؟

_ ليست السبب لكن الأمر يدور عنها.

_ هل تشاجرتما بسبب نادين؟

_ لا علاقة لها بالأمر لقد ذهبت مع أخيها.

أعيدوا لي قلبي

_ ماذا... قال بفرع... ألم تقل أن علاقتها بعائلتها سيئة كيف تسمح لها بالذهاب معه؟
_ أهدأ سأشرح لك... الذي ذهبت معه ليس كبقية أخوتها أي أنه لن يؤذيها ومستحيل
أن يفعل.

_ هل عادت معه إلي البلدة؟

_ لا زالا في المدينة أعطيها بعض المساحة معه حتى تعود علاقتها إلي سابق
عهدا فقد تزعزعت العلاقة بسببي.

_ هل هو من كان موكل لك؟

_ أجل أنه هو.

_ هل أنت متأكد انك لا تحتاج إلي تدخلني بالأمر؟

_ لا سلمت ساحل معه كل شيء بهدوء وأعيد جونول.

_ أنا أدمك وأقف بجانبك بكل الظروف يا بني لا تنسى.

_ أدامك الله يا أبي.

قاطعهما قرع الباب فقال: تفضل.

دخلت مساعدته قائله: سيد أرغوفان هناك محامية ترغب برؤيتك.

_ من تكون؟

_ لا أعلم لكن قالت "الأمر مستعجل".

نهض علي أشرف قائلاً: دعني لا أعطك عن عمك هيا إلي اللقاء.

_ دمت سالماً يا أبي.

دخلت في عقدها الأربعين ، ذات شعر مموج بني اللون ، عيناها كحبات البندق ،
طويلة القامة ونحيلة كعارضه أزياء ، ترتدي حله رمادية اللون تظهر مدى رشاقتها
، كشفت عن حبات اللؤلؤ المصطفة داخل فمها ، قائله: أنت أرغوفان بوزدا؟.

_ أجل تفضلي.

تقدمت نحوه وهي تتعجب قائله: لم أتوقع أن تكون هكذا؟...أضافت وهي تمد يدها
للمصافحة... أنا مريم تيكين.

_ أهلا بك...أضاف...ما الذي قصدته بكلامك؟

_ لا تهتم...هل حضرتك متفرغ للحديث قليلاً؟

_ بالطبع تفضلي...أشار للكرسي ، وجلس خلف مكتبه سأل...هل تشربين شيئاً؟.

أعيدوا لي قلبي

_شكراً سأدخل صلب الموضوع... أنا هنا من أجل زوجتك.

_ماذا تقصدين؟

أخرجت من حقيبتها ملف ما ، وضعته أمامه متسائلة: جونول بوزدا أليست زوجتك؟
_بلى أنها كذلك.

_هذه التي أمامك هي أوراق الطلاق بالتراضي موكلتي لا ترغب بالمطالبة بأي شيء أي أنها تتنازل عن كل ما هو حق لها ويكفي أن ننهي المسألة بجلسة واحدة.

أحتاج قليلاً من الوقت حتى يستوعب الكلام الذي قالته ، بعد وهله فتح الملف ليجد إمضاء جونول عليه ، شعر كأنه تلقى ضربه علي رأسه ، أعاد فتح أزرار قميصه العلوية ليستطيع التنفس ، ثم سأل بعد أن هدأ: هل جونول من طلبت هذا؟

_وكيف لها أن تكون موكلتي إذا لم تطلب هي هذا؟

_أعني هل هي من وكلتك؟...من أين تعرفينها؟...ومتى؟.

_سأعتبر أن كل هذه الأسئلة جاءت بدافع الصدمة...أنا موكلة شقيقها في الأصل وهكذا تعرفنا وبالأمس طلبت مني أن أوصل هذا الطلب لك.

_أنت محاميه صالح؟...قال بتعجب.

_أجل.

_فهمت الآن...

أدرك أن صالح قد وجد طريقة ما لإقناعها بالانفصال عنه ، لكن ما ألمه في قرارة نفسه أنه رأى إمضائها علي الورقة ، أي أنه لم يكن مهماً لها حتى تعارض صالح لأجله ، لكنه رفض أن يصدق أو أن يستسلم ، فكر أن يباغت قليلاً ليفهم هل جونول من طلبت منها هذا الأمر أم صالح ، فقال:

_إذاً تتنازل عن منزلها الذي في أزمير؟.

لم يرغب عن ناظريه التوتر الذي أصابها ؛ إزاء المعلومة التي أضافها وهي لا علم لها بها، لأن لا أحد يعلم أنه وعدها بالمنزل الذي بأزمير إذا ما انفصلا ، في محاولة منها مجاراة الأمر قالت:

_أجل جونول قالت أنها "لا تريد أي شيء".

_أفهم أنها تنازلت عن المنزل الذي أهديته لها...أراد أن يجرب مراوغة أخرى يثبت بها أنها لم تتكلم مع جونول حتى بأمر الطلاق...أضاف...لكن ماذا عن مارت هل تتخلى عنه ايضاً؟

أعيدوا لي قلبي

_ ماذا؟.. قالت بدهشة.. لكن كما فهمت أنتما متزوجان منذ فترة قصيرة!.

_ اه صحيح... أعذر ظننت أنها قد أخبرتك... أنا لي ابن يدعى مارت عندما تعلق بها خلال هذه الفترة أتفقنا علي أن أجعلها والدته في النفوس.

ظل ينظر إليها بتمعن ليتأكد من أن كل هذا ما هو إلا تخطيط من قبل صالح ، قالت:

_ أظن أن جونول نست أن تخبرني بهذا التفصيل... نهضت مكلمة... إذا كان هناك أمر ترغب بتعديله قم به وأنا سوف أنظر له لاحقاً وبخصوص أبنيك سأتكلم مع جونول وأخبرك.

_ حسناً لنبقى علي تواصل.

_ إلي اللقاء.

فور أن خرجت اختفت تلك الإبتسامة المزيفة التي ودعها بها ، ارتدى سترته وأخذ العنوان الذي تركه له أصلان وقال:

_ تظن نفسك ذكياً للعب معي يا سيد صالح؟.

كان طرق الباب متتالياً ، فتحت الباب بسخط ليتلاشى كل ما شعرت به ، حين تلاقى أعينهما صرخت بحنين مكبوت ، احتضنت نظراتهما بعض بشوق كبير حتى أرتوى قلبيهما الصائم، حاول أن لا يبدي سعادته برويتها لكن دائماً ما كانت عيناه تفضحانه، أما هي لم تفكر حتى في إخفاء سعادتها برويته ، محاولاً أن يظهر انزعاجه قال:

_ هل نتحدث قليلاً؟.

تعجبت من هذه المعاملة الباردة اتجاهاها قالت بانزعاج:

_ بالطبع... بعد جلوسهما أضافت... هل تشرب شيئاً؟.

_ لا أريد هل صالح متواجد؟

_ لا لقد ذهب إلي البلدة سيأتي متأخر علي ما أظن.

ضرب الملف علي الطاولة قائلاً بسخط: المحامية جلبت هذا لي قبل قليل.

_ أه من أجل هذا أتيت؟

_ جونول كان بإمكانني أن أتى منذ اللحظة التي علمت بها أنك ذهبت مع صالح لكن ظننت أنك ستدافعين عنا أمام صالح أن... أنت حتى لم تترددي في التوقيع علي هذه الورقة هل بهذا القدر أنا بالنسبة لك.

_ أعذر لأنني جعلتك تعيش كل هذا لكن لم أوقع لأن أخي طلب مني.

_ لا تقولي لي أنك فعلت هذا بإرادتك لا تخبرني أن ما مررنا به لا يعني لك شيئاً
لأنني لن أصدق لذا لا تحاولي جونول.

_ لا علي الإطلاق لن أقول... هل تظن أنني وافقت علي طلبك عبثاً... لكن قمت
بالإمضاء علي الورقة لأنني واثقة أنك ستأتي إلي هنا.

_ لم أفهم.

_ هاتفني ليس معي ولم أجد طريقة أصل إليك بها لذا وقعت علي الورقة لتأتي.

قال بشيء من السعادة: هل حقاً تقولين؟

_ أجل حاولت أن أتكلم مع أخي لكنه أصر عدم الاستماع إلي أخبره جمال الدين
بتفاهات لم أستطع إقناعه بغيرها.

_ ما الذي أخبره به؟

_ أمور تافهة وأيضاً... أضافت بتردد... قال أنك اشتريتني من أبي.

_ ماذا؟!..

_ وضع أمامي كشف لحساب أبي يظهر أنك قمت بتحويل الأموال له.

_ هذا صحيح... تجمدت ولم تدري ماذا تقول فأكمل... تذكرين في يوم عقد القيران
أخذت والدك إلي مكتبه وهناك حاولت أن أجبره علي أن يوقع علي قرار منع
الاقتراب لكن... هددني وأجبرت علي دفع الأموال له ولكن ليس من أجلك بل لأنقذ
نفسي لأنني أتيت رفقة سلجوق فقط وإن قام بتلك اللحظة بقتلي أنا وسلجوق بلحظة
واحدة لما وجدنا من ينقذنا.

_ إذاً دفعت المبلغ لتتقذ روحك.

_ أجل هذا صحيح.

قالت بابتسامة مليئة بنشوة حب: كنت أثق أنك لا تفعل شيئاً كهذا.

_ تسعدني ثقتك بي!.

_ هل أنت بخير يبدو أنك متعب؟

_ فعلاً أنا كذلك... مذ غادرتي وأنا لم أستطع النوم أو الأكل.

قالت بدهشة: أمضيت ثلاثة أيام دون أكل أو نوم؟.

_ أتضح أنني لا أقوى علي العيش بدونك.

توردت خجلاً وقالت: سأحضر لك شيئاً لتأكله.

أعيدوا لي قلبي

وضعت كوب القهوة أمامه بعد أن تناول العشاء، جلسا بمحاذاة بعضهما ، سأل: هل أجابك صالح؟

_ أجل أرسل رساله سيأتي غداً صباحاً.

ساد الصمت بينهما ، يحاول كل منهما أن يشبع عينيه بالآخر ، بعد وقت ليس بطويل خرجت عن صمتها قائله: شكراً على كل شيء.
_ لماذا؟.

_ أعلم أن مشاكلي لا تنتهي ومع هذا لم تتخلي عني أو تشعرني بأنني عبء عليك.
وضع كوب القهوة بجانبه ، وتقدم إلي الأمام حتى كادت أن تتلامس أيديهما فقال:
_ الحب الذي يأتي بسهولة يكون التخلي عنه سهلاً لكن الحب الذي يأتي بصعوبة وبشق الأنفس يستحيل التخلي عنه.

قالت وهي تبتمس: أنقول الآن أنه يستحيل أن تتخلي عني أو أن هذا ما يبدو لي.
_ هذا ما أقوله تحديداً... داعبت أصابعه يدها قبل أن يمسكها مضيئاً... لي رجاء واحد توقي عن شكري في كل مرة تسنح لك فرصة.

_ اعتذ... قاطعها بتقبيل يدها... إياك والاعتذار بدون سبب.

أطلقت تهنيده بسبب توترها قبل أن تقول: طوال حياتي كنت أشعر أن لا جذور لي ، أعيش مثل اللاجئ الذي أمضى حياته بحثاً عن وطن يقبله ، داخلي شعور دائم أن لا ارتباط لي بالوجود، وأني مجرد شيء إضافي ومقحم بحياة الآخرين...

أكمل خلفها وهو يداعب يدها وينظر بعمق إلي عينيها... تنازلت عن نفسك كي لا تكوني ثقيلة بل داعمه ومريحه... لكنك نسيت نفسك في تلك الأثناء وجدت أنك تتنازلين عنها في كل مكان وبكل مساحه في الحياة... تقدمين نفسك قرباناً للشعور بالانتماء... تقومين بإرضاء الجميع أن تحاولي وتساعدي وتساندي وتنقذي وتدعمي... فقط لتشعري أن لك مكان بهذا العالم... تتمنين لو يفسح لك هذا العالم مساحه ضيقة لتتواجدي بها... ولئلا تهجري ثانيه.

ابتسمت وبعينيها دموع لم تكن لحزن أو ألم قديم مصدرها بل فرحاً لأن كلام عائشة عندما قالت ذات مره "سيأتي يوم ويعوضك الله عن كل شيء حتى أنك ستشكين بأنه حلم" أصبح حقيقة ، تماكنت نفسها كي لا تبكي وقالت:

_ سمحت لي أن أتجذر بك...

كنت الوطن الذي قبلني بضعفي وعجزي...

أعيدوا لي قلبي

وأصبحت انتمائي وجنسياتي والمكان الذي يحتويني...

لم يعد شعور اليتيم بداخلي موجوداً لأنك ربطتني بالوجود..

ولم تشعرني يوماً أنني دخيل أو شيء مقحم بحياتك...

ولهذا عندما أشعر بكل هذا لا أقوى علي شيء سوى شكرك.

تسبب اعترافها الغير مباشر باحمرار شحمه أذنه، غلا وجهه ، شعر بالذوبان ودوت صافرات الانذار في رأسه ، قال بتوتر: ربما الحياة أخرجتني أمامك لأكون اعتذاراً منها.

_ لا... أجابت وهي تنظر بشرود إليه... إنما أنت كالغيث النافع رويت قلبي محبه ودفئ.

كان وقع كلماتها يشبه وقع الماء علي طائر صغير، حاول أن يمسك بزمام الأمور ، لكن روحه أبت إلا الاستسلام ، وأعلنت أن هذه الليلة ستكون اليوم الأول لبداية حياتهما.

فتح عينيه بثقل علي صوت سيارة لأحد العاملين ،الذي يخرج إلي عمله قبل طلوع الشمس ، شعر برأسها علي كتفه ، نظر لهذا الوجه الشاب الناعم والجميل مثل ثمرة صيفية ، شعر بسعادة غامرة فقد وضعت الحرب أوزارها ، انتهت دون أن يكون بها طرف فائز أو خاسر، سلم طواعية قلبه وكيانه لها ، وأعلنت بالمقابل استسلامها الكامل له ، تلك الحرب التي أشتع فتيلها يوم فقد توازنه وأضطرب أمام جمالها بذلك المكتب ذيع انتهائها مع بزوغ فجر اليوم أعتبر رؤيتها فور أن يفتح عينيه ما هي إلا هبه من الله ، يراقبها معجباً بانسجام تقاطيعها، بريق شعرها الذهبي ، وتراخي جسدها بينما هي نائمه، أبعث تلك الخصلات التي تتدلى من كتفها ، بأصابع مرتعشة لمس جسدها الرقيق ، أحتضنها بين ذراعيه وهو يستمع لصوت أنفاسها ، أراد أن يبقى يراقبها إلي ما لا نهاية ، لكن ما لبث الإرهاق إلا وتغلب عليه ، فنام.

شرعت بإعداد مائدة الإفطار حتى ينهي أرغوفان استحمامه ، وضعت الأطباق وقبل أن تحمل أبريق الشاي، أحتضنها من الخلف وهو يستنشق رائحتها...

_ صباح الخير!...قال.

_ صباح الخير.

سأل متعجباً: هل جهزت أنتِ كل هذا؟

_ أنا لم أعمل بالمطبخ طوال حياتي...وضعت أبريق الشاي مكملة...خادمة صالح

أعيدوا لي قلبي

تأتي في الصباح الباكر تعد كل شيء ثم تغادر.

_ هل غادرت؟_

_ أجل قبل أن تستيقظ بقليل.

قبل أن يشرعاً بالإفطار قال: أرسلت إلي أصلاً لي ليحضر لي ثياباً بديله بعد ساعه لدي مرافعه وعلي الذهاب.

_ حسناً... متى ستأتي للحديث مع أخي؟

_ حين يأتي أتصلي بي وسوف أتى من فوري.

_ ولكن كيف سأتصل

_ هاتفك لم يفارقني مذ غادرت لقد تركته في الغرفة بالداخل فقط أتصلي فأنا لا أنوي جعلك تمكثين بعيداً عني بعد اليوم.

تبادلاً ابتسامه ونظرات حميمه، تذكر ما خاضاه بالأمس، تناولوا الفطور ببطء، وهما يتبادلان النظرات وكأن كلاً منهما يود التعرف علي الآخر من جديد ، يلمس كل منهما يد الآخر في وعد مشترك، ينعمان بسلام أناني ، وكأنهما قد جمعا قطع حياتهما الناقصة وأدركا أخيراً مصيرهما ، أصبحت جونول ترى نفسها بمنأى عن أي خطر، بوجودها في كنف هذا الحب الجديد.

خرج من الغرفة بعد أن بدل ثيابه ، قال وهو يرتدي معطفه:

_ علي أن أغادر الآن... احتضنته مطولاً وكأنها لا ترغب برحيله، أضاف بسعادة... يبدو أنك تشتاقين لي من الآن؟!_

سحبت نفسها من أحضانه أجابت وهي تنظر إلي عينيه... أردت أن أختزل رائحتك في رئتاي لأتفلسها كل ما اشتقت إليك.

قال وبعينه نشوة حب: فقط لو لم أكن مجبر علي الرحيل.

توردت خجلاً وهما يتبادلان الضحكات ليقاطع غزلهما وسعادتهما صوت صالح القادم من الخارج قائلاً:

_ جونول لقد أتيت.

نظرت إليه بخوف فهمس لها ليطمئنها... لا تقلقي كل شيء سيكون علي ما يرام.

أضاف وهو يدخل... اعتقدت أنني سأتي باك... قُطعت جملته في المنتصف حين راه داخل المنزل وجونول تقف خلف جذعه ، عقد حاجبيه وقال بغضب: ما الذي تفعله هنا يا هذا؟_

__ أتيت للحديث إليك فهل تهذا قليلاً.

__ ما الذي بيننا حتى نتحدث به؟...صاح به وهو يشير للباب... غادر منزلي حالاً.

__ صالح...أجاب بحده...لن أغير المنزل قبل أن تسمعني.

__ ما الذي سأسمعه منك أي أكاذيب سترويها لي؟

لم يستطع تمالك غضبه بسبب كلمات صالح المهينة كأنه لم يعرفه خلال هذه السنوات ، صاح به...صالح!...أنا رجل أقف خلف كل ما أفعله أو أقوله أن كنت قد نسيت من أكون دعني أذكرك...أنا لا أكذب ولست بحاجة للأكاذيب لتصدقني...وأعلم أن قدومي إلي هنا ووقوفني أمامك فقط من أجل ألا أحزن أو أكسر قلب جونول وألا أنت خير من يعلم أنني أدوس علي كل من يقف أمامي.

تقدم نحوه بغضب وهو يصيح...علي من ستدوس أيها...

لم يكمل جملته حتى وقفت جونول بينهما لتنتهي الصراع ، قالت بتوسل وبعينيها الدموع...أخي يكفي أرجوك من أجل خاطري أهدأ وأسمعنا...أرجوك لا تكن مثلهم. أطفأت تلك الدموع المتساقطة، غضبه قال بصوت هادئ وهو يمسك بوجهها:

__ عصفورتي لا تبك أنا أرجوك...حسناً أنا غضبت وصرخت وأنتهى الأمر بهذا القدر أجلسا وسأستمع لما يريد قوله.

استطاعت أن تطفئ نيران الحرب التي كانت تتطاير من عيونهما ، جلسا وبكل روية أخبر أرغوفان كل ما حدث بين جونول وعائلتها وعن سبب زواجهما بالتفصيل ، قال صالح ونيران الغضب تخرج من عينيه:

__ يا هذه كيف تفعلين شيئاً كهذا؟...صاح بها...ألوم جمال الدين علي ما فعله وأنت...أمسك بذراعه التي تتطاير من أمام وجه جونول مقاطعاً كلامه، قال بغضب:

__ أنزل يدك وأفهم ما أحاول أخبرك به أولاً...أضف بلهجة تهديد...وأياك أن تفكر برفعها ثانية بحضوري أو من عدمه.

تبادلا نظرات تحمل للأخر تحذيراً ذكورياً بأنه هو المسؤول عنها ، شرحت له عن جانير ، وأكد أرغوفان أن كل ما حدث كان مجرد سوء تفاهم، أخبره أنه قد ألتقى بجانير وتحدثا مسبقاً، دون أن يتعمق بتفاصيل كيفية استضافته بذلك المستودع، وعن الطريقة التي تعرفا بها، أنتهى حديثهم باقتناع صالح بكل ما أخبراه به، أستأذن أرغوفان للذهاب لأنه قد يتأخر عن مرافعته ، وقبل أن يغادر أكد لجونول أنه سيأتي ليقبلها بعد انتهاء عمله ، وختم مغامرتها بهذا المنزل بقبله طويلاً علي خدها.

في المساء كانت أسرة بوزدا مجتمعة ، يتناولون طعامهم بهدوء ، كسر هذا الصمت علي أشرف قائلاً: أبنتي نسيت أن أسأل لأنك أتيتِ توأ... ما أخبار أخيك؟
_ أنه بخير.

_ أين كنتِ لم نستطع سؤال أرغوفان لأنه لم يكن بالمنزل أثناء غيابك وعندما عاد كان غاضباً فلم يجرؤ أحد علي سؤاله شيئاً... قالت أوزغور.

_ تعرض أبي وأخي الأكبر لحادث سير خطير علي أثره أصبح لأبي إعاقة دائمة لذا بقيت مع أخي صالح لمؤازرته.

قال الجميع بتوالي: زال البأس...

أضافت خديجة... هل هذا يعني أن علاقتك مع أخوتك عادت لسابق عهدها؟

"لم تكن بيننا علاقه كهذه يوماً لتعود" كانت هذه الإجابة التي لم تستطع البوح بها قالت بابتسامة خفيفة تخفي ألماً وعتاباً للقدر الذي جمعها بأسرتها:

_ ما كسر بيننا لا يمكن إصلاحه.

أضاف أرغوفان خلفها لأنه فهم حزنها من نظرتها... صالح لا يشبه بقية أخوة جونول أنه شاب شهم وعطوف لم أرى بحياتي شخص يجسد معنى الأخوة مثله من قبل.

كانت تنظر إليه كيف يصف صالح رغم كل ما حدث بينهما ، إلا أن نظرت له لم تتغير، وذلك الاحترام له لم ينكسر كانت بعينيها نظرة حب ممتلئة بالامتنان للقدر الذي أعتذر لها عن كل شيء بإخراج رجل مثله أمامها ، أنتبه لتلك النظرة بعينيها فأستأذن ألتان الذي لم يتحمل هذا المنظر ، فأن يكون شاهداً علي كيف أرتوى قلبها بحب عمه شيئاً فشيئاً، ما هو إلا قتل بطيء له.

مضت أيام وألتان يصارع مشاعر الغيرة ، التي تأكله كلما لاحظ عيونهما تتغزلان ببعض حين تلتقيا، لم يكن الصراع الذي يخوضه هيناً، أحياناً يقنع نفسه أنهما سينفصلان كما أنفقا، وأحياناً أخرى يناديه صوت من العدم كلما رأهما معاً "لقد خسرت قد فاز بحبها وأنتهى" لم يكن لديه دليل يؤيد أو يصمت هذا الصوت الذي بداخله ، أنطوى علي نفسه أكثر من السابق ، لم يعد يشارك الأسرة علي العشاء وإن أجبر يبقى قليلاً ويدعى أن لا رغبة له بالأكل ، لم يعد البقاء مع أحفاد الأسرة يستهويه ، أصبحت وحدته وعزلته مع الموسيقى الحزينة هوايته الجديدة ، صار صد الجميع وطرده من يطرق باب غرفته بأدب أكثر ما يجيده ، يغرق نفسه بالعمل ليبقي ذهنه مشغولاً ، تكررت محاولات جونول لاقتحام غرفته كل يوم بحجه وبطريقة جديدة ، لكن صدها هو الإجابة التي كانت تتلقاها بكل مرة ، أصبح الأمر يورقها لأنها ترى أعز أصدقائها كيف أنطوى علي نفسه وأكتئب وهي لا تقوى علي

مساعدته، عادت للحديث مع أرغوفان لأجله والذي قال أنه نسي أن يتحدث إليه كما وعدتها ، لكن هذه المرة هي من أشرفت علي لقائهما خرجا وتجولا معاً كما كان يفعلان في الماضي حين تنتهي السهرة بحديث ألتان عن مشاكله مع حبيبته ، لكن هذه المرة كانت مختلفة، خرجا وتجولا مثل الغريبان لم يفهم أي منهما الآخر ، مهما كانت الطريقة التي حاول بها أرغوفان كانت تلقى نفس الجواب ، فكيف له أن يشكو من ألم هو طرف به ، أو يحكي عن جرح يده ممسكه بسكينه ، كيف يشاركه غيرته منه علي زوجته ، كيف يصرخ له أنه يتعرض للتعذيب من ضميره في كل مره يفكر بها بزوجته ، عادا إلي المنزل ليبلغ جونول بكل أسى عن فشل المهمة وإن الأمر هذه المرة أكبر من قدرته.

عرض مشروع جديد علي الشركة ولسوء حظه كان هو وجونول المسؤولان عنه ، لم تكن الأحاديث بينهما خارج إطار المشروع قط ، وأن استغلت أصغر الثغرات لا يتردد في إغلاقها ، لأنه علي علم أن أصلان يراقبه ، عندما أنتهى الدوام عادا إلي المنزل لينهيا ما تبقى في مكتب علي أشرف ، عندما كانا منغمسان بالعمل قال:

_ سأخرج لأجلب القهوة هل أحضر لك شيئاً معي؟.

_ لا شكراً أساساً أكاد أنتهى وسأخذ للنوم.

_ حسناً.

نزل إلي المطبخ وعاد بعد أن أعد لنفسه فنجان قهوة عند دخوله للمكتب سمع هسهسات متتابعة، أقرب بهدوء من الباب وأسترق النظر، ليشاهد أسوء كوابيسه ، وليبتسم له ذلك الصوت من وسط تلك الظلمة بابتسامه عريضة هامساً بأذنه "ألم أقل لك؟"...أبتعد مترنحاً، ترك الفنجان بأول مكان أستقر عليه ، خرج من المنزل مسرعاً ، وصعد سيارته قاد بعيداً عن المنزل لا يدرك إلي أين يذهب ، لكنه أراد أن يقود بسرعه ليصل إلي مكان لا يتردد به صوت عمه وهو يقول "ألا يحق لي أن أشتاق لزوجتي" ، أراد أن تتوقف عيناه عن تذكر تلك اللحظة وهو يحتضنها من الخلف ، أن يقود إلي اللامتناهية حيث لا وجود لجونول ولا أرغوفان ، مكان لا توجد به خطيئة كالتى قام بها ، لم يكن يبالي بأحد بالماضي لكن الآن أثبت أنها زوجه عمه، أنه عدو عرض وأبن الخطيئة ، تخلت عنه أنفاسه بخضم هذا الصراع الألم والندم والعذاب يعتصرانه ، كأن الدنيا تهزأ به.

كانت الليلة باردة كعادة منتصف شهر مارس ، والأمطار غزيرة لا تفكر بالتوقف ، الهدوء يعم أرجاء المنزل، وبهذه العتمة والهدوء، لا يوجد ما يسمع سوى صوت

رنين هاتف مستمر ، بعد وهله استيقظا مفزوعان علي صوت ضرب للباب لا طرقة ، نهض مسرعاً ، بالكاد يستجمع الكلمات وتأبى الخروج من حلقه ، عيناه حمراء من ارتفاع السكر لديه، والدموع اتخذت طريق عبر وجنتيه ، قال أرغوفان بعد أن أستفاق:

_أخي ما الأمر؟...ماذا حدث؟...فشلت محاولته لقول أي شيء ، شدة من جذعه وأجلسه علي الأريكة ، ناولته جونول كوب الماء...أشرب وأخبرني ما الأمر؟... عندما كان يشرب الماء وهو يرتجف ، طراً علي باله علي أشرف فقال بفرع: أخي هل حدث لأبي شيء؟

كان الماء التي مرت من جوفه حركت انسداد الكلمات فقال:

_ أنه ابني!...بكي كطفل صغير.

أحتضنه متسائلاً بخوف في صوته: ما الذي جرى لألتان؟

_ تعرض ل...لحادث خطير!..

صدما كلاهما فقالت جونول بدهشه: متى هذا لقد كنا قبل وقت معاً نعمل في المكتب.

_ لا...أعلم...أت...أتصلوا بي...وأخبروني بالأمر.

_ حسناً سأبدل ثيابي وسنذهب هيا أذهب وبدل ثيابك أسرع.

كانت هذه أطول وأقسى ليلة تمر بهم ، أطول من ليلة طعن أرغوفان ، أنبلج الصباح ولا زال ألتان طريحاً بين الطاولة ومشرط العمليات، لم يحتمل ارطارول هذا الضغط وسقط دون وعي، حقه الطبيب بجرعة أنسولين، ونقل إلي إحدى الغرف حتى يعود لوعيه ، لم يمضي كثير من الوقت حتى جاء أفراد أسرة بوزدا يترأسهم علي أشرف بملامح وجهه الفزع ، شرح لهم أرغوفان الوضع وأجتمع الجميع علي الدعاء له حتى يخرج سالماً ، أستغرق الطبيب وقتاً طويلاً ليخرج ويتنفس الجميع الصعداء "لقد نجحت العملية وسوف نقله إلي غرفة الإنعاش ليبقى تحت المراقبة" خفت كلماته من خوف أفراد الأسرة، الجميع منهارين ومتوترين، أما أرغوفان كما اعتادوه صلب قوي المشاعر ، يؤازر ويطمأن ويواسي ، لم ينسى أن يهتم بشرطة المرور وكيف حدث الحادث ، لم يتزعزع أو يضطرب أهتم بأبيه الذي أرتفع ضغطه ، لم ينسى أن يهتم بأرطارول فور استيقاظه، ولم تسلم أوزغور من مواساته لها، بعد أن عم الهدوء وطلب أريغيت أن لا داعي لبقائهم هنا ، فغادروا وبقي ارطارول علي أشرف أرغوفان وكذلك أوزغور.

خرج وضرب جسده المتثاقل علي المقعد، كان مليئاً بالذعر الإحباط والتوتر الاضطراب ، لكنه اعتاد علي أن يواسي ويؤازر دون أن ينتبه أي أحد لما يعانيه ،

أستيقظ من شروده علي ملمس يدها الناعمة ، كانت جاثيه أمامه ومن تراكم همومه لم ينتبه لقدمها نظر بعينيها كأنه يمتص قوته منها قالت:

_ هل أنت بخير؟

_ أجل... ضم يديها وقال: يداك باردتان... ساد صمت هادئ لثواني ثم قال بصوت يملأه الامتنان... ظننت أنك ذهبت.

_ أجل لقد فعلت لكن ما لبثت حتى طلبت من سلجوق أن يعود بي... لم يفارق وجهك الحزين عيناى... لم أستطع التفريط بك.

ربت علي يدها بامتنان... من الجيد أنك أتيت...

وقفت مضيفه وهي تمسح علي شعره... أدرك أنه صعب عليك فأنت تتحامل علي نفسك وتبدو قوياً أمام الجميع وتواسيهم مع أنك تتألم بقدرهم أو أكثر وتحتاج لمن يواسيك ولهذا أنا هنا.

كأنها وصلت لاكتشاف لم يصل إليه أحد، كانت أول شخص يفهمه دون أن يبوح بأي شيء، سحبها نحوه ولف ذراعيه علي خاصرتها وأحتضنها بقوة، أراد باحتضانها أن يعتمر الألم الذي بداخله ، بعد أن خف توتره ، جلست بجانبه قائلة وهي تدلك مؤخرة رأسه لعله يهدأ: يمكنك أخباري بكل ما تريد لا تبقى أي شيء بداخلك.

أنتظر قليلاً ثم قال:

_ بعد وفاة أمي رحلت معها السعادة... لم نعد نذكر ما شكلها... أصبحت كلمة جوهرها غريب علينا... أثنى عشر عاماً لا نعرف بهن الفرح أو الإبتسامة من القلب... خلال هذه الأعوام أصبح منزلنا مظلماً كثيباً وصارت الحياة رمادية لنا... كان رحيلها كسرة قويه للعائلة تركت بداخلنا شعوراً يتيماً لا ملجأ له... تزوج أبي بعد وفاتها بخمس سنوات... لكن لم يتغير شيء سوى أننا أضفنا فرداً جديداً للعائلة وأصبناه بعدوى التعاسة... لم تضحك أختي خديجة طوال تلك السنوات... تزوجا أريغيت وارتارول بنفس العام... وأصبح يزداد عدد التعساء بالعائلة... لكن قدوم ألتان قلب موازين حياتنا... ولد بملامح غريبه لا تشبه أي أحد منا... ثم اكتشفنا أنه ولد بملامح السعادة التي نسيناها... كان الفرحة التي تحتاجها الأسرة... بعث بداخلنا شعوراً كنا قد نسيناه... في كل خطوة من خطواته الصغيرة... سقوطه... بكائه... ضحكاته... كل هذه أضاءت ركن من أركان المنزل ، حتى سطعت شمس الحياة بداخل منزلنا وبأرواحنا... ألتان لم يكن مجرد حفيد للعائلة بل كان العوض عن ما فقدناه... أطلق العنان لنفسه وبكى بحرقة كبيرة ، وبين هذه الدموع أكمل... كان قرة عيني الأولى لم أكن والده

ولكنني لم أفرقه عن مارت...كنت معه بكل خطوة كان يخطوها...كبير وأصبحت ملجئه من كل مصيبه يقع بها...ثم من أين أصبح صديقي وكنت كاتم أسرارهِ...نظر إليها وتساءل بحسره...ماذا سأفعل أن فقدته؟.

احتضنته مطولاً لمواساته قالت:

_ لا تقل هذا ألتان شاب قوي سينجو من هذا أنا متأكدة.

مسح دموعه وأطلق تنهيدة طويلة ثم قال:

_ ما ألمني أن الطبيب قال "أنه يعاني من اكتئاب حاد" ونحن لم نلاحظ!.

_ لا تلم نفسك طوال الفترة الماضية كنا نحاول مساعدته وفهم ما الذي يدور معه كيف نعلم أنه يعاني من الاكتئاب.

_ أخبرني شرطي المرور أنه ليس حادث بل عملية انتحار.

_ ماذا؟...قالت بفرع...ما الذي تقوله يستحيل أن يفعل أمراً كهذا؟

_ قالوا أن المكابح اليدوية لم تسحب ولم يجدوا آثار مكابح علي الطريق وأيضاً...قال بحسره...كان الطريق فارغ من المارة.

_ لا بد من تفسير ما؟

_ بالكاد استطعت أن أمنع الشرطي من أخبار أخي.

في مساء الليلة الثالثة للحادث ، نقل إلي غرفة عادية وظل ارطارول وأوزغور في انتظار أن يستيقظ من المخدر، خلال هذه الأيام أكملت جونول المشروع وقامت بتسليمه، لأنها تدرك أن أكثر ما يكرهه ألتان هو التأخر في العمل، في الصباح كانت الأسرة مجتمعة علي وجبه الإفطار صمت يلفه التوتر، وفي ظل غياب ارطارول وأوزغور اللذان لم يفارقا ألتان قط ، رن هاتف أرغوفان لتبلغهم أوزغور بأكثر نبأ انتظروه منذ أيام "لقد أستيقظ ألتان" ،دبت الحياة في نفوسهم ، ونفضوا عن كاهلهم هواجس أهلكتهم لأيام ، زارت جل الأسرة ألتان علي دفعات لمنع الازدحام ، جاءت جونول رفقة سنام وأوزبرنجي طوال جلوسهن لم يتحدث أو ينظر إليها ، كأنه يعاتبها رغم أنه يدرك أنها لا تعلم شيئاً عن مشاعره، شعرت بالإحباط والحزن ، عادت إلي المنزل تحمل هذه المشاعر المزعجة داخلها ، عندما أختلت مع أرغوفان أخبرته بما أزعجها بزيارة اليوم ، لكنه أكد لها أن هذا أمر طبيعي فهو يعاني من الاكتئاب ، لم تطل في النقاش رغم ذلك الشعور الذي يصاحبها ، لأنها الوحيدة التي تلتقت هذه المعاملة منه ، بعد يومين طلب أرغوفان من ارطارول أن يكون هو مرافق ألتان

لهذه الليلة، لم يعترض لأنه يعلم مدى تعلق ألتان بعمه، في خلوتهما كان الصمت المريب رفيقهما ، حاول أن يتحدث إليه بخلق مواضيع ، لكن ألتان يضع النقطة لكل حديث يبدأه ، ما لبث حتى انفجر به أنه عليه مواجهه الحياة وصعابها لا أن يختبئ منها كطفل جبان.

_ طفل جبان... قال بحسرة... ما الذي تعرفه حتى تتحدث معي هكذا؟!.. أنت لا تعرف ما أعانيه من عذاب لذا لا تأتي الآن وتقوم بوعظي.

_ أخبرني همك لأحمله معك... ألم نكن هكذا دائماً... ألم أعد حامي أسرارك... حدثني عن ما يعذبك لعلي أواسيك.

_ لن تقوى علي حمل همي أن عرفت ما هو... ولن تستطيع مواساتي أن عرفت ما يعذبني... فأننا لم أعد ألتان الذي يأتي ليشكو إليك راكضاً ولا أنت عمي الذي يمكنه الاستماع لي دون أن يصدر عني الأحكام.

قال أرغوفان بحسره: يا للويل... يبدو أننا كسرنا بطريقة سيئة لكن متى وأين ولماذا كسرنا يا صديقي؟.

_ لقد كسرت بطريقة سيئة جداً ولا يمكن ترميمها أصبحت رماداً يا عمي.

_ أل هذه الدرجة وقعت بحبها؟

نظر بدهشة متسائلاً... ما الذي تقوله؟

_ حالك هذه واضحة لكن هل كانت تستحق أن تضحي بحياتك لأجلها؟... ألم تفكر بأبيك... وما الذي سيحل بنا من بعد رحيلك؟.

_ لكنني لم أضحي بنفسي... قال متعجباً.

_ تقرير المرور لا يقول هذا أنت لم تسحب المكايح اليدوية ولم تدس علي الفرامل.

_ أساساً لم أكن بوعي كنت أقود مسرعاً وفجأة انجرفت السيارة عمي أقسم لك أنني لم أكن أنوي الانتحار.

لف يده حول عنقه وقال: أنت تعرف أنك أغلى ما نملك لذا مهما حدث معك فأننا جميعاً نفديك بأرواحنا... تساقطت دموع الحسرة من عينيه وبكى بكاء المضطر ، احتضنه بقوة مضيفاً: أنا سأظل خلفك ومعك ما حبيت.

كانت هذه الليلة ثقيلة علي ألتان، فعمه الذي يراه كأبنة بل وأغلى يؤازره ويدعمه ويشجعه ، وهو لا يدرك أن كل ما حدث كان بسبب مشاعره اتجاه زوجته ، شعر بالخزي والسخط من نفسه ، وتواجد أرغوفان ما زاد وضعه إلا سوء.

_ صباح الخير!... قالت أوزغور.

أعيدوا لي قلبي

_ صباح الخير أوز.

_ أين أرغوفان؟

_ لقد غادر قال لي أنك ستأتين.

_ أجل لقد أتصل بي كيف حالك؟

كان ينتظر منها هذا السؤال، فتح ذراعيه قال وبعينيه دموع الخزي... أنا في حال مزرية... احتضنته فبكى في حضنها بشدة أضاف بحسره... كان عمي يواسيني ويؤازرني طوال الليل وهو لا يعلم أنني قد وقعت بالخطيئة أنا عار عليكم لن تصدقي كم دعوت البارحة أن أنام ولا أستيقظ مجدداً.

_ توبه أستغفر الله ما هذا الكلام؟

_ والله يا أوزي أنا لا أستحق حبه واهتمامه الرجل فعل لي الكثير منذ كنت طفلاً وأنظري بما أكافئه.

_ ألتان أنت لم تقم بشيء أنت لم تسيء لعمك كما قلت لي من قبل "ما يحدث خارج إرادتك" لو كنت وغداً لأخبرت جونول بمشاعرك ولدفعتها بعيداً عنه لكنك لم تفعل كنت وفياً لعمك حتى النهاية.

_ لا بل أنتِ صدقتي أنا عدو العرض يا عمتي...

_ آه... آه يا ابن أخي... أن كان الأمر يعذبك لن تعود للمنزل ما رأيك أن تأتي معي لمنزلي.

_ كيف؟

_ سأجهز منزلي سأرسل خادمه تنظف وتجهز كل شيء وستأتي للعيش معي انا وبهار.

_ هل سنتركين المنزل لأجلي؟

وضعت يدها علي وجهه قائله: أنا أترك الدنيا لأجلك ليس منزل أبي فقط.

_ لا أدري ماذا فعلت حتى أستحقكم؟.

_ يكفي أنك كنت مصدر سعادة أسرتنا.

بعد أسبوعان عاد ألتان إلي المنزل ، رأى أن بقاءه بوسط العائلة ورؤيته لأرغوفان بجانب جونول كل يوم ستجعل مشاعره تموت ، حتى وإن كان هذا عذاباً له... طُرق باب غرفته...

أعيدوا لي قلبي

_ أدخل... قال بعد أن أغلق الحاسب.

دخلت جونول وهي ترسم ابتسامتها اللطيفة علي ثغرها ، تسألت:

_ هل يمكننا التحدث؟.

_ تعالي!..

جلست علي طرف السرير قائله: هل أصبحت بخير؟

_ سأصبح كذلك لا تقلقي.

_ لا أرغب بأن أضغط عليك لكن لا يمكنني إلا أن أتسأل... هل فعلت شيئاً يغضبك مني؟

_ لا علي الإطلاق لما تقولين هذا؟

_ لا يمكنني ادعاء عدم رؤيتي لمعاملتك لي... وهذا يؤلمني.

_ أنا أعتذر لكنك تعلمين أنني أمر بوقت عصيب ولا رغبة لي بالتحدث مع أحد يعني أن الأمر ليس شخصي.

لم تتكلم وبقوت صامته ، أدركت أن تلك الفجوة التي كانت بينهما كبرت ، وصارت السبب في عدم تواصلهما كما اعتادت ، قالت بصوت حزين: دعني لا أزعجك أكثر. مع كل محاولاته في عدم المبالاة بها ، إلا أنه فشل في تركها مكسورة الخاطر ، قال بلهفه لمناداة أسمها: جونول!.

_ نعم!.

_ لا أريد أن تحزني بسببي أنتِ تعلمين أنكِ غاليه علي فقط أحتاج وقت أقضيه مع نفسي لأتجاوز الأمر ليس إلا.

_ هل ما تريد تجاوزه هو بسبب تلك الفتاة؟

تنهد بحسره وقال:

_ أجل مع الأسف لقد اختارت صديقي ورؤيتهما معاً أمر يؤلمني بقدر خيانتني للشخص الوحيد الذي أعطيه القيمة في حياتي وأنا أمتلك المشاعر لزوجته.

_ حقاً لا أدري ماذا سأقول أن الأمر صعب حقاً.

_ لا تقولي شيء فقط عليكِ فهم أنني لا أفعل هذا بكِ عمداً.

_ لا تقلق الآن وقد أدركت الأمر لن أظن هذا... دمت سالماً.

توجهت إلي غرفتها ، دون سابق إنذار بدأت تشعر بضيق في تنفسها ، توجهت نحو

أعيدوا لي قلبي

الشرفة ؛ لكن رجفان قلبها منعها من مواصلة المسير ، دوار وغثيان شديد ، حاولت الاستناد علي شيء ما لكنها لم تستطع الوصول ، وقبل أن تقع أمسكتها تلك اليد من العدم ، أسندها علي جسده حتى وصل بها إلي الكرسي المتواجد بالشرفة ، أنحنى أمامها متسائلاً:

_ هل أنت بخير؟

_ أجل...أجل.

_ لا يبدو أنك بخير...أنتظري سأخبر أبي.

أمسكته بما تبقى لها من قوة وقالت: لا..لا تخبره...دعه يعمل...لا تشغله بي!

قال بانفعال: عن ماذا تتحدثين هل العمل أهم منك؟

_ لا...لكن هذه قضية مهمة له...سأصبح بخير بعد قليل.

_ هل حدث هذا لك من قبل؟

_ ألم يقل الطبيب أنها قد...تحدث أمور كهذه؟!

_ لكن جونول هل أنت متأكدة؟

_ أجل...أجل.

اجتمعت الأسرة علي العشاء ، قال علي أشرف:

_ جونول أبنتي كيف حالك الآن لم تنزلي علي الإفطار لذا قلقت عليك!..

_ أخبرت أختي خديجة في الصباح أنني متعبة فقط لا يوجد ما يدعو للقلق.

_ أين أرغوفان لم نره علي الفطور ولا أثر له من الصباح؟!

_ أنه مشغول بقضية مهمة قال "سيتأخر في العودة".

أضاف بانزعاج...خذ لأرى يقوم يأخذ عدة قضايا دفعه واحدة ثم لا يتفرغ لأبنة ولا لزوجته.

_ أبي...قالت أوزبرنجي: ليس كذلك تلك القضايا قد أحالها إلي الفريق القضائي لكن القضية التي يسعى خلفها الآن هي قضية تخص قاضي في المحكمة الجنائية تعرض لمحاولة اغتيال.

_ وإن يكن لا يحق له ترك عائلته هكذا دون اهتمام.

_ لا تقلق يا جدي...أضاف مارت...أبي يستطيع الاهتمام بكل شيء تأخرت في

القدوم اليوم فاتصل بي وحذرنى كي لا أعيد الكره.

أضاف بحده... علي أي حال...أبنتي أن شعرتي أنك لست بخير لا تخجلي وأخبري أختك خديجة وهي ستهتم بك.

_أجل بكل سرور سأهتم بك...أضافت خديجة.

_حقاً شكراً لكم علي قلقكم لكنني بخير.

جاء صالح للاطمئنان علي وضع شقيقته، كثرت زيارته لأسرة بوزدا ، وبدأت تعود علاقته مع أرغوفان رويداً رويداً ، وتعمقت علاقته بألتان وأوزبرنجي ، مع مرور الأيام بدأت أعراض جونول تزداد وبدأ الوهن يأكلها ، كل ما بذلت جهداً أو مشت لمسافات طويلة انقطعت أنفاسها ، تشعر بالدوار كل صباح ، أصبحت تشعر بالتعب كلما انتهت اجتماعهما السري ليلاً ، عندما أنتبه أرغوفان لما يحصل معها طلب منها الذهاب إلي المستشفى ، رفضت وطلبت منه ألا يشغل تفكيره بها وسط انشغاله بقضاياها ، ومع كل إصراره لم تقبل ، لأنها كانت تظن أنها أعراض التي تحدث عنها الطبيب بعد الحادث.

بعد أيام سافر إلي أزмир لأجل قضية ما ، استيقظت متعبه بدت كزهرة لا ترى الشمس، لم تقبل خديجة برفضها للذهاب للمستشفى ، فأخذتها رفقة أوزغور وسلجوق ، أجرت التحاليل وقال الطبيب "ربما تعاني من ارتفاع ضغط الدم لكن سنتأكد بعد خروج النتائج غداً " فور خروجها أتصل سلجوق بأرغوفان ليعود بأول طائرة إلي إسطنبول ، في منتصف الليل عندما استيقظت لم تجده في جوارها، ذهبت إلي المكتب وعندما دخلت، شعر بألم في قلبه حين رآها شاحبه ومرهقة ، مشى نحوها بخطى سريعة وأحتضنها بقوة ، قال بحسره: تبدين متعبه.

_سأكون بخير لا تقلق.

_أن لم أقلق عليكِ فعلى من سأقلق.

_أنت لديك الكثير من العمل...

قاطعها قائلاً: لا يوجد في هذه الحياة أهم منكِ العالم بكف وأنت بكف أخرى.

عادت أحتضنه وكعادتها استنشقت رائحته بقوة أضافت...تصبح علي خير.

لم يستطع تركها تذهب ، سحبها من ذراعها متسائلاً: هل أنت متأكدة أنك بخير؟

_يبدو أنك مفرط بالقلق...مسحت بيدها علي وجنته مضيغه...أنا بخير...ولا تجهد نفسك بالعمل.

انسحبت وغادرت المكتب بهدوء ، لكن شيئاً ما بداخلة كان يذره بأنها ليست بخير ، لم يستطع الوقوف مكانه فخرج بسرعه خلفها ، حين دخل شعر كأن الدنيا هدمت فوق رأسه ، ممدّه علي الأرض بالكاد تستطيع التنفس ، ركض نحوها منادياً بقلق: جونول!...جونول...توجه نحو الباب صارخاً...أريغيت!...أرررريغيت.

الفصل السابع

ثمة لحظات تكون فيها الروح جاثية علي ركبتيها مهما كان وضع الجسد.

هوغو فيكتور

أعيدوا لي قلبي

قال علي أشرف بانزعاج واضح في صوته:

_ أين أرغوفان وجونول؟_

_ عندما تأخرا في النزول سعدت لأراهما فلم يكونا هناك .. قالت خديجة.

_ وأريغيت هل ذهب إلي العمل باكراً؟_

_ أعتقد أن هناك وضع طارئ في المستشفى فقد لاحظت خروجه بعد منتصف الليل بعجله... أجابت جاهدة.

_ جميل!... أردف بانزعاج: مارت أتصل بوالدك وأسأله أين هما؟_

_ أبي... قال ارطارول... ربما خرجا لكي يتناول طعام الفطور علي انفراد دعنا لا نزعجهما.

صاح به... وأنا لم أقل أن هذا ممنوع... ولكن فليتركنا خبر علي الأقل.

_ أنه لا يجيب علي هاتفه وكذلك أختي جونول... قال مارت.

_ تبا لهذا الأمر... هيا تفضلوا بالأكل.

رغم ضجة السيارات وأصوات المارة في أروقة المستشفى المكتظة ، إلا أنه منعزلاً عن ما حوله ، لا يوجد غيرهما ، يمسك بيدها يراقب الهواء الذي تستنشقه لم يتحرك من جانبها منذ أن نقلت للغرفة ، لكن أريغيت سحبه من أكوام الهواجس التي بداخل رأسه... هل أنت بخير؟... قال.

_ لن أكون كذلك حتى أطمئن عليها.

_ لا تقلق سمعت الطبيب قد يكون بسبب ارتفاع ضغط الدم ليس إلا.

_ أن كان كذلك لما طلب مزيداً من التحاليل؟... لما أجرى لها تخطيط القلب؟.

_ أخي لا تجزع أنه يقوم بهذا للتأكد من سبب انقطاع أنفاسها لا يمكنه التكهن دون إيجاد السبب.

_ أرجو أن يكون كذلك أدعو منذ أمس أن لا يكون الحادث قد تسبب لها بشيء ما.

ربت علي كتفه مضيفاً... قل خيراً قد لا يكون هو السبب ربما تكون مشكلة يسهل حلها... أكمل بعد صمت... ما رأيك أن ننزل للمقهى لنأكل شيئاً أنت لم تتناول أي شيء منذ البارحة.

_ لا رغبة لي ولا أريد أن تستيقظ ولا تجدني بجانبها.

أعيدوا لي قلبي

_ هل ستبقى هكذا حتى استيقاظها؟

_ أن كانت جاهدة مكانها هل كنت لتتركها؟... لم يجب فقال: وأنا لا يمكنني تركها.
دخلت الممرضة قالت:

_ ظهرت النتائج وطلب الطبيب رؤيتكما.

_ حسناً نحن قادمان.. قال أريغيت.

جلسا بعد أن تصافحوا ، قال الطبيب:

_ زال البأس... أولاً أرغب بطرح بعض الأسئلة عليك... هل السيدة جونول كانت تعاني من أعراض مشابهة من قبل؟

_ لم تكن تشكو من شيء لكن مؤخراً تعرضت لحادث سير وقال الطبيب قد تظهر عليها بعض من الأعراض المشابهة لذا أعتقد أن ما يحدث لها بسبب الحادث.

_ منذ متى بدأت تشعر بهذه الأعراض؟

_ لا أعلم بالتحديد ولكن ازداد وضعها سوء في الأيام القليلة الماضية وبالأمس أتت إلي هنا وأجرت بعض التحاليل كما طُلب منها.

_ حسناً... هل لعائلتها تاريخ مع مرض القلب؟

أجاب بقلق واضح بصوته... أجل جدها توفي بعدما أجرى عملية زراعته للقلب والرئة معاً... وخالتها تعاني من مرض الشريان التاجي... أضاف بتوتر... لكن لما تسأل عن تاريخ أسرتها مع مرض القلب أيها الطبيب؟

_ سيدي... تنهد مكماً... زوجك تعاني من فشل قلب احتقاني وبحسب التحاليل التي أمامي الآن لا زال المرض في البطن الأيسر.

لم يتكلم حاول أن يترجم ما قاله الطبيب لأنه لم يفهم شيء ، أو لعل عقله لم يشأ فهم ما يدور، ربت أريغيت علي فخذة متسائلاً: أخي أنت بخير... نظر إليه بنظرة توسل ، لعله فهم ما قاله الطبيب خطأ ، قال:

_ أخي الغالي... هل تشرح لي ما قاله بلغة يمكن لعقلي استيعابها؟.

أطلق تنهيدة طويلة ، مدرك أن ما سيخبره به الآن سيحطمه تماماً فقال:

_ أخي... أسمع جونول تعاني من مرض يدعى قصور في القلب أي أن عضلة قلبها لا تضخ الدم بالكمية الكافية لأجزاء جسدها وهذا المرض قد أصاب العضلة اليسرى بقلبها.

_ حسناً بالتأكيد هناك حل لا بد من وجود حل أيها الطبيب صحيح!... قال لأريغيت:

هل نأخذها إلي خارج البلاد برأيك هل سيكون أفضل؟.

_ أرغوفان... أضاف أريغيت وهو يمسك بذراعه... أهدأ لنرى ماذا يقول الطبيب؟

_ أولاً علينا أن ننتظر استيقاظها... قال الطبيب... سنجري مزيداً من التحاليل بما أنك قلت أن جدها توفي نتيجة لزراعه قلب ورثتان بأن واحد هذا يعني أنه كان يعاني من ارتفاع ضغط دم رئوي ويجب أن أتأكد أن المريضة لا تعاني من نفس العله.
_ حسناً وإن كانت لا تعاني منها ماذا سيحدث؟.

_ أن كانت تعاني منها سنضطر لإجراء عملية زراعه للقلب والرئة معاً بأسرع وقت وإن حالفنا الحظ وأتضح أنها تعاني فقط من القصور سأضع لها برنامج غذائي صحي مع القليل من التمارين وبعض العلاج بالطبع ونرى تقدم حالتها خلال هذه الأشهر الثلاث.

_ وهل ينجح هذا الأمر عادة؟

_ أجل بنسبه كبيرة نستطيع تلافي فشل القلب إذا ما تدخلنا باكراً وبأسواء الأحوال نجري عملية زراعه للقلب.

_ أرجو أن لا نصل لهذه المرحلة... أردف أريغيت.

_ لكن ألم تلاحظ أي شيء علي المريضة من قبل ألم تكن تشكو من شيء معين؟.

_ لا علي الإطلاق كما أخبرتك بعد الحادث الذي تعرضت له ساء وضعها أما في السابق... صمت قليلاً ليتذكر ما كانت تشكو منه جونول فأكمل بشرود... البرد... كانت دائمة الشعور بالبرد حتى عندما يكون الجو دافئاً.

_ منذ متى تشكو من هذا؟

_ أخبرتني أنها دائمة الشعور بالبرد منذ طفولتها.

_ هذا يوضح الأمر أنها تعاني من قصور في البطين الأيسر منذ كانت طفلة ولعدم ضخ الدم بطريقة كافية إلي كاهه الجسد هي دائمة الشعور بالبرد.

_ لما الآن لما لم يظهر عليها أي شيء من قبل لماذا الآن؟... تسأل بحسره.

_ هذا طبيعي ربما أصبح جسدها لا يحتمل الجهد الذي تقوم به خاصة بعد زواجها فهذا أمر شائع كما لا يمكن التنبؤ بمرض قصور القلب.

_ حسناً هل ستمكث في المستشفى؟.

فهم أريغيت أن أخيه بسبب صدمه الخبر لم يعد يستوعب جيداً فقال: أخي علينا أن ننتظر استيقاظها أخبرك الطبيب قبل قليل هيا دعنا نذهب عليك أن تبقى بجانبها.

اجتمعت الأسرة في المساء ، تسأل علي أشرف:

_ أرغوفان وزوجته لم يعودا بعد؟

_ لا لم يعودا... قالت خديجة.

_ أحاول الاتصال بأبي منذ عودتي من المدرسة لكن لم يجب علي اتصالاتي لقد تركت له رساله ولا بد له من الرد عليها

_ ألتان...أضاف بحده...أتصل بأصلان أو سلجوق علي الأقل لنطمئن عليهما.

_أبي...تدخلت أوزغور... لا داعي لنثير قلقهما ربما يرغبان بالمكوث علي انفراد منذ قدومهما وهما لم يبقيا بمفردهما.

_ربما لا يمكنكم فهم ما أحاول قوله أنا لست غاضباً لبقائهما بمفردهما فهذا حقهما وليبقيا بقدر ما يريدان لكن يساورني القلق أرغوفان ليس بشخص مستهتر ليغادر من الصباح الباكر دون ترك أي خبر أو أن يمضي كل هذا الوقت ولا يتصل بأبنه. بعدما عبر علي أشرف عن قلقه ، دب القلق بنفوس الجميع ، وبدأت الهمسات تأخذ مكانها بينهم فقال: ألتان حفيدي هيا أتصل بأصلان لنرى!.

_ لا داعي للاتصال...قال أريغيت...بعدما شد انتباههم أكمل...تتسألون عن أرغوفان وجونول صحيح!؟

_ أجل...قال ألتان.

_ لا داعي أنا أعرف أين هما...وضع الحقيبة بجانبه وجلس بصمت بينما جميعهم بانتظار ماذا يود القول ، أطلق تنهيدة طويلة قبل أن يكمل...أنهما في المستشفى.

_ماذاااااا!؟...صدم الجميع ليضيف مارت...هل أبي بخير؟.

_أجل بخير لقد استيقظت البارحة علي صوت أرغوفان ، كان مفزوعاً لأن جونول كانت بوضع مزري أسعفناها إلي المستشفى وهناك أتضح أنها...تعاني من قصور في القلب.

أصابت الجميع هالة من الدهشة وأكثر من صدم ألتان الذي قال وبصوته نبره خوف...ما الذي يعنيه هذا؟

_ قلبها لا يضخ الدم إلي جسدها جيداً لذا هي مؤخراً تشعر بضيق في التنفس والإجهاد كثيراً.

_ هل بسبب الحادث؟!..قال مارت.

أعيدوا لي قلبي

_ لا شأن للحادث بالأمر كانت تعاني منذ زمن من فشل قلب احتقاني ولكن يبدو أن
لا أحد أنتبه لها لذا بسبب مضاعفه الجهد تعبت فجأة.

_ إذاً ماذا سيحدث الآن بني؟... قال علي أشرف بقلق.

_ أعطاهما الطبيب علاج ومع نظام غذائي صحي وبعض التمارين سنرى النتيجة
خلال ثلاثة أشهر.

_ ماذا سيحدث بأسوء الأحوال؟... تسألت أوزغور.

_ دعونا لا نفكر بأي شيء سيئ الآن... علي أي حال... من لديه رقم صالح فليتصل
به ويخبره.

_ سأتصل به... قالت أوزبرنجي.

نهض ألتان مضيفاً... أتصلي به وأخبريه أنني قادم لأقله.

_ إلي أين؟... قالت أوزغور بحده.

_ سأقل صالح إلي المستشفى بالتأكيد لن نتركهم وحدهم.

_ لكن...

قبل أن تكمل اعتراضها قال علي أشرف... أحسنت التفكير حفيدي أذهب أنت وأبلغ
أرغوفان أننا سنأتي غداً.

بعد خروج ألتان قال أريغيت:

_ لا داعي لذهابكم الطبيب طلب بعض التحاليل الإضافية سيجرونها ويأتيان فور
ظهور النتائج.

_ ألا يكون عيب بحق كتننا؟... قالت خديجة.

_ لا فذهابكم سيكون عبثاً.

_ كيف حال أرغوفان؟... قالت أوزغور.

بعد ثواني ثقيلة من الصمت قال: في حال يرثى لها.

فتحت عيناها ببطء ، شعرت بثقل علي كتفها اليسرى، فهمت من أنفاسه أنه نائم وبينما
هو كذلك لم يتخلى عن فكرة الإمساك بيدها ، شعرت بالسعادة والدفء بداخلها ،
وضعت يدها برفق علي رأسه واستغلت الفرصة لتداعب شعره ، قفز بعدما شعر
بيدها علي رأسه قالت: أعتذر لقد أيقظتك.

أعيدوا لي قلبي

_ لا عليك... قال بفرع... كيف حالك هل أنت بخير؟

_ بخير لا داعي لتقلق.

_ ألا تشعرين بالتعب أو أي شيء آخر؟

_ لا... أضافت باستهزاء... ظننت أنني وهنت قليلاً لكن يبدو أن الوضع خطير؟

_ لا تستخفي بالأمر كدت أن أجن حين وجدتك مغشى عليك.

_ لا تؤاخذني جعلتك تقلق علي.

_ لا يا روجي ليس كذلك المهم أن تكوني بخير.

_ ماذا قال الطبيب؟

لم يستطع قول أي شيء لها فقال بعد ثواني ثقيلة:

_ كان ينتظر استيقاظك حتى يجروا لك المزيد من التحاليل... قال دون أن ينظر إليها

، كأنه سيفضح ما أن تتقابل أعينهما ، مسحت بيدها علي وجنته قائله لمواساته:

_ أدرك أنك تشعر بالقلق لكن كل شيء سيكون بخير.

_ ألا يجب أن أقول هذا الكلام لك؟

_ أظنك بحاجة لسماع هذه الجملة أكثر مني الآن...بالإضافة أنني لا أشعر بالقلق

فبقائك بجانبني يكفي يجعلني لا أخشى شيء بهذه الحياة.

بحركة سريعة ضمها إليه ، مخفياً عنها العجز والألم الذي هو به ، ربتت علي ظهره

قائله: عزيزي أنا جائع.

نظر إليها بتعجب بعد أن تركها متسائلاً:

_ استيقظتِ توأ وهذا أول ما تقولينه؟

_ لأنني كذلك وأوقن أنك لم تأكل شيئاً بعد!

_ سأنادي الطبيب أولاً أجري التحاليل التي يريدونها ثم سنأكل ما تريدين.

_ حسناً.

ترجل من السيارة قبل أن تتوقف ركض نحو الاستقبال بفرع قائلاً: جونول

ديمير!...أقصد بوزدا...جونول بوزدا.

_ أنها في الغرفة 1006.

أعيدوا لي قلبي

توجه مسرعاً نحو الغرفة ، أمسكه ألتان من ذراعه وشدة من جذعه قال: أدرك أنك خائف علي جونول وأقدر الأمر لكن من فضلك لا تضغط علي عمي بالتأكيد هو في حالة مزرية ويلوم نفسه.

بالطبع سيكون بحاله مزرية...

قاطعته بتوسل قبل أن يكمل...أخي صالح بحق ما بيننا من أخوة لا تفعل عمي لن يحتمل أن يلومه أحد علي وضع كهذا وبالأخص أن كان من أجل جونول.

رضخ لتوسل ألتان الذي بات يعتبره أخيه الأصغر، وبات كلاهما يشارك الآخر همومه وأفراحه ، دخلا فلم يجدا أحد بالغرفة ، تبادلا النظرات فقال ألتان:

لنسأل الممرضات بالخارج!..

توجهها إلي حيث تجرى فحوصات جونول ، يجلس بعجز وينظر إلي الفراغ شارداً بهواجسه التي تكاد أن تفتك به.

قال صالح:

أرغوفان ما وضع جونول؟.

لم ينبس بشفه، نظر إلي ألتان بتعجب فسأل الثاني:

عمي هل أنت بخير؟.

لم يبد بردة فعل شعر صالح بالخوف من حاله هذه قال بفرع وهو يشده من ذراعه:

أرغوفان أنا أتحدث إليك.

كأنما أنتشله من كومه هواجس لم يستطع إخراج نفسه منها ، قال بعدما أفاق: أعتذر لم أسمعك.

عمي هل أنت بخير؟...أعاد ألتان سؤاله.

أجل...بخ...بخير.

ماذا عن جونول؟

أنها في الداخل أراد الطبيب إجراء مزيد من التحاليل.

لماذا ماذا قال؟!..سأل صالح.

_ "تعاني قصور في بطين الأيسر للقلب" حالياً يريد التأكد من أمر ما وإن سارت الأمور علي خير سوف يقوم بإعطائها بعض الدواء وقائمة غذاء صحيه بالإضافة الي بعض التمارين.

أعيدوا لي قلبي

وهل هذا سيفيد؟

لا أعلم قال "في أسوء الأحوال سوف تجري عملية زرع قلب".

يا إلهي!..

بعد ساعه من الانتظار خرجت، طلب الطبيب رؤيتهم في مكتبه ، بعد جلوسهم جميعاً قال الطبيب:

لحسن الحظ السيدة جونول لا تعاني من ضغط دم رئوي.

ومن أين خرج هذا؟... قال صالح.

عندما أخبرني السيد أرغوفان أن جد المريضة توفي بعد عملية زرع رئة وقلب في آن واحد رأيت أنه من الأفضل لنا التأكد أن السيدة جونول لا تعاني من نفس المرض.

فهمت!... قال وهو يرمق أرغوفان بنظرة تعجب.

إذاً أيها الطبيب ماذا نفع الآن؟... سأل أرغوفان.

كتبت لك سابقاً الدواء ونوع التمارين والطعام الذي نتناوله حالياً لنكتفي بهذا لمدة شهر وسنرى أن كان بإمكاننا تلافى فشل البطين الأيسر.

حسناً شكراً لك أيها الطبيب.

زال البأس.

بعد خروجهم ربت صالح علي كتف أرغوفان ليبيطئ من حركته كي لا يستمع لهما ألتان ، قال:

من أين تعرف أن جدي توفي بهذه الطريقة؟

والدك في الماضي قد كلفني بالبحث خلف جدك وهكذا عرفت بالأمر.

حسناً فهمت... قال وهو يستجمع أفكاره.

دخلوا علي جونول لمؤازرتها ، حين يخبرها الطبيب عن مرضها ، لكنها علي عكس ما توقعوا ؛ قابلت مرضها بكل هدوء ، كأنها شعرت مسبقاً بما يريد أن يصيبها ، أنهى ألتان إجراءات الخروج وعادوا معاً إلي المنزل.

مضى أسبوعان علي وعكتها الصحية والأسرة لا تزال في حالة تأهب ، مما تسبب بتعكير صفو جونول التي لم تعد تجد الراحة بينهم ، قررت أن تتجه إلي العمل وإن كان من المنزل ، بعد اسبوعين أتمت تعديل المشروع الذي كان يعمل عليه ارطارول قبل فترة... دخلت إلي الغرفة فكان أرغوفان يعمل بها ، وقد أصبحت هذه عادته منذ

أعيدوا لي قلبي

توعكت لا يعمل إلا بجانبها ، جلست قائله: أريد أن أذهب مع ارطارول لحضور الاجتماع غداً.

هممم...قال بشرود، أعادت علي مسامعه ما قالت ليخرج من شروده رمى الملف من يده وقال:

_ هذا مستحيل أنسي الأمر.

_ ماذا؟...لما؟

_ جونول يستحيل أن أرسلك إلي هناك.

_ من فضلك لا تفعل!!

_ ما الذي لا أفعله أنا أتوسل إليك أنظري وصلت لمرحلة التوسل تحملي هذه الفترة وما إن تصبحي بخير سأجعلك تفعلين ما تشائين ولو شئت الذهاب إلي القمر.

_ لكن هذا كثير!...قالت بتذمر...أقسم أنكم تقتلونني بشكل عائلي.

_ ما الذي تقولينه؟...سأل بتعجب.

_ أقدر قلقكم علي ولكن ما تفعلونه لا يسمى اهتمام بل خنق.

_ يبدو أنك منزعه وبشدة ايضاً.

_ أرغوفان كل واحد يراني يبدأ بطرح نفس الأسئلة وحقاً لا أحد منكم سئم وإن تحدثت عنك بشكل منفصل فستكون الكارثة.

_ حقاً...قال بتهكم...أخبريني ولنجعلها كارثة.

_ لا تخرج في الصباح قبل أن تتفقدني ولا تظن أنني لا أنتبه لك قبل رحيلك وما إن تغادر حتى تبدأ بالاتصال بأختي خديجة كل ساعه إلي حين عودة مارت وما إن يعود تبدأ بمراسلته كل نصف ساعه.

_ لكن...قال وهو يفرك حاجبه...ما أدراك أنني أتصل بخديجة أو أرسل مارت؟.

_ الأمر ليس بمعضلة كلما رن هاتف أختي خديجة تسألني "هل أنت بخير أنتشعرين بالتعب هل أخذت دوائك" وبالختام في كل مرة تقول "أخبريني أن شعرتي بالتعب"... أما مارت فكلما وصلت رسالته يعيد علي مسامعي نفس كلام والذي يعيده الجميع علي مسامعي...هل تصدق أنني وصلت إلي مرحلة أن لا أشعر بالراحة إلا بجانب جايدة.

_ يا للويل!...قال باستهزاء...إذاً ضغطنا عليك بطريقة سيئة.

_ سيئة جداً...أجابت بتذمر.

أعيدوا لي قلبي

تبادلا الضحكات ثم أحضنها قائلاً:

_ أعتذر كل هذا بسببِ لأنني قلق عليكِ أصبت كل من حولي بالقلق حتى أن أصلان يتصل كل يوم ليسأل عنكِ.

_ صحيح!... أين هو منذ عودتي من منزل أخي لم أراه؟.

_ أجبر علي الذهاب إلي أزمير لدي أعمال عالقة هناك عليه الاهتمام بها.

_ فهمت... لكن دعنا لا نحيد عن الموضوع الأساسي.

_ حسناً لكن لدي ثلاث شروط لعودتك للعمل.

_ ما هي؟.

_ لن تذهبي إلا أن كان هناك اجتماع يستدعي حضورك.

_ يمكن... والثاني.

_ لن تتحركِ إلي أي مكان إلا برفقة سلجوق وسوف يلزمك كظلك تماماً.

_ ألا تبالغ برأيك.

_ أنه أهم شروطي... أن كان لك اعتراض نبطل الاتفاق.

_ أجابت بسخرية... أنا موافقة يكفي ألا يدخل معي للحمام.

_ لا لن يفعل سينتظرك أمام الباب فلا يسمح بدخول الرجال.

_ ليس إلي هذه الدرجة.. قالت بدهشه.

فضحك مكماً: كنت أمزح المهم الثالث والأخير ستتصلين بي في حالتين الأولى

كلما تمر ساعتين والثانية أن شعرتِ بأي تعب... وأخيراً عديني أنكِ لن تتحالمي علي

نفسك وإن شعرتِ بالتعب أو التوعك تخبريني من فورك.

_ أعدك.

أحضنها بقوة وقال وهو يستنشق رائحة شعرها:

_ تدركين أنني أفعل كل هذا لأنني أحبكِ وأخشى من نسمة الهواء عليكِ.

احتضنته بدورها مجيبه... أجل وأنا محظوظة بحبك لي... انسحبت من حضنه مردفه

برجاء: ستخبرهم أن لا يضغطوا علي صحيح!.

_ حسناً سأخبرهم غداً.

بعد عودتها بقيت في غرفتها ولم تخرج ، ولم تستطع خديجة أن تسألها فكما أخبرهم

أرغوفان صباح اليوم بعد مغادرتها "لا تضغطوا بأسئلتكم عليها فهذا ليس جيداً لها" ، بقيت تنتظر بحيرة وقلق ، هل تدخل وتسالها أم تتصل بأرغوفان وتخبره ، كانت تتصارع مع أفكارها عند قدوم أوزبرنجي ، شرحت لها خديجة الموقف واقتрحت أن تتصل بأرغوفان ، لكنها رفضت وقالت:

_ربما هي متعبه من العمل والأمر لا يستحق إقلاق أخي... سأصعد وأتحدث إليها..
طرقت باب الغرفة ودخلت ، تجلس أمام النافذة تشاهد المضييق سألت: هل يمكنني الجلوس؟.

_بالطبع تفضلي.

_ماذا تفعلين هنا وحدك؟

_أشعر بقليل من الضيق لذا لم أشأ النزول.

_هل بسبب العمل؟.

_لا فقط بشكل عام.

_هل أتصلت بأخي؟

_أجل تحدثت إليه سيأتي بعد قليل.

_جيد... في الأيام الماضية كان يبدو شديد القلق.

_أدرك هذا... أنا لم أكتفى بجلب المصائب علي رأسه والآن خرج هذا المرض.

_لا تقولي هذا أنا لم أرى أخي يبتسم سعيداً إلا بعد تواجدك.

_في الحقيقة لم أعرف معنى السعادة قبله لكنني لم أعطه مقابل كل ما فعله سوى القلق والتوتر.

_صدقيني أخي يحبك حتى الجنون ربما ترينه الآن متوتر وقلق ومع هذا هو لا يمانع الاعتناء بك... نظرت إليها وكأنه قد طرأ أمر ما علي بالها فسألت أوزبرنجي... ما الأمر؟.

_قالت نادين مرة "أن أرغوفان يعاني من متلازمة ما".

_أجل فأخي لا ينفك عن مساعدة الآخرين وإن أجبر علي توريط نفسه... فهمت سبب سؤالها بهذا الوقت فقالت بسرعه لتتلافى الكلام الذي قالته: لكن أنتِ شيء مختلف لا شأن لمتلازمته بالأمر صدقيني.

_لا داعي لتفزعني بسبب المرض أرى كل الأشياء من حولي سوداوية أحاول أن لا أظهر هذا ولكن كان النصيب لكِ.

_ عندما رأيتك واقفة بصمود أمام نبأ مرضك حسدتك وقلت يا لها من امرأة مذهلة.
_ صدقيني لا أدري كيف تماكنت نفسي بذلك اليوم فقد لعنت الحياة ألف مرة ولعنت نفسي عشره الالف المرات كنت أدعو في الماضي أن أموت ولتترك الحياة ياقتي لبتت طويلاً وعندما أخرج القدر أرغوفان أمامي وأصبح لي سبب أعيش من أجله قررت أن تحقق أمنيتي.

تساقطت تلك الدموع بتوالي ، كأنها تنتظر إشارة السقوط، احتضنتها أوزبرنجي قائله:
_ كل هذا سيمضي وسيصبح كالحلم تماماً.

_ أرجو ذلك من كل قلبي.

جئت أمامها مكمله... لا تفكري بما سيحدث غداً او بعد غد فكري فقط بالحاضر أخي بجانبك وجميع أفراد عائلتك هنا معك لست وحيدة ولازلت تعيشين نفس الحياة التي حلمت بها لا تياسي وبجانبك شخص كأخي أنا لا أقول هذا الكلام لأنه أخي لكن كنت أحسدك دائماً وأقول لييتي أجد شخص يحبني كحب أخي لجونول لكن مع الأسف ابتليت بحب منحرف كليفت...صمتت لثواني ثم أضافت وهي تنهض... حتى وإن كان الأمر متأخراً فأنا أعتذر لما حدث... نظرت إليها بتعابير الدهشة فهي لم تكن تعلم أن أوزبرنجي تدرك السبب الحقيقي لأمر ليفنت...ربرت علي كتفها مضيفه بهمس... لا داعي لنفتح دفاتر قديمة لكن شككت بأمره فور أن حدثني عن لقائكما الأول بالحديقة...أضافت قبل الخروج...أراك علي العشاء.

عند خروجها تفاجأت لتواجد أرغوفان أمام الباب، فهمت من ملامح الامتتان المغمور بها أنه قد أستمع لحديثهما ، قال وهو يربت علي كتفها بامتتان:

_ شكراً جزيلاً لكِ كانت بحاجة لشخص غيري لتخبره بما يجول بداخلها وأنتِ كنت خير عون لها.

_ لا داعي لشكري أخي هذا واجبي.

مضى شهر كامل وجونول تحاول التعافي بما نصحتها به الطبيب ، بدا يبدو عليها أنها تستعيد عافيتها ، لكن أرغوفان وإن كان لا يظهر للعلن إلا أنه لا يزال قلقاً عليها ، يراقبها طوال الوقت دون أن تشعر به، في المساء وقبل العشاء كان أرغوفان يجري مكالمة هاتفية بالمكتب بخصوص قضية الغد، طرق باب المكتب فقال: أدخل!... ارتسمت علي وجهه ملامح التعجب والدهشة؛ فور أن رأى أصلا ن ، أشار له لينتظر حتى ينهي مكالمته ، فور أن أغلق قال:

أعيدوا لي قلبي

_ بما أنك أتيت بعد أن طلبت منك الابتعاد عن هنا طوال تواجد صالح هذا يعني أن هنالك أمراً مهماً أستدعى عودتك.

_ أجل مع الأسف لكن لا تقلق أتيت هنا بتدابيري المعتادة فقد أمرت أحد الشباب ليراقب السيد صالح وهو سيبلغني بكل تحركاته لذا لا تقلق حول لقائه بي فهذا دون أذن منك لن يحدث.

_ جيد إذا... أخبرني ما الذي أحضرك إلي هنا؟.

_ عادت أسرة ديمير للبحث عن الوصي وهذه المرة سالم جاد بالأمر فقد كلف مفوض متقاعد للبحث.

_ اللعنة!... هذا ليس الوقت المناسب شقيقتهم تقاثل لتشفى وكل ما يفكرون به الأموال؟

_ بعدما سمعت بالأمر جلبت أخباراً من داخل المنزل... جمال الدين لم يعد يرغب بالبحث عن هذا "الغامض" كما سماه وهو بانتظار أن تتجبا الأبن البكر لتستلم جونول أملاكها ويفكر بتغيير قرار جونول بخصوص الأراضي.

_ إذا فسالم هو صاحب الفكرة؟.

_ أجل ويبدو أن يمان أيضاً يؤيده بالأمر يرغبان بالسطو علي ثروتها بالقوة لأنهما لا يتقان بك.

_ إلي ماذا توصل ذلك المفوض حتى الآن؟

_ أكتشف بعض الأمور الغير مهمة.

_ وهذه الأمور الغير مهمة هل ستوصلهم إلي ذراع الجد؟

_ هذا مستحيل أنت زرعت بهم فكرة الذراع اليمنى والتي يستحيل أن يخرجوا منها بشيء فلا وجود لعنوان أو مكان عمل أو رقم هاتف قد سجل باسمه.

_ أرجو أن لا يكون هذا المفوض ذكياً وينظر إلي الاتجاه المعاكس.

_ لا تقلق أن حاول الوصول إلي الوصي من فوره سنتحرك لوضع الثغرات أمامه وهذه أمور أعتدت علي فعلها أي أنها سهلة بالنسبة لي.

_ من فضلك أهتم بالأمر فأنا لست متفرغ علي الإطلاق لكن أبقني علي إطلاع.

_ حسناً كما تأمر.

_ وأنتبه كي لا يراك صالح.

_ لا تقلق... عن أذنك.

منغمساً بملفاته كالمعتاد ولا ينتبه لما يدور حوله ، جلست بجانبه أسندت رأسها علي

أعيدوا لي قلبي

كفته قالت وهي تسحب الملف من يده:

_ ألم يحن الوقت لتأخذ قسطاً من الراحة.

_ أدرك أنني مشغول هذه الفترة أنا آسف.

_ لا ليس كذلك لكن فالיום علي غير عادتك لم تخرج سوى للعشاء.

_ المرافعة في الغد وأحتاج لأن أكون جاهزاً لها... قاطعتهما رنين الهاتف فقال وهو ينهض... علي أن أجيء... وقف أمام الشرفة يجري مكالمته الهاتفية ، وهي تنظر إليه بعيون مليئة بحب وشوق، توجهت نحوه وتسلمت بين ذراعيه احتضنته بعمق ، أنهى مكالمته ثم أحتضنها قائلاً:

_ بما أنك احتضنتني هكذا هذا يعني أنك اشتقت إلي.

لم تجب وأخفت خجلها في صدره ، لم تكن جونول فتاة تفصح عن ما يجول بخاطرها ، وتجد صعوبة في التعبير عن مشاعرها ولو كانت بسيطة ، كان يدرك بها هذه السمة لذا كان يفهم الطريقة التي تعبر بها عن نفسها ، أي بتصرفاتها... قالت بعد أن سحبت نفسها من حضنه:

_ هل نذهب إلي بيت الجبل أنا وأنت فقط؟.

_ أجل فكرة جيدة لكنك تدرकिन أنني بعيد بسبب مرضك صحيح؟

_ أجل أفهم أنك تخشى علي لا تقلق لم ولن أفكر بشيء آخر.

رسم قبلة علي رأسها قائلاً: أفدي وحيدتي وروحي.

_ إذاً هل نذهب؟... قالت بحماسة.

لم يستطع إطفاء هذه الحماسة بعينيها لذا قال:

_ ليس غداً فلدي مرافعه وبعد غد علينا زيارة الطبيب...

قاطعته قائله: بعد زيارة الطبيب نذهب إلي هناك... يوم واحد فقط... أضافت برجاء.

أحتضنها بقوة مجيباً: كما تريدين... لكن نعود في صباح اليوم التالي.

_ حسناً.

قاطعتهما أريغيت من الخلف قائلاً: المعذرة أن قاطعتكما.

_ لا عليك أخي تعال... قال أرغوفان.

_ جونول هل نتحدث قليلاً؟.

أجاب أرغوفان بقلق... ما الأمر هل حدث شيء؟.

_ أخي لا تفزع هناك أمر علق بذهني وأتيت لأسأل جونول عنه فقط.

_ أي أنه لا يوجد شيء مقلق صحيح؟

_ لا أطمئن... أشار نحو الكرسي مضيفاً... لنجلس قليلاً... بعد جلوسهم أكمل... في بيت الجبل ذلك اليوم قلت شيئاً قد شد فضولي "بسبب حادثة تعرضت لها قبل أعوام هناك تفاصيل كثيرة لا أذكرها" هكذا قلت... فهل كان حادث سير؟

لم تجب وأكتفت بالصمت وكأنها لا تدرك ما هي الإجابة ، سأل أرغوفان:

_ هل لهذا الأمر علاقة بمرضها؟

_ لا ولكن هل من الطبيعي أن أكون طبيب وأترك فرداً من العائلة لا يذكر العديد من تفاصيل حياته؟!.

_ صحيح معك حق.

نظرت إلي أرغوفان كأنها لا ترغب بالإجابة، لكن الأمر لم يخفى عن أريغيت فقال:

_ إذا كنت لا ترغبين بالتحدث في الأمر فأنا أفهمك.

_ لا... توجهت بالكلام لأرغوفان قائله... للأمر علاقة بصالح.

_ فهمت... فهم أنها لا ترغب بإخبار أريغيت أن صالح كان سجين سابق فقال: لا تقلقي لن يخرج الأمر من أريغيت أنا أثق به.

_ ماذا؟... أضاف بتعجب... ما الذي لن يخرج مني؟

_ سأشرح الأمر لك باختصار... قال أرغوفان.

شرح وضع صالح وتفاصيل قضيته، ما إن أنتهى حتى سأل جونول:

_ لكن ما شأن فقدانك للذاكرة بحادثة صالح.

أجابت بتردد... في قـ... قضية صالح هناك شاهد.

_ ماذا هذا مستحيل لو كان كذلك لوجدناه؟... أجاب أرغوفان بتعجب.

_ في اليوم الذي أعطيتني به الكتاب أخبرتك أن جمال الدين حذرنى من الحديث معك... لقد منعني من الحديث معك كي لا أخبرك بأمر الشاهد.

_ ومن يكون الشاهد؟

_ لقد كنت بنفس المكان مع أخي صالح لا أذكر أي تفاصيل عن الأمر ولهذا السبب أرسل أخي رجاله وتلاعبوا بمسرح الجريمة وأخفوا أي دليل يثبت تواجدي بذلك المكان.

_ هل جريمة القتل حدثت أمامك؟... قال أريغيت متعجب.

_ مع الأسف وبسبب تلك الصدمة فقدت جزء من ذاكرتي حتى أن أخي الكبير أرسلني إلي طبيب نفسي لكن انتهت جلساتنا معه بعدم تذكري لأي شيء.

_ إذاً ألا تعلمين لما حمل صالح التهمة؟... سأل أريغيت.

_ لا أعلم فحقيقة الأمر صالح الوحيد الذي يعرفها.

_ فهمت... أعتذر ربما قد أزعجتك بأسئلتني لكن كان علي إرضاء فضولي... سؤال أخير قلت أنك لا تذكرين أي شيء فما أدراك أنك شاهدة علي الجريمة.

_ كان... ترددت بقول... أبي... لآمني طوال الوقت وأيضاً... في اليوم الذي طعن به أرغوفان تذكرت شيئاً وإن كان مثل الخيال.

_ ماذا تذكرتي؟... قال أرغوفان بفرع.

_ شخص ممد علي الأرض لم أرى وجهه وثيابي ملطخة بالدماء وكان صالح يناديني وكأنه كان مغشى علي.

تبادلا النظرات بصمت ولم يتكلم أي منهما فقالت: أن كنت لا ترغب بالسؤال عن أي شيء أسمح لي لأرتاح.

_ بالطبع تفضلي تصبحين على خير.

_ تصبح على خير.

ساد الصمت لدقائق بعد خروجها ، خرج أريغيت عن صمته قائلاً:

_ الطبيب النفسي الذي أرسلت إليه كان يساعدها علي نسيان ما عاشته وليس لتتذكر.
_ هل هكذا تقول؟.

_ أجل هذه ممارسة يقوم بها أطباء النفس عند علاج أشخاص قد تعرضوا لصدمه لا يمكنهم تحمل وقعها... فأما يكون صالح قد قتل ذلك الرجل أمام عينيها ولهذا كانوا يمنعونها من لقائك...

_ هذا مستحيل... قاطعه معترضاً... يستحيل أن يكون القاتل فسلح الجريمة لا يدري ما نوعه حتى.

_ إذاً هناك خيار ثاني ولا أظن بأنك تستطيع احتمال سماع هذا الخيار يا أخي.

_ لا هذا مستحيل... أضاف بغضب... لا داعي لتكمل.

_ لما شخص مثل صالح يحمل تهمة كهذه لو لم يكن يريد حماية شقيقته وبالأخص

أعيدوا لي قلبي

أننا نعرف أي من الأخوة هو ولما جمال الدين ليرسلها إلي طبيب نفسي يضع حاجب علي ذاكرتها برأيك فكر بهذا قليلاً.

قال بحدته: لن أشغل نفسي بأمر سخيّف كهذا وأنت توقف عن لعب دور المحقق ولا أحتاج لإخبارك بعدم التحدث عن هذا الأمر مجدداً.

أهدأ لن نتحدث به فقط فكرت بشيء وأردت مشاركتك تعلم لا بد لي من قول ما يدور بذهني... نهض مكملاً... سوف أتركك لتعمل تصبح على خير.

بعد إجرائها الفحوصات بدأ الطبيب بطرح بعض الأسئلة:

_ هل تسعلين مؤخراً؟.

_ لا.

_ هل لا زال ضيق التنفس متواصل؟

_ أجل عند استيقاظي في الصباح أجد صعوبة في التنفس.

_ صعوبة التنفس ناتجة عن امتلاء الرئتين من السائل المرتد من البطن الأيسر.

_ هل هناك حل ما أيها الطبيب؟... قال أرغوفان.

_ فقط أتبعي إرشاداتي وحاولي الابتعاد عن التوتر قدر المستطاع.

_ لا أعاني من أي توتر أو ضغط نفسي.

_ هذا جيد... أما عن الإجهاد فهذا أمر طبيعي بالنسبة لمن هم بوضعك لأن القلب

السليم يقوم بضخ 5.5 لتر من الدم إلي كافة أجزاء الجسد لكن بوضعك فهو يضخ

نسبه قليلة ولهذا تشعرين بالإجهاد بعض الأحيان.

_ كم أحتاج حتى أعود لحياتي وأمارس مهامي الطبيعية؟.

_ لا زال الوقت باكراً علي إعطاء مدة تحسنك ولكن لا داعي لأن تجعلني من مرضك

عقدة لكِ مارسي حياتك بشكل طبيعي فقط ابتعدي عن الإجهاد المفرط ولا تجعل

المرض عائق لحياتك فالكثير من مرضى قصور القلب المتزوجين يعيشون حياتهم

بشكل طبيعي وأكرر لكما لا داعي للإجهاد المفرط أخيراً... إذا شعرتِ بألم في الصدر

أو أغشى عليك عانيتي من ضعف شديد سرعه بنبضات القلب أو عدم انتظامه سعال

مصاحب بمخاطر رغوي أبيض أو وردي فيجب القدوم إلي حالاً لأن الوضع يستدعي

تدخل عاجل.

_ أتعني أن هذا سيحدث معها قريباً؟... سأل أرغوفان بفرع.

_ لا تجزع أنا أريكم الاحتمالات التي تستدعي قدومكما إلي هنا ليس إلا.

_ أرجو أن لا نجبر علي أي من هذا.

_ هل لديكما أي استفسار آخر؟

_ لا.

_ إذا زال البأس.

وصلا لبيت الجبل كما وعدتها ، تمشياً بتلك الغابة متشابكا الأيدي بصمت ، مستمتعان بصوت الرياح التي ترقص مع أوراق الشجر ، متناغمان مع أشعة الشمس الساطعة وبهذا الدفء والجو الهادئ حتى أفكارهما توقفت ، قادها إلي القمة نحو ركن منعزل وظليل ، جلسا تحت شجرة الصنوبر ، قريب من الساقية التي تنحدر متواثبة بين الحجارة ، وفروع الشجر تسقط عليهما خصاً من الأغصان ، صامتين يسندا ظهرهما للجدع العتيق ، لا يلمس أحدهما الآخر ، متشابهان بانفعالاتهما ، كل منهما يشعر بالسلى في قرب الآخر منه ، كل منهما غارق بأفكاره ، نسيم الجنوب ، خريير الماء ، زقزقة العصافير ، حفيف الأشجار ، شذي الأرض رفقة الدقائق التي مضت أعادتهما إلي الواقع ، أستلقى واضعاً رأسه بحضنها ، قال مغمض العينين وبوجهه ترتسم ابتسامة: بعد أن تشفي بأذن الله أترغبين أن تكوني أمأ؟...رُسمت الدهشة علي وجهها ، وأصبحت وجنتاها حمراء خجلاً ، فتح عيناه عندما لم تجب ، ضحك بشدة فأزداد توترها فلا زالت هذه الضحكة تهز كيائها كلما سمعتها ورأت غمازته والانقسامات التي بجانب عينيه التي تزين هذه الضحكة ، أكمل...فكري بالأمر حتى تشفي بعدها يمكنك إخباري برأيك...أعاد إغماض عينيه وشبك يديه مضيئاً...بالنسبة لي لا مشكلة أنا مستعد في أي وقت تقررين...أكتفت بابتسامة خجولة علي ثغرها وهي تداعب شعره بهدوء.

عند المساء استضافت أسرة بوزدا صالح علي العشاء ، جاء ليطمئن علي جونول وليعلم ما الذي أخبره الطبيب لها ، اجتمعت الأسرة علي المائدة فقال:

_ هل سيتأخران جونول وأرغوفان؟

_ لن يأتيا اليوم...أجاب علي أشرف.

_ لما هل هناك خطب ما؟...قالت خديجة.

والقلق يحيط بملاح صالح الذي ينتظر أن يبتلع علي أشرف الماء التي شربها فأجاب...لا داعي للقلق أراد فقط أن يأخذ جونول بعيداً لتتغير نفسيته.

أعيدوا لي قلبي

أطلق صالح تنهيده تعبر عن ارتياحه ، ثم قال:

_لو كنت أعلم لما أتيت لإزعاجكم.

_أستغفر الله... قالت أوزيرنجي بعجله... أنت واحد منا.

_أجل أنت فرد من أسرتنا مكانك محفوظ بيننا متى شئت... قال ارطارول.

_شكراً لكم علي لطفكم معي... ثم أضاف... سيد علي أشرف هل أخبرك عن ما قاله الطبيب بخصوص جونول؟.

_لم ندخل بالتفاصيل لكن قال "وضعها مستقر ولا يوجد ما نقلق بشأنه".

_زفر بقوة قائلاً: جيد.

_هيا تفضل بالأكل بالعافية والهناء لكم جميعاً.

هدوء تام لا صوت يعلو علي حفيف الأشجار ، القمر ساطع كأنه يحتفل ، استغلا هذه الأمسية وعزلة المكان ليجددا عهدهما بعدما أعطاهما الطبيب الإشارة الخضراء تنام بجانبه وهو يراقبها كالمعتاد ، يتفقد تنفسها خوفاً من أن يكون الحماس جرفه لیتسبب لها بنوبه إجهاد هو في غنى عنها ، مسح بيده علي وجهها ، فتحت عينيها بهدوء متسائلة:

_ألم تنم بعد؟.

_لا لم أنم...حاول أن يخفي خوفه متسائلاً: هل أنت بخير؟.. لما استيقظت؟.

_أنا بخير...ولم أنم بعد كنت أريح عينايا...ماذا عنك يبدو أنك مشغول البال؟...هل ترغب بأن تحدثني عما يشغل تفكيرك؟

_سأعطيك العناوين ولا داعي لنخوض في التفاصيل.

_أنا أسمعك.

_تفاقت الأزمة المالية بالشركة أبي وأخي لم يجدا حلاً جذرياً لها.

_أهذه المشكلة التي كانت ستحل بزواجك من نادين؟.

_كما قلت لا داعي لأن نخوض بالتفاصيل.

_حسناً...أكمل.

_ألتان لديه مشكلة الأمر بات واضحاً وأوزغور علي علم بالأمر لكن كلاهما يأبى أخباري بالأمر.

ربما لا يرغب بأن يكون عبء عليك!.

لا هناك أمر آخر وإلا يستحيل لأوز غور أن تصمت علي شيء ما.

هل تظن أنه لا زال يفكر بتلك الفتاة؟.

أظن أنه قد تجاوز الأمر لكنه يتصرف معي بطريقة لم أعدها عليه.

أعطه بعض الوقت وسيوضح كل شيء.

_هذا ما أفكر به أساساً... وأيضاً هناك أوزبرنجي فيبدو أنها معجبه بصالح... ضحكت

دون أن تعلق فقال: هل أخبرتك بشيء؟

لا ولكن كنت أظن أنني أنا من أدركت الأمر فقط... لكن ما المشكلة بالأمر.

_المشكلة أنني لا أريدها لها أن تتألم من جديد يكفي ما حدث لها بسبب ذلك الوغد ليفنت.

_لكن صالح لن يؤذيها.

_أدرك هذا وأيضاً لن يفعل شيئاً حتى لو علم بمشاعرها... تعرفينه رجل عصامي

لن يرضى أن يكون مع فتاة عائلتها اعتبرته فرداً منها.

_هذا صحيح هل أتحدث إليه برأيك؟

_لا سيبدو الأمر وكأنني أرمي شقيقتي عليه.

_هو لن يدرك الأمر.

_الأفضل ألا نتدخل ولنندع الأمور لمجراها.

_وأكثر ما يشغل تفكيري...

لم يكمل وألتزم الصمت ، فلا يزال باكر ليخبرها بأمر الوصي ، بالإضافة إلي أن

أخوتها يسعون خلف ميراثها ، يجب عليه أن يبعدها عن التوتر قدر استطاعته ، عندما

ألتزم الصمت قالت بحسره:

_وفوق مشاكل عائلتك ظهر لك مرضى...

أجاب وكأنه قد أعد الجواب مسبقاً... لا.. لا يخطر مرضك علي بالي مؤخراً.

نظرت بنظرة مختلطة بين الدهشة والغبطة قائله: ما الذي يشغل تفكيرك إذاً؟

أخفى ابتسامته مجيباً: ماذا سنسميها؟

_ما هي؟

_أبنتنا ماذا سيكون أسمها يا ترى؟

أعيدوا لي قلبي

أخفت وجهها عنه وهي تضحك بخجل ثم قالت:

_ هل هذا حقاً ما يشغل تفكيرك؟.

_ أعرف شعور أن تكون أباً لفتى لذا أريد أن أعرف شعور أن أكون أباً لفتاة جميلة كوالدتها.

_ هل وجدت اسماً؟.

_ أنا سيئ في انتقاء الأسماء عندما ولد مارت لم نختر له اسماً مسبقاً لذا المرحومة أوكلت إلي مهمة أن أختار له اسم حين نظرت رأيت أنه قد ولد بشهر "مارس" لذا أطلقت عليه اسم مارت.

تبادلا الضحكات ثم بعد ثواني من التفكير قالت: لتكن جانسو

_ اسم جميل.

_ أريد أن يكون لأبنتي حظ أجمل من حظي أن تكون حياتها سهلة كسهوله مرور المياه بالنهر مع العلم بما أنك والدها لن أخشى عليها.

_ حسناً إذاً لتكن جانسو.

احتضنته قائلة: أنت أعظم أب بالعالم...وأفضل زوج كذلك.

في مساء اليوم التالي قال أرغوفان بينما يتناولون العشاء:

_ أوزبرنجي هل يمكنك الذهاب إلي أزمير في الغد؟

_ ماذا؟...تسألني بتعجب...لكن لما علي الذهاب؟

_ أنه الروتين المعتاد بالذهاب إلي المكتب لا تقلقي أصلاً متواجد هناك سيساعدك بكل شيء.

_ ولما لا تذهب بنفسك؟...قال علي أشرف.

_ لدي عمل هنا.

فهمت جونول أنه لا يريد الذهاب إلي أزمير لأنه يشعر بالقلق عليها ، قالت:

_ أرغوفان أن كنت لا ترغب بالذهاب بسببي فلا داعي أنا بخير والجميع هنا يهتمون بي.

_ أجل...أضافت خديجة...يمكنك الذهاب والاهتمام بعملك وأنت مرتاح البال سوف أضعها في عيني.

_ أدرك هذا أختي خديجة ولا شك لدي لكن..._

_ لا داعي للتردد أذهب وأبنتي أمانة لدينا... قال علي أشرف مقاطعاً إياه.

_ حسناً إذأ... وافق مستسلماً أمام إصرارهم.

بعد العشاء توجه من فوره إلي مكتب أريغيت... هل أنت متفرغ؟... سأل عند دخوله.

_ أجل أنا كذلك ما الأمر؟.

_ سأذهب غداً إلي أزمير ولا أخفى عنك... يراودني شعور مُقيت لذا أريد أن أطلب منك أن تنتبه لجونول أنها أمانة عندك حتى أعود.

_ أخي لا تظن أنني لا أفهمك أو أنني أستهين بمشاعرك لكن ألسنت تبالغ بالقلق عليها.
_ ألا يحق لي هذا؟.

_ بالتأكيد لكن الطبيب أخبرك أن وضعها مستقر.

_ قال أيضاً "قد تتدهور حالتها بأي لحظة".

_ لا تنتظر للطرف المشؤم من الكلام ربما جسدها يستجيب للعلاج ولن تكون هناك حاجة لإجراء عملية لها.

_ مع هذا عدني أنك ستنتبه لها في غيابي.

_ إذا كان هذا يريحك وسيوقف الهواجس التي بداخلك فحسناً أعدك سأنتبه لها.

ربت علي كتفه بامتنان قائلاً: شكراً لك... أضاف قبل أن يخرج زوجتي أمانة عندك من الغد.

_ حسناً يا أخي.

خرج بعدما وضعها أمانة عند خديجة وأريغيت ، غادر بعد وداع حار بينهما وهو يصارع هواجساً جعلته يتردد في المغادرة، ما هي إلا ساعات حتى وصل إلي أزمير ، توجه من المطار إلي المكتب من فوره وباشراً بعمله، كلما مرت ساعتين أتصل بجونول، في المساء ذهب إلي المنزل، لحظة دخوله تزامنت مع خروج سونيا، والتي قد استقبلت سيدها بحفاوة كبيرة سألته عن جونول فقد أخبرها أصلاً عن مرضها، وطلبت أن يوصل سلامها وأمنياتها بالشفاء، قبل أن تغادر أكدت له أن كل شيء كما اعتاد وإن الطعام جاهز بالثلاجة ، أجمع رفقة أصلاً بعد مغادرة سونيا ، طوال جلوسهما وأرغوفان يراقب الهاتف بقلق فسأل أصلاً: هل هناك خطب ما؟

_ ليس بالأمر الجلل أتصلت بجونول ولم تجب لذا أنتظر أن تعيد الاتصال بي.

_ الآن موعد العشاء ربما لهذا هي لم تعاود الاتصال بك.

_ سأنتظر ساعه أخرى وإن لم تتصل أو تجب سأتصل بمارت لأطمئن... علي أي حال...ماذا حدث بخصوص عائلة ديمير؟.

_ مع الأسف توصل المفوض المتقاعد إلي أن عائشة أختي الصغرى.

_ وهل هذه المعلومة توصلهم إليك برأيك؟

_ لا فأنا لم ألتقي بأختي بعد خروجي من السجن إلا في اليوم الذي طلبت مني جمع معلومات عن جونول لذا أجبرت علي الاتصال بها.

_ وهل تعرف عنك أي شيء؟

_ الشيء الوحيد الذي تعلمه أنني أعمل في أزمير.

_ إذا سيصل إليك ذلك المفوض المتقاعد.

_ لن يستطيع فأنا أعيش تحت ظلك لا أثر لي في الوسط ولا يوجد رقم هاتف باسمي المنزل السيارة كل شيء يعود لك لذا إذا ما أراد تعقب أثري لن يجد لي أثر.

_ مع هذا دعنا نأخذ احتياطنا.

_ حسناً سأزرع بجانبه واحد منا وبهذا نفهم كيف يفكر.

_ وبعد أن أنهى عملي ستعود معي لن تبقى هنا...ولن تلتقي بصالح ضعه نصب عينيك ولا تترك أي شيء للصدفة.

_ كما ترغب سيدي.

أخذهما الكلام دون أن ينتبه إلي أن الساعة التي ينتظر مرورها قد أصبحت ساعتين ، أعاد الاتصال بها فلم تجب مجدداً، بدأت هواجسه تفرع طبولها عندما لم يجب مارت، كرر الاتصال به وما إن أجاب حتى صاح به:

_ ماذا تفعل حتى لا تجب علي اتصالي؟.

_ أبي أهدأ ما بك...أجاب بتوتر...لقد...لقد كنت في الحمام ولم أنتبه لهاتفني.

قبل أن يسأل عن جونول أطلق تنهيدة طويلة ثم قال: أنا أعتذر لقد كنت متوتراً فأنا أتصل بجونول ولا تجيب وعندما لم تجب أنت كذلك توترت وأنت تعلم أنني أصبح عصبياً حين أتوتر.

_ لا عليك لكن لا يوجد شيء يدعو للقلق أختي جونول كانت تشكو من ألم رأسها وصعدت باكراً لترتاح.

_ ماذا رأسها؟...من أين خرج هذا؟.

_ أعتقد لأنها قد عملت طويلاً رفقة عمي اليوم.

أعيدوا لي قلبي

_ وهل أنت متأكد أنها تشكو من رأسها فقط؟

_ أجل تفقدتها جدتي قبل العشاء وبعد قدوم عمي أريغيت عادت لتتفقدتها معه وقال أنها "بحاجة للراحة فقط".

_ أي أن كل شيء علي ما يرام؟.

_ أجل أبي كل شيء تحت السيطرة هنا لا داعي لقلقك...ماذا عنك ما أخبارك؟.

_ مجرد عمل فور قدومي توجهت للمحكمة وقد أتيت قبل ساعه للمنزل سأنام فغداً لدي عمل كثير.

_ جيد هون الله عمك.

_ سلمت...وأنت ماذا تفعل؟.

_ لا شيء سأشاهد فلماً ما أو أقرأ كتاب قبل أن أنام لم أقرر بعد.

_ أليس عليك النوم باكراً؟.

_ غداً عطلة الأسبوع لذا سأستغل وقتي.

_ ماذا عن بهار وكيليتش ألن تقضي وقتك معهم؟

_ ذهبوا مع عمتي أوزبرنجي وصالح للسینما.

_ صالح؟...ما شأنه بالأمر؟.

_ أتى ليطمئن علي جونول فاقترحوا عليه أن يذهب معهم كي يرى أماكن لم يرها بعد في المدينة.

تمتم...يا له من عذر واهي يا أوزبرنجي.

_ لم أسمعك؟

_ لا تهتم...سأغلق الآن أنتبه لنفسك ولا تسهر طويلاً.

_ حسناً أبي تصبح علي خير.

_ تصبح على خير.

رمى بجسده المتناقل علي السرير، لقد مر بسلام وأن كان يوماً مليء بالتوتر، أستحم وبدل ثيابه ما إن دخل تحت دثاره حتى أستوحشها، فمذ أصبحت زوجته هذه المرة الأولى التي يدخل مضجعه دون أن يراها بجانبه أو يرسم قبله علي خدها قبل أن ينام، حتى أنه لم يكن آخر صوت يسمعه صوتها، أخذ هاتفه وترك لها رسالة صوتيه عبر فيها علي رغبته بأن يكون صوته أول صوت تسمعه كما اعتادت وقام بحشو

تلك الرسالة بكل ما يجول في نفسه من اشتياق لها ولهفه.

أستيقظ صباحاً تجهز وغادر، بينما ينتظر الوصول إلي المحكمة رفقة أصلان الذي يقود السيارة؛ تفقد هاتفه فوجد جونول قد تركت له رساله صوتيه في الثالثة فجراً، طمأنته علي حالها ونوهت إلي أنها تشكو من قلة حيلة وقليل من الوهن، تعدل مزاجه بعد سماعه لصوتها، ودخل للمرافعة مشحوناً بالعزيمة بعدما أطمئن عليها، خرج من مرافعه محتدماً، طمأن موكلة مؤكداً أن الجلسة القادمة ستكون لصالحه، وأخذ موكلة من قبل الدفاع المدني ففتح هاتفه ليجد العديد من المكالمات الفائتة مارت خديجة وختمت برسالة من أريغيت مفادها (لقد تدهور وضع جونول فجأة وقد نقلتها إلي المستشفى)..مضت نصف ساعه علي وصول الرسالة ، دون أن يلتفت خلفه أو أن يفكر بأي شيء حتى المرافعة القادمة مع موكله الآخر لم تهمة خرج من النيابة العامة راكضاً نحو السيارة تسأل أصلان بفزع:

_ أخي أرغوفان ما الأمر؟.

أجاب وهو يهيم للصعود...تدهور وضع جونول.

_ ماذا؟...قال بدهشة.

_ أبقى أنت وأجري اتصالاتك جهز لي الطائرة الخاصة وأبلغ فريق المحاماة في المكتب بأن يذهب أحدهم للمرافعة التالية وأن يساعدوا الموكل بقدر الإمكان.
_ حسناً قم بطمأنتي.

دخل راكضاً نحو الاستقبال...أنا أبحث عن جونول بوزدا!.

_ هل أنت أرغوفان بوزدا؟...سألت الموظفة.

_ أجل أنه أنا.

_ أخبرني الطبيب أريغيت أن أبلغك بالتوجه إليه في غرفته فور وصولك.

_ حسناً هل وضع جونول جيد؟.

_ أجل سمعت أنهم نقلوها إلي الغرفة.

_ حسناً هون الله عمك.

قال فور دخوله: لما طلبت رؤيتي أريغيت هل حدث شيء سيئ لجونول؟.

_ أهدأ وأجلس قليلاً...أكمل...لقد تضرر البطين الأيمن لدى جونول لذا هي بحاجة إلي عملية زراعته قلب مستعجلة.

__ اللعنة!..

__ لا يتوفر لدينا متبرع حالياً أتصلت بكل من لي معهم صلة ووضعت جونول في أولوية القائمة لكن لا أدري متى يتوفر متبرع.

__ إذا تقول أنه علينا الانتظار؟.

__ مع الأسف هذا الخيار الوحيد.

__ ماذا لو تأخرتم في العثور علي متبرع؟.

__ لا تقلق سنظل حالياً تتحرك بجهاز الأكسجين وإن تدهور وضعها نضعها تحت الجهاز... بالنسبة لتأخر في العثور علي متبرع أن أجبرنا سوف يقوم الطبيب بزراعه دعامة للقلب ريثما نجد متبرع.

__ يعني تقول هناك حلول بديلة!.

__ أجل لحد ما.

__ وهل ستبقى بالمشفى؟.

__ خلال هذا الأسبوع أجل ربما إذا تتحسن قليلاً يمكنك إخراجها إلي المنزل بشرط أن تجلب لها نفس الأجهزة المتواجدة بالمشفى في حاله تعرضت لنوبه فجأة.

__ هذه ليست مشكلة بالتأكيد... علي أي حال... نهض مكماً... يجب أن أذهب لرؤيتها.

__ أخي هناك أمر آخر عندما لم نستطع الوصول إلي صالح أجبرت علي الاتصال بالسيدة زليخة أعلم أنك لا تستلطف تواجدها لكنها متواجدة رفقة أونور.

__ صدقتي في هذه اللحظة لا تهمني لا زليخة ولا أبنها بمقدار ذرة.

زفر بقوة ليخفف من حده توتره، كي يدخل برباطة جأشه كما اعتادت رؤيته ، عندما دخل وجد خديجه مارت زليخة أونور وكذلك أوزغور متواجدين ، ألقى عليهم التحية وعيناه لا ترى سواها، أصبحت كزهرة مر بها خريف قاسي، شعر بتحطم فؤاده بالرغم من كل محاولاته في حمايتها من الجميع ، لم يستطع حمايتها من القدر الذي قد رأى لا بد له من أن يخوض ضمار هذا الاختبار القاسي، ظل واقفاً وهو ينظر إليها وكأنه لا يوجد غيرهما بهذه الغرفة، أشارت زليخة إلي أونور للخروج فهمم البقية معهما، صوت إغلاق الباب كأنه أعاد حركة الزمن له، أحتضنها بقوة وهو يعتذر لعدم تواجده بجانبها لعجزه علي فعل أي شيء من شأنه أن يحمل عنها هذا الألم... لم يلبث كثيراً إلا وأستعاد قوته التي يستمدتها منها، لم يتهاون في طمأننتها ومؤازرتها علي تجاوز هذه المحنه، عاد مجدداً أرغوفان الداعم الدافئ المليء بالأمل والذي يوجد لديه حل لكل شيء، جاء صالح أطمئن عليها وأخبرها أنه لديه عمل

خارج المدينة ولن يأتي لزيارتها خلال هذين اليومين، تصرفه لم يعجب أرغوفان فهذه ليست من عاداته، لقد عهد عليه الدفاع والمؤازرة لشقيقته، كيف له أن يتغير فجأة ويكون العمل أهم منها، وهي بدورها لم تظهر لكنها شعرت بغصة في فؤادها، كيف لصالح الذي لم يلبث بجانبها إلا دقائق معدودة يفاجئها بغياب ليومين وهي بوضع كهذا لم تتكلم أو تسأل لكن الأمر لم يغيب عن كلاهما ففهم الأثنين نظره عينيها، أنحنى قبل يدها معتذراً ومبرراً غيابه بعمل لا يمكن تأجيله ، بعد خروجه لحق به الثاني وحدثت مشادة كلامية بينهما، رغم الكلمات القاسية التي ضربها أرغوفان علي مسامعه لم يتردد في الرحيل وآخر ما قاله: أنها أمانة لديك أيها الصهر.

بعد ترحيب حار تلقاه وتبادلا أطراف الحديث سأل:

_ ما أخبار أبي هل هو بخير؟

_ علي حاله أقوم بزيارته ثلاث مرات في اليوم قال الطبيب أن تحسنه ليس معدوم لكنه بطيء... وأنت ما أخبار رجلك؟.

_ بدأت أعتاد علي عدم الاعتماد عليها بوجود هذه... مشيراً بعكازه... ثم أكمل... لقد وصلت علي موعد العشاء لذا هيا لنكمل حديثنا علي المائدة وأذهب لتنام.

_ حسناً يا أخي.

في مساء اليوم التالي وبعد العشاء صعدا علي السطح ، كما اعتادا أن يفعلا في شبابهما ، أطالا قليلاً في حديثهما وبعد ثواني من الصمت قال:

_ أخبرني لأرى ما الأمر؟

نظر إليه بتعجب متسائلاً: عن أي أمر؟!.

_ حباً بالله لا تفعل أنا أفهمك دون أن تتكلم حتى... من الواضح أنك تمتلك مشكلة ما. في الحقيقة أتيتك قاصداً المساعدة.

_ في أي موضوع!.

_ جونول... أنتظر منه ردت فعل فلم يبدي بأي شيء أستمر في حديثه قائلاً: شرحت لك كل ما حدث فهل لا زلت غاضباً منها؟.

_ لا لست غاضباً لكن بإمكانك القول أنني لا أرغب بالحديث عنها.

_ لا بالعكس سنتحدث الآن ونحل كل شيء... أنت تعرف حقيقة الأمر الآن وأدرك أنك لا تشبه سالم ويمان فلا تظن أنني لم أنتبه إلي صمتك عندما نقلوا لي كلاماً كاذباً

أعيدوا لي قلبي

عن ما حدث بين والدنا وأرغوفان.

وماذا في ذلك أنا لم أشأ التدخل فقط.

أخي أدرك أنك تحب جونول في قرارتك مثلي تماماً فمن كان يعتني بها عندما كنت في السجن طوال هذه السنوات غيرك!؟

لكن ما فعلته أمر لا يغتفر.

كيف لك أن تقول هذا الكلام بعدما شرحت لك الوضع؟.

لا أتحدث عن ابن البقال...أضاف بغضب...كنت أضعها تحت الحراسة لأحميها تدرك أن لنا أعداء كثر وهي كانت تذهب خلسة من خلفهم ماذا لو حدث لها مكروه؟...كيف كان لي أن أنظر إليك وأنت وضعتها أمانة عندي أخبرني!...ناهيك عن هذا لماذا لم تقل أنها تريد الكتب أو ترغب في الذهاب إلي المكتبة هل كنت لأمنعها؟.

وهل كان أبي ليسمح لك؟.

فكر في إجابته قليلاً ثم قال: لوجدت طريقة ما...مرت بينهما ثواني ثقيلة من الصمت ثم سألت: هل المشكلة مع صهرنا؟

لا أرغوفان رجل جيد ويعتني بها بطريقة جيدة.

أعرف أنه سيفعل فلقد فعل ما لم يستطع أي ديوث بهذه البلدة أن يفعل وقف بقوة أمام أبي وأخضعه.

جونول بحاجة إلي عملية زرع قلب مستعجلة...قال الأطباء "أنها كانت تعاني من خطب منذ طفولتها لكن بعدما تقدم بها العمر أتضح الضرر".

أخفى صدمته بنجاح قال مدعياً عدم المبالاة:

إذاً تحتاج إلى مال؟.

لا فأرغوفان رغم جهلكم بهذه المعلومة إلا أنه من نفس طبقتنا الاجتماعية أي أنه ليس بحاجة لمساعدة مالية أيضاً جونول تخضع للعلاج بمستشفاهم الخاص.

ما المطلوب مني إذاً؟

عبث بهاتفه قليلاً فوصلت رساله إلي جمال الدين أجاب بينما الثاني يقرأ ما ورده... أرسلت لك نتائج تحاليلها ساعدني بالعثور علي متبرع.

وكيف أفعل هذا؟.

شقيق زوجتك مسؤول عن توزيع الأعضاء التي تطلبها المستشفيات في البلاد باتصال واحد منك سنجد لها متبرع بوقت قصير.

_وماذا إن لم أفعل؟...رمى الهاتف علي الطاولة مكماً...هل ستتبرأ مني ستقول
أنسى أن لك أخ وتخرج ضارباً الباب خلفك دون أن تنظر وراءك؟

_لن يتغير أي شيء أن قبلت بمساعدتي أو لا ستظل أخي الأكبر الذي أحترمه ولن
أدير له ظهري ما حبيت وسأقرع ذلك الباب طالما لن تطردني منه لأنني أعرف
أنك لا تفرط بأي فرد منا حتى لو أردت...نهض مكماً...سأخذ إلي النوم علي
العودة إلي المدينة غداً.

_ما الذي يجعلك متأكد أنني سوف أساعدها؟.

_أنت الرجل الذي هجر أستاذ أبكى شقيقتك من البلدة لا أصدق أنك ستتركها للموت
في حين أنه يمكنك المساعدة.

نزل صالح تارك خلفه جمال الدين يتصارع مع ضميره ومبادئه ضد معتقداته وما
تنص عليه تربيته المتعصبة.

استيقظت لتجده لا زال جالساً بجانبها ، تسألت: ألم تذهب!؟.

_إلي أين!؟.

_عزيزي أنت لم تذهب إلي مكتبك منذ يومين!.

_وماذا في هذا!؟.

_بالتأكيد لن أرضى أن تهمل عملك بسبب!؟

جلس بجانبها أحضنها وهو يقبل رأسها قائلاً: لا تقلقي العمل يسير بشكل طبيعي أنا
لم أنشئ ذلك الجيش من المحاميين إلا من أجل حاله طوارئ كهذه...نظر إليها
بتعجب مماًزحاً إياها...أم أنكِ سئمت من رؤيتي!؟.

ضحكت مجيبه...بالطبع لا لكن لا أريد لك أن تترك عملك من أجلي.

حاول الاضطجاع بجانبها قال:

_أفسح لي قليلاً...أستلقى ووضع رأسها علي كتفه فأكمل...لأجلك أترك الدنيا
وليس مجرد عملي لا تهتمي...هل أتصلت بصالح!؟.

_أجل قال أنه سيعود غداً صباحاً.

_ألم يقل ما هو هذا العمل المهم!؟.

_لا.

فهم من إجابتها ونبرة صوتها المحشوة بالحسرة، أن ذهاب صالح يورقها ، قال:

أعيدوا لي قلبي

_ زوجه أخيك طبيبة صحيح؟

_ أجل... نظرت إليه بتعجب متسائلة... لكن كيف عرفت؟

_ لدي طريقي الخاصة... قال بتعالي.

_ لا أنا أتحدث بجدية.

_ عندما كنت محامياً لصالح جمعت كل المعلومات عن عائلته لأجد أي دليل لا يثبت تواجده لحظه وقوع الحادث وهكذا عرفت.

_ آه فهمت... لكن لما تسأل؟

_ ربما ذهب ليطلب منها وضع أسمك بالقائمة.

_ أتعني أنه قد ذهب إلي البلدة؟

_ لست متأكد ولكن أظن هذا!... كان يعلم بوجهة صالح، لكنه لم يستطع قول "أن أصلان يراقب صالح وهكذا عرفت أنه ذهب ليقابل جمال الدين لأجلك".

أضافت بعد تفكير... هذا وارد لأن زوجه أخي هي رئيسة الأطباء ربما ذهب إليها لكن لماذا لم يخبرني؟

_ قد يرفض جمال الدين مساعدتك وبالتأكيد لو كنت مكانه لما أخبرتك وأعطيتك أملاً زائفاً.

تنهدت وقالت بحسره: أخي جمال الدين ليس مثل سالم ويمان رغم أنه لا يظهر ذلك إلا أنه طيب القلب وحنون مهما حاول أن يظهر قاسياً.

_ والله لم يبدو عليه أي من ما كنت تقولين بذلك اليوم... قال بغضب عندما أسترجع تلك اللحظة التي كاد أن ينهي بها جمال الدين حياتها.

_ هذا هو السيئ به لا يفكر عندما يغضب أنا لا أدافع عن ما فعل لكن تلك كانت أول مره يرفع يده علي حتى أنني كنت دائماً أحتمي به من بطش سالم ويمان.

_ إذاً تقولين أنه قد يساعدك؟

_ لا أعلم بعد سوء التفاهم الذي حدث ولم تخلق فرصه لأصحح له ما حدث لكن إذا كنت أعرف أخي حقاً فهو لا يقبض يده عندما يتواجد بها حل يساعد أي منا حتى وإن كنت أنا.

_ مع هذا لا تتألمي عبثاً.

لم تعلق وأكتفت بالصمت وهي تفكر هل سيتخلى عنها جمال الدين إذا ما وجد حلاً؟

مضى ثلاثة أسابيع علي خروج جونول من المستشفى ، وهي تحاول التأقلم والتعايش مع مرضها ومعاناتها في بذل الجهد ، تحاول بقدر استطاعتها أن لا تجعل من حولها قلقون بشأنها ، أما صالح وأرغوفان وأريغيت يحاولون جاهدين بكل الطرق في العثور علي متبرع مستعجل لها ، لكن كل الاجابات كانت واحده ، "علينا الانتظار حتى نجد متبرع"... أصبح هذا الأمر يؤرق أرغوفان الذي لم يعتقد أن يعجز بحل أي شيء ، إلا أنه لا يظهر ذلك لها، مضى شهرين نقلت جونول إلي المستشفى مجدداً ، لكن هذه المرة قد سجل دخولها، لم تكن جونول كما اعتادوا عليها، فقد كانت علي غير العادة كثيرة التفكير والشروء، بدا واضحاً لأرغوفان أن هنالك ما يشغلها لكنه لم يشأ سؤالها والضغط عليها وتركها لتتكلم بنفسها، أنشغل الجميع عنها باستثناء صالح ونيسان ، فقد داوما علي زيارتها وبنفس التوقيت الذي لا يتواجد به أرغوفان كي لا تشعر بالوحدة، أصبح واضحاً لصالح أن جونول ليست بوضعها الطبيعي وكأنها ترغب بقول شيء لكنها تخشى من ردة فعله، سألها ولكن أنكرت تواجد أي خطب بها فظن أنه بسبب توترها وخوفها من عدم توفر مانح، وصل أرغوفان فتبادل أطراف الحديث مع صالح وخلال انغماسهما بالحديث خرجت بجملة صعقت كلاهما ، لم ينظر أي منهما لها وأدعا عدم سماعها ، فأعدت قولها:

_ أنا لا أريد إجراء العملية.

أغمض أرغوفان عيناه بقوة وكأنه شعر بطعنه في قلبه، أما صالح الذي اعتراه الغضب حتى أحمر وجهه قال:

_ ما الذي تهذين به حياً بالله؟.

_ أخي سمعت جيداً ما قلت.

_ لا يهمني ما قلته... زفر بقوة ليخفف من حده غضب وقال: إذا لم تجري العملية أتدركين أنكِ ستموتين.

_ كأنني لا أعلم.

_ إذا توقفي عن هذا الهراء عودي لوعيك ولا أريد أن أسمع هذا الكلام منك مجدداً.

_ أخي قلت أنني لا أرب بالعملية وأنا أدرك ما الذي أطلبه.

صاح بها... لا تصيبيني بالجنون بهذا المساء أتريدين أن نتركك للموت... إذا لم تجري العملية نهايتك الموت... الموت هل عقاك يستوعب؟.

_ ربما لم أعد أرب بالعيش أكثر من هذا ما أدراك؟.

نظر إليها أرغوفان بوجه تعتليه الصدمة وبنظره ممتلئة بالحسرة، فهمت أنها أخطأت

بقول الجملة التي اعتادت علي قولها طوال سنوات لعائشة، لقد جرحته بقولها حاولت أن تتلافي ما قالت... عزيزي... أنا... لم يعطها المجال لتكوين جملة، خرج ضارباً الباب خلفه بقوة، ليضيف صالح بحسره:

_ يا حسرتي عليك يا هذه... يا أسفي عليك... الرجل محق أنت لا تدركين كيف يعاني ويمزق نفسه ليجد لك حلاً ينقذ حياتك وأنت ماذا تقولين؟.

_ أخي أقسم أنني قلتها بلحظه غضب ولم أقصد جرح أي منكما... أنا حقاً أعتذر.

_ لست أنا من أستحق اعتذارك فلو زوجتي والمرأة التي أحبها تقول ما قلتيه فلن أنظر بوجهها مرة أخرى.

_ لكن والله لم أقصد.

_ أتدركين معنى ما قلته حتى هو لم يكن سبب كافياً ليجعلك تقاتلين من أجله.

_ أخي...

_ لقد قلت ما أردته وأنهى... خرج بصمت مليء بالغضب والحزن.

مضت ثلاثة أيام لا يأتي بها أرغوفان لزيارة جونول، لا يجيب علي اتصالاتها، صارت تبقى معها زليخة، أما صالح خاصمها تماماً فحين يأتي يسأل خالته ولا ينظر إليها حتى، لم تفصح جونول عن سبب خصامها مع أرغوفان وصالح لأحد رغم تساؤلات الجميع، فكيف لها أن تقول أنها تخلت عنهم واختارت الموت، جاء ألتان إلي زيارتها في اليوم الخامس، كانت هذه زيارته الأولى منذ أن دخلت المشفى.

_ كيف حالك؟... قال بعد جلوسه.

_ لست بحال سيئ الحمد لله.

_ جيد... أضاف بتوتر... أنا آسف... فأنا لم أزرِك قبل اليوم.

_ لا عليك أدرك بأنك مشغول... وأيضاً... أضافت بعدما رأت حاله... يبدو أن الخريف قد مر بك.

ضحك بابتسامه يملأها الحزن مجيباً... حقاً لقد مر بي الخريف..

أسقط خصلات من شعري...

والقليل من رموشي...

والكثير من دموعي...

وبعثر آمالي...

وشتت طموحاتي..

أعيدوا لي قلبي

وهو الآن يحاول أن يسلبني أعز الأشخاص إلي قلبي.

ضحكت بضحكتها الخجولة المعتادة، لتوتره وتجبره علي تأمل الغرفة، قالت: يبدو أنه كان خريفاً قاسياً.

_إذاً لا تجعله أكثر قسوة وينتصر بسلبه لأعز الأشخاص لقلبي.

_هل أخبرك صالح؟.

_يمكنك القول أنني عرفت بطريقتي... هل غيرتي رأيك؟

_لا حتى أنني أخبرت الطبيب بقراري بالأمس.

_ماذا قال؟..

_أنزعج من قراري وعرض علي أن أقابل غداً المستشار النفسية... لكن... كيف حال أرغوفان؟.

_لقد مر به خريف أقسى من الذي قد مر بي.

_بالتأكيد هو غاضب مني فهو لم يأتي لزيارتي منذ خمسة أيام.

_أنه محق!... قال بشرود.

_أعتلى وجهها الدهشة وقالت: لما؟.

_أتركين أنك بقرارك هذا أعلنت لعمي أنه لا يهتمك وأنك لا تحبينه؟.

_ما شأن هذا بهذا؟.

_إذا لم يكن سبب يجعلك تتمسكين بالحياة فهذا هو معناه... سأل بتردد وبصوته بصيص أمل عقيم... أم أنك كذلك؟.

توردت خجلاً أجابت وهي تتلاعب بشعرها وكأنها تتخيل كل تفصيل حفظته به بل وكأنها تتذكر كل لحظة عاشتها رفقة..

_لقد ضحكت معه من كل قلبي...

وجدت نفسي أضحك معه بنشوة حب...

قلبي كان خفيفاً معه...

قنوعاً بشخصه بعطائه اللا متناهي...

يقشع جسدي حين ينظر إلي...

رأيت بعينه الحب الذي لطالما قرأته في الكتب...

كنت شديدة الخوف ومع هذا لم أخف...

أعيدوا لي قلبي

فمعه لم أشعر بنقص في ذاتي...

هكذا بدأ كل شيء قبل أن أدرك...

أنني لن أحب من بعده...

أما من قبله فأنا لم أعرف ما هو الحب.

كان متجمداً مكانه، مستسلماً أمام أكثر الكلمات قساوة في حياته، أن يسمع بأذنه المرأة التي أحبها بكل جوارحه كيف تصف حبها لرجل آخر، كان تسليمياً منه لحكم الإعدام، كان كعنقاء تحترق وهي تقف بشموخ، إلا أن لا أحد يرى تلك النيران، منع تلك الدمعة من السقوط، أبتلع حسرتة وألمه وزفر خيبته ثم قال:

ـ صدقيني أن عمي محظوظ لأنه أستطاع كسب حبك.

ـ لا أنا المحظوظة به... لكن أنظر أنه الآن يظن أنني لا أهتم لأمره.

ـ مع هذا لن أسأل لما اتخذت قراراً حاسماً ومؤلماً فإن كان هناك شخص يستحق تبريرك فهو عمي لذا سأخبرك بشيء آخر... أعيدي التفكير مهما كان السبب أنت مجبرة علي التفكير بمن حولك لم تعودي وحدك أن رحلت لن ترحل روحك فقط ستأخذين معك صالح وعمي وأوزغور ونيسان... أضاف وكأنه يخشى الجهر.. وأنا... فكري أنك إذا ما سلبت روح عمي ستسقطين عامود أسرة بوزدا سيسقط الرجل الذي يحمل هم جميع أفراد الأسرة ويحميهم دون أن يفكر بنفسه... ستسلبين من مارت أبيه ومن جدي أبنه المفضل من عمّتي وعمي وأبي سندهم ستحرميني من أعلى أثنان علي قلبي ومن البقية عمهم وخالهم وحاميتهم... جونول دعك من التفكير بنفسك أو بصالح أو بأي شخص آخر فكري برجل أحبك وإن سألته عن معنى السعادة يعطي أسمك عن رجل نذر حياته لمساعدة الآخرين لأنه لم يجد سبباً يعيش من أجله لكن ظهرتي بحياته وأصبحت ذلك السبب... أنا أرجوك فكري بعمي قبل كل شيء.

بكت بحسره فأدار وجهه عنها لأنه لا يحتمل هذا المشهد، قالت: لقد تفوهت بتلك الكلمات بلحظه غضب لم أقصدها لكن أظنه بدأ يكرهني.

ـ أن كان الأمر يواسيك فهو لن يفعل حتى أنه في الخارج يجلس في الحديقة.

أتسعت حدقتنا عيناها وقالت: حقاً ما تقول؟.

ـ أجل أنه يأتي كل يوم يسأل عن وضعك ويمكث بالخارج حتى موعد انتهاء الزيارة... ألم تخبرك خالتك؟.

ـ لا لم تقل لي أي شيء... أعتقد أنها لم تراه.

_ربما هو من طلب منها أن لا تخبرك... علي أي حال.. قال وهو ينهض: لا تخبريه أنني أنا من أخبرتك إذا قررت الحديث إليه... قبل أن يغادر أضاف... عندما لعبنا معاً في بيت الجبل كان سؤال مارت كما أذكر "لو مرت بك صعوبات مع من تحب وأجبرت علي التخلي عنه هل ستفعل؟". عندها أجبت: "لا أتخلى أنا أفضل الخسارة علي التخلي". "...ما تفعليه الآن هو التخلي أنت تتخليين عن عمي وأخيك وعنا جميعاً. خرج وتركها مع أفكارها وهو اجسها ، تتصارع معهما لعلها تقتنع بكلام ألتان وتتخذ قراراً لا يدمر أرغوفان.

_ماذا حدث؟...سأل فور خروجه.

_تحدثت إليها ولم أسألها عن السبب لتخبر عمي أولاً.

_هل اقتنعت؟.

_لا أعلم لكن أن لم تقتنع بكلامي الآن فهي لن تقتنع علي الإطلاق.

_أخبرتها عن مكان السيد أرغوفان؟

_أجل.

_لا أدري كيف أشكرك فرغم الكلام القاسي الذي قلته لك لم تكسرنى وأتيت.

_أصلان ما فعلته اليوم فعلته لأجل عمي وليس لأجلك ضع هذا في الحسبان وأيضاً ما كنت لأترك جونول للموت حتى لو منعتني أفهمت.

غادر يحمل بداخله غضباً ، ليس من كلام جونول أو من أصلان، أو حتى من نفسه ،بل كان غاضباً من الحياة، التي جعلته يحب الشخص الخطأ، وكل يوم يستيقظ به مقسماً علي انتزاع حبه من داخله، ينتهي به اليوم مقتنعاً بأنه لا منافس لها.

أجبرت علي بذل جهد كبير لمجرد الوصول إليه ، جالساً علي مقعد أبيض اللون في الحديقة ، وقفت لوهلة تحديق به وتتأمل تفاصيله التي اشتاقت لرؤيتها ، كان قلبها يرجف كأنها تراه للمرة الأولى، كأنها قد وقعت في حبه بهذه اللحظة، أعادها هذا الشعور إلي ذلك اليوم بباحة منزلهم، حين رجف قلبها للمرة الأولى عند رؤيته، شدتها رغبة قوية في احتضانه وأن تتنفس رائحته، لكنها كانت تعلم أنه غاضب منها وبشدة ،جمعت رباطة جأشها وتوجهت إليه بهدوء، شدته من شروده قائله بأنفاسها المتقطعة:

_هل تسمح لي أيها الوسيم أن أجلس بجانبك...

قال بدهشه: ماذا تفعلين هنا؟..

نهض مسرعاً أمسكها من ذراعها ليعينها علي الجلوس ، سحبت الأنبوب المتواجد
بأنفها واحتضنته ، قاوم كي لا يحتضنها ويوضح لها أنه لا زال غاضباً ، قالت:
_ ما تفعله أنت يعجز هذا الأنبوب عن فعل...يكفيني أن أتتنفس رائحتك لأصبح بخير.
أغمض عيني ب قوة وحارب كل مشاعره حتى لا يضعف ويحتضنها زفر قائلاً وهو
يبعدھا:

_ آآآ...أجلسي حتى تلتقطي أنفاسك جيداً..

أجلسها وحمل أسطوانة الأوكسجين التي كانت تجرھا خلفھا واضعاً إياھا علي المقعد
، قالت بينما تناوله يدها ليأخذ بسكويت مالح: سمعت أنك تتناوله بكثرة حين تكون
غاضباً فهي تهدئ من روعك.
_ من أخبرك بهذا؟.

أضافت باستهزاء...في بعض الأحيان أشعر أن أصلان وفي لي أكثر من وفائه لك.
أخذھا منها مجيباً: وهو من أخبرك عن مكاني؟.

_ لا...أضافت وهي تتأمل حولها كي لا يكتشف أنها تكذب...أخبرتني إحدى
المرضات أنها رأتك هنا.
_ فهمت..

ساد صمت ثقيل لثواني وهما يتناولان البسكوت فكسرت الصمت بقولھا: هل نحن
متخاصمان؟.

_ لا لكنني غاضب.

_ مضت خمسه أيام ألم يهدأ غضبك بعد؟.

_ لا...مهما فكرت أشعر بالألم في داخلي بسبب ما قلته.

_ أعلم أن ما قلته ليس له مبرر ولا ينفع اعتذاري بشيء لكن أخي ضغط علي بشدة
فقلت هذه الكلمات بلحظه غضب.

_ لحظة غضب!!...أنت لم تتفوهي بألفاظ نابيه أو غير لائقة لتقولي "لحظة غضب"
أتركين هذا؟!..

_ أنا مدركة تماماً لخطئي لكن صدقني قلتها بسبب عادة اللسان ليس إلا.

_ ماذا تعني؟!.

_ حين كانت تحدث مشكلة وتأتي أختي عائشة لتوبخني وتقول لي "أتريدين الموت"
أعدت علي قول تلك الجملة لذا عندما ضغط أخي علي قلتها دون قصد.

أعيدوا لي قلبي

صمت لثواني ثم قال:

_ أخبرني أريغيت أنكِ أبلغتِ الطبيب بقرارك!... وهذا يعني أنها لم تكن مجرد عادة لسان؟!..

_ عادة اللسان ما قلته لأخي لكن قراري حتمي.

_ لما يا جونول؟!... صاح بها... لماذا تفعلين هذا بي؟!... برأيك هل سأكون بخير حين... لم يطاوعه لسانه علي قولها لم يستطع نطقها وحاول أن يمسك أعصابه أكمل... حتى لساني يأبى نطقها... ترك البسكويت من يده ، وزوى ما بين عينيه ثم قال: ماذا لو كنت أنا مكانك؟!... إذا ما اخترت الموت بدل النجاة لأجلك؟.

_ لا يمكنني تخيل ما سأفعل حتى مجرد التخيل مؤلماً.

_ لماذا إذا؟!... قال بانفعال... أيعقل أنني لا أعني لك شيئاً حتى تفعلين هذا بي؟.

_ لا ليس كذلك... كان صعب عليها شرح مشاعرها ، لكن في هذه اللحظة هي مجبرة علي أن تتخطى نفسها فأكملت:

_ بفضلك عشت الحياة...

رأيتها بعينيك...

وأحببتها بحبك لي...

أحببت نفسي بك...

أنا لم أكن علي قيد الحياة قبلك...

علمتني ما معنى أن نقع في الحب...

وأصبحت عيناى التي أرى بها الحياة...

أنت أنفاسي التي ما التقطتها إلا بحبك...

أنت الروح التي لم أمتلكها من قبل...

وما خلف رثاي ليس بقلب بل أنت بذاتك.

عندما قالت هذه الكلمات كان يقاتل كي لا يحتضنها أو يقبلها أو يستنشق رائحتها ، زال غضبه وتلاشى توتره بكلماتها ، ثم قال بحسره:

_ لماذا إذا؟!... لم تتكلم فأكمل... ما تفعلينه هو الدلال بحد ذاته.

نزلت دمه من عينيها ، فتمالك نفسه قدر استطاعته ، أشارت إلي صدرها قائلة:

_ أتعلم... أن أخذوه مني... سيأخذونك أيضاً.

بملاح دهشه قال: عن ماذا تتحدثين؟.

_سوف أدخل إلي غرفة العمليات ولن أخرج منها حتى لو نجحت العملية...قرأت
وسألت إذا ما أجريت العملية ستتغير شخصيتي وكل تصرفاتي حتى مشاعري...أي
أن جونول التي أحببت لن تكون سأصرف بطريقة لم تعهد لها علي سأحب أشياء لم
تعر اهتمامي من قبل وسأترك كل شيء أحببته بل والأسوء...بكت بحسره قائله:
ماذا لو لم ينبض ذلك القلب لك؟.

انتهت قدرت تحمله أحتضنها بشدة، فهم الآن أن الدافع خلف هذا القرار هو الخوف،
قال محاول أن يروى شوقه ببقائها في حضنه...سأحبك كيف ما كنت وكيف ما
تصرفت سأعيد التعرف عليك من جديد سنفهم معاً هويتك الجديدة وسأتأقلم معها
كيف ما كانت.

_ماذا إذا لم تستطع احتمالي؟.

_من يحب يصبر ويضحى أنا أحبك وأفعل أي شيء لأجلك.

سحبت نفسها من حضنه ونظرت بعينيه ، التي تلاشت منها نظرة الغضب وباتت
تحمل نظرة عطوفه دافئة ، قالت:

_ماذا سأفعل حين يأخذون مني قلبي الذي ينبض لأجلك؟.

قال بكل ثقة وهو يسبح بعينيها: يسعدني أن أجعلك تحبيني من جديد وأعدك في المرة
القادمة سأجعلك تحبيني إلي حد الجنون.

ضحكت بقهقهة خفيفة رقيقة، خبأت نفسها في حضنه الواسع قائله: لا يمكنني إلا أن
أغرم بثقتك بنفسك هذه.

نسيم المساء عليل ، ورغم أنها ترتدي سترة إلا أنه تخلى عن سترته لأجلها ، تتوسد
ذراعه يراقبان السماء في انسجام مشاعر شوقهما، كسر هذا الصمت بعد تفكير...
متى شعرت بشيء ما اتجاهي؟.

توردت خجلاً وقالت: هل الأمر مهم الآن؟.

أجاب متلاعباً بشعرها...بما أنني سأفارق القلب الذي ينبض لأجلي أليس من حقي
أن أعلم متى توترت أول مره بسببي ومتى رجف أول مره لأجلي حتى...متى وقعني
بحبي؟.

ضحكت قائله: تقول أنك تريد استغلال الفرصة؟.

_أجل يكفي أنني رجل لا يعلم متى جعل حبيبته وزوجته تقع بحبه.

_حسناً...أول مره اضطربت وتوترت...عندما أتيت لتقابل أبي خرجت من غرفتي

وكنت تقف بوسط الباحة... أردت أن أتحدث إليك لكن شيء ما شدني لك بت أنظر وكأنني أريد انتقاء لوجه فنيه... شعرت أن داخلي يرتجف وحين نظرت إلي وابتسمت بتلك الإبتسامة التي تحمل طبع الغمازة علي وجنتك... توترت بشدة حتى أنني فكرت بالهرب لو أن أختي عائشة لم تنقذ الموقف.

_يا إلهي... إذاً تقولين أنكِ أغرمتِ بي بسبب ابتسامتي... كانوا دائماً يقولون أن لي ابتسامة جذابه لكن الآن صدقت.

قالت بتعجب: من كان يقول لك؟.

توتر وحاول تفادي غلظته... أأأ... الجميع... أعني أصدقائي... العائلة.

أضافت بانزعاج: وحببياتك السابقات.

_دعينا لا نتطرق إلي مواضيع تعكر صفونا فلنكمل من حيث توقفنا... حين انبهرت بابتسامي.

_توقف عن هذا... قالت بخجل... وإلا لن أكمل.

_لا.. لا... أكملني لن أقطعك.

أكملت وهي شاردة كأنها عادت لتلك اللحظة... ذهبنا إلي المكتبة في أزمير لم أجد الكتاب الذي أبحث عنه فاقترحت أن يبحث كل منا علي حدا ومن يجده يبلغ الآخر... وجدت الكتاب وعدت لأخبرك... كنت تقف متوسد علي طرف إحدى المكاتب وتكاد أن تقارعها بالطول شارداً تطالع كتاباً ما... توقفت لأن داخلي رجف بقوة، لم تضطرب دقات قلبي مثل ما حدث بتلك اللحظة، في البداية شعرت بالخوف لكنني أحببت الشعور، أصبح هذا الشعور يلزمني طوال بقائك قربي حتى أنني كلما شعرت به ونحن نتحدث، كنت أخشى أن تسمع نبضات قلبي من شدة سرعتها... أبتسم ابتسامه متعجرفة وعلت السعادة محياها، لتقاطعها قبل أن يبدأ... أن علقته علي الأمر فأقسم أنني لن أتكلم وسأعود لغرفتي.

ضحك بقهقهة عالية ورفع يده مستسلماً وقال: لم أتفوه بكلمة... هيا أسمعك.

قالت بخجل مكمله سرد الحكاية... أتذكر حين أتيت إليك في المكتب وأردت الاعتذار عن ما فعله أو نور.

_أجل... قال بتعجب.

نظرت بعينيه مكمله... دعمتني بطريقة لم يكن بيدي خيار سوى أن أقع بحبك.

لم يتهاون في احتضانها بقوة كأنه يرغب بأن يتوحد معها وتصبح جزء منه قال:

_صدقيني لن أتخلى عنك مهما حدث وسأفعل كل ما بوسعي لأجعل ذلك القلب ينبض

أعيدوا لي قلبي

لأجلي.

احتضنته بدورها قائلة: لن أسامحك إطلاقاً أن لم تجعلني أقع بحبك من جديد.
رسم قبلة علي رأسها قائلاً:

_ هيا دعينا ندخل ليس جيد لكِ البقاء في الخارج.

شبكا أيديهما وأثناء دخولهما قالت: أليس عليك أن تخبرني متى وقعت بحبي؟
_ لكن ألم يكن الأمر واضحاً؟.

_ في الحقيقة شعرت بالأمر بعد إصابتك لكنني لم أفهم سبب تغيير معاملتك أو لما أصبحت تتحدث معي بكل وضوح حول كل شيء.

تسللت الابتسامة علي ثغره وقال: في الحقيقة ما حدث بعد إصابتني أنني كنت أظنك
تكنين المشاعر لجانير لذا تصرفت معك هكذا فالامرأة تهتم وتحب من يهتم بها
ويحبها.

_ إذاً متى؟..

_ أتذكرين حين ألتقينا في مكتب والدك هناك اضطربت ووقفت عاجزاً أمامك وما
إن غادرت منزلكم حتى وضعتك نصب عيني... ويحزنني أنك انتبعت للأمر متأخرة.
_ أتعني أن فرصة إنقاذك لي جاءتك علي طبق من ذهب.

_ لا لم أكن أخطط لأن يكون الأمر بهذا الشكل أردت أن يسير كل شيء بشكل
طبيعي لكن سارت الأمور خارج سيطرتي.
قالت متوردة الوجنتين: من الجيد أنها سارت بعكس ما خططنا له.

بعد أسبوع جاء الخبر المنتظر ، كان أرغوفان في المنزل يأخذ ثياب جديدة لجونول
؛أتصل أريغيت بصوت محشو بالسعادة والأمل... لقد تواصل معنا أحد المستشفيات
وأبلغونا أنهم أرسلوا لنا القلب وهو في طريقة إلينا.

_ هل حقاً ما تقول؟... قال بدهشة.

_ أجل يا أخي لقد ذهب فريق طبي الآن لإحضاره وأنا ذني في طريقي لأبلغ جونول
وليجهزوها للعملية.

_ حسناً أنا قادم حالياً.

تقرأ أحد الكتب كالمعتاد ، دخل مندفعاً بملامح السرور قالت بتعجب: أخي أريغيت
ما الأمر؟.

_ لقد وجدنا لكِ مانح والعضو في طريقة إلي هنا.

انهمرت دموعها فجأة قالت وهي لم تفق من صدمتها: هل حقاً ما تقوله؟.

_ أجل أتصلت بي الطبيبة حكيم زاده وأبلغتني أنها ستتخلى عن العضو لأن وضعك لا يسمح بالانتظار أكثر لكن مريضها لا زال في بداية مرضه أي أنك كنت في الأولوية.

دهشت من وقع الأسم وسألت: أ...أقلت...حكيم...حكيم زاده؟.

_ أجل لما العجب؟.

_ أتعني أنها نفسها وفاء حكيم زاده؟!.

قال بدهشة: هل تعرفينها؟!.

_ أنها...زوجه أخي.

كان جميع أفراد الأسرة متواجدين ،كذلك أونور وزليخة بانتظار وصول القلب الذي سينقذ حياة جونول ،لم تتوقف أوزبرنجي عن العبث بهاتفها طوال الوقت فقالت أوزغور بشيء من الغضب:

_ حباً بالله أتركي الهاتف من يدك.

أجابت بهمس: أحاول الوصول إلي صالح عليه القدوم قبل أن تدخل جونول إلي العملية.

_ ولما تأخر هو أيضاً؟!..قالت بغضب.

_ لا أعلم أخبرني أنه في طريقة إلي هنا.

قال أرغوفان من خلفهما: أوزبرنجي هل تحدثت مع صالح اليوم؟.

_ أجل الآن تراسلت معه ما الأمر؟.

_ أتصل به ولا يجيب هذا الأحمق لم أستطع البقاء بجانب جونول لأنني لا أعرف أين هو؟.

_ أذهب إلي جونول وإن سألت أخبرها أنه سيصل بعد قليل.. قالت أوزغور.

_ وهل قال هذا؟!..سأل متعجباً.

_ بالطبع لن نكذب عليها... هذا ما قاله... أجابت أوزبرنجي.

_ حسناً إذا سأذهب لأرى جونول.

خرجت زليخة بعد لحظات من دخوله ،لتفسح لهما المجال للبقاء علي انفراد قبل

أعيدوا لي قلبي

العملية ، جلس بجوارها علي السرير؛ مرر ذراعه فوق كتفها لتستند علي كتفه، قبل يدها وقال: أن تكوني متوترة في موقف كهذا أمر طبيعي... لا داعي لأن تخفي مشاعرك عني.

_ أنا فقط لا أريد أن أجعلك تتوتر.

_ سأتوتر وأقلق وأخاف وحتى أنني سأجن لأن هذا حقي الطبيعي فحبيبتني وشمسي وروحي ستدخل إلي العمليات ولا يمكنني البقاء بجوارها وموازرتها.

رسمت ابتسامة علي ثغرها وسألت: هل استطعت الوصول لأخي؟!.

_ أجل سيأتي بعد قليل.

_ ومتى ستكون العملية؟.

_ فور أن يصل العضو...قالوا سيصل خلال 4_5 ساعات.

_ إذا ستكون الأجواء متوترة لـ5 ساعات.

_ لا تخافي سيكون كل شيء بخير.

_ أرغوفان سأقول لك شيء.

_ أسمعك!..

_ إن فشلت العمل....

_ لن يكون هناك احتمال كهذا...قاطعها قبل أن تكمل... لا تفكري بطريقة سلبية.

_ فقط أسمعني أرجوك...تجهم وجهه ولم يتكلم فأكملت...أدرك أن الأمر سيكون مؤلماً فأنا أرى بوضوح إلي أي مدى تحبني وأدرك كل ما فعلته لنكون معاً مع هذا مهما كان الذي سيحدث لا تلقي اللوم علي أحد وبالأخص نفسك لا تنسى أنك كنت أمل للكثيرين وستظل كذلك لذا لا تقطع الأمل بالحياة ولا تنسى لديك عائلة تعتمد عليك ولديك أبن يحتاج أن تدعمه وتقف بجانبه جيداً.

_ جونول هذا يكفي أنا لا أتحمل مثل هذا الهراء.

_ عزيزي هذا ليس هراء أحاول أن أريك أن هناك أشياء أهم مني.

صاح...لا يوجد... وقف من مكانه وزفر حتى يهدأ ثم أكمل...طوال حياتي عشت من أجلهم أساند الجميع وأدعمهم ابتداءً بأبي وانتهاءً ببهار لم يفتح أي منهم باب مكتبي أو غرفتي إلا لأنهم يحتاجونني...أنتِ الشخص الوحيد الذي يأتي إلي حتى وأن كان لمجرد البقاء بجواري فأنتِ تعلمين ما أشعر به قبل أن أقول...لقد صارعت الحياة منذ صغري وحملت وزرها منذ كنت يافعاً...لم أشعر أنني حر منها إلا في

حضنك...ألا تقولين دائماً أنك تجلبين لي المشاكل صدقيني أنتِ من أسقطتِ ذلك الوزر عني...في حين يخشى الجميع سؤالي حين أكون غاضباً وقاطب ما بين عيناى كنتِ أنتِ السكينة التي تخفف حده مزاجي...إذا كانت عائلتي تعتمد علي وأبني يحتاج لدعمي ويجب أن أقف بجانبه؟!..ماذا عني إذاً علي من سأعتمد في حين أنكِ أنتِ هي بوصلتي من غيرك يدعمني ويقف بجانبى...جونول أنتِ الروح التي أحملها بداخلي ولن أقول "لا يمكننى خسارتك" بل أنا لن أخسركِ.

_ إذا دعني أكمل وصيتي.

_ جونول!...قال وهو ينظر لها بحده.

فأكملت دون أن تبالي بانزعاجه...يجب أن تسمع الطرف الآخر من وصيتي أعني إذا نجحت وتغيرت طباعى وأنت لم تجد طريقة لتتجاوب معى كافح لأجلي ولا تتركنى وإلا لن أسامحك بكل نفس أتتفسه لأنك جعلتني أعيش من دونك.

رسم علي وجهه ابتسامة ممتلئة بنشوة حب ، كأنه وقع بحبها في هذه اللحظة ، أنحنى نحوها وقبلها بقبله سريعة ثم قال:

_ أنا لا أترك أحد منتصف الطريق.

كانا متقاربان كل واحد منهما يشعر بنفس الآخر، لا يريد لهذه اللحظة أن تنتهى، وهي تريد للزمن أن يتوقف ، قالت:

_ نسيت أن أخبرك بشيء.

قال بشرود: أنا أستمع لك بكل حواسى.

دخل صالح فجأة فترجع قليلاً عندما لاحظ تقاربهما وقال بتوتر:

_ أعذر...ظننت...نسيت أن أطرق الباب.

_ تعال لا عليك...قال أرغوفان وعلي محياه ابتسامه عريضة ،تلاشت ما إن رأى الذي دخل يتعكز بعكازه ،قال بحده: أنت بأى وجه تأتى إلي هنا؟...

توجه نحوه فدخل بينهما صالح قائلاً وهو يضع يده علي صدره لإيقافه:

_ توقف للحظه أنا أحضرته لأنه أراد رؤية جونول.

قال من خلف صالح: هل سأخذ أذن منك أن أردت الحديث معها.

_ ستذكر أسم الله قبل ذكر أسمها وليس فقط أخذ الأذن للحديث معها.

_ أحي أرغوفان من فضلك دعهما يتحدثان.

_ صالح هل أنت مجنون بأى حق يأتى إلي هنا؟.

أعيدوا لي قلبي

فرك رأسه تتم بغضب: أقسم أنني سأرتكب جريمة اليوم.

لكن هذه الكلمات لم تغب عن أذنه فقال: كن رجلاً أولاً ثم تكلم مثلنا..

لم يتوانى الثاني في محاوله التهجم علي أرغوفان فصاحت جونول بأنفاس متقطعة وهي تكاد تصاب بنوبه بسبب التوتر...توقفا...نحن في...مستشفى.

توجهها أرغوفان وصالح نحوها بسرعه قال أرغوفان:

_أهدأي لا يوجد أي شيء...أنا هنا.

أمسك صالح بيدها محاولاً تهدئتها... لا داعي للخوف أنا لن أسمح بحدوث أي شيء هنا.

كان بادياً الاضطراب علي وجهه جمال الدين الذي كان يدعي عكس ذلك، لقد رأى جونول بكل حالتها لكن أن تكون شاحبه ضعيفة لا تقوى علي التنفس جيداً هزه من الداخل بقوة ، بعد أن هدأت أمسكت بيد أرغوفان وقالت:

_ما أردت أن أخبرك به أن من أرسل لي العضو الممنوح هي زوجة جمال الدين وبالتأكيد لا يمكنها فعل شيء كهذا دون موافقته.

نظر إليه بتساؤل فقال: لست عديم أحساس لأترك أختي للموت.

قال بحده: لكنك كدت ترسلها إليه كما أذكر.

_ومع هذا لم أفعل.

نهض بغضب فشددت جونول علي يده قائله: أهدأ قليلاً من فضلك ودعني أتحدث معه.

_ هذا مستحيل..

تنهد جمال الدين بقوة ،لأنه يرى أن حركات أرغوفان ما هي إلا استعراض يثير الاشمئزاز ،فأردفت برجاء: أرجوك دعني أتحدث معه علي انفراد.

نظر إلي صالح الذي أشار له بعينيه وكأنه يقول "لا تقلق أنا كفيله".

_حسناً...قال بانصياع: أنا في الخارج.

خرج من خلفه صالح ، تقدم جمال الدين وجلس بجانبها، بصمت مليء بالكثير من الاعتذارات المخفية والندم المكبوت، جلسا لوقت ليس بطويل، قالت لتتجاوز هذا الصمت:

_كيف هي رجلك؟.

_أجروا لها عملية لم تعد كالسابق بل أصبحت لي إعاقة دائمة وثلاثة أرجل...مشيراً

بالعكاز.

كيف حدث الحادث؟

بعد رحيلك بأسبوعين تقريباً ذهبت مع أبي إلي الأرض الجنوبية وفي أثناء زهابنا فقد السائق السيطرة علي السيارة فجأة وبالكاد نجونا.

هل كان عطب بالسيارة؟

لم أدقق بالأمر... دعك من هذا... عاد لصمته وكأنه يبحث عن مقدمة للحديث فقال: لم أتى للاعتذار فأنت مخطئة بقدري ما كان عليك التسلل من الحراس وتعريض نفسك للخطر مقابل بعض الكتب... أما أنا فكان علي الاستماع إليك أولاً. رسمت ابتسامة طفيفة علي ثغرها وقالت: إذا كنت قلقاً علي لأنني أعرض نفسي للخطر.

تكلت كثيراً وهذا كل ما انتبهت له... تنهد وأكمل... إذا ما حدث لك مكروه ما كان ليبقى لي وجه أقابل به صالح الذي أودعك أمانة عندي.

قالت وبصوتها تختبئ سخرية: إذا سنقول من أجل صالح!.

قابلها بنظرة حاده دون أن يقول أي شيء ، ثم قال بعد صمت:

مهما حدث لا تتخلي عن حياتك وقاتلي للبقاء علي قيد الحياة وأعرفي قيمة الحياة التي تركتها أمانة لك أدرك أننا لم نمحك حياة لائقة ولا ذكريات سعيدة لكنني أعول علي الحياة التي منحها لك هذا المتعجرف.

تقصد أرغوفان... أضافت وبصوتها الانزعاج... أجل ربما لم تكن لي ذكريات جيدة معكم ولكنني مع هذا لا ألومكم بل أفهمكم فأنا من سلبت منكم بهجه حياتكم وموطنكم.

لا الأمر ليس كذلك...

بلى... قاطعته بإصرار... هكذا تنظرون إلي فأبي كلما ازداد عمري ازداد كرهه لي لأنه يرى أنني لم أخذ حياة أُمي فقط بل أخذت شكلها رويداً رويداً حتى استنسختها منها... أما سالم فله نفس السبب لأنه كما قال لي جدي ذات مرة "كان سالم ابن أُمه ولا يجلس إلا في حضنها" أما يمان وأنت فلكما نفس السبب... لقد سلبتكما طفولتكما فمئذ رحيلها عول أبي عليكما كل شيء... ربما صالح الوحيد الذي تقبلني لأنه لا يذكر أُمي إلا كخيال وإلا ما كان ليفرق عنكم.

بعد تفكير قال: الآن لا نفع من الحديث عن الماضي ربما وصلت متأخراً لكنني أتيت في النهاية أنا هنا لأتحمل مسؤوليتي وإن كانت متأخرة كوني أخيك الأكبر سأكون هنا أن قبلت بي ولن أتخلي عن مهمتي كأخيك الأكبر.

_ أنا أدرك من أنت فخلف هذا القاسي الذي تتصنعه أعرف أنه يمكث بجوهرك جمال الدين ابن سونجول صاحب القلب الطيب والذي أعتاد أن يحميني في الظلال.

مسح علي شعرها لأول مره في حياته ، لتنزل دموع تلك الطفلة التي كبرت دون ظل أخوتها أو والدها ، أردف...سامحيني بحق ما بيننا من أخوة...سامحي هذا الجبان الذي لم يقف أمام أبيه ليحميك...سامحي هذا الأهوج الذي لم يفكر يوماً بصفع سالم ولو لمرة واحد ليكف بلاءه عنك...سامحي هذا الثور الذي نطحك ورفسك بذلك اليوم دون أن يستمع لك

وجدت الكلمات مخرجاً بصعوبة لتقول:

_ أنا أسامحك من قلبي يا أخي وأنت سامحني...سامحني لأنني سلبتك موطنك.

تلافي تلك الدمعة قبل سقوطها وقال:.. أنا أسامحك...أبتعد عنها ليهم بالخروج وأضاف...سأبقى حتى انتهاء عمليتك.

فور أن رأى خروج جمال الدين ، بخطوات سريعة دخل إلي جونول، كانت تمسح أثار الدموع التي شقت طريقها إلي ذقنها، توجه نحوها مسرعاً قال وهو يرفع وجهها نحوه:

_ لماذا تبكين؟...أردف بغضب...ما كان علي أن أسمع كلامك.

احتضنته فجأة وكأنها ترغب بالهروب من كل شيء إلي صدره الواسع ، كان حضنه هو ملجأها في الحزن والفرح في الخوف والتوتر، فهم أن تلك المحادثة حملت في طياتها أثراً مؤلماً من الماضي، وإن هذه الدموع لم يكن جمال الدين سبب في سقوطها ،بل لأن من ترتمي بحضنه جونول الطفلة ذات العيون الزرقاء الكبيرة والوجه الصغير، فهذه الطفلة التي تبكي في حضنه سمعت أخيراً ما أرادت أن تسمعه قبل 19 عاماً.

_ هل يمكننا أن نتوقف لليوم؟.

_ لما هل هناك خطب ما؟.

_ بدأت أشعر بالضيق لا أرغب بالحديث أكثر.

نظرت إلي الساعة وقالت: تبقت 3 دقائق.

_ أعفيني هذه المرة أنا حقاً لم أعد أرغب بالحديث.

_ حسناً لنستغل الدقائق المتبقية في الحديث.

أعيدوا لي قلبي

_ عن ماذا؟.

_ عنك مثلاً كيف بدأ كل شيء؟ كيف فهمت أنك لست بخير؟

_ في البداية كانت الكوابيس تراودني حتى أنني أستيقظ ألهث وكأن كلاباً كانت تطاردني ولكنني لا أذكر منها أي شيء لا أعلم ما الذي أراه حتى أستيقظ مرتعباً.. ثم بدأت أسير في نومي أحياناً أستيقظ وأجد نفسي علي قارعه الطريق أسير بثياب النوم وأحياناً أجد نفسي في الغابة أو متجهاً إلي الشركة...بدأت أخشى النوم فأكثر من العمل وبدأت بالمكوث طويلاً في العمل كي لا أعود إلي المنزل وأصبح مجبراً علي النوم.

_ وبعد هذا ذهبت إلي الطبيب؟.

_ ليس مباشرة ولكن الآن الوضع جيد منذ أن باشرت بالعلاج وأنا أشعر نفسي أتحسن حتى عائلتي تظن هذا.

_ حسناً هذا جيد...رن الهاتف فأردفت...أنتهى وقتك الآن ولكنني سأراك الأسبوع المقبل لا أريد أي حجج.

_ سأحاول أن أجعل الخميس المقبل خالي من الأعمال والمواعيد.

_ تسعدني رؤيتك ثانيةً.

_ إلي اللقاء.

الفصل الثامن

لا أستطيع أن أتحرك ، ولا أن أعود أدراجي ، وكأن أول الطريق ضاع.

كافكا

أعيدوا لي قلبي

_ظننت أنك لن تأتي!..

_أخبرتكَ المرة الماضية سأجعل جدول أعمالِي فارغ يوم الخميس.

_كل خميس؟!!

_سنرى اليوم أنا في مزاج جيد لأكمل وربما لا أكون كذلك في المرة القادمة.

_مع هذا لا يجب أن تفوت جلساتك.

_سنرى...أشار إلي الساعة...هل نبدأ؟.

_لدي سؤال أولاً...هل قابلت جونول اليوم؟...أعتدل في جلسته وقبض يديه متوتراً

وبدأ يضغط بإبهامه على كف يده ، عندما لم يجب أكملت...هل تحدثت إليها؟!.

تردد في الإجابة ثم قال: لم...أجد شيء أقوله.

_ماذا عنها هل تحدثت إليك؟.

_هي لا تتحدث معي حتى عندما أتحدث إليها لا تعرني الاهتمام أو تغادر وتتركني.

_إذا مزاجك جيد لمجرد أنك رأيتها فقط.

_أجل علي ما يبدو.

_منذ متى لم تراها؟.

_ثلاثة أسابيع.

_حسناً الآن...تفضل أسمعك.

أنقضت ساعات صعبة وطويلة علي الجميع وبالأخص علي أرغوفان الذي أصبحت روحه في فمه، نجحت جونول في صراعها مع الموت في الداخل، ليخرج الطبيب معلناً نجاح العملية لكن الأيام القادمة لن تكون سهلة، يجب أن ترتاح لوقت طويل، وسيكون الاعتماد علي الكرسي لفترة معينه، مع ضرورة تواجد نظام غذائي محدد، بعدما أنتظم كل شيء نقلت لغرفة خاصه، أستطاع أرغوفان المكوث إلي جانبها، كان يراقب نومها الهادئ كالعادة وهو يدعي أن تمضي هذه المحنة علي خير.

في المساء طرقت باب الغرفة، فتح ليتفاجأ بحضور جانير، تفحص كل منهما الآخر بعينيه؛ متقصي نوايا الآخر، إلي أن جعلتهما تنهيدة أطلقتها المريضة يهرعان إليها، كانت جونول مشلولة فوق السرير، مثل أميرة منحوتة فوق ضريحها، ذراعاها موشومة بآثار الإبر ،مغمضة العينين تلمح ظلالاً قاتمة من خلال رموشها، شعر جانير بموجه رعب اجتاحت جسده، أنه يرى المرأة التي أحب حيويتها تحولت إلي

جسد بائس يكاد يتبخر في الحجرة، لم تكن زيارة جانير طويلة لعدم ترحيب أرغوفان بتواجده.

مضت عدة أيام وأرغوفان يراقبها إلي أن اعتاد علي إدراك أدق علائم التحسن بها ، يحصي أنفاسها وإغفاءتاها، يراقب بدقة حركتها الواهنة، كان يشعر بأن تحسنها بطيء، وبدا له أنها لن تشفى بالكامل أبسط حركه لها تتسبب بألم كبير، رفض أرغوفان مساعدة الجميع حتى عائشة التي عرضت عليه أن يتناوبان في العناية بها، فأصبح راعي جسدها ، يرهاها باهتمام لا يفارقها أثناء النهار، يستلقي بجوارها في الليل علي أريكة قريبة من سريرها، ينام وأذناه لا تنام فيستيقظ لأبسط الأصوات؛ يقفز مذعوراً ما إن تغير تنفسها أو أصدرت أنين ضعيف، أعجب صالح بموقفه اتجاه شقيقته وشعر لأول مرة بأن جونول محظوظة لأنها أحببت شخصاً وفاقاً ومخلصاً مثله، حتى جمال الدين لم يتوانى في مديحه سرّاً فقال صالح "هذا ليس بالأمر الغريب فأخي أرغوفان رجل وفي يؤازر الغرباء فكيف سيكون مع أفراد أسرته برأيك" ، كان موقفه جديراً بأن يخضع له جمال الدين رغم عدم رضاه عنه.

لم يستمع لأي أحد فترك المكتب مؤقتاً حتى تتحسن جونول ، وأبلغ مكتب أزمير بأنه لن يأتي لوقت غير محدد وأوكل أوزبرنجي بالعمل هناك ، ورغم كل انشغاله لم ينسى الاهتمام بمارت حتى وإن كان من بعيد ، أما الثاني أبي إلا أن يزور والده كل يوم ولا ينفانى في دعمه وإسناده.

توقفوا عن تغذيتها بواسطة الوريد بذلك الأسبوع، تناولت طبقاً من الحساء، ساعدها أرغوفان وأطعمها بالمعلقة، في أثناء إطعامه لها، رأت تلك العروق البارزة بذراعه، ولأنها أهدى تفاصيله التي أحببتها به، ابتسمت بخجل كما لم تبتسم منذ عقد، كأنما تلك الإبتسامة أعادت إليه الروح، ما إن أنتهى حتى خرج، رغم رزانه خطواته إلا أن روحه تقفز ممتلئة بالسعادة في ممرات المشفى، توجه إلي الحديقة تغمره فرحه قد أطاحت بعقله فهوى علي الكرسي، تلك الإبتسامة حطمت حاجز من الانفعالات أستمر لأكثر من أيام طويلة، توجه إليه ألتان ما إن رأى حالته الغريب هذه، وعندما سأله لم يستطع حبس مشاعره أكثر، ودون أن يداري راح يضحك ويبيكي بأن واحد، كان تأثره شديداً وفهم ألتان حاله فقد عاش هذا الشعور قبل أيام بعد علمه أنها في طور التحسن، الممرضات المذهولات والمرضى الذين يتمشون تحت أشعه الشمس ،كذلك المرافقين للمرضى واقفين يشاهدون حالة انهيار ليست باستثنائية في مستشفى نجى بها العديد من الأشخاص بعدما فقد ذويهم الأمل بهم، بعد فترة قصيرة تمكنت جونول من المشي بضع خطوات، تسند جسدها الضئيل علي جذع أرغوفان، شحوب وجهها كان يشير إلي درجه اعتلالها، لم يكن أرغوفان يشتكي أو حتى يتذمر لا

بلسانه أو حتى بتصرفاته، يمضي معها ليالي الأرق الطويلة بحديث كل منهما عن تفاصيل من الماضي لم تسعفهما الحياة ليخبر أحدهما الآخر بها، فلم يبق ذكرى من الماضي، أو حلم من الحاضر أو حتى خطة للمستقبل إلا وتقاسماها، تبادل تسليم أسرارهما، ليس الجسد فقط بل حتى الروح مضى زمن علي تبادل تسليمها.

بعد مضى أسبوعان عادا للمنزل، رفض تسليمها لأوزغور أو حتى خديجة رغم إلحاحهما، فقد كان هو راعيها وزوجها وطبيبها، يغسل جسدها ويغبطها بعطرها الذي لطالما أحب رائحته، يسرح شعرها مرتين كل يوم، يحركها قليلاً ريثما يبذل الخدم شراشف السرير، يخرجها إلي الحديقة ما اذا كان الطقس مناسباً، ترافقها أحياناً نيسان فيشاهدان بعض المسلسلات والأفلام معاً، وأحياناً كانت تنظم لهما بهار، حتى بأحد الأيام اجتمعن الفتيات فقط وقد كانت فكرة أوزغور كأنها تعطي أخيها وقت ليتنفس مطمئناً، فقد كان يطعمها ويعرف أدنى احتياجاتها المستعجلة، كان يتلف كل إيماءة، ويقوم بكل شيء كأنه يقوم به لنفسه، لم يلاحظ عليها أي أثر للحياء، وهي لم ترى منه إيماءة تدمر، لم تجد الحاجة لتخفي حاجتها به مثل حاجتها للهواء والماء، ودون تردد تطلبه باتت ترى وجوده بجانبها ليل نهار أمر طبيعي، وإذا خرج لتستشير أوزي في شيء، كانت تسمر عينيها علي الباب بانتظار عودته، وإن أشدت عليها الألم ليلاً بحثت عن يده وهمست باسمه طالبة المساعدة، كان أرغوفان مؤمن بأن الرابط الذي ولد بينهما لا يمكن فصمه بسهولة فرغم كل شيء لقد تجاوزا الكثير ليكونا معاً، لكن رغم إيمانه إلا أن هناك هاجس بداخله يخبره أن معاناته ستبدأ بعد تعافيتها.

ثلاثة أشهر كانت كفيلة لتعود جونول إلي حياتها الطبيعية، مع أنها عادت لحياتها إلا أنها لم تعد كما كانت، لم تعد خجولة تجيب بقدر السؤال بل تشارك في الأحاديث المسائية للعائلة علي غير عاداتها، هذا التفصيل الذي أنتبه له الجميع لقد أصبحت أكثر تواصل مع الآخرين، لكن أرغوفان لاحظ تفاصيل أكثر، أصبحت تحب القهوة كثيراً وتشرب منها ثلاث مرات في اليوم، لم يعد يراها تنزوي بالغرفة تقرأ كتاباً، بل الركن الذي خصه لها في مكتبه لم تمسه يدها بعد العملية، صارت أكثر جراءة بعد أن كانت خجولة، باتت المسلسلات تجذبها وتشاهدها بانتظام رفقة كليتش بهار ونيسان، أصبحت تحب الرسم ولها شغف به ليس مجرد تصميم الديكورات بل باشرت بالعمل لتطوير شغفها الجديد، وأكثر ما أثار قلقه ليس هذه التفاصيل الصغيرة بل تغير تصرفاتها معه، لم يعد يرى اللعنة في عينيها حين يتحدث إليها، لم تعد موجودة اللهفة والاهتمام اللذان كانت تقابله به كل مرة عند عودته، يبقى مشغول

البال أثناء عمله في المكتب ويسمر عينيه علي الباب لعلها كما أعتاد تدخل وتجلس بجانبه حتى وإن كانت لا تمتلك ما تقول تسند رأسها علي كتفه وتساله عن كيف مضى يومه، كل هذه التفاصيل وإن كانت صغيرة إلا أنها الأمل له، لم يحدث بينهما أي تقارب منذ شفيت، عندما يحاول التقرب منها تؤلمه النظرة التي تحملها عينيها وكأنها تنظر إلي غريب تتعرف عليه الآن، بدا يبدو عليه الانكسار والانهزام كأن الحياة وجدت طريقة لتطيح به، صار مكتفياً برويتها سعيدة وإن كانت عنه بعيدة.

يجلس منعزلاً يراقب السماء ليلاً ، أنتشله ألتان من شروده: هل أنت بخير؟.

أجل... قال بتعجب: لما تسأل؟!.

من هنا لا يبدو أنك بخير؟.

_لا... فرك رأسه ثم أستند إلي الأمام وأكمل... تغير تصرفات جونول ومحاولة التأقلم معها أمر مرهق.

_فعلاً لقد تغيرت كثيراً... ارتسمت ابتسامة امتنان علي ثغره وهو يقول: أصبحت أكثر حيوية وجريئة أكثر مما كانت عليه أظن أنها تغيرت إلي الأفضل.

رمق ألتان بحدده وقال: يبدو أن علاقتك بها لم تنزعزع رغم تغير شخصيتها؟.

ضحك متناسياً من بجانبه... حتى أصبحت أفضل من قبل.

_كيف ذلك؟... قال وبصوته شيء من الغضب.

فهم خطأه وحاول أن يتلافى فعلته فقال: لا أقصد... أعني... أنها أصبح لديها العديد من الأصدقاء في العمل حتى أنه لنا أصدقاء مشتركين فنقضي الوقت معاً... هذا ما قصدت قوله.

نهض منتشلاً غضبه معه فلم يعجبه ما قاله ألتان تواجد الكثيرين من حولها يتسبب بتشويش عقلها ، مكث بالمكتب قليلاً ليستجمع أفكاره، ثم ذهب للغرفة كانت تجلس في المكان الذي اعتادت أن تجلس به دائماً، لكن بدل من كتاب تقرأه تمسك دفترها وترسم به شيئاً ما ، جلس قبالتها وقال:

هل يمكننا أن نتحدث؟.

أغلقت الدفتر وقالت: أنا أيضاً كنت أنتظر قدومك لأتحدث معك.

_هذا جيد... قال بتوتر وهو يمسخ يديه علي فخذة... لنستمع لكِ أولاً.

ترددت قليلاً ثم أردفت... أريد أن أمكث بمنزل أخي لفترة قصيرة... تجمد أرغوفان لم يتوقع أنه في حين يفكر بأن يقضيا عطلة خارج البلاد تطلب منه الابتعاد، أكملت حين لم يقل شيئاً... أنا أطلب منك هذا لأجل كلبنا الابتعاد قليلاً سيجعلني أفهم ما أنا

أعيدوا لي قلبي

عليه اليوم أريد أن أتعرف علي نفسي.

علي عكس ما اعتادت، لم يجادل أو يعترض حتى لم يسأل قال وهو ينظر في عينيها بدون تردد:

حسناً أفعلي ما تشائين...

حمل خيبة أمله وغادر الغرفة، شعرت جونول بألم في كل أنحاء جسدها إلا هذا العضو الجديد، تكورت فوق سريرها تحاول احتواء هذا الألم الذي لا يوجد له مسكن يسكنه وهي تبكي دون أن تدرك السبب "لقد تخلى عن القتال لأجلي".

تناولا الطعام بصمت، هذا حالهما منذ ثلاثة أيام؛ لم يقم بطرح أي سؤال عليها، ليس هذا فقط بل أنه يعاملها بجفاء، كأن صراعها مع نفسها التي باتت تجهلها لا يكفيها أصبح لديها الآن همّ صالح لتبرر له، أعدت فنجانين من القهوة، شرب قهوته في صمته الغريب ثم نهض قائلاً:

تصبحين على خير.

كانت هذه آخر قطرة من قدرة تحملها فهي لم تعد تحتمل معاملته السيئة هذه، ما إن أغلق باب الغرفة حتى فتحته من خلفه قالت بحده:

لما تفعل هذا؟

ماذا؟

لما تتعامل معي هكذا؟

_لا أنا لا أتعامل معك بل أحاول أن لا أتعامل معك علي الإطلاق...أجاب بانزعاج.

لما؟...ما الذنب الذي اقترفته؟

_ألا ترين نفسك وما أمسيتِ عليه أنا لم أعد أعرف الكيان الذي أمامي...هجرت الرجل فور تعافيك وتناسيت كل ما فعله لأجلك...لقد منعتني حتى أنا شقيقك من مساعدتك لم يهن عليه تركك لأختي عائشة أو حتى لأخته أعتنى بك كمقله عينه بل لم يتذمر حتى عندما كان ينظف قذارتك لكن أنت كيف تكافئينه بتركه خلفك كأن شيئاً لم يكن...دعك من فترة مرضك ألم يقف الرجل بين السلاح وبينك ألم يصب بسببك وإن كنتِ تظنين أنني لا أعلم بأن ابن البقال هو من طعنه تكونين غيبه وقف أمام أسرته لأجلك الرجل وقف أمامي وتحواني دون أن يرف له جفن وهو يعلم ما يمكن لجمال الدين باتصال مني أن يفعل...لم تتكلم واقفة تستمع إلي ما يقوله دون أن تبدي برودة فعل...أضاف بغضب...قفي كالصنم هكذا لأن لا جواب لك أنتِ لا

خير لك في نفسك حتى.

_"لا أريد العملية" هذا ما قلته لكم أتذكر ماذا فعلت حينها لأنني أذكر جيداً...صرخت بي حتى لو أنني ضغطت قليلاً عليك لصفعتني قلت "في نهاية هذا الأمر الموت أتدركين"...رفضت العملية لأنني أدرك أن هذا اليوم آتي...لأنني لم أرد أن أراك تقف كما الآن غاضب تحصي لي ما فعله الشخص الوحيد الذي أحبني وتركته خلفي...رفضتها كي لا تقتلني طيبة وحب أرغوفان عندما لا ينبض هذا القلب له...فضلت الموت علي أن أنظر إليه ولا يرتجف قلبي...فضلت الموت علي ألا أتعرف علي نفسي رغم أن شكلي لم يتغير...فضلت الموت علي التخلي عن كل ما أحب وأرغب بأشياء لا أعرفها...بكت بحسرة وهي تضربه علي صدره....بسببكم خسرت نفسي بسببكم خسرت حب أرغوفان وهو الشيء الوحيد الجيد بحياتي...بسببكم أتصرف بطريقة حتى أنا أجهلها...

أحتضنها بقوة بين ذراعيه وفهم أن ما هي به ليس مجرد صمت وهدوء بل إنه غضب منهم ، جلست منهارة علي الأرض فجلس بجانبها همس بحزن:

_"أنا آسف لم أكن أعلم أنك كنت تعانين."

_"لقد تركني منتصف الطريق... عندما قلت أنني سأأتي إليك لم يسأل ولم يحاول منعي. أسند رأسها علي كتفه قائلاً:"

_"هو الآن متوتر ولا يدرك كيف يتعامل مع الأمر وإلا الرجل الذي رأيت يموث ولا يتخلى عنك."

أغمضت عينيها وأراحت رأسها علي كتفه، بكت بحسره قائلة:

_"ولو كانت به ألف عله أعيدوه...أعيدوا لي قلبي."

يوم شاق فبعد عناء طويل وعمل علي مشروع جديد رفقة ارطارول، تم رفض مشروعهم من قبل مجلس الإدارة، ومع صراع لفظي طويل لم تقبل إدارة المجلس بمشروعهم لنقص نصابه القانوني، خرجت من قاعه الاجتماعات تستشيط غضباً فماذا ستفعل بكل هذا الجهد الذي بذلته رفقة فريقها وأنتهى بمشروعهم إلي الأرشيفات، صبت جماح غضبها واعتراضاتها التي لم تستطع البوح بها داخل الاجتماع كي لا تفقد وظيفتها، علي مسامح مساعدتها الذي يصغرها بستة سنوات، بعد أن هدا غضبها قالت:

_"أنا أعتذر أنت تدرك أن هذا ليس من طباعي...أضافت بتوتر كأن المحادثة تسير"

من طرف واحد... أو علي ما أعتقد أنها إحدى طباعي الجديدة التي لا زلت أتعرف عليها... علي أي حال لا تؤاخذني أدرك أن لا شأن لك لكن لا بد لشخص أن يستمع لما أريد أن أقول والأمر وقع عليك.

أبتسم ابتسامة لطيفة وقال: لا عليكِ علي الأقل أنتِ تعذرين وتدركين أن لا شأن لي مديري السابق كان يوبخني وكأني أنا من رفضت عمله ويصب جماح غضبه علي لمدة أسبوع كامل.

_ أنت سعيد الحظ لكونك أصبحت مساعدي... توقفت فجأة وانتشرت السعادة علي محياها أمعنت النظر لذلك الطول وعرض الأكتاف أشبعت روحها بتفاصيله ، يقف بالقرب من مكتبها يتفحصه، مجرد رؤيته أنستها غضبها وخيبة الأمل التي تعرضت لها، فأردفت وهي شاردة به... لأن غضبي يزول بسرعه يا أوزون.

نظر باتجاه المكان الذي شردت به وعندما رآه قال وابتسامة كبيرة علي ثغرة:

_ أنه هنا منذ بداية الاجتماع... ذهب إلي مكتبه قليلاً ثم عاد لانتظارك.

_ اجتماعنا مضى عليه الساعة والنصف... قالت بدهشة.

_ هل أطلب لكما القهوة؟

نظرت للساعة وقالت: لا... أنها الواحدة في هذا الوقت يخرج للغداء.

حاولت أن تخفي تلك السعادة من محياها ثم دخلت ، قالت:

_ أرغوفان أهلاً وسهلاً.

_ اهلاً بك... قال وهو لا يخفي سعادته برؤيتها.

تقدمت نحوه واحتضنته بحركة سريعة، جلست خلف مكتبها وسألت:

_ هل أنت هنا منذ وقت طويل؟

_ لا بد أن أوزون أخبرك... أتيت لرؤيتك وعندما لم أجداك أنهيت بعض الأمور في مكنتي ثم عدت لانتظارك.

أجابت بتوتر... ظننتك لن تقول أنك "أتيت لرؤيتي".

_ أتيت لأجلك فلما أخبى شيئاً كهذا... لكن هل أنت متوترة أم أن هذا ما يبدو لي؟... قال وبثغرة تختبئ ابتسامة.

_ لا لست متوترة لكن... لم تكن جونول علي دراية بما تشعر به الآن فكأن كل عضو بجسدها قد أشتاق له لكن هذا الدخيل يشوش كل أفكارها وحواسها حتى صوته ورائحته كأنما أدناها وأنفها قد اشتاقا لهما، أجابت بحسب جهلها للموقف... لا أعلم

أعيدوا لي قلبي

في الحقيقة لكن يبدو أنني سعيدة برؤيتك.

لم يفكر حتى بإخفاء سعادته قال وبعينيه تلك النظرة ذاتها التي لطالما نظر إليها بها وهز كيائها... أنا أيضاً سعيد لأنك سعيدة برؤيتي.

_ هل تحدثت مع صالح؟.

_ وهل يجب أن أتحدث معه؟!.

_ لا لكن ظننت أنك تحدثت إليه...

_ هل هناك شيء يجب على صالح إخباري به يا ترى؟.

_ لا... لا... أردفت بتوتر لظنها أن صالح أخبره بنوبة البكاء التي أصابتها.

قال بتعجب: هل كنتِ تظنين أنني لن آتي لرؤيتك؟... لم تتكلم ففهم الإجابة من صمتها ، أردف... طلبتِ الابتعاد قليلاً لن أكذب عليكِ شعرت بالغضب الشديد ببادئ الأمر لكن ارتأيت أن أمنحك بعض الوقت وأظن أن أسبوعان كافيان لتصفيه ذهنك.

_ أجل لكنني لا زلت أحاول فهم بعض الأمور بشخصيتي.

_ هذا طبيعي... علي أي حال... أتيت لنخرج ونتناول شيئاً ما بما أنها استراحة الغداء.

_ في الحقيقة أنا... حسناً... دعني فقط أرسل رسالة ثم سنخرج.

_ ما الأمر؟.

_ وعدت ألتان والبقية بأن نذهب للغداء معاً بعد أن أنتهي.

_ لحظه قبل أن ترسلي الرسالة... من البقية؟

_ أصدقاء ألتان وزميلتان لي في العمل نخرج معاً.

_ أخبرني ألتان قليلاً عن الأمر قال أيضاً "لديكما أصدقاء مشتركين"... أين ستلتقون؟.

_ في مكاننا المعتاد المطعم المقابل للشركة.

_ أصبح لكم مكان معتاد إذا؟... قال بانزعاج.

_ لأنه قريب من مكان العمل نجتمع به هذا كل ما في الأمر ما بك انزعجت؟.

_ فقط لم أعتد رؤية شباب من حولك.

ضحكت بغنج قائله: لا تقلق يدركون أنني متزوجة.

تسببت ضحكاتها الغير اعتيادية باضطرابه قال: لا مانع في أن تعرفيني بهم صحيح؟.

_ أجل لا مشكلة هل نمر بهم الآن؟.

أعيدوا لي قلبي

_ نعم...نمر بهم تعرفيني عليهم وتعتذرين منهم لعدم مجيئك ونگادر.

_ حسناً...هيا بنا.

توجها إلي طاولة زملائها الذين اعتادت علي الجلوس معهم مؤخراً قالت:

_ طاب يومكم... علت الصيحات بقدمها فأكملت وهي تمسك بذراعه...أردت أن أعرفكم أرغوفان زوجي...بعد أن رحبوا به أضافت...أتى ليخطفني منكم اليوم لذا أردت أن أعرفكم عليه أعلم أنكم تعرفونه سابقاً كونه رئيس المجلس القانوني لكن أردت أن يتعرف علي من أقضي وقت معهم.

لاحظا عدم تواجد ألتان وعندما سألت عنه قالوا أنه ذهب ليقدم طلبهم ، خرجا متشابكا الذراعين، كان هذا المنظر محطماً لألتان الذي لم ينتبها له عند خروجهما، أعتذر من أصدقائه مدعياً أنه قد طراً أمر هام، مضى ذلك اليوم مثل الكابوس علي ألتان، الذي يرى أن كل شيء حدث ما هي إلا فرصة ثانية وهبتها الحياة له، ولهذا لم يتهاون في التعرف علي شخص جونول الجديد ودمجها عالمه، لعلها هذه المرة تراه وتشعر به.

توجّه نحو الباب لفتحه ، قابله بابتسامته العريضة رافعاً كيس أسود قائلاً: هل تناولتما العشاء؟.

_ ستجهز المائدة بعد قليل...أدخل.

خلع معطفه مردفاً...كنت قريباً من هنا فاشتريت عصيراً أثناء قدومي.

_ خيراً فعلت...أغسل يديك وتعال.

بحث بعينه أرجاء المنزل قبل دخوله الحمام ، قال بانز عاج:

_ أين جونول أم أنها لم تعد؟!.

_ لقد خرجت لشراء بعض الأوراق أنت تعلم الرسم أصبح هوايتها الجديدة.

أنتعش وجهه والابتسامة تربعت علي محياه قائلاً: جيد تنمية مهاراتها تنفعها من أجل العمل.

فُتح الباب أثناء حديثهما قال صالح: جونول هذه أنت؟.

_ أجل أنا أعتذر تأخرت قليلاً.

_ لا عليك جاء ألتان.

رحبت به أجمع ثلاثتهم حول المائدة وأصوات ضحكاتهم تغطي علي هدوء المساء،

تناسى ألتان تنبيهات أوز غور وتوعد أصلان، بل نسى تماماً أن جونول هي زوجته عمه، أمسى يركض لتحقيق حلماً أقرب للجنون سلم نفسه طوعاً لقلبه الذي بات صوته يطغى علي صوت عقله، واتحدا حبه وعشقه ليجعلا ضميره يغط بسبات طويل.

بعد العشاء أستأذن صالح ليباشر بعمله، أعدت فنجانين من القهوة وجلسا متقابلين علي الشرفة، كان يختلس النظر إليها ويروى قلبه المريض بها، لم يكن لدائه دواء سوى أن تراه وتشعر به، كانت شاردة بأفكارها وهو بشروده وصل إلي أسم أبنهما الأكبر قد نشأ وترعرع بأزقة وشوارع برشلونة الضيقة، حتى أفاقه شبوح المشهد الذي ألم عيناه بوقت الغداء، أستعاد وعيه وقال: أخبروني الأصدقاء أنك ذهبت للغداء مع عمي؟.

_ أجل جاء اليوم إلي المكتب وعندما أراد أن نتغدى سوياً لم أشأ رده.

_ إذاً نقول هنيئاً؟...أردف محاولاً استطلاع الوضع.

_ علي ماذا؟.

_ علاقتكما باتت تتحسن؟.

_ أساساً علاقتنا لم تسوء حتى تتحسن فقط أتيت إلي منزل أخي لأنزوي قليلاً بنفسي وأفهم ما أنا عليه.

_ أنا...قال بتردد ليفهم جيداً...ظننت أن الأمر قد يصل بكما إلي الانفصال.

_ الأمور بالنسبة لي معقدة لم أعد أفهم ما الذي أريده وما الذي أطمح إليه.

أحتوى تلك الإبتسامة فلم تنفى فكرة انفصالهما فأضاف... لا عليك أنا بجانبك ومعاً سنفهم هويتك وشخصيتك الجديدة وعلي هذا الأساس تتحركين.

_ شكراً لك أدرك قلقكم جميعاً علي لكن سأستعيد نفسي شيئاً فشيئاً.

_ دعينا نغير الموضوع إذاً...بما أن مشروعكم قد فشل فأنا بحاجة لمساعدتك في مشروع.

_ لكن أليس سناء معك في المشروع.

_ أجل لكن عملها ليس جيداً مثلك.

_ لا يمكنك وضعي بموقف كهذا.

_ غداً عندما نخرج معاً سأخبرها.

_ لا هذا مستحيل لن أجعلك تتسبب بالخرج بيننا.

_ حسناً إليك الأمر... بعد انتهاء العمل نلتقي هنا وتضيفين ملاحظاتك علي المشروع وأنا أنوه لها كأنها فكرتي.

_ إذا كان هكذا فلا بأس... أساساً حدثت أرغوفان عن أمر النصاب القانوني وقال أنه سيتفرغ خلال الغد ويأتي للنظر فيه.

قال بغبطة: هل سيأتي إلي هنا؟.

_ أجل... فرك رأسه منزعجاً ثم أضاف... لكن بيننا وعد غداً سنذهب إلي المعرض سوياً لن تلغي مشروعنا بالدقائق الأخيرة لأجل عمي.

ضحكت قائله: حسناً أن تصادف موعده معكم سأغيره.

_ هذا جيد.

_ ألتان!... نادى صالح... هل أتيت بسيارتك؟.

_ لا أتيت بسيارة أجرة سيارتي في التصليح.

_ أنا ذاهب إليكم تعال لأوصلك بطريقي.

_ ما الأمر؟.. قالت جونول.

_ أريد من أوزبرنجي أن تلتفى نظرة علي ملف أعمل عليه.

قالت بتردد: لما... لا... تتصل ب... أرغوفان ليقلي نظرة عليه.

_ لأن أوزبرنجي هي المحامية التي وكتتها للوكالة وليس أرغوفان... هااا... أضاف بينما يرتدي سترته... أن كنت قد اشتقت لزوجك أتصلي به ولا تجعليني حجتك...

توردت وجنتاها وقالت بتلعثم كفتاة مراهة... لم... أقص... د... هيا ألتان كي لا نعلق بزحمه السير... خرج متجاهلاً تبريراتها الكاذبة وعلي ثغرة ابتسامة كبيرة.

في أثناء اقترابهما من المنزل سأل ألتان:

_ أخبرنا عمي بعد زواجه من جونول أن أفراد أسرتها كانوا معارضين لزواجهما.

_ هذا صحيح ولا زال الأمر علي حاله لقد رأيت جمال الدين بفترة عملية جونول.

_ لكن لا يبدو أنك تعارض الأمر حتى أنك تؤيده.

_ في البداية كنت كذلك حتى أنني سعيت لانفصالهما...

صمت ولم يكمل فقال باحتجاج: ما الذي تغير إذا؟!

_ أنا أعرف عمك منذ زمن وحين أقول زمن لا أعني عامين أو ثلاثة ففي نهاية هذا الشهر ينقضي عامنا الحادي عشر كان خير عون لي شهماً وفيأ لم أقل له أخي عبثاً

فقد كان حريصاً علي كأنه فرد من عائلتي... لكن زواجه بجونول شكل صدمه لي بخلاف إخوتي لأنني كنت آخر من يعلم فهم لم يستشيرونني بل وضعوني تحت أمر واقع.

_ ولهذا غضبت وسعيت لانفصالهما.

_ أجل لكن إصراره ووقوفه بتحدي أمامي لأجلها حتى وإن لم أظهر له بتلك اللحظة إلا أن أعجابي زاد به وارتأيت بأنه الرجل الذي يمكن أن ائتمن عليه شقيقتي وفعلاً قد أثبت لي هذا فالرجل الذي وقف بجانبها في صحتها كجبل لم يتذمر أو يشكو وقف بنفس الطريقة بل وكأنه أزداد قوة في مرضها ولم يهن.

_ نقول إذاً أن المعجبين بعمي يزدادون يوم بعد آخر... قال بانزعاج واضح.

_ يجب أن تكون فخوراً بعمك لا منزعاً منه.

قال بفرع وكان صالح قد أفاقه: لا لست منزعج منه.

_ أن كانت هناك رائحة لا أخطئها فأنها رائحة الغيرة... أنت تقول لي أخي فأستمع إلي نصيحه أخيك الأكبر... أجعل من عمك مثلك الأعلى وحاول أن تشبهه ولكن لا تفكر بأن تكون هو فكلكما مختلف أنت... أنت كما هو... هو.

_ أخي أنت فهمتني خطأ.

_ إذا كنت ستكذب علي لنتنقذ نفسك لا مشكلة ولكن إياك وأن تكذب علي نفسك... لقد حدثني عنك أرغوفان في الماضي ولو قليلاً حتى أنه يعتبرك قرّة عينه الأولى... أدرك أنك تحبه بالقدر الذي يحبك به وأحياناً نحب أشخاص لدرجه أننا نرغب بعيش حياتهم وأن نمتلك ما يمتلكون... لا أدري ما الشيء الذي يمتلكه عمك وترغب به لكن أعلم أن سعيك خلف شيء ليس لك يدمرك فقط... فمهما سعيت خلف هذا الشيء لن يكون لك لأنه من الأساس ليس كذلك.

شعر ألتان في هذه اللحظة بأنه قد أساء لنفسه ، فحتى وإن كان لم يفهم صالح فحوى الأمر؛ إلا أنه فهم أن به خطب ما، أصبحت مسألة وقت وينظم إلي مارت وأوزغور وأصلان لكن هذه المرة أن وقع بين يدي صالح ستكون نهايته حتماً.

أتصل أرغوفان بجونول ليبلغها بقدومه في المساء، ليحلا أمر النصاب القانوني، لكنها كما وعدت ألتان اعتذرت وطلبت منه أن يأتي في وقت آخر، أنزعج كثيراً عندما علم بفكرة ذهابهم إلي المعرض معاً، لكنه لم يبدي لها وحاول البقاء هادئاً وأخبرها أنه سيأتي مساء الغد، أمضى يومه يزوي ما بين عينيه ، فقد كثرت لقائتها

أعيدوا لي قلبي

بألتان وأصدقائه، وهو يخشى أن ينبض ذلك القلب للشخص الخطأ فهذه المرة غريمه الدخيل الجديد علي جسدها ومشاعرها، وأضحى الحل الوحيد لديه أن يعيد قرع طبول الحرب حتى يقع هذا الدخيل أسير له كسابقه.

ترجل من السيارة وطلب من سلجوق أن يغادر وسيتصل به ريثما ينتهي، عند صعوده تصادف مع ألتان علي سلاّم شقة صالح ، زوى ما بين عينيه وقال بغضب:

_ ما الذي تفعله هنا؟

_ آآآ...كنت...توتر أثناء إجابته...جونول تساعدني.

_ بماذا؟

ضحك بخوف قائلاً: عمي ما بك أنظر إلي...أنه أنا ألتان ألم أعتد العمل مع جونول لم يتغير شيء...وإن كنت تشك في شيء فإن صالح متواجد بالمنزل.

ربت علي كتفه وأغمض عينيه بشدة قائلاً وهو يحاول إعادة توازنه...توقف لا تهذي لم أقصد شيء لا تؤاخذني فقط أنا متوتر هذه الفترة.

_ وأنت تصبح سيئ الطباع عندما تتوتر...قال مبتسماً محاولاً تلطيف الأجواء.

_ أعتذر منك.

_ لا عليك إلي اللقاء.

غادر المبنى بخطوات سريعة أقرب منها للركض، فقد دب في نفسه خوف يشعر به للمرة الأولى، أعتاد رؤية عمه العطوف صاحب المواقف البطولية معهم ، لكن هذه المرة الأولى التي يواجه بها رهبة أرغوفان بوزدا.

قبل أن يطرق الباب فتحت له وتعلو وجهها ابتسامه طفولية ، قال وبثغره ابتسامه خفيفة:

_ هل كنت في انتظاري؟.

أجابت وهي تتلاعب بشعرها لتخفي خجلها...رأيتك صدفة من النافذة حين كنت تتحدث مع سلجوق...تفضل...دخل وبعد السلام والسؤال عن الحال قالت: سأعد القهوة.

أردف صالح وهو يهيم بالمغادرة...أنا طراً لي عمل مهم علي الذهاب.

_ أي عمل بهذه الساعة؟...قالت بتعجب.

_ أخبرتك أنني سأذهب لشريكٍ لأنهي النواقص بالوكالة.

أعيدوا لي قلبي

_ لكن ألم يكن شريكك خارج المدينة؟.

_ أجل...صهري المنزل أمانة عندك.

_ أخي...لم تكمل جملتها حتى أغلق الباب خلفه ، قالت بإجراج: أعتذر أحياناً تكون له تصرفات طفولية.

_ لا تعتذري هرب ليتركنا علي انفراد.

_ تشرب قهوة صحيح؟!..

فهم أنها تغير الموضوع فقال: حسناً أشربها كالعادة.

_ دقيقة وتكون جاهزة.

أخذت الأمور القانونية الخاصة بمشروعها حوالي الساعة ونصف الساعة ، بعد أن انتهيا نهضت قائله:

_ لا بد أنك جائع ساعد....

أمسك بذراعها وشدها من جذعها حتى جلست بجانبه، لا يفصل بينهما أي مسافه، تجمدت مكانها، فهم من أنفاسها العالية أنها قد توترت فقال بهمس: ألم يحن الوقت لنتحدث!..

ابتعدت عنه بحركة سريعة قائله: أجل لا ضير في الحديث.

_ بماذا تفكرين؟.

_ لا أعلم.

_ أدرك كل ما تمرين به أنتِ مشوشه تحاولين فهم نفسك الجديدة والاعتیاد عليها كل هذا أفهمه لكن ألم نعد بعضنا أننا سنتجاوز كل هذا معاً أما كنتِ ستعطيني فرصة لأجعل هذا الدخيل أسير لي كصاحبته.

_ أجل أذكر كل ما وعدنا بعضنا به كما أذكر أنك لا تترك أحداً منتصف الطريق.

أمسك بيدها وهو ينظر إلي عينيها قال بثقته التي دائماً ما أعجبت بها: أنا لن أتركك...دعك من منتصف الطريق...أنا لن أفرط بك طوال هذا الطريق.

_ وأنا ثقّتي بك عمياء.

أبتسم خلسه عندما لم تسحب يدها من يده قال: إذا دعينا ننهي هذا الفراق لا أقول أن نكون معاً لن أفعل هذا حتى ترين نفسك جاهزة بل يكفيني أن أراك كل يوم عندما أستيقظ وعندما أنام...ما تقومين به لا ينفع أي منا بشيء لقد تضررتُ نفسياً وجسدياً.

أعيدوا لي قلبي

جسدياً؟!...

قال وبصوته تعلو السخرية: حرفياً النوم علي أريكة المكتب يؤلم البدن.
ضحكت بقهقهة قائله: ولما لا تنام في الغرفة؟.

_أخبرتكَ من قبل لا يمكنني بدونك لا يمكنني النوم بالغرفة وأنتِ لستِ بها تجعلني
رائحتك العالقة بكل تفاصيلها أستوحش لك... ضحكت بغنج فزلزلت كيانه حتى أحمر
عنقه وشحمت أذناه، قال وهو يحاول السيطرة علي زمام الأمور: هل تضحكين بهذه
الطريقة أمام أصدقائك؟.

_لما؟!

_أحاول أن أفهم شخصيتك الجديدة... أردف بانزعاج.

_دعني أتذكر... فهتمت لما يسأل فأرادت أن تلعب بأعصابه قليلاً أكملت... أنها المرة
الثانية التي أضحك بها هكذا.

قال بحده وعلي محياه تعلو نظرة الغضب: أمام من ضحكتِ هكذا؟.

احتوت ابتسامتها وأجابت... عندما توترت في المرة الماضية أردت أن أجربها
مجدداً... ضحكت مردفه... لكن يبدو أنني عكس المرة الماضية زدت الجرعة قليلاً
لأنك لم تتوتر فقط بل اشتعلت أيضاً.

_شعرت بالغيرة فقط عندما ظننت أنك تضحكين هكذا أمام شخص آخر... ولهذا
غضبت... أليس هذا من حقي؟.

_بلى حقاك الطبيعي... وأيضاً... أضافت بغنج... أعلم جيداً سبب هذا الاحمرار غيرت
قلبي ولم أفقد ذاكرتي وهذا لا يحدث للمرة الأولى وبالطبع ليس بسبب غضبك.

_جيد وتذكرين إذاً إلي أين ستؤول إليها الأمور إن لم تتوقفي حالياً.

_حسناً... قالت بجديه بعد أن توقفت عن التلاعب به لأنها قد وجدت الأمر ممتع ولو
للحظات... هل ستبقى هنا؟.

_إذا لم يكن لك مانع.

_إذاً هل أجهز لك غرفة صالح؟.

لا...

_أترغب بالنوم هنا؟!!

_في الغرفة معك يكون جيد.

نهضت متجاهله ما قاله قائله: ستكون غرفة صالح جاهزة لذا يمكنك النوم متى شئت.

أعيدوا لي قلبي

أستلقى علي الأريكة قائلاً بصوت مرتفع: أظننا فهمنا إحدى صفاتك الجديدة وهي أنك شقية لذا أنتبهِ فعلي ترويض الأشقياء.

عادت إليه قائله بانزعاج: ظننت أن عملك تبرأت الناس.

ضحك بقهقهة عالية وقال: غيرت أسلوبى ومنذ هذه اللحظة أنتِ أول وآخر شقية أروضاها.

قاطعت عمله الذي أستأنفه في الحديقة ، ناولته فنجان القهوة قائله: مضى وقت ولم نجلس كأخ وأخته.

رشف من فنجانه قبل أن يقول: لكن ليس وقت طويل.

_ كيف حالك؟

تنهد قائلاً: علي حالى.

_ أبي وإن كان لا يظهر لكنه قلق بشأن علاقتك بجونول ويتسأل عن موعد عودتها.

_ أنا أيضاً قلق الأسبوع القادم يكون قد مضى شهرين علي مغادرتها.

_ أجل يبدو أنك تعد الأيام.

_ والساعات أيضاً.

_ كيف حالها؟

_ تبدو بخير لكنني أعلم أنها مشتتة.

_ صالح أخبر أوزبرنجي أن جونول في الفترة الماضية قد تعرضت لنوبة بكاء شديدة.

قال بفرع: ماذا؟...متى حدث هذا؟.

_ لا تجزع من فورك أخبرتك الفترة الماضية في الايام الأولى لمكوثها بمنزله.

_ ولما لم يخبرني أحد بشيء؟.

_ نبهها صالح كي لا تخبرك لأن جونول كانت محبطة من عدم قدومك لرؤيتها لهذا هو لم يشأ أن يضغط عليك.

قال بحسره: بالتأكيد قد لامنتني.

_ لا...بحسب ما فهمت تعرضت للنوبة عندما ضغط صالح عليها وقالت أنها لم تشأ أن تجرى العملية.

- _ فعلاً قالت لي هذا وأنا وعدتها بالمقابل أنني سأقف معها ونتجاوز كل هذا سوياً.
قالت بتعجب: وليس من عادتك أن تخلف بوعد قطعته؟.
- _ صدقيني أنا أصارع وأفعل كل ما بيدي مع هذا أشعر كأن الحياة تقول لي أن لا مكان لك بشخص جونول الجديد.
_ ما الذي تعنيه؟.
- _ كل ما أحاول فعل شيء أجد ما يصدني مضي أسبوعان الآن وكل ما أتصلت أو ذهبت إليها أجد ما يعقيني.
- _ لكن في الأسبوع الماضي عندما نمت خارج المنزل ظننت أنك كنت مع جونول...صاحت بانفعال...أم أنك لم تكن عندها...أعلنت من فورها النفي وأطلقت الصيحات والأهات...ما الذي فعلته يا أخي?...
صاح بها...ما هذا الذي تفعلينه سيسمعونك من بالداخل ويظنون أن شيء ما حدث.
_ ألم يحدث؟...تسألت بخوف.
- قال بغضب: اللعنة علي طباعك...أقمت مآتم علي ميت غير موجود.
- _ إذاً أين كنت؟ لا تدعي أنك كنت بالمكتب أتصلت بسلجوق وقال أنك لست هناك.
_ إذاً بالتأكيد قال أين تركني؟.
- _ أخبرني ماذا حدث إذا؟.
- _ لا شيء ذهبت لأرى أمر النصاب القانوني صالح كان متواجد أساساً ثم ادعى أن له عمل خارج المدينة وطلب مني البقاء مع جونول.
ضربته علي كتفه قائله بحماسة: يا لهذا الصالح بدأت أحب هذا الشهم.
- _ تكفيني أوزبرنجي لا تخرجي أنت علي رؤوسنا.
- _ لم أقصد بتلك الطريقة لكن علي أي حال...إذا!...
- نظر إليها بحده ، وهي تنتظر إجابته وكأنها مراهقة تراقب اعتراف بطل مسلسلها لحبيبته، قال عندما لم تتزعزع هذه النظرة من عينيها:
أتظنين أن ما أسرده لك أحد المسلسلات التي تشاهدينها مع البقية.
- _ هيا لا تقتل حماستي.
- ألقي نظره من حوله وكأنه يتفقد الأطراف ، ثم أشار لها كي تقترب ليزيد من حماسها ، عندما اقتربت قال بهمس:

- _ لا شأن لك بما دار بيني وبين زوجتي بذلك اليوم.
- _ اللعنة... قالت وهي تعود مكانها... لقد أثرت فضولي لما تفعل بي شيئاً كهذا.
- _ لأنك دائماً ما تبالغين بكل شيء ثم يقع البلاء علي رأسي.
- _ ماذا قلت الآن عندما تحدثت بتلك الطريقة ظننت أنك لم تتم مع جونول ذلك اليوم بل لعبت بذيلك.
- _ أولاً... قال بحده... أنا لست رجلاً يخون زوجته وثانياً... توقفي عن التفوه بتعبير لعبت بذيلك هذا لأنه مهين.
- _ حسناً... قالت بعد صمت... لكن لا يبدو أن علاقتكما عادت لنصابها؟.
- _ أساساً ذلك اليوم كل منا نام بغرفة منفصلة... أشعر بأني أكاد أجن... رمى قلم الحبر علي الملف مضيئاً... في ذلك اليوم ذهبت لرؤيتها عند دخولي تصادفت مع ألتان فقدت نفسي وتحدثت بحماقه مع الفتى.
- قالت بدهشه: ألتان ماذا كان يفعل عند جونول؟.
- _ أنهما يعملان معاً... وطبعاً لأنني كنت متوتراً وأنتِ تعلمين أنني أصبح سيئ الطباع عندما أتوتر... لا يطاو عني لساني علي لحظة الغباء التي مرت بذهني.
- قالت بشرود ما عجز عن قوله وبصوتها تعلو نبرة الغضب: فظننت أن ألتان يحاول التقرب من جونول.
- قال مبرراً: أقسم أنني كنت متوتراً وإلا يستحيل أن أشك بألتان أنا أشك بنفسي ولا أشك به.
- _ أدرك هذا... قالت وهي ترسم ابتسامة بالكاد تخرج علي ثغرها... ما يحدث لك قد يحدث لأي شخص كل هذا بسبب التوتر... لكن قلت هناك دائماً ما يعيق طريقك؟.. أخبرني بالتفصيل!.
- أستند للخلف قائلاً: لا تنظري إلي مبالغتي بالأمر أنها أمور عادية فقد أصبح لجونول أصدقاء تتجول معهم ومنهم أصدقاء مشتركين مع ألتان.
- _ وألتان من بين هؤلاء الأصدقاء؟... قالت بتعجب.
- _ أجل... حتى أنني أشعر مؤخراً أنهم يعقونني عن جونول بشكل جماعي.
- ربتت علي فحذه قائله: لا تقلق ما هي إلا مسألة وقت وتعود الأمور إلي نصابها ولن أتهاون في مساعدتك.
- _ أقدر لك هذا.

أعيدوا لي قلبي

_ هل ستذهب غداً لرؤية جونول؟

_ لا سأذهب إلي أزمير يتعرض المكتب لقضية مالية هناك وعلي الوقوف للأمر
بنفسي.

_ وستترك جونول هنا؟.

_ لن تقبل أن طلبت منها القدوم لذا غيابي قليلاً عنها سيجعلها تحدد أولوياتها.

دخلت بغضب لغرفته ، كان يجري اتصالاً في الشرفة ، ففهم من محياها أن هناك
خطب ما ، أستعجل بمكالمته ودخل قائلاً:

_ أوز ما....

لم ينهي سؤاله حتى أطاحته صفعه من يدها علي الأرض ، نهض بصدمته متسائلاً:
_ ما الذي فعلينه؟.

_ لعل هذه الصفة توقظك يا عديم الأخلاق.

_ ما الأمر ما الذي فعلته؟.

_ أنت لعين تثير اشمزازي هل تعلم ماذا قال عنك أرغوفان "أنه قررة عيني أشك
بنفسي ولا أشك بالأتان" هذه كانت جملته حرفياً وهو يلوم نفسه علي شكه بك بثانيه
وأنت عديم شرف لا تستحق ذرة من ثقته.

_ عمتي!...

قاطعته مكمله: لن أقول أنك ابن أخي ولا أشفق عليك ستقطع علاقتك بجونول كلاماً
وسلاماً ولو رأيتك تقف في نفس المكان معها أقسم أنني أذهب لصالح وأخبره بدناءة
نفسك وعندها سيريك عقوبة عدو العرض بحسب أصولهم...ختمت دخولها بتزيين
وجه ألتان بالبصاق قبل أن تضرب الباب بقوة خلفها.

مضى يومان وجونول لا تستطيع الوصول إلي أرغوفان، هاتفه مغلق طوال اليومين
الماضيين، وليس من عادته عدم القدوم ولو لشرب قهوة المساء معها، يتبادلان
أحاديث وإن كانت قصيرة إلا أنها تكون مشحونة بمشاعر يعجز الدخيل الجديد علي
فهمها، بعد صراع طويل مع نفسها أتصلت بمارت والذي كانت مكالمته محشوة
بالجفاء، لأنه يرى أنها المرأة التي كافح والده لأجلها قد تركته دون النظر خلفها،
كانت تعلم مسبقاً أن جل الأسرة يظنون بها نفس الظن باستثناء أوزغور التي تدرك

مشاعرها وتفهم تشوشها بهذه الفترة ، وأريغيت الذي تجبره طبيعة عمله علي فهم ما يحدث معها ولا يقدم بحقها أي أحكام مسبقة، بل يدافع عن وضعها أمام أسرته وعن كونها لم تتخلى عن أرغوفان...لم تطل في الحديث معه أخبرها أن والده في أزمير منذ يومين بسبب وضع قانوني للمكتب وإنها أن أرادت التواصل معه عليها الاتصال أما بسونيا أو أصلان...ما إن أغلقت الخط حتى أتصلت بأصلان الذي اعتذر قائلاً "أنا لست مع أخي أرغوفان فلدي عمل طويل بتشكورفا أتصلي بسونيا لتخبره وهو سيتصل بك"...انتظرت حتى المساء ثم أتصلت بمنزل أزمير، بعد وقت أجابت سونيا: مرحباً.

_ مساء الخير أختي سونيا هذه أنا جونول.

_ أه جونول أبنتي كيف حالك؟.

_ بخير وأنت؟.

_ الحمدلله...أتصلت من أجل السيد أرغوفان صحيح؟.

_ أجل هل هو في المنزل؟.

_ أجل أنه في خضم اجتماع أنهم يمكثون لساعات طويلة ومنذ البارحة السيد أرغوفان لم ينم ظل يعمل طوال الليل.

سألت بقلق: هل يأكل جيداً؟.

_ أحياناً.

_ بالتأكيد يطلب القهوة بكثرة لذا أعطيه بعض العصير والاعشاب المنقوعة فالقهوة تضر به أن أكثر منها.

_ حسناً لا تقلقي أنه بأيدي أمينه.

_ سأعيد الاتصال به في الغد لعلي أجده متفرغاً.

_ هل أبلغه أنك أتصلت به ليعاود الاتصال بك؟.

_ لا يوجد داعي أردت الاطمئنان عليه ليس إلا.

_ إذاً أتصلي في المساء ففي الصباح لا يتواجد بالمنزل.

_ حسناً طاب مساءك.

يوم آخر ثقيل لم ترى أرغوفان أو تسمع صوته، كان الشوق يلفها وتتخبط بمزاجها المعكر، عندما ذهبت للعمل فهم رفقتها الجدد أنها ليست بمزاج يسمح لهم بالمزاح والضحك، عادت إلي المنزل وأغلقت فور دخولها علي نفسها بالغرفة، لكن الزائر

الذي أبلغها صالح بقدمه عكر أجوائها الكئيبة، لم يهنئ لسناء بال ولم تستطع ترك صديقتها وهي تعلم أنها تعاني بسبب شيء ما، حاولت أن تجعلها تتحدث لعلها تجد عندها الحل، أخبرتها بهمها فقالت:

_ الأمر بسيط أتصلي برقم الخادمة الشخصي بمكالمة فيديو فإن كان في اجتماع كما تدعى ستجيب وتريك إياهم من بعيد عندها تطمئنين أنه لا يتهرب منك.

_ وإن رفضت أو أخرجت حجه يعني أنه لا يرغب برويتي... قالت بقلق.

_ هذا وارد فربما يرى أنك تتدللين عليه والرجال لا يعجبهم الدلال الزائد.

ترددت خوفاً من الاتصال لكن إصرار سناء أجبرها علي الاتصال، بعكس ما توقعنا لم ترفض سونيا أو تخرج أي حجه، أدارت كاميرا الهاتف باتجاه الصالون لترى كلتاها، كيف أن المحاميين مكتظين ويوسطهم أرغوفان منغمس بشرح شيئاً ما لهم، تساءلت وبصوتها يختبئ البكاء:

_ هل ينام جيداً؟.

_ عندما أتيت في الصباح وجدته نائماً علي الأريكة.

_ هذا يعني أنه نام بعد طلوع الفجر... ماذا عن الأكل؟.

_ أنه يأكل وجباته بانتظام.

_ والقهوة؟.

_ في البداية رفض فكرة استبدال القهوة لكن عندما أخبرته أنك أنت من نبهتني رضح بسرور لشرب الأعشاب.

_ حسناً شكراً لك أختي سونيا أنه في أمانتك.

_ لا تقلقي..

ما إن أنهت المكالمة حتى قالت سناء: والآن هل هدى روعك ولو قليلاً.

قالت وهي تحاول منع نفسها من البكاء: عندما رأيته يقف وسط أولئك الأشخاص شعرت بشعور غريب بداخلي... انهارت باكيه بين ذراعي سناء قائله: لقد اشتقت له بشدة.

نجحت محاولات سناء في تهدئتها ثم أردفت... لست ضالعه بأمور الطب ولا أعلم شيئاً عن ما يحدث للمرء بعد زراعه قلب ليس له لكن بعد كل الأسئلة التي طرحتها علي الخادمة وبكائك بلهفة عليه بعدما رأيته من بعيد صدقيني لو وضعوا لك ألف قلب غيره لن يتغير حبك لهذا الرجل فيبدو أن حبك له تعد القلب وأحبيته بكل كيائك.

ماذا أفعل إذا؟.

أنت تعلمين المكان المتواجد به زوجك لذا أفعلي كل ما يجب عليك فعله.

أستحم بمياه ساخنة ورمي جسده المتهاك علي السرير، ما إن لمس رأسه الوسادة حتى نام كالميت... مع بلوج الصباح أستيقظ علي رائقها، لم يفتح عينيه وظل ينتشي بهذه الرائحة التي قد أشتاق لها، أبتسم بامتنان لهذا الهديان الذي أصبح عادة لديه فور استيقاظه، فتح عينيه ببطء، تلف ذراعها حوله ويشعر بأنفاسها بعنقه، كما اعتادت تتنفس رائحته، بهدوء مرغ أنفه في شعرها الحريري، أستنشق رائحته بقوة حتى شعر بها تنتشر في عروقه، دون أن يقاطع هذا الهديان الذي أصابه غادر فراشه بهدوء، منذ أن ابتعدت جونول وهو لم يعد يكتفى برؤيتها في الحلم بل أصبح يهذي بها، قبل عدة أيام أستيقظ وراءها تجلس علي طرف السرير تنظر إليه بشوق، قفز نحوها غير مصدق ما يرى لتوقظه الأرض من هذيانه بعد سقوط مدوي عليها، بعد هذه الحادثة والعديد اللاحقة منها توقف عن إبداء أي ردة فعل عند رؤيتها بعد استيقاظه، حتى وإن كان ما يراه ويلمسه مقارب للحقيقة إلا أنه في لحظه حماسية يتضح أنه مجرد وهم صنعه عقله ليخفف من شوقه لها، توجه إلي المطبخ فور أن أستحم وبدل ثيابه، شرب قهوته بهدوء وهو يقرأ آخر الأخبار العاجلة، ساعته نظارته حذائه بعد أن ارتداهن حمل حقييته وما تحتويه من وثائق ستنقذ مكتبه، وهو في طريقة للخروج أستوقفه شيء علي الباب، خلع نظارته الشمسية ونظر بدقة نحو حذاء نسائي أبيض اللون، رفع بصره ببطء نحو حامله الثياب، لا يمكنه أن يخطئ هذا المعطف الوردي، أقترب منه وبين ضلوعه تدوي الصافرات أغمض عينيه منتشي برائقته، أجل أنه نفس المعطف الذي اشتراه لها في أولى أيامهما هنا بهذا المنزل، خرجت للتسوق لكن الأموال التي بحوزتها لم تكن كافية له، فكان أول شيء يشتريه لها بصفته زوجها، اضطرب وأعلن داخله النفير العام رغب برمي الحقيبة من يده والصعود ركضاً إليها، أن التي أستيقظ ووجدها بحضنه كانت جونول حقاً ولم يكن يهذي، لكنه لم يستطع تنفيذ كل ما جال بباله، ألنقط حماسته وهيجان مشاعره واضطرابه توتره وخرج ، ظن سلجوق من محياه الذي تعلوه السعادة أن ليلة سيده كانت طويلة وبفضلها شحن بالطاقة والحماسة، وبنفس الوقت شعر في داخله بشيء من الحزن علي جونول وما تعرضت له من خيانة بحسب ظنه.

صعد بسرعه بعد أن رمى الحقيبة وخلع حذائه بسرعه كبيرة، فتح باب الغرفة ببطء، لم يكن حلاماً أو وهم خلقه له عقله، بل أنها هي بذاتها، خلع سترته وربطه عنقه،

احتضنها بقوة وهو يشتم رائحتها تارة ويقبل رأسها وعنقها تارة أخرى، كان يحتاج وقتاً طويلاً ليزيل هذا الشوق الذي تأكله، استيقظت علي وقع قبلاته وأحضانها... صباح الخير... قال وبثغره تلك الإبتسامة التي تثيرها دائماً.

_ صباح الخير... أجابت.

سأل وهو يعيد احتضانها... متى أتيت وكيف؟.

_ مع بزوغ الفجر... وكيف؟... أخبرتك من قبل أصلاً وفي لي أكثر من وفائه لك.

_ صدقيني بما أنه هو من أحضرك لي فلو قتلني بأمر منك لا أحزن بمقدار ذرة.

_ وهل أفرط بك؟... أضافت وهي تحتضنه.

قال بتعالي: وهو كذلك لا يفرط بي.

ضربته علي كتفه قائله: يا لك من متعجرف.

تركها وأبتعد عنها قليلاً، قبل أن تجرفه الحماسة وقبل أن ينقله الشوق واللهفة لها إلي ما لا يمكنهم العودة منه، أراد أن يفهم فسأل بصوت بدى الجد به:

_ سأسألك شيء ولكن لا تفهميني خطأ... أنا سعادتي اليوم برؤيتي لك في حضني فور استيقاظي إذا وزعتها علي العالم ستفيض...

أكملت من خلفه... لكنك ترغب بمعرفه سبب قدومي المفاجئ.

_ وأرى من حقي أن أعلم من أنا الآن بالنسبة لك.

اعتدلت في جلوسها واقتربت منه وهي تتغنج بالتلاعب بلحيته الخفيفة... أنت لا زلت أنت ذلك الرجل الذي جعلني أضرب بباحة منزلنا ونفسي الذي نسيت كيف أتنفس بذلك اليوم بالمكتبة وكلما أكون بقربه... أنت نفسه الذي سكن روحي يوم شجعني وأزرني بطريقة لم يقم بها شخص آخر... باغتنه بقبله طويلة تهدئ بها شوقها ثم أضافت وهو بسكرة القبله... ليس قلباً جديداً بل لو وهبت لي الحياة ألف مرة سأختار في حيواتي الألف أن أحبك... وقد كنتُ مخطئة حين ظننت أن حبي لك كان يسكن بذلك القلب وحده بل فهمت... أنني أحببتك بروحي والروح لا تنسي.

استيقظ بعد ساعات من النوم، ارتسمت ابتسامة علي ثغره عندما تذكر المغامرة التي خاضها ولن تكون الأخيرة، نظر من حوله فلم تكن فقفر بفرع "هل ما عشته قبل قليل كان حلاً" "الأمر لم يعد مجرد هذيان لقد وصلت لمرحلة الجنون"... أنتبه إلي ما أصاب السرير ابتسم ابتسامة عريضة رمى جسده علي وسادته، أثر الإعصار الذي مر علي هذه الشراشف دليل علي أن الحرب التي خاضها وانتهت بإطلاق

نصره تزامن مع اسمه الذي خرج من حنجرة جونول بنشوة لم تكن مجرد هذيان أو حلم بل واقع لن تكون له نهاية.

جلس بجانبها في صمت وهي تتلاعب بالهاتف، انتبهت لقدمه لكنها لم تعره أي اهتمام، بقي صامتاً قليلاً ثم قال:

_ لا أدري ما الذي دفعك لفعل ما فعلته بي لكن أتيت لأبرى نفسي لكِ.

_ لكن ألم تتأخر؟.

_ انتظرت أن تهدأ نار غضبك قليلاً... لم تتكلم فأكمل... ظننت أننا حللنا كل شيء بعد الحادث فما الذي دفعك للهجوم علي وصفعي بالإضافة إلى تهديدي؟.

_ إذا كان أخي قد شك بتصرفاتك فهذا يعني أننا عدنا إلي البداية.

_ هل لأجل هذا صفعنتي.

_ وأقطع عنقك أيضاً.

_ لقد كان عمي يعيش حاله من الارتباب ويشك بكل شيء وكل أحد برأيك بعد كل ما حدث هل لا زلتِ تظنين أنني أسعى خلفها.

_ ألتان أن كنت صامته لا يعني أنني لا أرى فقط لأنك تراها بجانب عمك أصبحت جيفه أكثر من كونك إنسان.

_ ألا يمكن أن يكون السبب أنني أأكل من الداخل بسبب ضميري.

_ عزيزي الحب أعمي ويجبرنا أحياناً علي فعل ما لا نحمد عليه.

_ أوز لقد صفعنتي العديد من المرات في حين أن أمي لم تفعل ولو لمرة واحدة في حياتها ولهذا أراكِ كأم ثانية لي بكيت في حضنكِ عليها وتحسرت في حضنكِ علي نفسي وما أفعله بعمي لكن أنا لا يمكنني صدقيني حاولت ولم أنجح أنها لا تخرج من قلبي... أكمل قبل أن تبدأ بإصدار الأحكام عليه.. لذا قررت أن أدفن قلبي بدلاً عن دفن حبها أعدك عمتي لن أنظر إليها إلا كزوجه عمي ولن أكون إلا كما يليق باسم بوزدا لكن مهما حدث في المستقبل لا تتهميني دون أن تسأليني ولا تصدقي كل ما تسمعيه عني.

احتضنته أوز غور قائله: أه يا صغيري رغم كل ما يحدث ستبقى أنت قررة عين هذه العائلة ولا يمكننا بدونك.

أغمض عينيه بقوة متأماً لكذبه علي أوز غور لأول مرة في حياته لعل ثقته بها توظف

ضميره من سباته، ويعذبه ليحقق ما قاله.

مر بجانب مكتبها لكنه لم يراها، نظر لساعته فيستحيل أن تكون تأخرت، ربما لديها اجتماع أو هي خارج المكتب فقط، بحث مطولاً عن أوزون لكنه لم يجده، رءاه شاهين مختاراً فأثاه متسائلاً:

_ سيد ألتان هل هناك خطب ما؟.

_ لا...كنت أبحث عن أوزون.

_ أتقصد مساعد السيدة جونول؟

_ أجل!..

_ لن يأتي اليوم.

_ لما هل هناك خطب ما؟.

أبتسم قليلاً وقال: عندما يكون رب عمله غير موجود فلماذا سيأتي؟.

_ لم أفهم!...جونول أيضاً ليست موجودة؟.

_ يبدو أنه لا خبر لك...مُنح للسيدة جونول إجازة لمدة ثلاثة أيام لأنه قد أتضح أن لا خلل في نصاب القانوني لمشروعها تم قبول المشروع وقدمت لها ولفريقها هذه الإجازة مع الراتب كاعتذار من مجلس الإدارة للشركة.

_ فهمت...لم أسمع بالأمر لذا تعجبت.

_ إذا كنت لا تحتاج لأي شيء فعن إذنك.

غادر شاهين وأتجه الثاني إلي مكتب سناء، طرق الباب ثم دخل متسائلاً:

_ ما أخبار العمل؟.

قالت وهي تفرد جسدها من فرط العمل: أننا نموت هنا.

_ هل نأخذ استراحة؟.

_ لا أن عادت جونول ووجدت أنني لم أنهى هذا ستقتلني.

_ آه سمعت قبل قليل لديها إجازة.

_ إذاً لم تسمع بالنبأ الرئيسي بعد...قالت بحماسه.

_ أي نبأ؟!.

_ إذاً فلتكن أنت أول من يعلم...ليلة البارحة قمت بتغليف جونول وأرسلتها.

أعيدوا لي قلبي

_ ماذا لم أفهم من غلفتِ وإلي أين أرسلتِ؟.

_ قدرة إدراكك بطيئة لقد أرسلتها إلي أزمير.

_ لماذا؟... قال بتعجب.

_ إما أنك لا تستطيع أن تفهمني أو أنك غبي بالفطرة.

_ سناء حباً بالله تحدثني جيداً.

_ جونول وعمك معاً الآن في أزمير.

قال بصدمة: معاً... كيف معاً؟.

أتسعت عيناها وهي تحاول استيعاب إجابة لا تتسبب بجعل الموقف محرّجاً بينهما
فقال بتروبي:

_ ألتان... أنت رجل بالغ يعني... عندما أقول أرغوفان... جونول... معاً... ليس بحاجة
للشرح أعتقد!!.

استفاق من صدمته معتذراً: تشوشت للحظة أعتذر بالطبع فهمت الأمر لكن ما شأنك
بالأمر.

_ أنت لم تأتي بالأمس كانت جونول بمزاج حاد وسيئ وقد غادرت باكراً...

لم يعد ألتان يسمع ما تشرحه سناء كان يرى انفعالاتها وهي تشرح الأمر لكنه شعر
بأن في داخله حريق لن ينطفئ حتى بعد مئة عام....

"ألم يأن الأوان يا من يقبع بين أضلاعي..."

أما أن لك أن تستفيق من حلم لا يمكن تحقيقه...

أم أنك تنوي أن تنهي حياتك بأمال زائفة...

أم أنك تريد أن أعينك علي وقف نبضاتك التي لم يعد لها داعي."

عاد لوعيه فسمع... حقاً أتضح أنها تحبه بكيانها ولا علاقه لقلبها بالأمر... أضافت
ممازحة... لو أحببت رجلاً يكبرني بالسن فهل سيحبني كأرغوفان ويجعلني أحبه مثل
جونول.

قال بجدته: هذا مستحيل لأنك لستِ جونول ولن تجدي رجلاً كأرغوفان بوزدا..

خرج قال لمساعدته وهو يمر بمكتبها: ألغي جميع أعماله لليوم..

ناداه شاهين من خلفه:

_ سيد ألتان دعني أوصلك إلي حيث تريد الذهاب بما أنه لا يوجد معك سيارة.

فور وصوله توجه إلي غرفته، دخل إلي الحمام وأستحم بمياه باردة لعله يطفى هذه النار التي تتأكل بداخله، وكل ما يتردد في أذنه كلمات سناء "جونول وعمك معاً الآن"، بقي طويلاً لكن المياه لم تجدي نفعاً، أرطدى ثيابه وخرج، وهو ينزل من السلالم شعر بأنفاسه تضيق شيئاً فشيئاً، ثم بدا له ظل جونول وأرغوفان كأنهما يتناغمان يتدللان ويتغزلان ببعضهما، أفاقته من هذيانه نيسان وهي تمسكه من ذراعه... هل أنت بخير؟... يتصبب عرقاً وأنفاسه لا تكاد تلتقط، أعانته حتى أدخلته غرفة المكتب... أنتظر قليلاً سأعود حالاً... خرجت مسرعة لتنادي والدها، ودون إثارة للجلبة والقلق أحضرت أريغيت إلي المكتب، لم يفهم سبب جر أبنته له نحو المكتب علي عجل حتى دخل، توجه إليه مسرعاً... ما الذي حدث؟... سأل وهو يتفقده أجابت بخوف... لا أعلم لم يكن بخير حين وجدته علي السلالم.

بعدما تفحصه جيداً قال لنيسان:

_ أخرجني وأغلق الباب خلفك.

_ لكن يا أبي!.

_ أفعل ما أطلب منك ولا تقولي لأحد عن أي شيء... خرجت نيسان بهدوء كما دخلت، فأمسك برأس ألتان وقال: ابن أخي أنظر إلي يا من يفديك عمك أبكي ولا تكتم بداخلك لن تتنفس حتى تبكي هيا أبكي.

أجهش بالكباء بلوعه، أحتضنه أريغيت بصمت دون أن يسأل عن أي شيء، بعد أن أزاح تلك الغيمة السوداء عن صدره عاد تنفسه طبيعياً، ناوله كوباً من الماء وقال بعدما شرب:

_ البكاء هكذا ليس سهلاً علي رجل في سنك... أترغب بأن تخبرني عن السبب أو من تسبب بهذا الألم؟.

بعد صمت وهو يفكر قال: أيمن أن أخبرك دون أن تطرح أي سؤال؟.

_ حسناً سأستمع دون أي أسئلة.

_ قبل قليل فقدت الفتاة التي أحبها وللأبد.

أبتلع أريغيت صدمته، فخير كهذا يهز الرجل وإن كان كالجبل فكيف به وهو في بداية حياته أن يكمل حياته والفتاة التي أحبها ماتت بحسب ما فهمه منه... قال وبصوته ألم:

_ قلت لن أسأل ولكن اعتبره استفسار وإن كنت لا تريد أن تجيب فلا مشكلة... هل كنتما حبيبين؟.

أحتضن وجهه بيديه باكياً، مسح وجهه ونهض مجيباً:

_ لیت كانت لي الشجاعة لأخبرها أنني أحببتها بكل جوارحي... لكن ماذا ينفع ندمي بعدما خسرتها للأبد... خرج ألتان يجبر ألمه وحزنه خلفه.

قضيا أرغوفان وجونول ثلاثة أيام في أزميز، وقد شرعا بتأسيس مشروعهما الجديد "جانسو"، في اليوم الذي يريدان المغادرة به؛ ظهر أمر طارئ لأرغوفان في المكتب فطلب من سلجوق أخذ جونول إلي المطار وهو سيوافيهما هناك، نفذ سلجوق الأوامر فور تلقيها حمل الحقائب للسيارة وأقل جونول معه إلي المطار، في الطريق خرج سلجوق عن صمته متسائلاً:

_ متى أتيت إلي هنا؟... أرفد مبرراً... أعذري فضولي فقط لأنني لم أراك حين أتيت.

_ لا بأس... أتيت فجر يوم المحكمة أي قبل أربعة أيام.

_ في الفجر؟.

_ أجل أتصلت بأصلان وهو تكفل بسائق الطائرة ليقلني إلي هنا.

قال بارتياح: آه إذا كنت أنتِ بذلك اليوم؟.

_ لم أفهم.

_ صباح يوم المحكمة خرج السيد أرغوفان سعيداً عكس الأيام التي تسبقها لذا تساءلت عن السبب وفهمت الآن عندما قلت أنكِ أتيت في الفجر.

_ وهل هناك سبب آخر برأيك؟.

_ لا علي الإطلاق سيدتي لم أفكر حتى التفكير بسبب آخر لأنني أدرك جوهر سيدي..

ضحكت جونول فهي تدرك أن إجابته جاءت للحفاظ علي عمله فقالت بعد أن تذكرت:

_ عندما ذهب أرغوفان إلي تشكورفا أعني في الأسبوع الذي تزوجنا به هل كنت أنت معه أم أصلان؟.

_ أنا سيدتي لما تسألين؟.

_ مذ تقابلنا وأنا موقنة أنني رأيتك من قبل لكن الآن تذكرت لقد تصادمنا أمام باب أحد المتاجر بالسوق المسقوف.

_ بالسوق المسقوف... قال بتوتر... لا أذكر أنني ذهبت.

_ بلى أنا أتذكر الأمر بوضوح حتى أنه بسبب اصطدامي بك أنتبه حراس أخي لي... أنظر إلي الصدف.

أبتسم بتوتر قائلاً: أعذر منك أن كنت السبب في ما حدث معكِ سيدتي.
_ لا داعي لتعتذر إذا ما نظرنا للأمر الآن فلك الفضل في اجتماعي بأرغوفان.

ما هي إلا ساعات حتى وصلا إلي المنزل، بعودتها عادت السكينة للمنزل فالجميع دون استثناء يكره رؤية أرغوفان متوتراً، وأكثر الأشخاص سعادة بعودة جونول كان علي أشرف، الذي خشى في قرارته وإن لم يفصح لأحد؛ أن تنفصل جونول عن أبنه بالأخص بعد أن أحبها وبات يعتبرها قرّة عينه ولا يفرقها عن بناته، كانت العائلة مجتمعة دون نقص يتحدثون ويتمازحون بأجواء عائلية مشحونة بالود، لاحظت جونول من خلال نافذة الحديقة قدوم أصلان فهي لا تخطئ ضخامته ولا عدوة المميز، تسللت للخارج ورحبت به بحفاوة غير معتادة، أخبره أرغوفان أنه قد بات لجونول تصرفات جديدة لم يعهدها عليها أحد، فظن أن هذا الترحاب الغريب من أسبابه تغير تصرفاتها ، توتر قائلاً:

_ عذراً لكن هل هناك خطب ما جونول؟.

ضحكت بقهقهة قائلة: لا يجب أن تقول هذا كان يجب أن تقول...حاولت تقليد صوته...لقد كبرت أيتها الشقية علي أن أحملك علي كتفائي.

أتسعت عيناها بدهشة قال وبصوته نبرة بكاء: هل تذكرتني أخيراً أيتها الشقية؟.

احتضنته قائلة: ليس كل شيء ولكن تذكرتك بكل وضوح.

_ كيف ذلك؟...قال بدهشه.

_ بعدما أجريت العملية كنت شبه مستيقظة وأحياناً أصارع كوابيس من الماضي وقد تذكرتك بأحلامي حين كنت أغضب عندما لا تضعني علي كتفك فأناديك بـ"قطتي". تبادل الضحكات...أضافت...لهذا السبب دهشت حين رأيتني في منزل أرغوفان بأزمير أول مره لأنني لم أعرفك.

_ أجل في الحقيقة ظننت أنك لم تذكريني ثم فهمت لاحقاً أنك فقدت جزء من ذاكرتك...تمالك نفسه عن البكاء وقال: هل أقول أنك أمانة الخال أم أنت من راحة سونجول؟.

أمسكت بذراعه قائلة وهي تتمشى معه للداخل: إذا نظرنا لمن هو أقرب إليك فعلي الرغم من أن أمي أعز أصدقائك فأن جدي كان الأب الذي لم تحظى به.

أحتضنها وهما يمضيان قائلاً: أخ يا أمانة الخال.

بعد العشاء اجتمع أرغوفان بأصلان ليبلغه بأخر التطورات ، قال أصلان:

أعيدوا لي قلبي

_ لقد فعل المفوض كما توقعنا لقد ترك البحث عن الذراع اليمنى للخال وأتجه للوصي من فوره.

_ إذاً قد نفذت خطتك؟.

_ بالطبع سيدي وضعت أمامه عقبات أضاعت أي أثر يحتمل العثور فيه علي الوصي.

_ لا أدري حقاً كيف أشكرك يا أصلان.

_ لا داعي سيدي فأنا أحمي أمانة الخال.

قاطعهما طرق الباب فقال أرغوفان: تعال... دخل سلجوق وعلي وجهه تبدو ملامح التوتر... سأل بقلق: هل هناك خطب ما؟.

_ حدث شيء صباح اليوم وأريد أن أعلمكما به.

_ ما هو؟... قال أرغوفان بحذر.

_ السيدة جونول أصبحت تعلم أنني أنا من صدمتها وجذبت انتباه حراس أخيها في السوق المسقوف بتشكورفا.

_ كيف عرفت هذا؟... قال أرغوفان.

_ قالت أنها تذكرتني جيداً.

_ بعد العملية بدأت تستعيد كل فترة القليل من ذكرياتها... أضاف أصلان بسعادة.

_ ما الذي تعنيه؟... قال أرغوفان بتعجب وهو لا يفهم مصدر السعادة البادية علي محيا أصلان.

_ لقد تذكرتني أخيراً قالت بسبب إحدى الأحلام التي كانت تراودها من الماضي وهي تحت تأثير المخدر.

أبتسم أرغوفان ابتسامة عريضة وانتشرت السعادة بمحياها قال: إذاً عما قريب سنتذكر كل شيء.

_ ولكن أتمنى ألا تغضب عندما تدرك أنك أخفيت عنها الكثير... أردف سلجوق.

_ يكفي أن تستعيد ذاكرتها والباقي سأحله.

_ سنتوقف هنا!.

_ هل أنتهى الوقت بهذه السرعة؟.

أعيدوا لي قلبي

_تبتت 3 دقائق أرغب باستغلالها لفهم وضعك.

_حسناً تفضلي.

_كيف اكتشفوا أنك مريض؟

أخبرتكَ كنت أعاني من الكوابيس وأسير في نومي وبسبب قلة نومي صرت أهذي وأحياناً أرى أشياء غير موجودة ثم بدأت أصاب بالحمى وكلما ارتفعت حرارتي أزداد الهذيان...حتى أصبت فجأة بنوبة ارتياب.

_نوبة ارتياب؟!...أنها أشبه بنوبة صرع طفيفة.

_أجل هذا صحيح.

_من كان السبب بها؟

_ضغط على أبي كثيراً تشاجرنا ثم لا أنكر ما الذي حدث استيقظت إذا بي في المستشفى أجروا لي العديد من الفحوصات ووضع الأطباء العديد من التشخيصات حتى أكتشف أحد الأطباء الأمر وقال أنني أعاني من التهاب حاد في الرأس بنسبة 50% وضعت في غيبوبة اصطناعية حقنت علي إثرها بالعديد من المضادات الحيوية وبعد أن استفتقت بدأت بأخذ نوع آخر من العلاج وأقترح الطبيب رؤية طبيب نفسي للتخفيف من حده الكوابيس والهذيان.

_كم مضى علي فترة علاجك؟

_6 أشهر وتبقى القليل حتى أتعافى بالكامل.

_أتمنى لك الشفاء العاجل.

_شكراً.

_أنتهى وقتك نلتقي الأسبوع القادم إذاً.

_نلتقي.

الفصل التاسع

" ليتنا لم نلتقي منذ البداية ،

ليتني يومها تأخرت في النوم عشر دقائق أخرى ،

كُنت قد اختصرتُ عُمرًا من الوجع".

نزار قباني

أعيدوا لي قلبي

تقرأ تقريره الطبي وهو بانتظار أن تنتهي، خلعت نظارتها العاجية وضعتها فوق الملف بعدما وضعته علي الطاولة ، بابتسامتها اللطيفة قالت:

_ زال البأس... يبدو أن تحسبك في تقدم.

_ سلمت... هكذا قال لي طبيبي أيضاً.

_ إذا باتت نهاية لقائنا تقترب.

_ يبدو ذلك مع الأسف.

_ أخبرني كيف حالك؟... وأنا لا أسألك حتى تجبني بالطريقة العادية أرغب بأن أعرف كيف هو حالك حقاً؟.

لم يجد إجابة فقال: قال لي شخص ذات مرة شيء أرغب أن أجيبك من خلاله....
"أخاف أن أقول أنني بخير...فتتمنى لي دوام الحال...فيدوم بؤسي".

لم تجب وأكتفت بابتسامة علي ثغرها ثم سألت: هل مضى العام أم بعد؟.

_ بعد غد يكون قد مضى عام.

_ كيف ترى نفسك بعد عام؟.

_ أظن...تردد في إجابته...هدأت الأمواج بداخلي وانطفأت النيران بعدما جعلت كل شيء رماداً.

_ إذا لم تعد غاضباً من نفسك أو تلومها صحيح؟.

_ لا أغضب أو ألوم نفسي حتى أرى تلك النظرة في عيني عمي كأنما النيران بداخلي تشتعل من جديد.

_ أتشعر بأنه يلومك.

_ يلومني...ويلوم نفسه لأنه وثق بي...ويلوم صالح ويعتبره المتسبب الأكبر...كذلك أصلاً لعدم تدخله يلوم كل شخص حتى القدر.

_ لكنك تدرك في قراراتك أن لا ذنب لك.

_ ذنب ذلك اليوم أنني وقفت عاجزاً ذنبني أنني لم أكن عند حسن ظن عمي أنا لم أحمى أمانته.

_ مهما كان الشيء الذي كنت ستقوم به ما كان ليغير قدرهما.

_ كان يكفيني أن أحاول.

_ لو قلنا أنك لم تكن وأرغوفان كان هناك هل سيتغير شيء برأيك؟.

_ بلا شك عمي سريع البديهة وشجاع وأنا جبان لا خير في نفسي.

صمتت وكأنها تدرس أمراً قالت:

_ هل تعتقد أن جونول قد أحبته بعدما وقف أمام أخوتها وتزوجا رغماً عنهم وأيضاً قد يكون عمك أحبها من النظرة الأولى ولهذا تزوجها فكما أخبرتني عمك رجل لا يمكن إجباره علي شيء وقبل قليل أوضحت أنه سريع البديهة.

قطب حاجبيه وقال: ربما لا أعلم.

_ ألتان أنا لن أحكم عليك لأن مهمتي أن أسمعك وأفهمك... لكن كان بإمكانك تلافى كل شيء من البداية.

_ أنا أعلم ولأنني أحقق أغفلت نفسي عن كثير من التفاصيل... بقرارة نفسي كنت أعلم أن عمي يحبها فهو لا يقرأ الكتب ولا يهتم بها لكنه قد أعد زاوية لها في مكتبته لتقرأ الكتب... كان يدافع عنها أمام جاهده لا يعطي أحد الفرصة لإيذائها... هذه التفاصيل كانت كفيله لجعل أي شخص عاقل يفهم أنه يهتم لأمرها هناك بالتحديد كان يجب أن أبتعد قدر الإمكان... لكن أحياناً أشعر أن ما قاله صالح بأنني أردت عيش حياة عمي به شيء من المصادقية نظرة الأمان والامتنان التي كانت تنظر بهما لعمي في بداية تعرفها بنا كلما تأخر عن العشاء أو جاء للجلوس معنا بعد العشاء تمنيت لمره واحدة فقط أن تنظر إلي بها... لكنها مع الأسف لم تكن تراني سوى ذلك الصديق الذي تشاركه أفكارها ومشاعرها دون حواجز.

_ وهل يزعجك الأمر الآن؟.

_ لم يعد كذلك أنا ممتن لكل لحظة قضيتها معها ربما لست واقعاً بالحب الآن مثلما كان شعوري اتجاهها لكن علي الأقل أنا أشعر بالرضى والامتنان لخروج شخص كسناء أمامي أرى أنها كانت دواء لي أما جونول لو تعطني الحياة فرصة أخرى فلن أضيعها وسأكون الصديق الذي لطالما رأته علي.

_ ونيسان؟!.

_ هي أبنه عمي حتى وإن كانت تكن لي المشاعر لا يمكننا أن نكون معاً فقد كبرنا

سويماً كأخوين أنا متأكد بأنها ستجد من سيحبها ويجعلها تنساني.

_ كيف حال عمك؟.

أطلق تنهيدة طويلة وقال: "أنطفاً"... لو كانت توجد كلمة أشد عمقاً لوصفته بها أنه يعيش الحياة مجبراً لم يعد يأكل جيداً ولا ينام في غرفته أصبحت الأريكة في مكتبة هي سريره لم نعد نراه إلا علي وجبة العشاء ونادراً ما يجلس معنا وإن فعل لا

يتعدى حضوره الصامت أكثر من عشر دقائق... بعد غد سيكون قد مضي عام لم نرى فيه أرغوفان بوزدا يضحك وبعد كل شيء فعله لم يهدأ ذلك الغضب الذي في داخله ولا تزال النيران تشتعل داخله.

السماء تهدر تزار، قررت السحب أن تخرج ما بجوفها من مياه بهذه الليلة، غزارة المطر بهذا العام ليست كسابقها بأي عام مضى، وكأن هذا العام لم يكفيه أنه مضى قاسياً علي أرغوفان بل السماء ارتأت أن تكون أشد قساوة، شعر بشيء يتسلق مع رجله، لم يفتح عيناه وأدعى أنه نائم، بيديها الصغيرة الناعمة، تبحث عن وجه أبيها، نامت علي صدره وهي تحتضنه، ترتجف من الخوف ويشعر بقلبها الصغير ذاك كيف يكاد يخرج من مكانه، أحتضنها وأطبق باللحاف علي كليهما سألهما:

_ لما لم تبقي مع أخيك؟.

_ يبدو أن السماء غاضبه فأتيت لأبقى بجانبك كي لا تخاف وحدك.

أبتسم هو يحتضنها مردفاً... أبنتي البطلة.

ضربت السماء برعد قوي، فارتجفت فزعاً حمت وجهها بعنقه ما هي إلا دقائق حتى هدأت ونامت، أعادت له هذه اللحظة ذكرى من الماضي، أحتضنها بقوة أستنشق رائحتها، كان هذا الكائن الصغير هو المسكن الوحيد له من الألم الذي بين ضلوعه، ألم لم يتواجد له أي دواء في العالم ممكن أن يخففه أو يسكنه قليلاً، هطلت عيناه بدموع غزيرة رفقة المطر في صمت حتى انبلاج ضوء الصباح... غداً تبلغ عامها الأول كأنها في سباق مع الزمن، خطت خطواتها الأولى وتكلمت قبل عامها الأول، لا تمتلك من والدتها بالشكل سوى عيناها الزرقاء، الضحكة... الغمازة... سواد الشعر كوالدها في صباه، لها القليل من صفات والدتها، فهي تحب سماع القصص وتستقبل والدها بحفاوة وأحضان لا تنتهي، تحب التعلق بعنقه ودائماً ما تردد "كم أحب رائحه أبي" لا تنام إلا بحضنه، وعندما يضعها بسريرها تهرب وتأتي إليه، علي عكس الطفولة التي عاشتها والدتها فكل أفراد أسرتها يحبونها هذا إذا لم تكن هي أعلى الأحفاد، أحتضنها الجميع ليحاولوا أن لا يجعلوها تشعر بأي نقص، كانت أوزغور المسؤولة عن تربيته وإعداد نظام حياتها، بينما أوزبرنجي كانت دائماً ما تأخذها للتسوق وفي كل مرة تخرجان تحضر كل ما تقع عينها عليه أي شيء للفتيات الصغيرات تراه يليق بها وإن لم يكن كذلك، أما ألتان كان الفرد المميز والمسؤول عن قراءة القصص كلما اقترب موعد نومها إما في القيلولة أو الليل وهو أكثر من تحب أن تستمع إليه عندما يحدثها عن أمها وينهي دائماً قصته عن أمها بقوله هامساً: مهما قالوا فلا تصدقي أنتِ شبهين والدتكِ كثيراً... حامي الحمى العم الأكبر ارطارول

كل ما تحتاج إلي شيء ويتم رفضه تركض إليه كانت تراه بطلها ومنقذها، وأريغيت العم الذي دائماً ما يعود من العمل محملاً بالحلوى والهدايا، كانت تحصل علي الدلال من نيسان التي تحبها حب جماً، وعمال الترفيه كليتش بهار ومارت المتوفرون بكل الأوقات حسب جدول منتظم لتسليتها، وأتضح أن جاهده لم تخلو في النهاية من المشاعر فقد تخلت عن الذهاب إلي الجمعية كل صباح للاعتناء بها لعدم تواجد أحد في المنزل، علي الرغم من وجود خديجة إلا أنها تحجبت بأنها كبرت في السن ولا تقوى علي اعتناء بطفلة، أما الجدان فكانا المسؤولين عن تخريب نظامها الصارم الذي وضعه والدها فهما أكبر مخترقان لأنظمة التربية الصارمة لديه، فبمجرد نزول أولى دمعه من عينياه اعتراضاً وتذمراً علي أي أمر يلقيه والدها تتلقى الحماية من خديجة أو علي أشرف، لم يسلما شاهين وسلجوق فعند عدم تواجد أي من أفراد التسلية في الصباح تتجه من فورها إلي من يتواجد منهما ليحبر علي اللعب معها في الحديقة، لكن مارت كانت له الكمية الأكبر في العطاء فقد أحب كونه أماً أكبر منذ البداية وقد وقف بجانب والده في أشد أيامه قساوة، ساعد أوزغور في الاعتناء بأخته عندما تأخر والدهما في لملت شتات نفسه، أحب أخته جداً حتى أنه يتبجح كونها تشبهه ولا تشبه والده، متناسياً أن والده لم يكن شمط الشعر في صباه، ومع كل هذا الاحتواء الذي كان لديها إلا أنها تشعر بنقص يشعر به كل طفل يفقد لأمه، سألت والدها ذات مره لكن الكلمات أبت الخروج حاول احتواء تلك الدموع التي أعلنت النفير ففهمت تلك الصغيرة أن كلمة أمي التي تسمع الأطفال في الحديقة ينادونها، هي كلمة تجعل والدها يبكي ويضيق حزناً، فبكت معه دون أن تعرف السبب، مسحت دموعه بيديها الصغيرة واعتذرت منه قائلة "لا تحزن لن أسألك مرة أخرى أعدك".

بعد شهر نجح المشروع الذي وضع حجر أساسه في أزميز، زف أرغوفان وجونول خبر حملها إلي الأسرة بعد العشاء، تلقيا التبريكات والتهنئة من الجميع، وعلي الرغم من وقع الخبر علي نفس ألتان إلا أنه هنتهما بكل سعادة، كان ألتان بهذه الفترة رغم ما يعانیه بسبب مشاعره إلا أنه يجد لنفسه اللجوء لدى سناء، فبعد ليلة طويلة خاضها بأحد الملاهي وأكثر من الشرب في اليوم الذي علم به أن جونول وأرغوفان معاً في أزميز، لم يستطع العودة إلي المنزل لذا أتصل بسناء، استضافته في منزلها وعلي تلك الأريكة التي قضى ليله عليها يبكي، أخبرها بكل ما يعيشه وما يعانیه بسبب حبه ومشاعره، لكن سناء كانت متفهمة له وتعلم أن "القلب وما يهوى"، فتفاجئ عندما لم تضرب علي مسامعه موشح "أنها زوجه عمك فكيف تكون عديم شرف"، بل رأت أن ألتان لم يؤذي أحد بمشاعره، حتى وإن أحبها أتضح أنه رجل وفي لم يستمع لدناءة نفسه ويفرق بين عمه وزوجته رغم أنه كان بإمكانه ذلك، بعد ردة فعلها وعدم

حكما عليه، شعر ألتان أخيراً أن له صديق يسمعه دون أن يلقي عليه الأحكام.

مضت الأشهر الأربع علي أرغوفان كجحيم، فكل النساء تشتهي أنواع معينه من الطعام، أو تكره صنف معين من الطعام، لكن كان لنصيبه رأي آخر، في بادئ الأمر لاحظ أنها تنزعج منه حين يحتضنها، وفي الليل تطلب منه أن يعود للاستحمام مرة أخرى وما أن يستيقظ يجدها نائمه علي الأريكة، لكنها ما لبثت إلا واستسلمت لتخبره أنها لا تحتمل رائحته، خاضا صراع طويل فقد جرح كبريائه، ترك الغرفة وبات ينام بالمكتب، عندما علمت أوزغور بالأمر صححته لأرغوفان قائلة "تحدث أمور مثل هذه في بداية الحمل فما يحدث لجونول بفعل تكون الجنين وليس كأنها تنفر منك"... بعدما فهم أن ما يحدث بسبب تلك البذرة التي وضعها في محاوله منها أن تكبر بداخلها، شعر باستياء كبير بعد علمه أن الأمر يستغرق حتى الشهر الرابع أو الخامس أحياناً، عاد للنوم في الغرفة علي الأريكة، خرج بعد أيام من مرافعه طويلة، فوجد ثلاث مكالمات من جونول، أعاد الاتصال بها وهو قلق، أجابت علي الهاتف وهي تبكي وتطلب منه القدوم على عجل، عند قدومه وجدها منطوية علي نفسها وتبكي ركض نحوها متسائلاً، فور إن رآته قفزت إلي حضنه باكيه صار يتفحصها بتساؤل... عزيزتي هل أنت بخير؟... لما تبكين هل تشعرين بألم ما؟..

لكنها عادت لاحتضانه قائلاً: لقد اشتقت لك.

لم يفهم الوضع فأجلسها متسائلاً:

_روحي سألتك لما تبكين لما طلبت أن آتي بسرعه؟.

أضافت وهي تمسح دموعها: أخبرتك لقد اشتقت لك.

قال و علي وجهه ترسم الدهشة: هل جعلتني أترك كل عملي وكدت تقتلين نفسك من البكاء لأنك اشتقت إلي؟.

_أجل... أعادت احتضانه مردفه... شعرت أنني سأموت أن لم أشتم رائحتك.

أحتضنها ضاحكاً وهو يقول: إلهي لما تمتحني بأمر عجيبة.

قالت بانفعال: لا تضحك أقسم أن كل هذا بفعل بذرتك هذه.

قبل بطنها قائلاً: لو تكونت هذه البذرة وأتضح أنها فتاة فحلال لها كل ما تقوم به أما أن كان صبياً فسأجعله يعاني كل يوم جعلني أقضيه بعيداً عنك.

مضت تلك الأيام قاسيه عليه، أحياناً يشعر كأنه يطرد من مخدعه بطريقة راقية، فيجبر علي النوم علي الأريكة لأيام عديدة، وأحياناً يدرك ما الذي كانت تعانيه الجارية من شوق حتى يستدعيها سلطان قلبها، فكان يختلس الأيام التي بإمكانه النوم

بقربها بإشباع شوقه منها.

لم يكف جمال الدين زيارته إلي جونول، مما جعل أرغوفان ينزعج منه إلا أنه لا يستطيع أن يجادل جونول في أي شيء يتعلق بعائلتها، كانت الحميمة التي يظهرها تزرع الشك بداخله، رغم أن صالح وجونول يريان أن هذا أمر طبيعي كونه يحاول تصليح العلاقة بينهم، لم يختلف علي أشرف في الرأي مع أرغوفان وهذا ليس بشيء نادر الحدوث، فبعد إحدى زيارات جمال الدين المفاجئة أخذ علي أشرف أرغوفان علي انفراد خرجا إلي الحديقة فباشر حديثه قائلاً: نسينا هذا لم يعجبني.

_ صدقني يا أبي ولا أنا أيضاً.

_ ما معنى أن يصلح شقيقته ولا يجهد نفسه بلم شتات أسرته لنقل أن بقية أشقائه لا يوافقون حسناً ماذا عن زوجته وأبنائه لم يفكر بإحضارهم رغم أنني طلبت منه أكثر من مرة أن نجتمع كعائلة.

_ لأن له همّ مختلف.

_ وما هو همّه؟... لم يجب فأكمل... هل الأرض الجنوبية بالبلدة.

أكتفى أرغوفان بابتسامة صغيرة انبثقت من ثغره، لأنه يدرك أنه ليس بالأمر الهين إخفاء شيء علي والده فقال:

_ أجل... هذا صحيح.

_ ولهذا هو هنا يصلح علاقته بها استعداداً لحصولها علي أرثها عم قريب.

_ أجل فقد حاولوا الوصول إلي الوصي ولكنهم لم يستطيعوا.

_ ولما لم يستطيعوا؟.

_ الوصي الذي وضعه جدها ليس معروفاً في وسطهم وليس له علاقة بالأسرة حتى ولو زارهم كضيف لن يتعرفوا عليه.

_ أنا لم أستطع التوصل لكل هذه المعلومات فكيف وصلت أنت لها؟.

صمت قليلاً ثم أردف بعد تفكير... لأنني ذلك الوصي.

_ ماذا؟... قال بدهشة... بني إذا ما سمع صالح بالأمر فسوف يعتقد أنك تزوجت من شقيقته لهذا السبب... حذق به وهو يزوي ما بين عينيه... أم أن الأمر كذلك؟!.

_ أبي حياً بالله... سأقولها مرة أخيرة ولن أعيدها أنا تزوجت بجونول لأنني أحببتها لا مصوغ آخر ولا أي أهداف خفيه.

_ وكيف تعرفت علي جدها ومتى؟.

أعيدوا لي قلبي

قصة طويلة.

ولدينا الليل بطولة... قال بإصرار.

تتهد مستسلماً ، ثم بدأ بسرد الحكاية قائلاً:

عندما ذهبت للدراسة في ميونخ بعامي الثالث تعرفت إلي سونجول والدة جونول كانت هي بعامها الأول كان كل شيء سلسلاً فأصبحنا أصدقاء بأيام قليلة... لم تكن صداقتنا منطوية علي الكلية وما يليها بل في كل شيء كنا نطلب العون من بعضنا... انتهت سنوات الدراسة التي قضيناها معاً وبقينا في السنوات الأولى لعودتنا إلي الوطن على تواصل ثم خف ذلك التواصل لدرجة أننا لا نتصل إلا أن سمع أحدنا علي الآخر شيء أو أحتاج شيء... مضت السنوات وفي بداية نشاط عملي فوجئت بتشريف والدها إلي مكتبي يطلب مني العون بناء علي توصية منها وكانت تلك قضية أصلاً وأنت تعرف تفاصيلها بعد ذلك توطدت علاقتي به... بعد وفاة سونجول وبلوغ جونول العاشرة تأزم مرض جدها أرسل في طلبي وطلب أن أكون الوصي عليها وهكذا القصة باختصار.

حاول بقدر الإمكان أن لا تظهر إلي الوسط علي أنك الوصي عليها كي لا تفهم نواياك بالخطأ.

صدقني يا أبي لا أهتم لما يفكره بشأني الآخرين علي الإطلاق يكفي أن جونول تدرك أنني تزوجت بها لأجلها.

دخلت جونول شهرها الرابع، وأنتهى الكابوس الذي ترصد أرغوفان طوال هذه المدة، عاد إلي حياته المعتادة ونومه متى ما شاء في مخدعه وأن يستيقظ وجونول بحضنه دون أذن من هذه البذرة التي لم تخلق بعد، عمل لساعات متأخرة من الليل في مكتبه، دخل لغرفته بدل ثيابه، فسمع صوت أنين وبكاء مجوف، أشعل الضوء فكانت وكأنها تصارع بمنامها، حاول جعلها تستفيق لكنها بدأت بالبكاء في نومها وبشده، شدها حتى استفاقت وضعها بحضنه حتى تهدأ من هذه النوبة، مسح علي رأسها قبله قائلاً: كان مجرد كابوس وأنتهى...ناولها كوب الماء فشربت منه وعادت للبكاء... قال بتوسل:

أرجوك أهدئي وأخبريني لما تستمرين بالبكاء كان كابوس وأنتهى.

لم...يكن....خرجت الكلمات منها بصعوبة...أنا فعلتها...

ماذا فعلت؟

_ لقد تذكرت كل شيء يا أرغوفان... قالت وهي ترتمي بأحضانه باكيه...

لم يستطع قول أي شيء، ظل بصمته حتى بزغت الشمس وهي لا تزال تبكي بحضنه، كانا منعزلان عن الواقع بصدمتهما، كيف ستكمل حياتها وكأن شيئاً لم يكن؟... وكيف له أن يجعلها تتجاوز تلك الصدمة كيف له أن ينتشلها من تلك الحادثة؟!.. أفاقهما صوت خديجه قائله:

_ أرغوفان جونول أقترب موعد الفطور.

قالت جونول: أريد أن أذهب لرؤية صالح قبل كل شيء.

_ حسناً... إذاً لقد حان وقت ليعرف صالح كل شيء.

خرج إلي خديجة فعندما رأت حاله قالت: صباح الخير لكن يبدو أنك لم تتم.

_ أجل كانت ليلة صعبه علي جونول لن نكون علي الفطور يجب أن أخذها إلي الطبيب.

_ ما الذي حدث لها؟.

_ لا أعلم سنذهب الآن وسنرى.

_ قم بطمأنتي عليها حسناً.

_ حسناً.

تفاجئ من طرق الباب في الصباح الباكر، ما إن فتح حتى احتضنته جونول وهي تبكي وتردد:

_ أنا آسفه يا أخي لم أقصد فعل أي من هذا لك أنا آسفه.

لم يفهم صالح ما الذي يجري منذ الصباح نظر إلي أرغوفان لعله يفهمه ما الأمر فقال:

_ لقد تذكرت كل ما حدث ليلة الحادث.

_ فهمت الآن... أدخل... عندما أبتعد أرغوفان من عتبه الباب، رأى رجل طويل القامة، ذو وجه حسن... له شعر كثيف... ينمي ذقن خفيفة... يبدو مألوفاً إلا أنه قد كبر في السن، ما إن تكلم بصوته المميز قائلاً:

_ صباح الخير سيد صالح.

ضحك حتى بانق قواطعه قائلاً: أصلان... أحتضنه مضيفاً... آه يا أسد جدي... بالكاد تعرفت عليك اهلاً بك.

أعيدوا لي قلبي

_ اهلاً بك سيدي.

_ لكن كيف علمت أين أعيش وما الرياح التي رمتك إلي؟

_ لو تسمح لي بالدخول سأشرح لك كل شيء.

_ المعذرة تفضل.

جلسوا وبعد صمت كسره صالح قائلاً:

_ ألن يتكرم أي منكم بشرح الوضع لي!؟.

مضت عشر سنوات منذ آخر مرة زار بها مظفر كار أو غلو، لكن هذه لم تكن مجرد زيارة أكثر من أنها اجتماع عمل، وصل إلي المبنى الذي يقبع به مكتبه، عبر تلك البوابة الضخمة ماراً بجانب نافورة المياه الكبيرة، لم يكن وجهه مألوف لدى أحد من المتواجدين، رجل بالخامسة والثلاثين من عمره وقور يرتدي بدلة أنيقة ويحمل حقيبة جلدية سوداء اللون، لم يكن بالأمر الغريب أن يأتي غرباء لزيارة الأغا مظفر فهو رجل ذائع الصيت، لكن المريب أن هذا الرجل الغريب يسير بحرية كأنه يحفظ المكان، توغل في المبنى صعد إلي الطابق الثاني، كان المبنى أقرب لكونه مكان أثري، شق طريقة عبر ذلك الممر ليجد بأخره رجل يقف أمام المكتب، ضخم الجسد... طويل القامة... أصلع وله نظرة وصوت حادين، أستقبله بالأحضان ورحب به بحرارة ثم قال:

_ الخال مشغول باجتماع مهم دعني أستضيفك في قاعة الاجتماع ريثما ينتهي؟.

_ لا داعي الطقس جميل سأنتظره في الحديقة.

_ هل أطلب منهم أن يرسلوا لك شيء لتشربه؟.

_ لا داعي سأشرب قهوتي مع السيد مظفر.

_ حسناً كما تشاء... أضاف مشيراً نحو السلالم... تعرف طريق الحديقة.

خرج إلي الحديقة لم تكن حديقة بمعنى الكلمة، كانت مساحة خضراء لم يتم رصفها خلف المبنى، كانت أبنة الأغا مظفر الصغرى تحبها فقد زرعت بها العديد من الزهور، يتوسط المكان شجرة صنوبر ضخمة، تحت ظل الشجرة يتواجد مقعد أعتاد الجلوس عليه بالماضي مع أبنة الأغا ليسترجعا ذكرياتهما معاً في ميونخ، توجه إلي المقعد فأستوقفه مشهد مفاجئ، كأنها بعثت من جديد، تجلس على المقعد بضيفيتين طويلتين وشعر كخيوط من الشمس، لها غرة كثيفة، ترتدي فستان أصفر وجوارب بيضاء... حذاء أبيض تزيينه زهور صفراء، تداعب بحضنها جرو صغير، توجه

أعيدوا لي قلبي

نحوها قال:

_ هل تسمحين لي بالجلوس أيتها الأميرة؟

رفعت وجهها نحوه، كانت لها ذات العينان وذات ملامح الوجه تفحصته بعينيها
الكبيرتين وقالت:

_ أجل تفضل.

كان يتمعن النظر بها، قرأ ذات مرة عن معتقد أو ديانة ما يؤمنون بالتقمص، أي أنه
لا وجود للحياة الأخرة ولا وجود للقيامة فعند موت المرء يعاد تجسيده أو تقمصه
بأي كائن حي يولد حديثاً، كاد أن يؤمن بأن هذه الفتاة تجسيد جديد لروح سونجول،
يراقب براءتها وجمالها الطفولي، تذكر أنه سيرزق بطفل خلال الأسبوع القادم،
أعجب بهدوئها وبراعتها فتمنى أن يكون الوليد فتاة، أشتعل بداخله رغبة أن يكون
أباً لفتاة جميلة وهادئة مثلها، نظرت إليه قائلة:

_ هل أنت صديق جدي؟

_ أجل... قال بتعجب: كيف فهمت أنني صديقه؟

_ أصلان لا يسمح لأحد بالتوغل إلي هنا إلا إذا كان من العائلة أو من أصدقاء جدي.

_ آه فهمت... أنت ابنه سونجول صحيح؟

نظرت إليه بدهشه واتسعت حدقتا عينيها قالت: هل تعرف أمي؟

_ أجل كانت صديقتي أيام الدراسة.

لمعت عيناها وأنتعش الحماس بداخلها كأنها وجدت كنزاً قالت: هل تخبرني عنها
قليلاً؟

_ ماذا تريدان أن تعرفي؟

_ أي شيء وكل شيء... لكن أولاً هل... ترددت بالسؤال... كيف تبدو أمي؟

رُسمت علي ثغره ابتسامة حزينة وقال:

_ أنظري إلي المرأة حينها سترين والدتك.

ضحكت قائلة بسعادة: إذاً صالح وجدي لا يخدعاني أنا أشبهها حقاً.

_ من صالح؟

_ أنه أخي.

_ كم لك من أخوة؟

أعيدوا لي قلبي

_ أربعة ...

قالت وهي ترنو بوجهها الصغير بعيداً والحزن يخيم بصوتها، أفصحت سونجول في آخر لقاء بينهما، عندما كانت حاملاً في شهرها السادس عن خوفها من عدم تقبل زوجها وأولادها لأبنتها، وتخشى عليها مما ستواجه في المستقبل... خلال صمتها قفز الكلب وأبتعد يركض ثم ينبح من خلاف فقال:

_ أنه يرغب باللعب أذهب واللعب معه.

_ لا أستطيع... لا يمكنني الركض أو الاقتراب من الأزهار فأنا أعاني حساسية منها.

_ آه فهمت... أضاف بهجة... بالمناسبة نحن لم نتعرف أنا أرغوفان.

صافحته بابتسامة كبيرة... وأنا جونول.

حدثها بما يعرفه عن والدتها ولم يكن بخيلاً عليها بشيء مما تستحضره الذاكرة، كانت الصغيرة ذات الأعوام العشر تستمع بتمعن شديد، وتحفظ كل تفصيل لأمها لعلها أن عرفت كل شيء عنها وحفظت شكلها ستعرفها إذا ما تكرمت يوماً وزارتها في المنام، أثناء حديثهما أخبرها أنه سيرزق بطفل عما قريب، فرحت كثيراً قالت: هل يمكن أن أصبح صديقتة؟.

ضحك قائلاً:

_ هو لم يأتي بعد لكن لا مشكلة لدي سأعرفكما وتكونان صديقان.

هتفت الطفلة بسعادة قاطعهم سلجوق... الخال متفرغ الآن أنه يرغب برؤيتك.

_ حسناً أنا قادم... قال

تأففت قائلة بتذمر: سأبقى وحدي مجدداً.

جثى أمامها وسأل:

_ هل أنت ناجحة بدراستك؟

_ أنا الأولى علي صفي.

_ حسناً هل تجيدين القراءة؟.

_ أجل وبشكل جيد

فتح حقيبته وأعطاهما كتاب للقصص قال: أجعلي منه صديق لك سوف يسليكي.

أضافت بدهشه: هل تعطيني أياه؟.

_ أن استطعت قرّاءه ما كتب عليه فهو لك.

أعيدوا لي قلبي

قرأت الكلمات ثم هتفت "الملاح التائه".

مسح علي شعرها قائلاً: أنه هدية مني لك.

_شكراً لك... احتضنته والفرحة تغمرها... ثم سألت: لما تحمل كتاب لقصص الأطفال معك؟.

_أبن أخي يكبرك بعامين أنه حزين بهذه الفترة فأبتعت له هذا الكتاب لعله يجد السعادة بالكتب.

_إذاً لن أخذه... أردفت وهي تعيده... يحتاج إليه أكثر مني.

_هذا أصبح هدية لك سأشتري له واحد آخر.

_يقول جدي "عندما تأخذين غرض شخص دون قصد عليك أن تعوضيه عن ما سلبتيه أياه" إذاً كيف أعوضه عن أخذي لشيء يخصه؟.

_لنرى... سنتقابل مجدداً وحين نتقابل سأخبرك بما يمكنك أن تعوضيه ما رأيك؟.

_هل تعدني؟.

_أجل... قرصها بوجنتها قائلاً: لن أجعلك مدينه لأحد... حين نلتقى مجدداً سأتي بكتاب أبتاعه فقط لأجلك... إلي اللقاء.

بعد عامين ورده اتصال من سلجوق يبلغه بحسره وبكاء شديداً أن الخال مظفر قد توفى بعد العملية التي أجراها، ترك أرغوفان أبنه ذو العامين أمانة لدى شقيقته وزوجها ثم غادر، عند وصوله أستقبله أصلان وطلب منه عدم حضور الجنازة، بناء علي رغبة الخال فقد كانت آخر وصية له "إن دخلت إلي هذه الغرفة وخرجت منها إلي المشرحة... يا أسدي حفيدتي أمانة لديك... أحميها كما كنت تحميني دون تفكير أو تردد... وأختفي عن الأنظار فإن وجدوك سيعلمون هوية الوصي... ولا تجعل أبنى أرغوفان يأتي لجنازتي ليس لشيء لكن غيابه عن الإنظار وجعله مجهول الهوية سوف يصعب عليهم كشف هويته... وأعتني به فإنه أحقق أحيانا ويضع حياته علي المحك دون أن يفكر"... لم تعجبه الفكرة، فرغم كل شيء مظفر لم يكن بالنسبة له أي شخص لقد كان يتلقى منه النصح ويؤازره دون تردد، حتى أنه رغم مرضه لم يتوانى في القدوم إليه وتقديم واجب العزاء له بعد وفاة زوجته، شاهداً الجنازة من بعيد دون أن يقتربا ودع أصلان والده الذي ليس من صلبه، وبأسى فارق أرغوفان صديق درب لن يعوض، رغم بعدهما إلا أنهما أنتبها لبعض الجلبة التي حدثت في الخلف، أنسحب بعض الخدم والحراس بخفه والهمسات مريية،

تسأل أرغوفان: برأيك ما الذي يحدث؟

من الواضح أن هنالك مشكلة ما لحظة وسأفهم الأمر...أخرج الهاتف وأجرى اتصالاً ثم قال بفرع: ماذا؟... أين كنتم أيها الأغبياء؟...أغلق ساهتم بالأمر!..

ما الأمر؟...قال أرغوفان بقلق.

أنهم لا يجدون جونول بأي مكان يجب أن نجدها قبل أن يعلم والدها وأخوتها أنها مفقودة.

فلنبحث معاً.

انتشر الحرس والخدم بحثاً عنها في محيط المقبرة دون جدوى، لكن سلجوق الذي قال أنه لم يرها قرب الجنازة أثار الشك بهم، توسعت رقعة البحث، فعاد أصلان للبحث عنها في المنزل وتوجه أرغوفان إلي تلك الحديقة التي التقاها بها سابقاً، تداعب ذلك الكلب أسفل الشجرة، توجه إليها بخطوات بطيئة أرسل رسالة لأصلان أنه وجدها، جلس بجانبها قال:

الجميع في الخارج يبحثون عنك.

لماذا؟...أجابت وهي لا تنظر إليه.

أنهم قلقون ماذا تفعلين هنا؟.

يقولون أن جدي قد ذهب إلي أُمي.

أنها المرة الثانية التي يجبر علي إبلاغ طفل صغير بموت عزيز عليه، كما حدث قبل عامين مع ألتان الذي فقد والدته باكراً، تنهد وقال:

أجل لقد رحل السيد مظفر لكن أتعلمين...كان حزيناً لأنه سيتركك لقد أوصى أصلان ليهتم بك هو وشقيقته ماذا كان أسمها؟.

عائشة.

أجل أوصاهم بأن يهتموا بك في غيابه يريد أن يراك تكبرين براحه وسعادة يريد منك أن تحققي كل ما تتمنين.

لما لم يأخذني معه؟...قالت بغصة.

لا زلت صغيرة ولا تزال الحياة أمامك.

لما إذاً رحل؟...انفجرت الطفلة باكيه...كان يجب أن يعتني هو بي...ألم يقل أنه لن يتركني مثلما فعلت أُمي؟...لما رحل أن كان سيحزن لفراقي.

أحتضنها أرغوفان لأنه لم يعرف كيف يجيبها بأسئلة لا يجد أجوبتها بدوره، وكان

كل الأطفال الذين عرفهم كتب لهم أن يتجرعوا ألم الفراق باكراً، فهي لم ترى والدتها التي فارقتها أثناء الولادة، وألتان قد مضى عامين على فقدانه لأمه بسبب السرطان، وأبنة مارت الذي يكبر يوماً بعد آخر دون والدته التي ماتت بسبب خطأ طبي، ها هو اليوم يحاول أن يؤازر جونول بموت جدها، وبعد عامين آخرين عليه أن يرى نفس الألم بعيون بهار بعد مصرع والدها بحادث سير أليم.

_جونول!... جاءت عائشة تنادى من بعيد.

تركها وقال لها: أذهب فالجميع قلقون.

ركضت نحو عائشة وارتمت في أحضانها باكية، عادت إلي منزلها تحملها رفقة سلجوق، مكث أرغوفان تلك الليلة بالبلدة، في الصباح الباكر غادر رفقة أصلان وقد لحق بهم سلجوق، بناء علي رغبة منه ومن رجال الأغا مظفر، بالعمل تحت إمرة أصلان.

_أخي أرغوفان هل أنت متفرغ؟.

_أجل أصلان تعال..

_أخي.... هل نتحدث علي انفراد؟.

نظر إلي مارت وهو يحل واجبه المنزلي، فمسح علي شعره قائلاً: خُذ استراحة قليلاً ريثما أتحدث مع أخيك أصلان.

رسم ابتسامة لطيفة علي ثغرة قائلاً: حسناً يا أبي.

خرجا إلي الشرفة قال:

_أخي يبدو أنك قد نسيت ولهذا أتيت لأذكرك بأنه لقد حان الوقت.

_أي وقت؟

_وصية الخال حان موعد تنفيذها.

_لا لم أنسى لكن أليس بنهاية العام؟

_لقد مضى سبعة أشهر عن الموعد الأساسي.

_كان يجب أن تذكرني.

_لقد كنت مشغولاً بأمر المكتب الذي في أزمير فلم أستطع أن أتكلم وأنا أدرك كم أنت مشغول.

_علينا جمع المعلومات قبل ذهابنا.

_ لقد تكفلت بكل شيء... أنها تدرس في الجامعة بالعام الثاني لقد تخصصت هندسة تخرج كل يوم رفقة حرس والدها لكنهم لا يتجولون داخل حرم المدرسة لأنه ممنوع... أيضاً لا تخرج وحدها من المنزل إلا مرتين كل شهر... تزور أماكن معينة تتسوق منها ثم تعود أدراجها.

_ بما أنك قد درست كل شيء إذاً سنذهب في الغد بهذا الأسبوع لا أعمال أو أشغال لدي سنذهب كلانا نمكث هناك ونتحرك بخفه دون أن يعلم بأمرنا أحد.
_ حسناً سأجهز كل شيء لك.

كانت أجمل الفتيات في المدرسة الثانوية، لا يوجد شاب لم يعجب بها أو يتمنى أن تكون حبيبته، إلا أنها مثل كل المراهقات كانت تحب أن تكون مميزة في اختيارها، لكنها لم توفق رغم الكثير من المراهقين المتواجدين حولها أعجبت بمعلم الرياضيات ذو البشرة السمراء... طويل القامة... صاحب عينان كبيرتان فستقية اللون... له أهداب طويلة... ذو شعر مجعد أسود... ويمتلك نبرة صوت مميزة... كث اللحية... لكنه كان يؤدي دوره كمعلم بنجاح، لهذا لم ينتبه قط إلي أن الفتاة الأكثر ذكاء في صفه والأجمل تكن له المشاعر، ولأنها خجولة كان من المستحيل له أن يفهم الأمر، ومع إعجاب الكثيرين بها إلا أنه لم تكن لأحد منهم الشجاعة بالاعتراف لأخت سالم المعروف ببطشة في البلدة، انتهت مشاعر جونول اتجاه ذلك المعلم بانتهاء فترة الثانوية، مع أن مسيرته المهنية انتهت بفضل جمال الدين قبل ذلك بكثير، لم يتغير شيء في الجامعة، سرقت الأضواء من الأكبر سناً لتصبح أكثر الفتيات شعبية بين الفتيان وأكثر الفتيات جمالاً، فلم تكفي بسرقة الأضواء بل سرقت القلوب وأذابتها، لكن لم يكن يوجد شخص بإمكانه أن يكون شجاعاً كفاية لمواجهة أسرة ديمير، كانت لجانير الحصة الأكبر من بين القلوب الكثيرة المذابة، فقد أصبحت العلاقة بينهما حميمية بسرعه، لشغفها وحبها بالكتب ولما يربطه عمله الجزئي بالمكتبة، فقد كان يشرح لها عن الكتب بشغف ويقترح عليها بعض الروايات الرومانسية، يضيف علامات علي جمل لامست قلبه وتمنى بأن يقولها لها، أو لعلها تفهم أن هذه الاقتباسات يشعر بأنها قد كتبت في حبه لها، لكنها كانت شغوفه بالدراسة وقراءة الكتب فلم تنتبه له أو لتلك القلوب المحترقة بحبها، جلست بعد محاضره طويلة في المقهى، بانتظار فنجان القهوة فتحت كتاب وبدأت كعادتها بالقراءة، سحبها من عالم الخيال البعيد صوت داوودي رنان قائلاً: هل تسمحين لي بالجلوس أيتها الأميرة؟... شدتها الجملة التي ضربت علي قلبها قبل مسامعها رفعت رأسها بسرعه، بعد كل تلك السنوات ها هو يعود كما ذهب تماماً لم يتغير، لكن تلك النظرة البريئة التي نظرت إليه بذلك اليوم ليست نفسها التي تنظر إليه الآن، لمعت عيناها وحملت معها

شرارة لم تتوانى حرارتها من الوصول إليه، أشرقت السعادة بوجهها فنهضت بابتسامة كبيرة بثغرها قائله بحرارة: أرغوفان... من الحماسة اشتعلت النيران بوجنتيها مضيفه...مضى وقت طويل لكن كأن الزمن لديك توقف لم تتغير علي الإطلاق.

أبتسم قائلاً: هذا لطف منك لكن لا يمكنني قول نفس الشيء عنك لقد تغيرت كثيراً.
قالت بصوت خجل: بالطبع لم أعد ابنة العاشرة تلك...أردفت...تفضل بالجلوس...
جلس واضعاً رجل فوق الأخرى سألت:

_ هل أطلب لك شيئاً؟

_ قهوة سادة إذا سمحت.

تبادلا أطراف الحديث أثناء شربهما للقهوة، وتطرقا لتذكر الماضي قليلاً، لم يسرف بالحديث عن سونجول وجدها كي لا يدخل الحزن في حديثهما، سأل عن الكتاب الذي تقرأه فعندما ذكرت اسمه قال مبتسماً: في الحقيقة سألتك وأنا لا فكرة لي عن الكتب.

_ أجل أعلم...هل توقفت عن شراء الكتب لأبن أخيك؟

_ لا في الحقيقة لا زال ينتظر عودتي ليرى أي نوع الكتب قد أحضرت معي.

_ إذا أصبح من هواة القراءة مثلي بفضلك.

_ أظن أن لي تأثير علي من حولي.

تبادلا ضحكات هادئة ثم قالت: كيف تقنع الآخرين بالقراءة وأنت لا تقرأ؟.

_ أنا كثير الانشغال فلا يوجد لدي وقت كافي لأقرأ وحين أكون قريب من المكتبة ولدي وقت فراغ...أعرج عليها وأنتقي كتاب ما أفتحه وأرى ما نوع الرسالة التي يحملها.

_ إذا ما هي آخر رسالة جاءتك؟.

بعد تفكير قال: "لا أحد يريد أن ينسى"...

فأكملت خلفه: "وبشكل أدق لا أحد يريد أن يُنسى.."

صمت هادئ لثواني عمّ بينهما، كأن الوقت قد توقف، أنتبه إلي توترها الألفة في صوتها، ونظراتها التي ترنو اليه وتهرب بها كلما ألقت بنظراته، فهم أن الأمر ربما يكون قد ألتبس علي هذه المراهقة التي تجلس أمامه قالت لتكسر الصمت:

_ ما أخبار أبنيك؟.

_بخير...أبتسم كأنه تذكر ملامح وجهه البريئة أردف...أنه في التاسعة الآن وأسمه مارت.

رسمت ابتسامة مصطنعة مردفه...حفظه الله لكما.

_أمين...فليحفظه الله لي.

لم تفهم سبب تعديله للدعاء تجاهلت الأمر قائله: علي ما أظن تسافر للقدم إلي هنا؟.

_أجل أنا أعيش في إسطنبول...أسافر بين وقت وآخر إلي أزمير وكان لي عمل اليوم هنا فأتيت لأراك عندما أخبرني أصلان أنك تدرسين هنا.

_أصلان!...قالت وقد أحاط الحنين بصوتها...لم أره منذ وفاة جدي ما أخباره؟.

_أنه بخير يساعدي في الكثير من الأعمال حتى أنني أرى الآن أنه لا يمكنني بدونه.

_أنه كذلك جدي أيضاً كان يقول دائماً أنه الأبن الذي لم يخرج من صلبه...فور وصوله لاحظت أنه لا يرتدي خاتم، حاولت أن لا تسأل لكن الفضول يأكلها قالت بعد صمت: قلت أنك تسافر كثيراً إذاً بالتأكيد مارت يتعب والدته حين يشتاق إليك.

_أجل يشتاق إلي كثيراً لكن لا يثير الجلبة فهو فتى عاقل رغم صغر سنه ابنة أختي وأبن أخي بنفس العمر تقريباً يقضي وقته معهما وتهتم به أختي جيداً لذا هو متعاون.

_ماذا عن والدته؟...أنتما منفصلان؟.

بصمته أزداد الفضول لديها، بدأت تشرب الماء لتسيطر علي انفعالها فقال:

_توفيت والدته بعد عشرين يوم من ولادته.

شعرت بالغصة، وكأن قبضة حديدية أطبقت علي صدرها، لوهله ما الذي قد حدث لها لتتدخل بشأن لا يعنيها، ثم استعادت ما قال فهبطت الدمعة من عينيها...بقرارة نفسها رأت أنه برغم تعاسة قدره إلا أنه فتى محظوظ...علي الأقل استطاعت والدته أن تأخذه إلي حضنها أن يرتشف من حليبها لا يمكنه تذكرها لكن شيء منها يسري في جسده...توتر لبكائها المفاجئ ولم يدرك ماذا يفعل...قال:

_جو....جونول ما الأمر لما تبكين؟

استفاقت من النفق الذي قد دخلت إليه، ناولها منديل فقالت:

_أعتذر...أردفت وهي تمسح الدمعة من عينيها...أني حساسة اتجاه أي حديث كهذا.

_فهمت...قاطعهما رنين الهاتف فقالت: أعتذر يجب أن ألق بمحاضرتي.

نهض معها وهي تلملم حاجياتها متسائلاً: هل يمكنني أن ألتقيك بوقت تكونين فيه منفرغه؟

تسارعت نبضات قلبها وهي تحمق به قالت بتوتر: لما؟.

هناك شيء يخص جدك لا بد لك أن تعلمي به.

تتهدت لتزفر التوتر الذي أكلها وقالت: أذهب أحياناً لمكتب جدي مع أخي صالح يمكننا أن نلتقى هناك.

أسفل شجرة الصنوبر!.

أضافت مبتسمة... حيث ألتقينا أول مره.

لكن... ما أريد أن أخبرك به يجب أن لا يعلم به أحد.

أتقصد أن نكون علي انفراد؟!..

إذ كنت لا تمنعين؟!.

لا مشكلة... أكون هناك لمدة ساعة قبيل أن ينهي صالح عمله ويعود.

هل لي أن أدون رقم هاتفك لك وتتصلين بي حين تتجهين إلي هناك؟.

بالطبع... قالت بخجل، ناولته هاتفها تنظر إليه وهو يكتب رقمه وبداخلها تثور الحماسة، أخذت هاتفها قالت وهي تغادر بخجل: نلتقي غداً إذاً.

تحت ظل الشجرة تجلس بتوتر، لا تدري ما الذي أصابها فجأة، فهي لم تنم جيداً منذ يومين بسبب الحماسة للقائه، بقدمه شعرت أن قلبها يكاد يخرج من مكانه، حتى أنها نسيت أن تتنفس، رحبت بقدمه، كان يحمل بيده كوبين من العصير الطازج قال وهو يناولها أحدهما:

قلت أن نشرب شيئاً بينما نتحدث... أردف أثناء جلوسهما... لن أطيل عليك كي لا يأتي صالح ويراني هنا.

صالح غير موجود أرسله أبي قبل يومين إلي خارج البلدة

كيف أتيت إذاً إلي هنا؟.. سأل متعجباً.

طلبت من أخي زيارة المكان متحججه بشجرة الصنوبر... أجابت وتقاسم وجهها توضح خجلها.

حسناً إذاً...

أخبرها بكل تفاصيل الإرث الذي قد بقي لها من جدها، وكيف أنها لن تستطيع التصرف به قبل وليدها الأول، تفاجأت من ما طرق لمسامعها، ولم ينسى تحذيرها كي لا يعلم أحد بخصوص ما تحدثا به حتى وإن كان صالح، ورجا منها عدم كشف

أعيدوا لي قلبي

هويته أمام أي أحد، هم للمغادرة لكنه أستوقفه شيئاً تذكره فقال: سأغادر نهاية الأسبوع فهل لنا أن نلتقي قبل أن أغادر؟
_ لماذا؟_

_ كنت قد وعدتك من قبل أنني حين ألتقيك مجدداً سأحضر لك كتاب معي... اليوم ليس بحوزتي لذا أرجو أن يكون في لقائنا القادم.
ابتسمت بخجل... وأعجبت بأنه لم ينسى وعده لها... قالت بشيء من الحزن... هل لأنه سيكون لقائنا الأخير؟_

_ لا لن يكون كذلك سيكون بيننا لقاء بالتأكيد لا أدري متى بالتحديد ولكن ربما بعد أن تحظى بوليدك الأول.

_ حسناً إذا سأرسل لك رسالة أن استطعت القدوم إلي هنا؟_

_ ليس بالمطلق أن يكون هنا... لا بأس حتى وإن ألتقينا في الجامعة يمكن كذلك.
_ سأتدبر الأمر... أردفت بخجل.

تنهد صالح بقوة مضيفاً بانزعاج:

_ إلي متى سننتظر؟_

خرجت جونول عن صمتها بعدما كفكت دموعها، حاولت بقدر الإمكان أن تعيد رباطة جأشها، قالت بعد أن تنهدت لتهدئ: بيوم الحادثة كنت قد اتفقت مع محامي جدي للقاءه لأنه طلب مني سابقاً أن نلتقي لأجل وصية جدي... وذلك المحامي هو أرغوفان.

أتسعت عيناه من الدهشة قائلاً:

_ كيف هذا؟_

_ لست بالمحامي الخاص بجدك لكنه طلب مني المساعدة بأمر وصيته... شرح أرغوفان.

أكملت... كانت الرياح عالية فلم أستطع انتظاره علي المقعد بالحديقة لأنك تعلم بأمر حساسيتي... دخلت إلي مكتب جدي لكنني تفاجأت بدخول يشار خلفي... توترت كأنها تعيش ذلك اليوم الآن، أمسك أرغوفان بيدها فقبضت بقوة علي يده واصلت كلامها... كان وقوفه وحركاته حميمة وله ابتسامة عريضة مقرزة بكلماته البذيئة... حاولت التملص منه لكنه شدني من جذعي وكشف عن سترته التي يقبع أسفلها مسدس... شعر

برعشتها وخوفها تساقطت دموعها دون هوادة، كان أرغوفان يشعر بثقل في صدره و غضب جامح، وصالح ينتظر أن تكمل وهو يشتعل أمامها، يقرأ جميع السيناريوهات السيئة في مخيلته، يقضم أظافره وتكاد أصابعه تلحق بها...أردفت بعدما هدأت قليلاً...حاولت دفعه بكل ما أمتلك من قوة، لم أنجح فقال لي: اليوم ستكونين لي وسيعطيك لي صالح مجبراً.

ضرب صالح بيده علي الطاولة بقوة، أطلق العديد من الشتائم وبعض الكلمات النابية ثارت ثائرتة، أما أرغوفان فرغم الهدوء الذي يبدو به إلا أنه لو كان يشار علي قيد الحياة لجعله يتمنى الموت، جلس صالح بعد أن سيطر علي غضبه قال:

_ أكملني ولا تنقصي أي شيء وإن كانت التكملة مؤلمة لنا.

قصد بكلامه أرغوفان وما تتبعه نهاية قتال كهذا بين رجل وامرأة.

أستمرت من حيث توقفت...أعدت دفعه وسحبت المسدس من حزامه، كنت أرتجف هددته لكنه كان يبتسم بخبائه...أغمضت عيناوي وفتحتهما بعدما سمعت دوى عالي بالمكان...تبادلا أرغوفان وأصلان نظرات تحوم عليها التساؤلات...واصلت... اخترقت الرصاصة صدره دون رحمة...فسقط وهو يصدر صوت أشبه بالخرير... ما إن توقف الصوت الذي يصدره حتى أتيت أنت.

جثي صالح أمامها وضع رأسه علي ركبتيها باكياً بحسره معذراً مراراً وتكراراً... مسحت علي رأسه وهي تبكي قائلة:

_ أنا من يجب أن تعتذر فقد قضيت عشر سنوات بالسجن دون أن ترتكب أي خطأ.

_ لا...صدقيني إيالك أن تفكري بأنني عشت أيام سيئة داخل السجن بل علي العكس كوني حفيد مظفر كارا أوغلو كانت له فائدة أيضاً ليسلم أخي أصلان كان له رجال بالداخل...أبتسم ليخفف عنها مردفاً...حتى أن حياتي داخل السجن كانت أهدى من حياتي مع أبي والجدالات اليومية...ضحكا علي مفضض ليستعيدا أياماً مضت بالشجار مع والده حين يريد القيام بشيء يخص جونول...عاد للجلوس بعدما أفاق لنفسه وقال: إذا ما حكايتكما أنتما الأثنين؟.

قال أصلان:

_ عندما كنت في السادسة من عمرك تم سجنني ظلماً فبحث الخال كثيراً عن محامي يمكنه إخراحي لكن دون جدوى...عندها والدتك أعطت أسم أخي والذي كان زميل دراسة لها في ميونخ..توجه الخال إلي اسطنبول وليسلم أخي أرغوفان لم يهدأ حتى أخرجني.

_ لحظه...هل كنت تعرف والدتي أيضاً؟...قال بتعجب.

_أجل كما أخبرك أصلان كنا زميلاً دراسة.

أكمل أصلان... حين أشد المرض علي جدك ولأنه يدرك بطش والدك وأخوتك علي جونول علم أنهم سيفرطون بها بأول محطة وأنتك سيأتي يوم لن تقوى فيه علي حمايتها لذا وزع أرثه بين جونول وأونور ابن زليخة ولأنه يعلم بجوهر والدك جعل بوصيته أن يكون إرث جونول تحت وصاية أرغوفان حتى يأتي وليها الأول.

_أنت!!.. قال بتهكم متوجهاً بالكلام لأرغوفان، لتوقفه جونول قبل أن يكمل بحدده: إياك... إياك والتفكير باتهام أرغوفان أو وضع الأحكام عليه أعلم جيداً ما ستنفوه به لكن ما جمعني أنا وأرغوفان لم يكن أمراً مخططاً... ما حدث بذلك اليوم أنه انتشلني من بين يدي الموت حينما لم تكن موجوداً.

_وهل بإرادتي لم أكن موجود؟.. قال بغصه

سقطت دمعته قالت: لكنك لم تكن في حين أنك قلت "أنتك لن تتركني".

أبتلع ما قالته جونول بصعوبة، فكل ما خرج من فمها وإن كان مؤلماً إلا أنه حقيقة بحتة، قال بعدما هدأ:

_لما لم تقل أي شيء؟

_كانت وصية جدك أن أختفي بعد جنازته وأن أبلغ جونول بكل شيء ما أن تبلغ الثامنة عشر...

أكمل أصلان خلفه... ولو علم والدك وجمال الدين بهوية الوصي صدقني لما ترددوا بقتله.

_ولماذا أتيت وأصررت علي أن أكون موكلك؟.

_ربما ستكون إجابتي قاسية لكنني أتيت وأخذت قضيتك حتى أخفي حقيقة ما حدث بذلك اليوم فقد تدخل أصلان قبل وصول البحث الجنائي ومسح أي أثر لجونول بذلك المكان.

أعتلت نظرة الصدمة وجه صالح وجونول فقالت بدهشه:

_ألم يكن جمال الدين من فعلها؟

_لا... أجاب أصلان... لقد تكفلت بكل شيء.

أضاف صالح وهو لا يزال تحت تأثير الصدمة... قالوا أن هنالك أثر لشخص آخر في المكان.

_لكن هذا الشخص بالتأكيد لم تكن جونول... قال أصلان.

_ عندما بدأ جمال الدين بأخذها إلي الطبيب النفسي ظننت أنه هو من فعل ذلك.
تسأل أرغوفان: لطالما سألت ولم تجبني وأظنه حان الوقت الآن لتخبرني....لما منعك والدك من مقابلة جونول ومنعها من الخروج والحديث معي بخصوص أي شيء.

_ ليس الأمر وكأني لا أريد أن أجيب لكنني لم أملك إجابة هذا السؤال قط...وعندما سألت جمال الدين قال "أنا عبد مأمور" وأنت تعرف وضع أبي لا يمكنه التكلم.
أنتبه إلي جونول التي اجتاحت عيناها موجه من الدموع بصمت...شد علي قبضتها قائلاً: يجب أن نغادر.

مضت ثلاثة أيام والكآبة تخيم علي جونول، تعيش حداداً ليس علي يشار بعد عشر سنين، بل لأنها كانت السبب في إخراج روح من جسد ما، أعطاها أرغوفان المساحة الكاملة لم يضغط عليها أو يتذمر، كان يقابل نوبات بكائها المفاجئة بوضعها علي صدره واحتضانها حتى تهدأ، لم يكن ينام جيداً فينتبه لأبسط أنين تصدره قبل أن تقفز من النوم جراء كابوس يعيد تكرار تلك الليلة مراراً وتكراراً، كان يعلم أن انعزالها وصمتها سببه شعورها بالذنب، لكن بداخله هاجساً علي أنها ما إن تتذكر كل شيء بوضوح ستغير حساباتها، عندما أعلن سلجوق المرة الماضية نبأ قدوم العاصفة؛ ظن أنه مستعد لها، لا يعرف ما مقدار الذي تذكره وكان يخشى السؤال، أجبر أريغيت علي الكذب، فأخبر الأسرة بأن جونول تمر باضطراب الحمل ووضع بوسط كلماته مصطلحات طبية ليبدو كلامه مقنعاً، ونظراً لكونه طبيب له مكانه معتبره فكلامه كان لا يلقى أي شوائب لأذهان أفراد الأسرة.

طرق الباب، لكنها ليست علي استعداد للحديث مع أحد، لم تجب لكن الطارق كان مُصرأً، دخل بعدما سمحت له، تجلس القرفصاء فوق الأريكة تطالع النجوم بالسماء قال:

_ رأيت عمي خارجاً لذا أردت أن أراك قليلاً...قال ألتان.
رسمت ابتسامة شاحبه قالت وهي تربت علي الأريكة... تعال.
مجرد تواجده بعش حبهما كان قاتلاً له، لكنه فضل الحديث إليها وفهم ما يحدث معها علي الرغم من ألمه...هل أنت بخير؟...قال.

_ "...أخاف أن أقول أنني بخير...فنتمنى دوامه...فيدوم بؤسي".
أبتسم قائلاً: اقتبسته من كتاب ما؟.

_أجل أظن أنها لديستوفيسكي.

_جيد تركت الكتب ولكن لم تنسي ما قرأت...تبادلا ضحكات واهنه مشحونة بالمجاملات، أردف...أشعر وكأن الأدوار قد تبدلت.

_وأنا بت أفهمك...أفهم صمتك وحزنك وألمك...لا أدري ما السبب الذي أوصلك لتلك الحالة لكنني فهمت متأخرة...أن تكلمت ستجعل من أمامك يكرهك...وإن لم تتكلم تجعله يتألم بسببك.

_ماذا جرى حتى وصلت لهذه الحال؟...قال بحسره.

_الذي جرى يمنعني من النظر بوجه أرغوفان ويمنعني أن أخبرك ما هو ويمنعني من البقاء معكم.

تسلل بداخله شك قديم، هل بدأت بالنفور من عمي؟...هل اكتشفت أنها لم تعد تهتم به؟...نفض من رأسه هذه الأفكار، صرخ علي قلبه ليتوقف فيستحيل له أن ينجر مجدداً خلف أو هام واهيه، لم يعد طفل مراهق فعليه أن ينضج...قال:

_هل أخبرك بنصيحه خبير؟.

_يا ليت!!..

_الصمت لا ينفع بشيء...يزرع بداخلك سواد حالك...تكبر تلك البذرة فتتسلل لأفكارك قلبك وروحك...إن الشيء الوحيد الذي يجيده الصمت...أنه يقتلك بهدوء.

_أحتاج لأكون قاسية أو لا مشاعر لدي لأتجاوز كل هذا.

_الأشخاص القساة والذين لا مشاعر لهم أو هكذا نزن بهم لكنهم ليسوا قساة بل لم يكن لهم أحد يسندون ظهرهم له وليسوا عديمي المشاعر فقط فهموا مبكراً أن البشر لا يهتمون بالمرء إلا إن كانت لهم مصلحة معه هل هو حزين أم سعيد فهذا غير مهم...لكنك لست كذلك فلديك صالح يمكنك أن تستندي عليه وأنت واثقة أنه لن يخذلك...لديك عمي الذي يهتم بحزنك قبل فرحك.

_لكنني أستمر في تدمير حياتهما.

_ربما لا...لأنك ترين نفسك هكذا لا يعني أنهما يريانك كذلك هما يريانك علي أنك سبب من أسباب سعادتهم...لذا ثقي بي حين يعود عمي ضعيه أمامك وأخبريه بكل ما تشعرين به دون نقصان فأن يتواجد بحياتنا شخص يستمع دون إطلاق الأحكام علينا هي نعمة نادرة الحدوث.

اغتصبت ابتسامه علي ثغرها قائله:

_هل وجدت هذه النعمة؟.

أعيدوا لي قلبي

ضحك قائلاً: أتضح أنني محظوظ بقدرك.

_ أتم الله عليك السعادة... لاحقاً سنجلس مطولاً.

_ أنتِ كونِ بخير وسنتحدث بكل ما تريدين.

تسللت دمعته من عينها فقالت:

_ كُنتِ خير عون لي طوال الوقت ولكن حينما احتجت لشخص بجانبك ألمني أنني لم أكن أنا.

"لقد ألمني أكثر مما تتصورين" قال قلبه..

_ لا عليك كان سؤالك عني يمدني بالقوة أيضاً... قال لسانه.

بدأت تعود لسابق عهدها تدريجياً، عادت تشارك العائلة الطعام، والجلوس في المساء رغم كثرة شرودها، فهم أرغوفان أنها تحاول استجماع عقلها ونفسها بطريقتها، لكنه يدرك أن لا معنى للهروب، وعليه مواجهه الأمر عاجلاً أم أجلاً.

دخل إلي الغرفة بعد العشاء باحثٌ عنها لأنه لم يجدها في الأسفل، تجلس قبالة النافذة ترأقب المضيق، أخذ أحد الكراسي ووضعها أمامها جلس قبالتها وسأل:

_ هل تشعرين بالتحسن؟

_ أحاول بقدر استطاعتي... ساد صمت مُربك، نظرا معاً إلي المضيق فخرجت عن صمتها قائلة: "لا أحد يريد أن ينسى"...

أُتسعت عيناه بدهشة، أكمل بابتسامة علي ثغره: "وبشكل أدق لا أحد يريد أن يُنسى.."
_ لم أنسى ولكنني مع الأسف نسيت.

_ ليست مشكلة فقد بتِ تتذكرين وسيعود كل شيء لنصابه.

قالت بشكل مفاجئ: هل كانت أول مره؟

نظر لعينيها بتساؤل لعله فهم فحوى السؤال بشكل خاطئ لكن النظرة الجديدة التي بعينيها أكدت ما الذي تتسأل حوله قال بعدما تنهد:

_ إذاً ترغبين بمحادثة شفافة لا شوائب بها؟

_ فقط لا تتملص من الأجوبة وأخبرني الحقيقة مهما كانت مؤلمة وأعدك أنني سأحاول تقبل كل ما يخصك جيداً كان أم سيئاً.

_ حسناً لكن لي شرط.

أعيدوا لي قلبي

ما هو؟

ستفعلين نفس الشيء بالمقابل.

موافقة... قالت بشيء من التردد.

شد سترته أعدل جلسته وقال: أجل لقد كانت المرة الأولى.. لكنني لست نادماً أبداً.

هل كان الأمر مؤلماً؟

كان الأمر صعباً في البداية ذقت الأمرين كانت الكوابيس تطاردني وطعم الطعام غير سائغ في فمي ثم بدأت أعتاد الأمر شيئاً فشيئاً حتى صار من الماضي.

بكت بحسره وهي تعتذر أمسك بيديها مواسي اياها... ليس لك ذنب في أي شيء كان مجرد وغد قد نال ما يستحق... بعد أن هدأت سأل: أخبريني لأرى لما كذبت علي صالح.

أن علم بالحقيقة حتى وإن كنت ما فعلته كان لإنقاذ حياتي ما كان لينفهم وسيصبح بلاءً عليك.

إذا... سأل وهو ينظر بعينيها ليرى ردت فعلها عن السؤال: لما لم تخبريه عن السبب الذي جعل والدك يعزلك ويمنعك من رؤية صالح حتى؟!.

ترددت في قولها: لا يمكن له أن يحتمل الحقيقة.

عبس وجهه وقال: ما الشيء الذي لا يمكن لصالح احتمالها بالضبط... بقت علي صمتها وعليها علامات التوتر فأضاف... أم أن هناك شيء لا أعلمه؟... زاد صمتها من حده توتره وبدأ رجفان قلبه يزعجه، ضم شفاته وزوى ما بين عينيه قال بهدوء لا يبدو عليه: تكلمي جونول ما الشيء الذي تخفينه عني؟.

عدني أولاً لن تفعل أي شيء ستسمع ما سأقول وتدعي أنك لم تسمع شيء.

نهض بغضب يمشي بالغرفة جيئاً وذهاباً، قال بفتور:

بما أنك طلبت صمتي يعني أن الأمر لا يمكن هضمه ولن يكون بإمكانني احتمالها.

يتحرك بالغرفة ويحصى كل ما يمكن أن يصيبها ذلك اليوم وضع كل السيناريوهات السيئة التي مرت عليه طوال فترة عمله، وما حدث من أمور مفاجعه بفتيات تعرضنا لمحاولة اعتداء أو تم الاعتداء عليهن، وضع هياكل لأمر سيئة سمع عنها أو قرأها بمكان ما، كل ما حاول توقع شيء يزداد غضبه ارتفعت حرارته وأحمر وجهه، أصبحت أنفاسه ثقيلة، أعادت له الذاكرة مظهر مكتب الأغا بذلك اليوم، عاين بحسب ذاكرته كل تفصيل بالغرفة، ما الذي تسبب بكسر زجاج النافذة وقوع الكرسي بعض الدماء المتناثرة أثر شجار محتدم، تمالك غضبه وحبسه سيطر علي كل ذرة مشتتة

بداخله، عاد صدى ما قالته في أذنه "لن تفعل أي شيء ستسمع ما سأقول وتدعي أنك لم تسمع شيء...". تسأل في نفسه: "إذا كان يشار قد فعل شيئاً فلما تطلب مني وعداً بعدم فعل أي شيء... كيف لي أن أوذي رجل ميت أساساً... نظر إليها بجزع... هل حدث لها شيء بعد تلك الحادثة فهي تخشى أن أوذي شخص علي قيد الحياة... هل لهذا السبب منعت من زيارة صالح وأخذ هاتفها وكان جمال الدين يهددها كي لا تتحدث معي... جلس قبالتها وقال:

_ أخبريني وأعدك أنني لن أفعل شيء.

_ ولن تخبر أحداً...

شعر بقلبه يعتصره "أنها تحمي شخص ما" أمسك بيديها ووضع رأسه علي جبينها قال:

_ أنا علي يقين أن ذلك الوغد لم يستطع أن يؤذيك فقد نال ما يستحق في الوقت المناسب لكنني موقن أنك تقومين بحماية شخص ما لذا أعدك أن كان الأمر يمكنني هضمه سأبتلعه وكأني لم أسمع... كان قريب من فمها ويستحيل لأذنيه ألا تسمع ما خرج منه... نظر إليها بتعجب وقال: هل تعيدين ما قلت؟... سقطت تلك الدمعة من عينيها رأى شفاهها تهتز بفعل كلمات تغادره... نهض بحيرة ليحاول أن يفهم ما سمعه أو لعله فهم بشكل خاطئ، صدحت الحقيقة في رأسه بما قالت: "سالم أعطاه الفكرة كي لا تكون لصالح الحجة بعدما فسخ الخطبة ولقد أعطاه الأمان"... شعر بالنيران تلتهب بداخله، خلع سترته، خرج للشرفة فبدأ كأن الهواء يخنقه، صرخ ضارباً كل ما يخرج أمامه، نهضت مسرعة احتضنته لتوقفه قائلة بتوسل:

_ أرجوك توقف سيسمعك الجميع فكيف لنا أن نفسر.

قال بغضب: دعك منهم... الرجل باع شقيقته "لقد أعطاه الأمان" عديم الشرف وضع شرفه علي طاولة المقامرة... انسحب من بين يديها وأردف... كيف أدعي أنني لم أسمع شيئاً كهذا.

_ أرجوك اهدأ لقد مضت سنوات وأنظر إلي النتيجة لم يحدث لي أي شيء أنت كنت في الوقت والمكان المناسب أنقذتني من يشار كما فعلت مع جمال الدين.

_ جونول ألا ترين لقد باعك... هل الأمر سهل علي وإن كان قد مضت سنوات تجاوز الأمر ليس بالهين.

ألقت سترته وخرج حاملاً الغضب معه وتاركاً جونول تنادي من خلفه.

عاد في وقت متأخر بعدما هدأ، وجدها تجلس بوسط السرير في انتظاره، خلع سترته

ورمى بجسده المتثاقل علي السرير، لجئ رأسه إلي حضنها، صمت هادئ كأن كلاهما أفرغا ما بداخلهما من غضب ولم يعد لديهما القدرة علي الحديث، تداعب شعره في صمت وهو مغمض العينين، كسرت الصمت قائله:

_ هل هدأت قليلاً؟_

_ لم أهدئ فقط بل انطفأت العاصفة التي بداخلي.

_ والسبب؟..

_ فكرت قليلاً ووجدت أنه لا يحق لي الغضب والصراخ والجدال كان يجدر بي الصمت والاستماع لك حين تشتكين وأمسح دموعك أحضنك لأهدئ من روعك... فالأمر صعب عليك أكثر مما هو لي حتى وإن مضت سنوات.

قبلته علي جبينه قائله: ألم تصرخ وتعصف وتجادل وتتوعد من أجلي هذا يكفيني ولهذا قلت لك أصبح من الماضي... لم يتكلم ففهمت أن مزاجه لا يزال مُعكر، ابتسمت قائله لتغير الموضوع: كنت تتبجح لأنك أحببتني فور رؤيتي وتحسرت لأنني لم أنتبه لك أتذكر.

فتح عين واحدته متسائلاً: يعني!!...

_ بعدما استعدت ذاكرتي عرفت أنني وقعت بحبك قبل ذلك بكثير.

أعاد إغماض عينيه وأراح رأسه بحضنها مجيباً... أدرك هذا في اليوم الذي احتسنا به القهوة في مقهى الجامعة كانت تلك المرة الأولى.

_ هل كنت تعرف؟... قالت بتعجب.

_ لا يمكن لرجل بالغ أن لا يفهم بأن المراهقة التي أمامه قد وقعت بحبه أو أعجبت به.

ضربته علي رأسه حتى أوجعته مردفه: لما أدعيت عكس ذلك؟.

قال وهو يسمح رأسه متألماً من الصفعة... كن... كنت مجرد مراهقة ولست منحرفاً لأجاري مراهقة.

_ ثم ما الذي تغير؟... قالت بحده.

أعتدل في جلوسه، ونظر إليها بنشوة حب، ولا يبعد عيناها عن عيناها، قال:

_ تغير الكثير... السنوات... أنا... وأكثر شيء أنت شعرك الأشقر أزداد طولاً... عيونك الزرقاء باتت أكثر جمالاً من البحر ذاته... وأزداد وجهك حُسناً، من زلزلت كياني بذلك اليوم، لم تكن المراهقة التي كُنت عليها، امرأة متكاملة الوصف، بتلك اللحظة

لم أرى فيكِ ابنة صديقتي بل وجدتُ فيكِ ضالتي، ما كنت لأكون رجلاً لو تجاوزتكِ دون أن يتزلزل داخلي... هذا ما تغير جونول؟

وضعت يدها علي وجهه تداعبه سألت دون مقدمات: هل جذب سلجوق انتباه الحراس عن قصد؟... توقف للحظه وكأنه يحاول إيجاد مهرب فأضافت... أيضاً أخبرتني أنك تعرف جانير لأنه قد جاء إليك وأخبرك بما حدث... لكنه لم يجدهم بذلك اليوم... وقد أهديتني كتاب صباح الدين الذي قد وعدني ألتان بإحضاره ولم يكن يعلم أحد بذلك سوى أختي عائشة.

_ ما الذي تحاولين قوله؟.

_ هل كل ما حدث مقصود؟.

زوى ما بين حاجبيه وقال: ألا يزال بداخلكِ شك؟.

_ يستحيل أن أشك بحقيقية مشاعرك وأدرك أيضاً أن لا شأن لمرضك باهتمامك بي لكن فقط لنغلق كل النوافذ والأبواب علي الماضي أجب علي أسئلتني.

تنهد وأعتدل بجلوسه قال: بعدما تقابلنا بالمكتب طلبت من سلجوق جمع معلومات دقيقة عنكِ... فأتاني بمعلومة أضافت صدري ووترتني "إن لها حبيب تلتقي به بين فينه وأخرى"... أتصلت بأصلان ليجمع لي معلومات من داخل القصر ولكي يتأكد من عائشة بخصوص هذه المعلومات... لكنه أكد أنكِ تخرجين وتقابلين ذلك الشاب حقاً... وخلال جمع المعلومات عن جانير عرفته من هناك أما الكتاب فأجل عرفت بأمره من عائشة وأحضرتة معي بناء علي الوعد الذي قطعته لكِ منذ زمن... لكن أمر سلجوق... أجل أنا أرسلته ليتعقبكِ وما فعله حماقه منه تسببت بفضحك وعندما أتصل بي وأخبرني تركت عملي وهرعت مسرعاً إلي منزلكم... وعندما جئت بكِ إلي منزل أزمير كان أول شخص أقاتله لأجلكِ أصلان لأنني لم أكذب عليه فقد أخبرته أن فكرة الانفصال عنكِ لا أضعها بجدول حساباتي بل علي العكس أنني أسعى لكسب حبك دون أي ضغط.

احتضنته قائلة: لا تؤاخذني حين يلازمني سؤال ما لا أنفك عن التفكير حتى أجد إجابته... وأيضاً أنت كنت تمتلك قلبي من الأساس.

بعد أيام تفاجأت الأسرة بزيارة غير متوقعة من جمال الدين، جلس رفقة جونول في الحديقة بناء علي طلبه، عبر عن استيائه من عدم إخباره أنها باتت تذكر كل شيء طرح العديد من الأسئلة ليفهم فحوى ما تتذكره، لكنها لم تخبره بأمر سالم فقال بغضب:

أعيدوا لي قلبي

_ أخبرني صالح أن ذلك الرجل أتضح أنه هو الوصي.

_ هل أخبرك صالح؟

_ أجل نحن لا نخفي شيئاً عن بعضنا أم أردت منه ألا يخبرني.

_ لا لم أقصد....

قاطعها مردفاً... لطالما تسألت عن سبب ظهوره فجأة بحياتنا لكن أنظري كيف خطط للأمر تقرب من صالح ليحمله فرصه للدخول إلي وسط العائلة ثم يقنعك بالزواج ويتحصل علي كل ما لك دون تعب.

_ أخي!... قالت بحده: هل تدرك ما الذي تحدث عنه؟

_ بالطبع وأنا...

_ يكفي...صاحت به...لن أسمح لك بقول كلمة أخرى عن زوجي والذي يدعى أرغوفان وليس ذلك الرجل...أخي علاقتنا عادت حديثاً وصدقني لن يؤلمني فراقك أبداً لذا إذا ما أردت أن نبقي علي تواصل عليك تعلم احترام أرغوفان وعدم التفوه بهذه التفاهات...

نهض بغضب صاح بها...جونول ماذا تظنين نفسك فاعله أظن أنك قد نسيت من يقف أمامك؟.

_ لا لم أنسى...قالت بتحد...أنت ابن أبي وأمي الذي كدت أن ألفظ آخر أنفاسي تحت قدميه.

_ جميل في كل فرصة ستضربيني بها صحيح.

_ لا تجبرني إذا!...

_ بل أنت لا تجبريني...أضاف بلهجة تهديد واضحة...والله لا أقول أنك تحمليين روحاً بداخلك بل أدعس كلاكما وأعبر.

_ سيدة جونول!...جاء صوت من الخارج...هل هناك مشكله؟

انغمرت عيناها بالدموع قالت: شاهين رافق جمال الدين إلي الخارج لو سمحت.

جلست ترتجف فالنظرة بعيون جمال الدين كانت نفسها بتلك الليلة رغم كل التغيرات التي قد طرأت عليها لكن تكرار تلك المأساة هو كل ما تخشاه.

_ عزيزتي!...أخبروني أن جمال الدين كان...توجه إليها بخطوات سريعة سأل بعدما رآها تبكي: ما الأمر لما تبكين؟

_ جمال الدين...كان هنا...أخبره صالح بكل شيء فتشاجرنا قليلاً.

أعيدوا لي قلبي

هل فعل لك شيء؟

لا...شجار عادي فقط...سيهدأ ويعود لرشده لا تقلق.

والله لا تؤاخذيني طالما أنه بيننا فأنا قلق.

مضت الأيام سريعاً وأصبحت جونول في شهرها السادس، لكن جمال الدين لم ييأس بمحاولته زرع الفتن بين أرغوفان وصالح، والأمر لم ينطلي عليهما عادت المشادات بين صالح وجمال الدين بسبب إرث جونول، لكن رغم كل ما يدور لم تُعلم جونول أرغوفان بشيء، فهي تدرك أنه لن يستطع تجاوز ما يحاول جمال الدين فعله.

تعال...قال بعد سماعه لطرق الباب.

دخلت بخطوات بطيئة قائله: أبي علي أشرف هل نتحدث قليلاً إن كنت متفرغ؟

بالطبع تعالي يا أبنتي...بعد جلوسها سأل: كيف حالك اليوم؟

بخير الحمدلله.

أرجو لك السلامة ولطفلكما الخلة التامة والصحة.

أمين...أبي أتيت لأتكلم معك بشأن مهم.

تفضلي أسمعك.

أخبرني أرغوفان أنكم تمررون بضائقة مالية منذ فترة.

أجل...قال بتعجب.

أرغب بالمساعدة.

كيف ذلك؟

لدي إرث كبير من جدي....

لحظه من فضلك...قاطعها مضيفاً...لن أسمح بشيء كهذا علي الإطلاق.

لكن يا أبي أدرك أن زواجنا قد تسبب لك بتفاقم الأزمة...

لا علم لي أن كان أرغوفان رفض الزواج لأجلك أم لا لكنني متأكد أن ذلك الزواج ما كان ليتم ولو وجهت السلاح إلي رأس أبنتي السميكة.

مع هذا أسمح لي بالمساعدة.

أبنتي...أدرك أن وضعك مع أخيك الأكبر ليس مستقراً وقد أحاطني شاهين علماً

بما حدث في الفترة الماضية...لقد انتظرت أن تأتي إلي ولكنك لم تفعلي...ولهذا لن

أعيدوا لي قلبي

أزيد الطين بله بقبول مساعدتك.

_لم أشأ إقحامك بمشاكل عائلتي ولأكون صريحة معك أنا لم أخبر حتى أرغوفان بالأمر ليس لشيء ولكن لا أريد له التورط مع أخي...مع هذا أنت لا تفكر بالأمر أنا وصالح سوف نحل الأمر.

_حسناً كما تريدان مع هذا لا تنسي أن لكِ سند هنا.

_أدامك الله لنا....بعد صمت ساد لوهلة قالت: ما رأيك لو نجعل المساعدة التي سأقدمها مشروع عمل.

_كيف ذلك؟

_نذهب بهذا الأسبوع للبلدة بأي يوم ونرى الأرض الجنوبية موقعها استراتيجي ويستحق إنشاء استثمار عليها.

_هل ما أفهمه صحيح؟

_أجل أن أعجبك الموقع أعطيها لك لمدة سبعة أعوام ثم تعيدها لي.

_هذه فكره جميله سوف أرى بأي يوم نتفرغ أنا وارطارول ونذهب ثلاثتنا.

_لكن يجب أن يكون خلال هذا الاسبوع فالأسبوع القادم تكون المسافات الطويلة ممنوعه علي.

_حسناً لا تقلقي.

مضى الأسبوع وأمضى أرغوفان علي أوراق الاستثمار كونه الوصي، ما أن علم جمال الدين بالأمر حتى ثارت ثائرتة، تشاجر رفقة جونول وصالح ولكن هذه المرة لسوء حظه بحضور أرغوفان، الذي لم يتهاون في إنزال وابل من الضربات عليه بعدما توعد جونول بالقتل، مضت هذه الأيام بصعوبة علي صالح وأرغوفان اللذان كانا يتوقعان أن ينفذ ما قاله، في تلك الأثناء أخبر ألتان جونول نيته بالارتباط بسناء، لكنه يخشى أن ترفضه لأنها تعلم أنه عاني من حب فتاة أخرى ولم يشفى منها، حاولت جونول أن تدير دفه ألتان باتجاه نيسان لكنه أقر أن في الأمر مخاطرة فلن تقبل العائلة بعلاقة كهذه وهم الذين قاموا بتربيتهم معاً كالأخوة، لم تصر عليه كثيراً لأنها تعلم أن نيسان تحاول الأخرى التعافي منه بطريقتها، وافقت بعد حوار طويل أن تسانده، وسوف تتكلم مع سناء لأجله.

يقراً عريضة المحكمة القادمة وقد أنتهى توأ من كتابتها، ألتفت ذراعاها حول عنقه فجأة، قال مبتسماً: لقد مضى وقت طويل علي هذا!!.

أعيدوا لي قلبي

_ علي ماذا؟.. أردفت بامتعاض.

_ علي هذه الأحضان حين كنتِ تشتاقي إلي...مُذ أن تغيرت شخصيتك افتقدت بكِ أشياء كثيرة.

_ وهل تشتاق لما كُنتِ عليه؟.

_ تلك الخجولة التي لا تقوى علي البوح بمشاعرها أشتاق لها ولاشتعال وجنتيها عندما أبالغ معها بشيء لكن بذات الوقت...أبعد يديها وأحتضنها... لا أرغب بالتفريط بما أنتِ عليه الآن...صحيح أن شقاوتكِ أحياناً تزعجني ولكنها تثير جنوني بطريقة أدمنت عليها...لاحظ أناقتها فقال: لمن كل هذا الجمال.

_ عن أي جمال تتحدث ما أنا إلا كمثل كيس منتفخ.

_ ألا يقولون سأحبك في السراء والضراء...هي هكذا سأحبك بجمالك وبشاعتك.... ضربته علي كتفه برفق وهما يتبادلان الضحكات فقال: أنتِ جميلتي وستبقين أجمل ما رأت عينايا مهما حدث.

رسمت قبله علي خده قائله: سوف أمضي الأمسية مع سناء.

_ لماذا؟...دعيتها تأتي إلي هنا؟.

_ لا...نرغب بالحديث فتاة لأخرى سنكون مرتاحتين كلانا بمنزلها أما هنا فمستحيل.
_ فهمت إذاً دعيني أوصلكِ.

_ لا داعي سيوصلني سلجوق أو أخي أصلان...دعني لا أشغلك عن عمالكِ.

_ لا تقلقي بشأن عملي ثم أرغب بامتاع نظري بهذا الجمال لأطول وقت.

_ سأمضي الأمسية وأعود...قالت وهي تضحك.

_ إذاً لنقل أنني أصبر نفسي بهذه اللحظات حتى عودتكِ.

_ هيا بنا إذاً...قالت باستسلام.

سحبها من يديها وقال: هناك أمر علي أن أخبرك به أولاً.

_ ما هو؟.

_ تعلمين صالح قد ذهب خارج المدينة ولن يعود قبل ثلاثة أيام.

_ أجل!!؟.

_ لقد جاءني وطلب موافقتي ليتقدم بخطبة أوزبرنجي بعد عودته.

_ هل حقاً ما تقول؟...قالت وهي تقفز بسعادة.

أعيدوا لي قلبي

_أجل.

_إذاً هل وافقت؟.

_في الحقيقة... تردد قائلاً: عندما يعود سنتحدث بالأمر.

_أنت... سألت بتعجب... لا توافق علي صالح!!..

_دعينا نتحدث بعد عودتك.

_لا أنتظر.... لماذا هل لأنه كان سجيناً؟.

_ما العلاقة كلانا نعلم أنه بريء.

_إذاً ما السبب؟... قالت بحده.

تنهد وأضاف... من فضلك دعينا نتحدث لاحقاً وسأخبرك بكل شيء.

_قل الآن السبب وأعدك لن نتناقش وبعد أن أعود نتفاهم علي ما يزعجك.

_حسناً... قال مستسماً.... لا أريد لأوزبرنجي أن تكون قريبة من جمال الدين وسالم.

_أتظن أنهم سيؤذونها... بالطبع لن يفعلوا المشكلة بيني وبينهم لا شأن لشخص آخر بها.

_بلى لها شأن هي شقيقتي أنا الرجل الذي تحداهم وأخرجك من بينهم وباتوا يعرفون أنني الوصي علي ثروتك التي يسعون خلفها برأيك ألن تتأذى أوزبرنجي بكل هذا؟.

_صالح يستحيل أن يسمح بحدوث مكروه لها.

_دعينا نذهب الآن وسنتحدث قدر ما تشائين عند عودتك.

_لم ينتهي الحديث هنا.

خرج من مكتبه وتوجه للخروج.

_عمي لحظة من فضلك.

_ما الأمر ألتان؟.

_ذاهب لتقل جونول؟.

_أجل لما تسأل؟.

_دعني أذهب لأقلها أنا.

أعتدل في وقوفه، وحاول يفهم سبب الطلب المفاجئ، "والسبب؟!.."

_ طلبت مساعدة جونول بأمر وأريد أن أرى النتيجة.

_ أخبرني الأمر بشكل جيد لنرى!!...

_ أردت من جونول وضع حجر الأساس تمهيداً لعلاقتي مع سناء.

أمسكه من عنقه ونطحه بخفه قائلاً: وجدت ضالتك أخيراً أيها البغل.

أجاب بحماسة: أرجو أن تكون هي ضالتي يا عمي.

_ خذ إذاً... وضع المفاتيح بيده مضيئاً... قُذ جيداً وأنتبه إلي زوجتي وطفلي هما أمانة لديك.

_ لا تقلق أفديهما بروحي.

_ أذهب أيها البغل... ضربه علي ظهره.

وقف أمام الباب متوتراً، تنهد طويلاً ومشى جيئةً وذهاباً، لم يعر ذلك الرجل النحيل ذو الشعر الأشقر أي اهتمام، رغم أنه كان يراقب حركته، أخيراً زفر بقوة حتى هدأت أنفاسه قليلاً، قرع الجرس، شد نفسه وأصلح شعره، فُتح الباب فكانت سناء:

_ مرحباً... قال والابتسامة بوجهه.

_ مرحباً... لم تعره أي اهتمام ولو بابتسامة قالت: ظننت أن أخي أرغوفان قادم.

_ أنه مشغول لذا أتيت بدلاً عنه.

_ آه فهمت... قالت بعدم مبالاة.

حاول أن لا يظهر توتره وقال: ما الأخبار؟

_ علي حالها لا يوجد أي تغير منذ تقابلنا في الصباح.

_ جيد... أردف والتوتر واضح بصوته.

_ أدخل لئننظرها بالداخل أعتقد أنها ستتأخر.

_ لا داعي سأنتظر هنا.

_ توقف عن العبث وكأنك غريب الشاي ساخن سأسكب لك ريثما تدخل.

فكر قليلاً بينما يخلع حذائه... هل جونول لم تخبرها بشيء أم أنها أخبرتها لكنها فضلت تجاهل ما علمته بشأن مشاعري.

قبل أن يغلق الباب قالت جونول: آه... ألتان لما أتيت؟

أجاب بصوت مرتفع... عمي لم يكن متفرغ ولهذا أتيت بدلاً منه... ثم همس لها... يكاد الفضول يقتلني.

أعيدوا لي قلبي

ضحكت وقبل أن تقول شيء رن هاتفها، نظرت إليه قائلة:
_ أنه عمك سأجيب علي اتصاله في الخارج لأترككما علي انفراد.
ارتدت معطفها وخرجت أجابت علي الاتصال:
_ عزيزي..

_ حياتي هل أتصلت بالوقت المناسب.

_ وما هو الوقت المناسب؟!..

_ أخبرني ألتان بالقليل.

_ أجل إذا كان من أجل هذا فأجل أتصلت بالوقت المناسب.

_ جيد... دعيني أستمع بسماع صوتك فلقد اشتقت لكِ.

_ بهذه السرعة!... قالت متعجبة.

_ لما العجب بنبرة صوتك أنتما معاً منذ خمس ساعات وهذا كثير.

_ يا لعجائتك!!....

_ ماذا أفعل هذا يكون حال العاشق لا يحتمل الفراق.

_ أرغوفان... قالت بصوت محشو بنبرة بكاء... أنا أحبك مهما حدث لا تنسى هذا.

قفز من مكانه قائلاً بفرع: جونول ما الأمر؟!... أين أنت الآن.

دخل ألتان بتوتر قال: خرجت جونول لنتكلم مع عمي.

_ حسناً لا مشكلة.

_ هل أخبرتك بشيء عني؟.

_ أجل قالت لي "أنك تفكر بشأننا بطريقة جدية".

_ وماذا قلت؟!..

_ ألتان أنظر هذا الأمر.....

سُمعت زخه من مسدس أطلقت بقرب المنزل، حمى سناء تحت المنضدة، ثم تبادلنا نظرات وقالت بخوف:

_ هل جونول بالخارج؟.

أحست جونول بصدمة قوية بأنحاء متفرقة من جسدها، ولم تفهم ما الذي حدث... كانت تسمع صرخات منبثقة من الهاتف، انهارت دون أن يصدر منها صوت، تمكنت

بلحظة صحو أن تلمس أثر الدماء بجسدها والتي شكلت بركة فيما حولها، رفعت الهاتف لأذنها وهي تستمع لأرغوفان الذي تكاد أحباله الصوتية أن تتمزق، أخرجت تلك الكلمات بصعوبة من حلقها، قبل أن تغط بسبات.

_ ألتان هل أنت بخير؟..

قالت الطبيبة عندما لاحظت أنه لم يعد يقوى علي التنفس، اهدأ حاول معي شهيق ثم زفير، بدأ بتنفيذ ما طلبت منه، هدأ قليلاً، أحتضن وجهه بيديه وبكى بحرقه مثل ذلك اليوم تماماً.

_ هل هدأت قليلاً؟... إن شئت سنؤجل الجلسة!

_ لا.... لا داعي فقط الأمر صعباً لأنني أتحدث لأول مره عن ما عشته بذلك اليوم.

_ يمكننا أن نغير دفة الحديث إذا شئت ريثما ترتاح نفسياً.

_ لا صدقيني أنا بخير.

_ إذاً أكمل عندما تشعر أنك بخير.

_ حسناً.

خمس دقائق حتى كانت سيارة الاسعاف تطلق صفيراً مدوياً وأضواء منقطعة، تقل جونول التي أخترق جسدها ثلاث طلقات نارية، تفلت منها حياتها... يجلس بهدوء قاتل في ممر المستشفى مقابل غرفة العمليات، كل دقيقة تمضي كأنها تنقص من عمره، أخبرته سناء أن ألتان تعرض لانفيار عصبي وتم حقنه بمهدئ ونقل لأحدى الغرف، لكنه كان غائباً عن الواقع يركز كل طاقته علي الدعاء لنجاتها، عشر دقائق وتواجد كل فرد من أسرته زليخة وأونور أصدقائها فور أن سمعوا بالنبا جاءوا، لكن لم يستطع أحد أن يستجمع طاقته ويخبر صالح المتواجد خارج المدينة بخبر صادم كهذا، لم يستطع أي من المتواجدين أن يخرج من صمته المقلق، بعد دقائق دخل الطبيب الذي أجرى لها عملية القلب راكضاً بسرعه وخلفه ممرضتين، كانت تلك اللحظة كفيلة ليبيدي برده فعل أخيراً، أغمض عيني وشد علي قبضته، أسند رأسه علي قبضته يدعوا سراً أن لا تكون إحدى الرصاصات قد أصابت القلب، جاءت طبيبة أخرى مع ممرض ودخلا مسرعين، دب الخوف في نفوس الجميع، أنه الطبيب الرابع الذي يدخل حتى الآن، زاد عدد تسبيحات علي أشرف، وعلا صوت دعاء خديجة، تضرع وابتهاال الجميع بدأ يصدح، بعد وقت قصير خرجت الطبيبة وهي تمسح يديها وعلي وجهها ابتسامه مُبشرة، نهض أرغوفان نحوها مسرعاً فقالت:

_ أنت بالتأكيد زوج السيدة جونول؟.

_ أجل أنا هو كيف وضعها؟.

_ لا تزال تحت العملية تعرضت لثلاث طلقات نارية واحده ببسار البطن والأخرى أحدثت خدش بالكبد أما الثالثة...

مع صمتها ضم شفثاه وقال: رأيت طبيب القلبية يدخل قبل قليل هل...؟

_ قريبة من القلب لكنها لم تتسب بأي ضرر فادح ومع كل هذا أحمل لكم نبأ سار... جذبت انتباه الجميع فقالت: رزقتم بفرد جديد مبارك عليكم أنها فتاة جميلة... قاطعتها الصيحات والابتهالات... لكنها انتبهت إلي أرغوفان الذي لم يهتم للمعلومة وعاد ليجلس مكانه بصمت... أكملت... ستبقى في الحاضنة حتى تتم شهرها السابع لأن رنتاها لا تزال صغيرة... أتمنى السلامة لوالدتها.

بعد ساعتين نقلت إلي غرفة العناية المشددة، يجلس قبالة ذلك الباب الضخم الذي يفصل بينهما، كانت تلك أطول ليلة تمر عليه ما لم تكن الأسوء بحياته، فقد كانت حبيبته تهيم تائهة بغيبوبة الاحتضار، لم يقل أحد أن هناك أمل ببقائها علي قيد الحياة فكل ما قاله الطبيب "فعلنا ما بوسعنا والبقية بأمر الله الأربع وعشرون ساعة القادمة ستكون كفيلة بتحديد وضعها" نظر إلي أريغيت يلتمس منه الأمل، فسقطت تلك الدمعة وتوارى عن أنظاره، كانت تنتظر الموت وهي موصلة بأجهزة وأسلاك عديدة، قد شق الأطباء بطنها لتمكن أبنتهما من النجاة، أخاطوا التلف الذي أصاب كبدها والقريب من قلبها، غذوها بليترات من الدم والمصل، عالجوها بمضادات حيوية عديدة، سمع ذلك الصوت المشؤم يدوى فشعر في المرة الأولى بأن روحه تُقبض بكى... دع... ركع... سجد... أبتهل... ناشد... إذا كان الأمر ليس بأيديهم بل بيد الله... سوف يستتجد يتضرع يسبحه سيطرق باب رحمته... لن يتهاون... وإن طرد عنه سيعود حتى تستجاب دعواته أو يجعل الله من الحب الذي زرعه بقلبه عقاب له، شعر أن صوته سمع حين خرج الطبيب وقال "تفادينها".

مع هدوء المستشفى أراح رأسه وأغمض عينيه، ليريحها قبل أن تبرزغ الشمس ويسمح بالزيارات، قفز فزعاً حينما هيئ له أنه سمع ذلك الطنين المشؤم مجدداً، تنهد وعاد ليجلس رأى الطبيب والمرضات يركضون "لم يكن حتماً" قال بخوف، تجاوز الأطباء ذلك الباب وعاد هو إلي حاله يستتجد ويبكي ويصلي ويبتهل... أحتضن وجهه بيديه وجثى علي الأرض، حتى أفاقته ذراع رقيقة ربتت علي كتفه، رفع رأسه فقالت بابتسامة لطيفة: لقد نجت.

عند الظهيرة كان يهيم في الممرات بحثاً عن أريغيت، رأى تلك الطبيبة صاحبة

الإبتسامة اللطيفة، توجه إليها توسل ألتمس العطف والرافة منها لكي يراها ولو من بعيد، رق قلب الطيبية لهذا المحب، قالت بحزم: لن تقترب منها سترها وتخرج.

_ أعدك بهذا... قال بشيء من السعادة... فقط لتعلم أنني متواجد معها.

أستطاع رؤيتها لبضع دقائق، كانت عارية، شفافة، تطفو بأنوار الصالة البيضاء، إلي جانبها جهاز تنفس متصل بالرغامي، وأسلاك تصل بينها وبين جهاز تخطيط القلب، لا تبعث حركته بأي أمل في النفس، كانت أوردتها بنفسجية بفعل الإبر التي حقنت بها، ولونها شاحب كشرشف السرير، حول عيناها بنفسجي، وبجزئها العلوي كتل متماسكة من الضمادات، توقفت صرخة بكاء في صدر أرغوفان، وظلت عالقة هناك.

خرج منهاراً ما بين الغضب والحزن الأسى والألم الصدمة والفاجعة، لا يدري أي شعور يمكنه أن يستلم الدفة بهذه اللحظة، كانت الأسرة في الانتظار، قال علي أشرف:

_ بني كيف حالها؟.

اعتصرت الكلمات بجوفه وتخالطت بالدموع، قال بألم: تصارع الموت... أدار وجهه عن أبيه، قبل أن تتساقط دموعه ليرى ألتان، أستولى بتلك اللحظة الغضب علي دفته، تهجم علي ألتان وهو يصيح به... ألم أقل لك أنتبه لها... أين كنت؟..

وقف بينهما ارطارول والذي قال قاطباً حاجبيه:

_ ما شأنه بما حدث؟..

لم يكن يسمع أحد، كأن كرة زجاجية تجمع بينه وبين ألتان الذي يقتله بصمته ودموعه المتهاجرة، قال بغضب:

_ ظننتك رجلاً وأمنتك علي زوجتي... أين كنت؟... حاول أن يبعد ارطارول مضيفاً بصراخ... أين كنت حين أرادوا قتلي؟.

دفعه ارطارول عنه وقال:

_ أرغوفان أنت غاضب وتتألم لكن لا تزيد الطين بله علي الفتى.

كان الجميع صامتين ليس لأنهم يلومون ألتان، بل هم مدركين أن أرغوفان يتخبط من ألمه، يرون أن لا وعي له، يفهمون أنه يحاول إيجاد متهم وحسب... أشار علي أشرف لأوزغور فسحبت ألتان من بينهم بصمت أرفق قبل أن يبتعدا.

_ قلت لي "أفديهما بروحي"... حُذ لأرى روحك مكانها وروحي تنازع في الداخل.

أعيدوا لي قلبي

ما أن توارى عن أنظاره، حتى ضرب بجسده علي أحد المقاعد، متألماً متقدماً بداخله
لوعه تكاد تقتله، بكى بكاء المضطر، حتى وهن، أحتضن أوزغور بقوة قال متألماً:
_ يتهمني ولا يعلم أنني أحترق أكثر منه.

_ لا تقل هذا أنه يتألم.

_ أن كانت روحه تنازع بالداخل فأنا بخسارتها لا أخسر نفسي فقط بل عمي وكل ما
يربطني بالحياة.

جلست بجانبه ومسحت علي رأسه قائله: لا تقلق سيكون كل شيء علي ما يرام...
تحسست رأسه سألت... منذ متى تعاني من الحمى؟.

مسح دموعه قائلاً: أظنه بسبب التوتر ارتفعت درجة حرارتي.

_ أنهض دعنا نفحصك.

_ لا داعي... قال بوهن: سأخرج وأستنشق بعض الهواء... رفع جسده المتألم كروحه
سار بخطى مرهقة، أستدار نحوها وأردف... إن طراً شيء...
أكملت من خلفه... سأتصل بك.

حين أختفى بين أولئك الناس، استدارت لتعود أدرجها... أوزغور... نادى من خلفها.
_ أريغيت!!

_ ما الأمر؟!..

_ صب أرغوفان جماح غضبه علي ألتان لقد خرج المسكين مكسوراً.

_ أنه يتألم سيأتينا الدور جميعاً.

_ ادعوا أن تتجوا في كل دقيقة فما أراه منذ الآن أرغوفان لن يحتمل أن....

بكت بحسره وألم، أحتضنها أريغيت وهو لا يجد أي كلمة ليواسيها.

_ هل تسمح لي بالجلوس؟.

نظر وبعينيه يرتسم التعب، قال بوهن: تفضل.

_ ألتان هل أنت بخير؟.

_ لا يا أصلان لست بخير.

_ لا أعني نفسياً... توقف للحظة وهو يفكر ثم قال بفرع: هل أصبت مع جونول؟

_ لا من أين خرج هذا؟.

_ أنتظر لحظة... وضع يده علي رأسه وأضاف... حرارتك مرتفعة.

أعيدوا لي قلبي

_ دعك منها لما أتيت؟.

_ هل أدليت بإفادتك للشرطة؟.

_ لا ليس بعد...لما؟.

_ هل رأيت من تسبب بكل هذا؟.

_ ألم تجد كاميرات مراقبة؟.

_ لا...بذلك الحي لا توجد كانت السيارة تتبعك أساساً منذ خروجك من المنزل وحتى وصولك لمنزل الأنسة سناء.

_ من يكون؟...ولما كان يتبعني؟.

_ طرح الأسئلة هي مهمتي لذا أجبني من فضلك هل رأيتة؟.

_ أجل لكن...

حاول التذكر لكن كانت المحاولة فاشلة مع ارتفاع حرارته والتي تسببت في عدم تركيزه، قال أصلان بحده:

_ ألتان الأمر جدي حاول التذكر بأي طريقة.

_ كانت الإضاءة سيئة لذا لم أركز بلامحه جيداً...متوسط الطول...عريض المنكبين...أضاف بعد أن تذكر...أجل صحيح عندما ترجلت من السيارة لقد لاحظت وصول شخص آخر للحي لكن لم أعره اهتمام.

_ هل رأيتة بوضوح؟.

_ ذو شعر أشقر...أبيض البشرة...نحيل...يرتدي سترة جلدية.

أخرج هاتفه بحث عن صورة ما ثم ناوله لألتان قائلاً:

_ أي منهما؟.

نظر ألتان بتمعن إلي الصورتين ثم قال بتعجب:

_ كلاهما متشابه.

_ هل من رأيتة أحدهما؟.

_ أجل.

_ شكراً لك.

أخذ هاتفه وغادر علي عجل، ما إن توارى عن أنظار ألتان حتى أجرى اتصاله...ما الأمر؟..

شاهين أن ألتان متواجد بحديقة المستشفى ولا يبدو أنه بخير.

ما به؟... قال بفرع

لا أدري لكن لو هلة ظننته أنه قد أصيب مع جونول فلدیه حمى ويبدو أنها قوية.

حسناً أنا قادم.

عند المساء أضيف زائر جديد، تبكي بلوعه لن تبكيها أم علي أبنتها، تستجد الله وتبتهل ليبي علي حياة أبنتها التي لم تتجها، كانت الشخص الوحيد الذي أجبر أرغوفان علي أن يفيق لنفسه وإن لم تكن تقصد، لم يجد أحد كلمات أو جمل تواسي ألمها فكيف لألم لم يوجد له أسم بأي لغة في العالم أن تجد له ما يسكنه أو يهدئه، وقف وشد نفسه، أغمض عينيه بقوة وزفر ليحاول أن يبقى صامداً، خطى نحوها بثبات ما إن رآته حتى توجهت نحوه كأنها وجدت من يشعر بألمها، أحتضنها محاولاً البقاء ثابتاً "آه صغيرتي تعيسة الحظ... آه عصفورتي الجميلة... آه فلذة كبدي وأبنتي التي لم أنجبها... ماذا أفعل بدونها... أنها نفسي الذي أتنفسه... آآه كيف فرطوا بغاليتي... أما قلت أنها في أمانتك... آه أمانتي تصارع الموت في الداخل." سحبتها خديجه من بين ذراعي أرغوفان، فقد رأت ذلك الألم الذي يعتصره من الداخل كانت كلمات عائشة تحطمه رغم صمته إلا أنه يحترق، أخذتها إلي المقهى بعد أن هدأت من روعها، جلس منطوياً علي نفسه من جديد يتردد صدى كلمات عائشة في أذنيه، "لا تقلقي ولا تشغلي بالكِ أبنتكِ منذ هذه اللحظة في أمانتي سأحميها وستكون أغلى من عيناى" هذه كانت كلمات الوداع التي ودع بها عائشة، قبل أن يغادرا تشكورفا، لكنه لم يقم بحمايته.

في المقهى شرحت خديجه لها عن وضع أرغوفان وكيف أن الكلام الذي قالته قبل قليل كان قاسياً عليه، وكيف لها أن ترضى بسماع إتهام أحدهم لأرغوفان بأنه لم يهتم به أو يحميها، وهي شاهدة علي حب أرغوفان لجونول، فقد كان كل صباح قبل أن يخرج يوصها بجونول حتى اعتادت علي الأسرة، وما إن اشتد بها المرض حتى أمسى يشدد عليها للانتباه عليها ويتصل بين فينة وأخرى، شعرت عائشة أنها قد ظلمت أرغوفان بكلامها، اعتذرت وبررت أنها كانت في حالة صدمة ليس إلا.

جلسا متجاورين طوال الليل، لم ترضى بالذهاب إلي المنزل مع خديجه، بعد ساعات طويلة خرج عن صمته مكتفياً بالسؤال عن جونول، عن طفولتها سنوات المراهقة، كان راضياً بأصغر التفاصيل، تساءل عن صفاتها ما تغير بها، طلب الاستماع حتى للتفاصيل الصغيرة بفضول المحبين، حدثته عن كل ما يخصها حتى مضت ساعات

وسط النجوى والدموع.

"ليلة العذاب" هكذا أطلق أرغوفان علي هذه الليلة، كان أريغيت منهمكاً في تنشيط قلبها بالصدمات الكهربائية، شعر أرغوفان أن عقله يكاد يضيع منه، فأبى ذلك الخط الممد بجهاز القلب أن يتحرك وذلك الطنين كاد أن يفقده سمعه، شعر أن هناك قوة شريرة تسبح بجونول بعيداً عنه، لن يوقفها إلا دعاء وتضرع صادق، توقف أريغيت عن صعقها بالصدمات الكهربائية، لكنه رأى ذلك الإصرار الذي لدى شقيقة، رغم نداء الطبيب له ليتوقف، إلا أنه أصر على الاستمرار بالتنفس الاصطناعي، يجلس فوقها ويداه تكاد تخترق قفصها الصدري، دون هوادة مستمر باستماتته في إنقاذ حياتها، جلس أرغوفان بيأس على الكرسي، تذكر كل ما مرا به معاً وما خاضاه، عادت له ذكرياته منذ اللحظة الأولى التي ألتقيا بها أسفل الشجرة حتى حديثهما الأخير قبل أن تترجل من السيارة، أبتهل ودعا لتؤخذ دماؤه وروحه وعافيته وتكون لها، كرر أسماها الآلاف المرات متوسلاً لها لئلا تستسلم وتستمر في القتال كاستمرار أريغيت باستماتته لإنقاذها، بكى دون مداراة شعر بأنفاسه مثقلة بقرون من الانتظار، ومن البحث عنها واشتهاؤها وحبها، متذكراً الشامات في جسدها، براءة قدميها، زرقة حدقتهاها، شذى ملابسها، حريير بشرتها، عبق جلدها، خط خصرها، عفوية ضحكتها، والطمأنينة التي تسلم نفسها بها لذراعيه بعد النشوة، انتشلتته عودت هذا الصوت، عادت فعلاً لقد أوشك الموت أن يتمكن من جونول، كانت إعادتها إلي عالم الأحياء ما هي إلا معجزة تحققت بفضل دعاء وابتهاال أرغوفان وعائشة وثبوت أريغيت، سقط أريغيت بحالة انهيار، أحتضنه الطبيب وهو يشجعه ليللم شتات نفسه، فور خروجه أحتضنه أرغوفان مطولاً حتى شعر أنه يعتصر بين ذراعيه، خرجت الكلمات من بين الدموع واللهثة... شكراً لك... لقد استسلمت لوهلة لكنك لم تياس... لقد أعدتني للحياة يا أخي أنا مدين لك... ساعده أريغيت للجلوس، جثى أمامه قائلاً:

_ لا زال باكراً لتشكرني.

نظر إليه بتوسل، فقلبه لا يحتمل خبراً قاسياً، لم يتكلم وحنى رأسه، فقال الطبيب:

_ الساعات القادمة ستحدد مصيرها كونوا علي استعداد وفق هذا.

نهض متسائلاً... ما الذي تعنيه؟... قال بغضب: نستعد لماذا أخبرني جيداً؟.

شده أريغيت من ذراعه قائلاً:

_ أخي حباً بالله أهدأ... تردد بقول... نجاتها الآن... م... ما هي إلا... معجزة.

مسح تلك الدمعة التي كادت تسقط وتسال:

_ هل يشرح لي أحدكم جيداً؟.

تنهد الطبيب وقال: إن توقف قلبها مجدداً فلا أمل من عودتها.. زال البأس.

رمى الطبيب الخبر كالقنبلة وغادر، فهوى أرغوفان بجسده علي الكرسي، وأصيبت عائشة بنوبة عصبية أجبرت أريغيت أن يطلب حقنها بالمهدئ، أنعزل أرغوفان عن العالم شعر بأن القدر قد أطاح به، لكنه ظل متمسكاً بذلك الأمل ذاك الصوت الذي يصدره جهاز تخطيط القلب، اعتبره إشارة من جونول كأنها تقول "أنا لا زلت أصارع فلا تتوقف عن القتال لأجلي" أنزوى بنفسه عن العالم، وتفرغ يدعوا ويتضرع ويستنجد لتمر هذه الساعات الستة علي خير.

تفتحت أضواء الفجر، وأرغوفان لا زال يتمتم بين أسنانه ويتألم دون عزاء، ساعات قليلة وأستيقظ المشفى، سُمعت ضجة الأبواب وهي تنوس، المصاعد، وقع الأحذية، وصوت الأدوات وهي تجهز بصينييات معدنية، ويعلوا فوق كل هذه الأصوات، صوت قلبه الجامح، أحس بيد عائشة وهي تمسح علي رأسه، لاحظ حضورها، تأمل كل منهما الآخر وهو مرهق، كأن عدد الشعر الأبيض برأسه قد زاد، وزادت تعداد القسامات في وجهه، وأختلط احمرار عينيه بالقرنية، فأصبحت عيناه مثل قطعه من الجحيم، أمضيا ساعات مضطربة وبظروف متماثلة، كانت متعبه، وعيناه منتفختان، وألم مفاصلها قد زاد فباتت خطواتها ثقيلة، جلست بجانبه وقالت:

لقد أرهقت نفسك... واضح أنه قد ذهب عمراً من عمرك...أرتح قليلاً.

وأنتِ أرهقتِ نفسكِ وقد ذهب عمراً من عمركِ أذهبي وأرتاحي.

تنهدت قائلة: كيف للمرء أن يرتاح وروحه تصارع الموت.

أنظري لقد أجبتِ عن سؤالكِ بطريقة مختصرة.

لكنها أبنتي وكبرت أمام عيناى يوم بيوم.

وهي حبيبتي وزوجتي وأم أبنتي ومستقبلي.

بعد صمت قالت: عندما علمت أنك من أنقذت حياتها خشيت أن تكون قد تأذيت لأنك أتيت لتنتقذها فأخبرتها أنك عرضت الزواج بها لتنتهي المسألة وبنهاية حديثي قلت لها "ربما كانت له غاية أخرى؟!.." قصدت زواجك منها لكنها ابتسمت قائلة "لا تكوني متوهمة صدقيني أرغوفان شخص جيد.. " لقد وثقت بك منذ البداية وأنظر أتضح أنها علي حق.

أمسك تلك الدموع التي تكاد تفيض، وربت علي يدها بصمت.

بعد ساعات طويلة من الانتظار، دخل فريق كامل من الأطباء وأحدهم أريغيت، نهض أرغوفان يراقبهم، يتبادلون الإيماءات والكلمات الغير مفهومه له، يتنقلون ملفاً

أعيدوا لي قلبي

وبعض الأوراق وصور لأشعة الصينية، بعد نقاش طويل وهم يحيطون بجونول، قال الطبيب المشرف علي حالتها شيئاً لمساعدته، دونت ما قال ثم خرجوا مصطفىين غادروا كما دخلوا باستثناء الطبيب المشرف وأريغيت قال الطبيب وهو يرسم ابتسامة عريضة بثغره:

لقد تجاوزت المريضة حالة الخطر.

أنعقد لسان أرغوفان من الدهشة وأبت الكلمات الخروج، ليكمل أريغيت وهو يربت علي كتفه... لقد أستقر وضعها أخيراً سنقوم بوضعها تحت المخدر لأن الألم الذي ستعانيه بعد استيقاظها سيكون رهيباً.

دخل بحالة هysteria من الضحك مختلطة بالبكاء، تلثم الكلمات حتى خرجت الجملة "لقد نجت جونول!!.."

أجل أخي لقد نجت.

أستدار إلي عائشة أحتضنها وهو يردد... لقد نجت يا سيدة عائشة نجت... أحتضن أريغيت والطبيب، وكان يرغب باحتضان كل من بالمستشفى، أضاف الطبيب:

سنحقتها بالمخدر لمدة يومين ثم سندعها لتستيقظ... زال البأس.

شكراً لك أيها الطبيب... قال وهو يعيد احتضانه.

لا عليك هذا واجبي.

في مساء ليلة العذاب

كان أصلان يقود السيارة بالطريق المؤدي إلي خارج المدينة، لتجبره سيارة علي التوقف إلي جانب الطريق، ترجل أحد المتواجدين بالسيارة، وكذلك أصلان بغضب قبل أن يتكلم ناوله الرجل هاتف وقال:

أخي الاتصال لك.

أخذ أصلان الهاتف بدهشة وأجاب:

من معي!!..

علي أشرف بوزدا.

سيد علي أشرف تفضل ما الأمر؟.

عُد مع الشباب سيجلبونك لي.

سيدي الآن لدي عمل مهم دعني أنهيه وسوف آتي إليك.

أعيدوا لي قلبي

_ أنا في الانتظار أسرعوا بالقدوم.

ألقى أوامره دون أن يبالي بما قاله أصلان وأنهى المكالمة، أخذ الشاب هاتفه وقال:

_ سيد أصلان اصعد وسأقود أنا السيارة.

لم يستطع الاعتراض وذهب معهم، بعد ساعة وصل إلي منزل ريفي بضواحي المدينة، بعد أن توقفوا قال الشاب:

_ سيدي ينتظرك في الداخل.

ترجل أصلان وتعتليه الدهشة والتعجب، فهو يأتي إلي هذا المكان للمرة الأولى، وأيضاً الرجال المتواجدين علي غرار عادات أسرة بوزدا، للحظة تسلل إليه ذلك الشعور من الماضي عندما كان مع "الخال مظفر" كما كان يدعوه، ما إن أقترب من الباب حتى فتح أحدهم له قائلاً:

_ تفضل السيد علي أشرف في انتظارك بالمكتب الغرفة المجاورة للمطبخ.

توغل داخل البيت، طرق الباب ودخل عندما سمح له بذلك قال متعجباً:

_ سيد علي أشرف... ما الذي يحدث هنا؟.

_ سمعت أنك توصلت إلي من تجراً علي أن يمس أبنتي.

_ أجل سيدي.

_ من عديم الشرف هذا؟.

_ سيدي أنا علي دراية بكيفية الأخذ بالثأر من من فعل هذا.

لم يتكلم وأستمر بالتحديق بأصلان في انتظار الإجابة فقال باستسلام:

_ سالم ديمير أحد أشقاء جونول وأشقاهم.

_ توقعت أن يكون جمال الدين خلف هذا!... قال بدهشة.

_ لا جمال الدين أجبن من أن ينفذ شيء بنفسه.

_ هل هو أحد التوأمين؟.

_ أجل سيدي.

_ سينال عقابه بالتأكيد... رأيت الرجال عند دخولك؟.

_ أجل سيدي.

سمعت أن لأسرة ديمير نفوذ كبيرة بالبلدة لذا هؤلاء الرجال في الخارج تحت أمرتك بالتأكيد المدعو سالم لم يقم بكل شيء وحده... أنتقم لأبنتي من كل واحد له علاقة بالأمر ولو بفكرة... وسأدعمك بالمال وما تحتاج من سلاح.

شكرا سيدي لكن اعذر فضولي... من أين أتوا كل هؤلاء الرجال؟.

وكيف تظن أنني أحمي عائلتي وأملاكي برأيك.

رضى الله عنك يا سيد علي أشرف.

لكن لن يخرج أسم عائلتي أو أسم أي فرد منها.

لا تقلق سيدي سيدركون أن عملهم معي شخصياً لا تقلق.

دعني أراك يا أسدي هيا.

استطاع أصلان خلال وقت قصير أن يعيد تنظيم خطته، وتوحيد صفوف الرجال الذين تحت أمرته، سواء من يتبعونه منذ بداياته أو أقران سلجوق وكذلك التابعين لأسرة بوزدا، كان لأصلان أمران، الأول أحضروا سالم لي حياً، ولا تمسوا شعره من جمال الدين ويمان أثناء إحضارهم.

في تمام الثالثة بعد منتصف الليل كانا جمال الدين ويمان مقيدان كل منهما بمكان مختلف، يمان الذي يصدح صوته في كوخ نائي بعيد عن الناس، ولا يوجد مجيب، أما جمال الدين فلا يزال مغشى عليه بمكان مهجور لإنشاءات لم تكتمل بعد، تلقى أحد الرجال المتواجدين بالقرب من يمان رسالة، أرسل بعيناه إشارة لمن حوله ليباشروا بمهمتهم، تناول أحدهم دلواً مليء بالمياه الباردة، سكب عليه يمان الذي بالكاد أستعاد أنفاسه، ألنقط أقران هراوتين وباشرا بضربه، فقد نفسه كل فينه وأخرى، وأصيب بنوبات صراخ وشتم في آن آخر، وما أن يشتد عليه الضرب حتى يشرع بالبكاء متوسلاً أن يتركوه مقابل المبلغ الذي يطلبونه، لكن أستمر الحراس بتنفيذ الأوامر التي تلقوها دون أن ينبسوا بكلمة.

بالكاد يستطيع فتح عينيه، وجسده واهن من شدة الضرب، يتلعثم بالكلمات محاولاً أن ينشئ جملة ليفهموا ما يريد، لكن لم يبالى به أي واحد منهم، مر ضوء سيارة من خلال نوافذ الكوخ حاول أن يصرخ لكن صوته تخلى عنه، فتح الباب وخطى من جاء إليه، توسل وألتمس من الرحمة، أشار إلي حراسه قائلاً:

أرفعوه.

أعيدوا لي قلبي

نفذوا الأمر ثم سكبوا عليه دلو آخر من المياه الباردة، فتح عيناه بصعوبة بسبب الكدمات، لمح من يقف أمامه لكن لم يره جيداً، أحس بشيء بارد يلمس جبينه، أجل أنها فوهة مسدس، أجهش بالبكاء متوسلاً.

_ ماذا فعلت لكم؟... أرجوك أتركني... سأعطيكم رقم هاتف أخي وأطلبوا منه المبلغ الذي تريدون؟.

_ وهل حياتك غالية؟.

_ ومن حياته ليست كذلك أطلب ما تشاء.

أنزل المسدس وقال:

_ إذا كانت حياتك تهتك ستجيب عن أسئلتني.

_ حسناً... حسناً... أسأل ما تشاء.

_ لما حاولتم قتل جونول؟.

_ من أنتم؟... ما شأنكم بجونول؟!.

_ سأعرفك بمن أكون بما أنك لا ترى بوضوح... أنا أصلان... وعلاقتي بجونول أنها أمانة الخال لي... هل فهمت الآن؟.

_ أصلان!!!... أخي أنا...

تلقى ضربة علي فاه وصاح بغضب... لا تقل أخي وأجب عن سؤالي وإلا سأضع طلقة برأسك دون أن يرف لي جفن.

_ إهداء أرجوك حسناً... إن ماتت جونول قبل أن تتجب أبنتها ستعود أملاكها إلينا.

_ أفرطتم بشقيقتكم لأجل المال.

أنهال عليه بالضرب حتى خارت قواه وأغشى عليه... عاد ليستيقظ مرتعشاً من برد المياه التي سكبت عليه للمرة الثالثة، قال أصلان:

_ دعنا نعقد اتفاق هل تقبل؟.

_ أجل... أجل... أي... شيء... أجاب وكل جزء من بدنه يرتعش.

_ أنت ستخبرني لمن كانت الفكرة من خطط ولما وقع الاختيار علي سالم.

_ ب... بالم... قابل؟.

_ سأتركك تعيش.

_ وعد؟!.

_ كلمتي لا رجعه فيها أخبرني بكل شيء وأقسم أنك ستخرج حياً.

فتح عيناه بصعوبة، يشعر بألم في مؤخرة رأسه من شدة الضربة، حاول التحرك لكن الحبال تقيد حركته، تفقد الأطراف من حوله، لا ليس بحلم، أنه مقيد فوق كرسي وداخل مبنى مهجور لم يتم إكمال بناءه، صاح بأعلى صوته لعله يجد مجيب، مع تكرار محاولاته دخل أحدهم "ما بك تصرخ" قال بغضب، نظر بتمعن لمن خرج ما أن أستقر تحت الضوء حتى دهش لرؤيته قال بغضب:

_ ألسنت أنت كلب أرغوفان؟.

خلع سلجوق سترته بصمت، فتح ربطه عنقه رفع أكمام قميصه، وجمال يصيح ويطلق الشتائم، اقترب منه بتروي قائلاً:

_ أخي أصلان يقرأ عليك السلام.

أنهال عليه بوابل من اللكمات كأن من يوجد أمامه كيس رملي لا إنسان، أستعاد وعيه لكن هذه المرة قد وجد أنهم جردوه من ملابسه ولم يبقوا عليه سوى ثيابه الداخلية كانت أسنانه تسطك من شدة البرد، شغلوا مبردان أحدهما علي جهته اليسرى والأخر علي جهته اليمنى، بالكاد أستطاع أن يخرج الكلمات المرتعشة:

_ ل...لما...تفع...لون...هذا؟.

قال سلجوق بغضب: أظننتم أنكم ستنجون من العقاب بعد الذي فعلتموه بالسيدة جونول؟.

_ نحن....ل...م نفعل...شيء؟.

_ لا تكذب لقد أخبرنا يمان بكل شيء.

_ ماذا....تريدون...مني...إذا؟.

_ إن سألتني فأنا أردت قتلك دون أن نجعل أيدينا تنتسخ بك لكن لأخي أصلان رأي آخر.

_ أصلان؟!...ما...علاقتكم...به.

_ جونول أمانة الخال وأنتم تعلمون هذا فمساسكم بها كان حركة غبية.

أنبلج الفجر وأصوات صرخات جمال الدين تهز المبنى، توقفوا عن ضربه وأطفأوا المبردات الهوائية، وتركوه ليتنفس الصعداء، عند اقتراب الضحى بدأت الشمس تدفع جسده الذي كاد أن يصبح كشاة معلقة بثلاجة الجزار، سمع وقع خطوات رفع

أعيدوا لي قلبي

رأسه بصعوبة ليرى من القادم، لم يتعرف علي القادم لأنه لم يستطع رفع رأسه، وضعوا كرسي بالمنتصف وقال بصوته المميز "أحضروه" علم من سماع الصوت أنه القادم هو أصلان، قال:

_ هذا أنت!!... أخي.

ركله بقوة علي بطنه قائلاً:

_ أنا لستُ بأخيك.

_ لا تفعل... أضاف وهو يتألم... إن كنت تحمي جونول لأنها حفيذة مظفر فأنت تؤذي أحفاده أيضاً.

أنحى عليه وشده من شعر بقوة حتى تألم، قال بغضب:

_ "يا أسدي حفيدتي أمانة لديك... أحميها كما كنت تحميني دون تفكير أو تردد" هذه كانت وصية جدك لا يعنيني هوية من يؤذيها الآن سأذيقك من نفس الكأس الذي أذقت أخي أرغوفان منه.

أشار نحو جمال الدين، فرفعوه وفكوا قيوده، ناوله أحدهم مسدس نظر بتساؤل فدخل الرجال وهم يحملون بينهم فتى بمقتبل العمر، يتخبط محاولاً مقاومتهم، ربطوه علي الكرسي وما إن نزعوا الكيس من رأسه، حتى صاح جمال الدين:

_ أصلان لا تفعل أرجوك..

بدأ الفتى باستنجاد والده وهو يبكي، توسل وألتمس منه الرحمة، لكن أصلان لم تأخذه رحمه به، قال بحده:

_ بيمينك مسدس به رصاصة واحدة أما أن تطلق علي أبنيك أو... أشار إلي الجدار الخلفي لتظهر عليه مشهد من فيديو ييث بشكل مباشر من المستشفى يوثق تواجد وفاء... أضاف... تدرك أننا لن نتردد في إطلاق النار عليها صحيح؟!.

_ اللعنة يا أصلان هل يعقل أن تقوم بأمر كهذا؟.

_ ألم تفعل هذا بأرغوفان أيها الديوث؟!... صاح أصلان بصوت غاضب... ألم تجعله يتجرع شعور فقدان الأبن والزوجة في آن واحد؟!... هل كان يعقل بذلك الوقت؟.

_ أبي أرجوك لا تتردد أنقذ أمي أرجوك... قال الفتى.

_ إهداء سأنقذ كلاكما لا تقلق.

_ يا لها من ثقة... أردف أصلان باستهزاء... آه إن كنت تفكر بفعل بطولي كأن تطلق علي نفسك أو علي سأخبرك بما سيحدث... إن أطلقت النار علي أو علي أي من

المتواجدين هنا سنقتل أبناك وزوجتك بآن واحد... وإن فكرت أن تطلق علي نفسك سيلحق بك أبناك وزوجتك وكذلك لن نحرم أبنتيك من لم شمل الأسرة.

_أصلان... قال بتوسل: بحق جدي عليك لا تفعل.

_ لا تحاول لم تأخذك شفقة حين قلت أنك تريد حرق روح أرغوفان وإن كان عن طريق قتل جونول... فلا تفكر بأن تأخذني بك رافة.

_ أنا لم...

قاطعة قائلاً:

_ لا تفكر بالكذب قبل أن نقطع لسان يمان أخبرنا بكل شيء أنت أردت أن تحرق روح أخي وهو أعطى الفكرة وسالم نفذها... هو أخذنا لسانه الذي قد أعطى الفكرة وأنت سنحرق روحك بشكل جميل أما سالم فسأرسله إلي السجن وسوف أجعلهم يرونه الجحيم بالداخل حتى يفرط في نفسه بيديه.

قال بدهشة: هل قطعتم لسان يمان؟..

_ أن اتخذت قرارك اليوم بسرعة سوف تجتمع به ويخبرك مطولاً عن ما فعلناه به وكيف قطع لسانه.

_ أصلان... أصلان... أنظر ما فعلته أنا رداً علي ما فعله بي وبأبي قبل مدة... أقسم لك فالحادث الذي تعرضنا له كان مدبراً.

_ وكيف علمت أنه هو من فعل هذا؟.

_ هو... بعدما أخذ رجاله جونول وعائشة إلي المستشفى قال أنه سيكسر لي رجلي التي رfst بها جونول.

سحب أصلان سلاحه صوبه علي رأس الفتى وقال:

_ ثلاثون ثانية إما أن تختار أو نختر نحن أسرع...

علا نواح الفتى وأبيه وتوسلاته ليبقي علي حياة عائلته مقابل أي شيء وإن شاءوا سيدلهم علي مكان اختباء سالم، رفض أصلان العرض لأنهم باتوا يعلمون مكانه ورجاله في طريقهم لإحضاره، زاد توسل جمال الدين لروح أبنه وزوجته، أنزل أصلان السلاح قائلاً:

_ يمكن أن نصل لحل سوي.

_ حسناً... لنفعل... قال وهو يلهث من الخوف.

_ أنت المسؤول عن كل أملاك والدك صحيح؟!.

أعيدوا لي قلبي

_أجل...أجل أنا المسؤول قانونياً وأنا من أدير العمل.

_جيد إذا...أشار لسلجوق تقدم بملف وناول جمال الدين القلم، أكمل أصلاً...قم بالإمضاء علي هذه الورقة وستتركك أنت وعائلتك.

_ما...ما هذه؟!.

_ستتنازل باسم أسرة ديمير عن كل أملاككم للدولة وسوف تخرج من هنا أنت وأبنك سليمين ولكن لا تمتلكان شيء سوى الثياب التي ترتديانها مع العلم أنك شبه عاري لكن علي أي حال القرار لك...أعاد توجيه فوهه المسدس علي رأس الطفل.

لم يضيع جمال الدين الوقت بالتفكير، أخذ القلم من سلجوق وأمضى علي الورقة قائلاً:

_ها قد فعلت ما طلبت أتركنا وشأننا الآن.

صاح قائلاً:

_يا شباب أنتهى عملنا تجمعوا فلنذهب.

نقلت إلي غرفة خاصة، أستطاع أخيراً البقاء بجانبها، قبل رأسها وجنتيها يديها وأشتم رائحة رأسها التي اختلطت برائحة الدواء، حدثها عن ما شعر به طوال اليومين الماضيين "لقد ذهب عمراً من عمري...لم أتجرع ألماً بقدر ما تجرعت بالأمس...لم أشعر بالخوف بقدر ما شعرت به...جعلتني أشعر بكل شعور مضاعفاً فقد أحببتك بطريقة لم أحب بها أحداً...أثرت بداخلي حماسة لم أشعر بها يوماً...بقدر ما شعرت بالحب والنشوة والشوق بقدر ما شعرت بالخوف والعجز والألم...أنا أتوسل إليك يكفيني هذا القدر من الألم...إلي متى سيتم اختباري بك...أنا معك لا أقهر وبدونك لا معنى لوجودي...أعاد تقبيل جبينها قائلاً: سأعود هناك حساب علي أن أغلقه وإلي الأبد أنتظريني.

حين خرج كانت عينيه جافه، ونظرته قاسية، وقلبه شديد العزم، لن يعود قبل أن ينتقم لمن فكر بحرق روحها، سار بخطوات ثابتة مبتعداً عن المكان المتواجد به الشخص الوحيد الذي يمكنه إيقاف هذا البركان المتنقل، حاولت أوزغور أن توقفه قائله:

_أخي إلي أين؟.

_لدي عمل يجب أن أنهيه.

_لكن أخي طلبت المستشفى أن نقوم بتسجيل أسم أبنتك.

أعيدوا لي قلبي

توقف كأنه أستذكر شيئاً ثم قال دون أن يستدير نحوها: كانت جونول ترغب بأن يكون اسمها "جانسو".

ألن تقوم بالاهتمام بالأمر؟!

سأترك الأمر لك وإن احتجت أي شيء أخبرني أريغيت.

خرج من فوره ما أن ألقى بهذه الكلمات، بحث عن أصلان سلجوق شاهين فلم يجد أثراً لأي منهم، أتصل ولا يوجد مجيب، صعد سيارته فصعد الثاني معه، قال بحده:

ما الذي تظن نفسك فاعله؟!

أرغب بالذهاب معك.

ترجل حالاً أنا لست بحاجة إليك.

دعني أكفر عن ذنبي بمساعدتك.

لست بحاجة إليك...صاح به.

بلى لن يجيب عليك أصلان سلجوق أو حتى شاهين...جميعهم يتلقون الأوامر من جدي وقد أمر بإبعادك عن المشهد...لم يتكلم فأكمل وهو يلهث...أنا خيارك الوحيد.

ألتان أنت لا تبدو بخير ترجل حالاً.

لن أتحرك ساكناً خذني معك ولا تفلق أعاني من القليل من الحمى لكن سأؤازرك بقوة ولن أتهاون.

حتى وإن اضطررت لإطلاق النار علي أحد من الثلاث.

لن أتردد في دعم ما ترغب بفعله.

أعيد وضعه علي الكرسي بعدما تلقى ضرباً مبرحاً وقع علي أثره علي الأرض، بالكاد يستطيع الرؤية ولا يقوى علي التحدث جيداً، وقد فقد العديد من أسنانه، تلعثم بكلمات بالكاد كانت مفهومه "هل...أغو...فان...أسل...كم؟".

لا ليس السيد أرغوفان...قال شاهين: بل نحمل لك سلام من أصلان الذراع اليمنى لمظفر كارا أوغلو.

أطلق بعض الشتائم وأرتخى جسده، أشار شاهين لأحد الذين بجانبه، ليوقظه بالماء البارد، ما أستعاد وعيه قال:

الآن سنرافقك إلي النيابة العامة وهناك تخبرهم كل شيء بشكل جميل....

أعيدوا لي قلبي

قاطع كلامه صوت ضجيج بالخارج، ضحك سالم قائلاً:

ظننتم... أن... أخوتي... سيتركونني؟.

صوب شاهين علي الباب، متأهب لمن يريد الولوج، لكنه أنزل سلاحه وقال بدهشة:

سيد أرغوفان!!..

م... اذا... تفعل... هنا؟... قال سالم بتعجب.

صوب أرغوفان مسدسه علي شاهين قائلاً بجدية:

أعطني مسدسك.

سيدي لدينا أوام...

قاطععه برصاصة تجاوزت كتفة مضيئاً بده...ناولني مسدسك...فعل ما طلب منه،

أخذ المسدس قال وهو يناوله لألتان: أخرجوا جميعاً...تبادل الحراس النظرات فصاح

بهم... ألم تسمعوا؟!.._

هيا لنخرج...قال شاهين.

خرج الجميع وعلي رأسهم شاهين فقال لألتان: وأنت معهم.

حسناً...قال دون اعتراض.

فرغ المكان ولم يبقى به غيرهما، بخطى ثابتة توجه نحو سالم حتى وقف قبالته،

ضحك سالم بشدة قال:

هل....

أصمته رصاصة استقرت بجبينه، حين خرج تصادف مع شاهين الذي كانت

الصدمة تعترى ملامحه حين رأى سالم جثة هامدة قال: أمرنا السيد علي أشرف أن

لا نفرط بروح أحد.

وأنتم فعلتم ما وقع علي عاتقكم ولم تفرطوا بأحد...هل صالح له علاقة بالأمر؟.

ماذا؟!..قال بدهشة.

_هؤلاء الأوغاد خططوا للأمر منذ ليلة عقد القيران تحالفوا مع والدهم وقد كانت

الخطة تقتضي في البداية بإرسال صالح لجعلها تعود معه وتتركني حين أفضلت

الخطة التي وضعها والدهم سارع جمال الدين ليصالح جونول باستخدام صالح وتلك

المسكينة صدقت ما حاكوه من خلفها وعندما رفضت التنازل عن الأرض وعرضت

شراكه مع والدي وجدوا هذه الخطة...ومن أخبرهم بأمر الوصي وهويته هو صالح

أنتم بالتأكيد حققتم بالأمر فهل صالح له علاقة بالأمر؟._

_ في الحقيقة لقد تكلم يمان عن مخططهم هم الثلاثة ولم يذكر أسم صالح بالوسط.
_ ربما لأنهم لا زالوا يريدون حمايته.
_ سيدي أن شكك بصالح أمر خطير.
_ إذاً أبحث عن الأمر وأخبرني هل لي أن أعتد عليك؟!
_ بكل تأكيد سيدي.

عندما عاد أرغوفان كان ألتان نائم وهو يتصبب عرقاً، حاول أن يوقظه ولكن دون جدوى.

دخل مسرعاً إلي غرفتها والفرع بادياً علي وجهه، كانت عائشة بجوارها تقرأ القرآن، وجونول تنام علي السرير كجثة هامدة، يخرج من فمها أنبوب تتنفس بواسطه، وقد تم وصلها بأجهزة تصدر أصوات لا حصر لها، قال والدموع بعينيه: جونول... أنحنى قبل على رأسها مكملاً... ما الذي حدث حتى تراجعت صحتك؟!... ما الذي يتم اختبارنا به يارب؟.

أغلقت عائشة القرآن قائلة: صغيرتي تعيسة الحظ أن الشرطة قد استنفرت ليجدوا الفاعل.

_ الشرطة!... قال بتعجب: أي فاعل؟!..

_ صالح!... قالت أوزبرنجي من خلفه.

أستدار نحوها متسائلاً... أوز ما الذي يحدث؟!... قلت لي أن وضعها الصحي تدهور لكن ما الذي سمعته توأ!!.

_ أسفه لم أستطع قول شيء كهذا علي الهاتف... لكن... تعرضت جونول لطلق نار.

_ ماذا؟!... سأل بفرع... من فعل هذا؟!... بل متى حدث هذا؟.

_ لا نعلم حتى الآن من الفاعل أبي أراد التدخل لكن أصلا منع أي أحد من التدخل أعتقد أنه يريد التكفل بكل شيء بنفسه.

_ متى حدث هذا؟!... وكيف؟!..

_ كانت في منزل سناء ذهب ألتان ليقبلها وبتلك الأثناء تعرضت للطلق الناري وقد... حدث هذا قبل يومين.

_ يومين!... أوزبرنجي أيعقل ألا تخبروني بشيء لما لم تتصلي بي؟!... صاح بغضب... لما لم يخبرني أرغوفان بشيء؟!... أين هو أساساً?!.

أعيدوا لي قلبي

قالت عائشة:

_ بني لا يجوز الصراخ بجانب المريض...أضافت بعد أن هدأ...إياك ولوم السيد
أرغوفان لقد عانى الأمرين وأنا كنت شاهدة علي أنه لم يكن بوعيه من شدة خوفه
وقلقة.

قال بحنو: كان عليكم إخباري باكراً.

_ لم أعرف كيف أبلغك بالأمر فخير كهذا ليس سهلاً...قالت أوزبرنجي.

_ ماذا عن الطفلة؟...هل...لم يستطع إكمال سؤاله والدموع تتجمع بعينيه.

أجابت أوزبرنجي بابتسامة عريضة: جانسو بخير رغم أن إحدى إصابات جونول
كانت بالبطن لكنها نجت بأعجوبة.

_ الحمدلله...قال وهو يمسح وجهه كي لا ينهار، سأل بعد أن أستجمع رباطة جأش
...ماذا عن وضع جونول ماذا قال الطبيب؟.

_ "لقد تجاوزت مرحلة الخطر" هذا ما قاله الطبيب وأيضاً هم يضعونها تحت المخدر
لأنها لن تحتل الألم إن استيقظت.

_ حسناً متى تستيقظ؟..

_ في الغد سيتوقفون عن إعطاءها المخدر.

_ آه فهمت...عاد ليقبل جونول علي رأسها قال: عصفورتي الصغيرة صغيرتك
باننتظارك تعافي بسرعه.

_ أترغب برؤيتها؟!...قالت أوزبرنجي بسعادة.

_ بالتأكيد.

_ تعال سوف أأخذك إليها لا تزال بالحضانة لعدم اكتمال نمو رنتيها.

_ هل ستكون بخير؟!...قال بقلق.

_ أجل لا تقلق ستم شهرها بالحاضنة ثم ستخرج وتكمل حياتها.

_ حسناً هيا بنا.

خرجا متجهان إلي قسم الأطفال، يمشى منتشى بالحماسة فسوف يصبح خالاً للمرة
الأولى، قالت أوزبرنجي بينما يسيران:

_ قال أريغيت "عيناها تشبهان عيون جونول".

_ إذا الشقية أعادت استنساخ نفسها...أضاف مغتصباً ابتسامة بشفتيه.

_ لا فشعرها ليس أشقر بل أسود.

_ إذا تقولين إنها.....رن هاتفه فقال: أعتذر يجب أن أجيب...أجاب على المكالمة لكنها كانت مكالمة مليئة بالاضطرابات والتوتر، أنهى الاتصال وأضاف بعجلة... يجب أن أذهب بسرعة...

_ ما الأمر؟...قالت أوزبرنجي بقلق.

_ زوجة أخي من أتصلت لم أفهم جيداً لكن يبدو أن جمال الدين ويمان قد تورطوا مع أشخاص ما.

_ ماذا؟...إذاً برأيك هل ما حدث مع جونول.....

_ لا أريد أن أستنتج أي شيء لكن أعتقد أن يمان وجمال الدين تورطوا بشيء وقد وصل الأذى إلي جونول...أردف وهو يبتعد...سنبقى علي اتصال يجب أن أذهب إلي البلدة الآن.

_ حسناً أتصل بي حين تصل.

تم إدخال ألتان إلي قسم الطوارئ فور أن أحضره أرغوفان، شرع الأطباء في خفض حرارته وإجراء التداخلات لفهم سبب هذه الحمى، بعد أن انخفضت حرارته بالمعدل الطبيعي تم تسجيل دخوله إلي المستشفى حتى معرفة المسبب للحمى، لاحقاً أجريا له العديد من التحاليل، وبقي أرغوفان بانتظار النتائج، لكن لم يدم انتظاره فقد تلقى اتصالاً من علي أشرف والذي طلب منه القدوم في الحال.

دخل علي مضض فهو يدرك ما الذي سيسمعه، قال:

_ مرحباً أبي!..

كان جالساً علي مقعد مكتبه، ويقف علي يساره شاهين، رمق شاهين بنظرة حاده فقال علي أشرف:

_ دعك من النظر إليه وحدثني بحق الله ما الذي أقدمت علي فعله.

أجاب بهدوء: فعلت ما كان يجب أن يحدث.

ضرب بيده علي الطاولة، وصاح به...منذ متى أصبحت قاطع طريق وتحاسب الناس كما يحلو لك...أم أنك رجل عصابه ولا علم لي؟!.

ضغط علي أسنانه، محاولاً عدم البوح بكلمات جارحة لوالده ثم قال:

_ العقاب الوحيد الذي كان يستحقه علي كل ما فعله.

قال بغضب: أنسيت من أنت؟!.. أنت محامي مخضرم إنجازاتك تتحدث نيابة عنك فأبي عقاب كان يستحقه دون عدالة... لا تقف أمامي وتحدث بكلام فارغ.

ضحك بحنقه وقال: بالتأكيد كلام فارغ يحق لك أن ترى الأمر كذلك... ماذا كان علي أن أفعل أذهب وأسلمه للشرطة فيسجن لخمس أو ثماني سنوات ويخرج مجدداً وينهي ما بدأه أليس كذلك.

_ بني أنت تدرك أنك قتلت شخصاً أم لا؟!..

_ لم أقم بشيء صحيح بقدر تلك الرصاصة التي استقرت برأس سالم.

نهض بسخط قائلاً: أرغوفان عد لوعيك هل تسمع الكلام الذي يخرج من فمك؟!

_ أسمع جيداً وأنا بكامل وعي لا تقلق... صدقني لا يوجد بداخلي ندم بمقدار ذرة أتدرك لماذا لأنه امتحنني بزوجتي وطفاتي... ثلاث إنشآت تلك المسافة التي فصلت بين أبنتي والرصاصة ثلاث إنشآت وكنت دفنت حفيدتك قبل يومين.

_ ومع هذا....

قاطع والده ووجهه يشتعل من الغضب... لا أريد أن يؤاخذني أو يوعظني أحد تلك التي تصارع الموت وزوجتي لذا صدقني كل ما أفعله قليل.

تنهد علي أشرف وقال بحنو:

_ بني أنني أكثر شخص يمكن أن يفهم ألمك...

_ أنا آسف يا أبي لكن لن تفهمني عندما وضعت التراب علي جسد زوجتك كان هذا قضاء الله وقدره لذا تقبلته وأكملت حياتك لكنني... ضرب علي صدره مراراً بحسره وهو يقول: أنا... زوجتي... هناك من أراد قتلها... أنا... أحترق من الداخل... لو عاد للحياة وقتلته مراراً وتكراراً لن تنطفئ هذه النار... لا يحاول أي أحد منكم مواساتي... لا يعتقد أي أحد أنه يشعر بألمي... توجه نحو الباب، لكن الكلمات التي يخشى

خروجها تأتي إلا أن تصدح بالأفق، أستدار نحو والده قائلاً:

_ كنت تمتلك كل هؤلاء الرجال ولم تستطع حماية المرأة التي قبلت يدك ونادتك أبي... أتضح أنك تجمع هؤلاء الغربان للزينة فقط.

خرج ضارباً الباب خلفه، عاد علي أشرف ليجلس مكانه، غاص بصمته فلم تكن أي كلمة بإمكانها تبرير موقفه قال شاهين:

_ سيدي لا تأخذ بخاطرِكَ أنه كأسد جريح.

_ أنا الضحية الثانية بعد ألتان... لكن أتدري كلامه صحيح كنا نعلم أن عديم الشرف جمال الدين قد هدد جونول مع هذا لم نأخذ احتياطاتنا.

_ سيدي من كان ليتوقع أنه سيحاول قتل شقيقته حقاً.

_ ومع هذا كان يجب أن نحميها ولو من بعيد... أن حدث لأبنتي شيء لا قدر الله فصدقني لن أستطيع رؤية أبني مجدداً.

_ لا تقل هذا سيدي السيد أرغوفان لن يفرط بكم.

_ لم أقصد رحيله بل سيغدو أنسان تعيساً لا يمكن إعادته للحياة.

مضى هذا اليوم قاسياً علي أسرة بوزدا، بعد فاجعة جونول وها هو ذا ألتان طريح الفراش ولا يستطيع الأطباء معرفة سبب مرضة، جل الأسرة بحالة من الاضطراب والفرع، فالجميع عاجز وليس بيده أي شيء وكل الآمال معلقة بأريغيت، بعد ساعات طويلة من الانتظار ظهرت النتائج الأولية لألتان وقد كانت سليمة ولا يوجد به خطب أو أمر خطير، رجح أحد الأطباء إلي أنه ربما يكون الخلل نفسي ويجب إحالة الحالة إلي الطب النفسي، لكن آخر قد طلب تحاليل شاملة لعله يوجد خطب لم ينتبه له أحد، وافق أغلب الأطباء علي إجراء تحاليل شاملة لألتان وسيباشرون بها غداً.

عند المساء كان الأطباء مجتمعون حول جونول، التي لا تزال نائمة رغم مضي ساعات طويلة علي قطعهم للمخدر عنها، ويجدر بها الاستيقاظ، تبادل الأطباء تحاليل عديدة واستنتاجات كثيرة وأفكار لم تزد الموقف إلا توتراً، بعد نقاش طويل خرج الطبيب وخلفه أريغيت الذي لا يمكن تفسير ملامح وجهه، فهم المتواجدين أن هنالك خطب ما فأريغيت كتاب مفتوح يسهل قراءته، قال الطبيب بحزن:

_ لقد فعلنا كل ما بوسعنا لكن...

_ ماذا أيها الطبيب؟.. قال علي أشرف بقلق.

_ أن المريضة بحالة غيبوبة كل شيء طبيعي لكنها لا تستيقظ.

_ لا بد من تواجد سبب صحيح؟... سأل أرغوفان بتوتر.

_ هذا أمر يحدث بسبب نقص الأكسجين علي المريض لوقت طويل هذا ما نرجحه.

_ حسناً... متى سوف تستيقظ؟.. قال أرغوفان.

_ لا أعلم قد يستغرق الأمر أيام أسابيع أشهر وسنوات أيضاً.

_ ألا يوجد حل علي الإطلاق؟!.. قالت أوزغور وهي تتلأفي دمه سقطت.

أعيدوا لي قلبي

_ مع الأسف كل ما نملكه الانتظار.

قال أرغوفان كأنه يحدث نفسه:

_ هل يمكنني رؤيتها؟.

_ بالطبع تفضل.

دخل أرغوفان بصمت، قالت عائشة:

_ ماذا إذا ما أخرجناها لخارج البلاد؟.

_ لا يوجد شيء يمكن أن يفعل كل شيء طبيعي كما قلت من قبل الأمر لقد أصبح الأمر خارج إرادتنا... زال البأس.

ما إن أبتعد الطبيب حتى خرجت بيسان عن صمتها:

_ أبي أئن تستيقظ عما قريب؟!.

_ أبتني سمعتي الطبيب موعد استيقاظها غير معلوم أساساً بقائها علي قيد الحياة معجزة... عن أذنكم سأذهب لأرى ألتان.

دخل أرغوفان بخطوات ثقيلة، جلس علي طرف السرير، مسح بيده علي وجنتها أستنشق رائحة شعرها التي غيرتها رائحة الأدوية، قال: كنت ألمسك وأنا أرتعش خوفاً من أن أؤذيك أحببت هدونك خجلك وكم بغضت انطوائك وعدم مشاركتي مشاعرك ثم بدأت أحب كل شيء بك حتى أدمنت عليك... مجرد رؤيتك كانت توقع كل الثقل عن كاهل... الحديث معك مريح كنفس يطلق بعد شرب سيجارة... لم يكن يوجد شيء يهدئ غضبي ويغير مزاجي العكر سوى سماع صوتك... كنت حراً تائهاً قبل أن أعرفك... بك أسرت وأنا راضي بأن أكون أسيرك فقد عرفت السعادة والراحة والأمان معك... كنت بر الأمان الذي بحثت عنه لسنوات... فكيف الآن سأعيش دون الحديث معك وسماع صوتك... يقولون أنك قد تحتاجين وقت طويل حتى تستيقظي خذي قدر ما تشائين من وقت لكن إرضاء الله لا تتركيني وأنا سأنتظرك طوال العمر.

صياح فرامل السيارة كان عالياً، فجذب انتباه الحراس المتواجدين، وخرج علي أثره سلجوق وشاهين من الداخل، لكن ما شد انتباه أصلان الذي أطفأ سيجارته قبل أن يتوجه نحو من يقصده، هو من بداخل السيارة ترجل بغضب، بحث بعينه عن أصلان ما أن وقعت عليه عيناه حتى توجه نحوه وصياحه يدوي بالمكان... أصلان يا قليل الأصل كيف تتجراً علي المس بإختوتي... لم يتهاون أصلان في العدو نحوه قال بغضب:

- _ هل تجرأ أي من أولئك الحمقى أن يخبرك عن سبب فعلتي؟.
سحب مسدسه من خاصرته وصوبه نحو أصلان قائلاً بغضب:
_ كيف تتجرأ علي لمس فتى في الخامسة عشر يا عديم الشرف.
أشار أصلان لكل من حوله كي لا يتدخل أحد قال:
_ وهل ديوث من أولئك الثلاث أخذته رافة بطفل لا زال يبطن أمه؟.
_ أخوتي لم يكونوا خلفها... صاح بأصلان... كيف لأحدهم أن يطلق النار علي شقيقته.
_ أخوتك فعلوها... إن أردت أن تطلق النار فأطلق وأنت متأكد أن أخوتك أبرياء.
كان المسدس يرتعش بيده، صراع بداخله بين الحيرة والغضب، من سيصدق وكيف؟
أضاف عندما ألتمس منه الشك.. سأريك الآن السبب الذي دفعني لقطع لسان أخيك...
أشار إلي سلجوق قائلاً: أحضروا تسجيل يمان.
فتح سلجوق الهاتف وناول له لصالح، شعر كأن الدنيا هدمت فوقه، أخوته الذي هو
علي استعداد ليفديهم بروحه وهم كذلك، قد فرطوا بشقيقتهم تمنى أن تنشق الأرض
وتبتلعه، أعاد الهاتف وقال:
_ لكن ما فعلته ليس بمبرر ما أدراني أن أخي قد تحدث من شدة الترهيب الذي قد
تعرض له.
_ توقف عن التحدث بالهراء..
_ عن أي هراء تتحدث ألم تضعوا جمال الدين شبه عاري أمام مبردات ألم يتعرض
يمان للضرب حتى الصباح لم تتبق بالشباب عظمة سليمة.
_ صدقتي إن كان شيئاً أنا نادم عليه أنني لم أتحصل علي سالم.
صاح به... أصلان....
_ ما الذي يحدث هنا؟.
نظروا خلفهم إذ به أرغوفان، قال صالح:
_ أخي أتدرك ما الذي فعله أصلان؟!.
تقدم نحوهم ببطء وهو يضع يديه داخل معطفه، تسأل... ما الذي فعله أصلان حتى
دفعك لرفع سلاحك بوجهه؟!.
_ لقد أختطف هو ورجاله أخوتي قاموا بتعذيبهم لقد أربأ ابن جمال الدين فتى في
الخامسة عشر لقد خيروه بين ابنه وزوجته وقد تعرض يمان للضرب والترهيب

وقطع لسانه ولم يكتفي بل جعل جمال الدين يوقع علي تنازل عن أملاك الأسرة... ولا ندري أين هو سالم الآن؟!...

_ هل ما قاله صحيح؟!... سأل بتعجب.

_ لقد نالوا ما يستحقوا ما كان عليهم المساس بأمانة الخال... قال أصلان بحده

قال بهدوء مخيف بصوته: أنزل سلاحك لنتحدث أولاً.

_ بما سنتحدث ألم....

_ لا يهمني ما فعله أصلان بأخوتك أنزل سلاحك لنتحدث... ما إن أنزل سلاحه حتى قال: دعني أشاركك أفكارى بصوت مرتفع... بعد زواجي من جونول طلب والدك منها أن تذهب إليك وتخبرك أنها قد تزوجت بي بإرادتها وذلك لتخرج من السجن بنيه الانتقام مني وإعادة جونول إلي البلدة... بعد أن خرجت اتفقت مع أخوتك علي إعادتها وكونك الشخص الوحيد الذي يمكنه رؤية جونول وكذلك أنت الوحيد القادر علي إقناعها... اتفقت علي أن تسرد لها قصة قمتم بحكها معاً أنتم الأربعة لإقناع جونول أنني شخص انتهازي استغلّيت الموقف لأتزوج بها...

_ أخي أنت...

_ أطبق فمك وأستمع... أتيت إلي إسطنبول ركضاً وكما هو متوقع ذهبت معك جونول طوعاً... حاولت إقناعها بكافه السبل لكنها لم تقتنع فالأدلة كانت عكس الواقع... عندما رأيت إصرارها أردت أن تستخدم استراتيجية أخرى وعدم خسارتك تضمن عدم خسارتكم لجونول... بتلك الأثناء دخلت إلي أسرتي وتقربت من الجميع كونك شقيق جونول المحب... لكنكم شككتكم بهوية الوصي ولهذا كنت تردد دائماً لجونول أنني أنا من أتيت إليك وأنا الذي أصريت علي أن أعمل علي قضيتك... لم يكن لديكم دليل يؤكد الرابط بيني وبين الاغا... في أول فرصه وجدتها أدعيت أنك تسعى للصلح بين جونول وجمال الدين رغم أنني لم أصدق ولو للحظة واحدة إلا أنني لم أستطع أن أثبت أي شيء لجونول.

_ أخي أنت الآن تهذي... أكمل كلامه متجاهلاً أياه... فور أن أخبرتك جونول بكل ما تذكرته ذهبت مسرعاً إلي جمال الدين ولو أنك حقاً تهتم لشقيقتك لفكرت باحتمال أن يقوم جمال الدين بأذيتها... ما أنت إلا بيدق بيد جمال الدين والبقية يا صالح يا أسفي عليك.

_ أرغوفان أنت لا تدرك ما تتفوه به... أضاف بغضب... أنا أفدي روعي لأجل أختي.

_ لو كنت كذلك لما أخبرتك جمال الدين فور علمك بأمر الوصي لكنت أكثر حذراً في التعامل مع الأمر... قال أصلان.

_ أنا أفعل أي شيء لأجلها أنها من رائحة أمي.

_ إن كانت من رائحة أمك فهي أمانة الخال لي.

_ توقفا كلاكما... صاح بهما أرغوفان بغضب... رائحة أمي وأمانة الخال... هذا الكلام المبتذل الذي يقوله كلاكما دون فائدة... أنت... أشار إلي أصلان مضيفاً... أين كنت حين كانت أمانة خالك تعاني بطش والدها وأخوتها... أين كان كلاكما عندما هاجمها ذلك الوغد قبل عشر سنوات... أين كنتما عندما كانت ترفس من قبل جمال الدين... أين كنتما عندما كانت تعاني من المرض... أين كنتما عندما تعرضت لطلق نارِي.

_ ماذا تظن نفسك لتتحدث معنا وكأنك أنت من كنت تفعل كل شيء لأجلها... قال صالح بغضب.

_ حين لم تكن أنا من كنت متواجد قبل عشر سنوات عندما هاجمها ذلك الوغد... ألم تقل لك أنها أغمضت عينيها ولم تفتحها إلا بعد سماع دوي إطلاق النار... تلك الرصاصة خرجت من مسدسي ليس من الذي كانت تحمله... ألم توجد آثار لم تعرف لمن كانت لقد كانت لي ليس لأصلان.

قال صالح بدهشة: أنت ما الذي تقوله حياً بالله؟.

_ حين لم يكن هناك أي منكما لحمايتها أنا كنت... عندما كان جمال الدين يرفسها كبغل أنا من تدخلت لإنقاذها أين كنتما حينها؟... أنا من كنت أوقظها من نوبات هلع كانت تصيبها كلما حاولت النوم بسبب ما جعلها جمال الدين تعيشه... حين كنتما تنعمان بنوم هانئ أنا كنت أنام بعد أن أشد كل حواسي لأنتبه إليها كي لا تصاب بنوبة ضيق تنفس... أنا من رأيت كيف عانت فترة مرضها... أنا من سمعت آخر كلماتها قبل أن تقاطع حديثنا تلك الرصاصات الملعونة... أنا من سمعت آخر كلمة قالتها قبل أن تستسلم لسباتها.

_ أخي... قال أصلان عندما لاحظ كيف بدأت أنفاسه تنقطع.

_ أتركني... ألم تسأل عن ذلك الوغد سالم...

تدخل شاهين قائلاً:

_ سيدي هذا يكفي دعنا ندخل.

أمسكه من ذراعه وسار به نحو الباب صاح صالح... ماذا عن سالم؟.

_ فعلت به ما فعله بجونول.

_ ماذا؟... تعال إلي هنا...

أستدار نحوه وقال:

أعيدوا لي قلبي

_ لا تقلق رغم كل غضبي لم أكن إنسان قاسي لقد كانت رصاصة واحده استقرت بجبينه ولم أجعله يعاني قط.

_ أرغوفان!..

صاح به حين أمسكه الرجال أضاف أرغوفان... عليك الآن الانحياز لأحد الأطراف أما شقيقتك وأبنتها وإما أخوتك... أترك لك الخيار.

دخل رفقة شاهين وتركه يصرخ بالخارج قال شاهين:

_ سيدي ما كان يجب عليك قول هذا له.

_ أدرك أن صالح لا علاقة له بكل هذا وما أخبرته كان فقط لأتلاعب بأعصابه ليس إلا لكن إن أشهر بسلاحه في وجهي هذا يعني أنه أختار جونول وجانسو وإن ذهب إلي الشرطة يعني أنه أختار أخوته.

_ إن ذهب إلى الشرطة؟!..

_ لا تجعله يرى جانسو أو يقترب من جونول طوال حياته... هل يمكنني الاعتماد عليك.

_ لا داعي لتعتمد علي يمكنك منعه بنفسك من رؤية أبنتك وزوجتك فأنا لن أتركك تدخل السجن إطلاقاً.

دخل مارت الغرفة، ليرى كيف والده أصبح بحالة يرثى لها، فهو لا ينام إلا إن باغته النوم فجأة ولا يأكل إلا إن أتى وأصر عليه ليأكل، أصبح لونه شاحباً، ونمت لحيته ويرى كل شيء بسوداوية، فهم مارت أنه حين كان يقول "روحي تصارع الموت في الداخل" لم يكن مجرد تعبير مزاجي، بل فعلاً أنه بات جسد دون روح، مسح علي رأس والده وقبله، جثى أمامه وقال:

_ لم تأكل شيء منذ البارحة فلنذهب لتناول شيئاً ما.

قال كأنه يحدث نفسه: كيف أصبح ألتان يا ترى؟!..

_ لا زال علي حاله ترتفع حرارته فجأة ثم تنزل مع العلاج.

_ ألم تظهر تحاليله بعد؟!..

_ كل شيء سليم لا يوجد خطب بدني لديه.

_ أين هو الآن؟!..

_ عمي يقوم بإنهاء إجراءات الخروج سيذهب للمنزل.

أعيدوا لي قلبي

ساد الصمت قبل ذراع والده قائلاً بتوسل:

_ من فضلك أبي تعال معي لتأكل لا يجب أن تبقى هكذا يجب أن تكون قوياً.
_ قوياً!!!...

_ أبي من أجل جونول ومن أجلي ومن أجل جانسو التي لم ترها حتى الآن.
_ لا طاقة لي للحديث بني من فضلك.

_ حسناً أعدك لن أناقشك بشيء تكلم بما يريحك وأنا سوف أسمعك ولن أتكلم وإن كنت لا ترغب بالحديث سنصمت فقط دعنا ننزل لنأكل شيئاً ما أرجوك أبي.
مسح علي شعره وقبله قائلاً:

_ أدرك أنني أحملك ما لا تطيق لكن تحمل قليلاً حتى أجد طريقة أخرج بها من أسفل
أنقاض الحياة...أحتضن والده بقوه، أغمض عينيهِ وأضاف بحسره: أشعر كأنما
خنجرأ غرس بين أضلع وأستقر لا أقوى علي التنفس بني.

ربت علي كتف والده وقال وهي يرسم ابتسامة شاحبه علي ثغره:

_ لا تقلق أنا بجانبك وسنتجاوز كل شيء معاً نحن الأربعة ثق بي.
نهض وتنهّد قائلاً:

_ هيا بنا لنذهب قبل أن يغلق المطعم.

عند خروجها تصادفاً مع أربعة رجال شرطة، قال من يوسطهم:

_ أرغوفان بوزدا!..

_ نعم أنه أنا!.

_ تفضل معنا إلي مركز الأمن لدينا شكوى ضدك.

_ حسناً.

_ لحظة هناك سوء تفاهم...قال مارت بصدمة: أبي من ولماذا يشتكي عليك؟!.

أمسك بوجهه قائلاً:

_ لا تقلق جونول وأختك أمانة لديك حتى أعود.

_ أبي!..

_ قلت لك لا تقلق...

_ حسناً هل أخبر أصلاً؟!...قال بتوتر.

أعيدوا لي قلبي

_ اهدأ بني أنا محامي ما حاجتي بأصلان فقط أرسل خبراً إلي شاهين أنني ذهبت مع الشرطة وهو سيفهم.

_ ما الذي سيفهمه؟!.

_ علي الذهاب أنتبه لنفسك ولا تخبر أحد وتثير قلق الجميع ساحل الأمر.

_ حسناً أبي.

فور أن غادر أرغوفان مع الشرطة طوعاً، أتصل مارت بشاهين كما أخبره والده، وعندما سأله ليفهم الأمر أجابه كوالده تماماً "لا تقلق سأعود بوالدك".

_ عذراً أيتها الممرضة.

_ تفضل سيد ألتان!.

_ هل هناك أحد برفقة جونول بوزدا؟!.

_ لا لقد كنت قبل قليل بالغرفة لا أحد بجانبها.

_ حسناً شكراً لك.

كان متردداً في فتح هذا الباب، حيث تقبع أسوء كوابيسه وأجمل أحلامه بوقت واحد حيث تنام روحه وعذاب ضميره، حيثما ترقد من ملكت قلبه وملكها عمه، دخل بعد صراع طويل بين دخوله من عدمه، ممدته تنام بسلام كتمثال نحت بأنامل أبرع الفنانين، كملاك بلا أجنحه، ترقد دون حركه كأنها ترقد بمثواها الأخير، ارتعشت يده حين كادت أن تلامس وجنتها، منذ أن رآها لم تلامس يده ولو خصله من شعرها رغم رغبته الجامحة، غير مسار يده إلي تلك الخصلات الذهبية، ومن ثم إلي يدها التي تبدو ناعمة كيد طفل رضيع، صراعه مع رغبته وضميره أنتهى بفوز ضميره، فلن يكون سوى خائن من أتباع الخطيئة إن لامست يده ولو خصله من شعرها بدافع رغبة دفينية، سحب يده وجلس بعد أن كبت رغبة كأنها أزلية، شعر كأنما رغبته بأن يمسك يدها رغبة وجدت قبل أن يخلق حتى، زفر بقوة وتساقطت دموعه بلا هوادة،

بقى طويلاً يتأمل جونول، لم يستطع البوح بشيء، خشى من خروج كلمات سوف تضعفه، ستجره نحو أمور هو في غنى عنها، بدأ ضوء الشمس يتلاشى شيئاً فشيئاً غرقت الغرفة في الظلمة وباتت جونول بقعه خفيفة فوق السرير، ما إن حلت العتمة حتى أستمد القوة للحديث، شعر أنها لن تسمعه داخل هذه الظلمة كما لم تراه بوسط النور، قال: أخبرتك أنني أحببت فتاة لكنها أحببت صديق لي أعلى من الروح... أجل لقد أحببتك بكل جوارحي كل ذرة بي كانت تعيش بك... أحببتك وكنت مقتنعاً بحبك

ألا يقولون أن العقل يعاكس القلب بمن أحب...حتى عقلي رأى أن قلبي محقاً بحبك...
لقد عانيت كثيراً ربما سنتنين أنني مجنون لكن حتى المعاناة بسبب حبك أحببتها...لم
أجد الشجاعة لأخبرك بمشاعري قبل عمي لكن...لم يكن الأمر منوط بشجاعتي أو
لا فقد كنت أدرك رغم عدم اعترافي لنفسى لكن...فهمت أنك تحبين عمي منذ أن
التقينا في المستشفى لكنني ظلت أنكر لعي أكون متوهماً...ولهذا السبب لم أستطع
قول أي شيء لك...

أشعل ضوء الغرفة وقال: دمتِ سالمة جونول.

خرج من الغرفة كأنه ترك مشاعره بها، فالتان الذي دخل لم يكن نفسه الذي خرج،
لقد أحب جونول كما لم يحب من قبل، وسيظل يكتم حبها إلي الأبد، ولن يعود لرؤيتها
أبداً.

مضى أسبوع ثقيل علي الجميع، فأرغوفان رغم شكوى صالح ضده، إلا أنه خرج
بعد أن تم التأكد من أن سالم ديمير قد غادر البلاد قبل يومين، سقطت التهمة عنه
تلقائياً، فور عودتهم أمر رجال الأمن والرجال التابعين لسلجوق بمنع دخول صالح
إلي المستشفى أو اقترابه من المنزل، ولم يكن يغادر غرفة جونول إلا بعد إصرار
طويل يقوم به مارت ليخرج والده ليتناولوا الطعام معاً، فقد كان يعتني بجسد جونول
يسرح شعرها ويحافظ علي رائحتها ويبدل ثيابها، فلا تبدو للزائرين كمريضة بل
كأنها تأخذ قيلولة، أما ارطارول فقد كان أسوء أسبوع يمر عليه، بدأت تمر بالتان
حالات هذيان كثيرة وأحياناً يتحدث مع أشخاص غير متواجدين، كحديثه مع جونول
في المطبخ قبل يومين، يسير بنومه أحياناً أخرى ولا يذكر أي شيء مما حدث معه،
أخذوه إلي طبيب نفسي لكن دون جدوى.

الشهر الثاني قد مضى وأرغوفان لا يغادر المستشفى، والذي بات ألتان ينام به بسبب
غيوبة اصطناعية وضعوه بها الأطباء، بعدما أكتشف أحدهم أنه يعاني من ألتهاب
بالدماغ، ولا زال صالح يبحث عن سالم الذي قد فقد أثره بألمانيا بعد أسبوع من
سفره كما يظنون، في المساء تلقى أرغوفان اتصالاً من والده يبلغه فيه بالقدوم إلي
المنزل للحديث، كان يدرك مسبقاً نوع المحادثة التي ستدور بينه وبين والده، ورغم
عدم استعداده نفسياً لها إلا أنه مجبر علي الذهاب.

تفضل!...قال عند طرق باب المكتب.

أبي مساء الخير!!...

أرغوفان أهلاً وسهلاً تعال.

أعيدوا لي قلبي

_ أهلاً بك أبي... ما الأمر لما طلبت رؤيتي؟! _

_ تعال معي.

_ إلي أين؟! _

_ سنتحدث بمكان آخر.

صعد خلف والده توجهاً معاً إلي الطابق المتواجد به غرفته وغرفة مارت، قبل أن يصل إلى غرفة مارت كانت توجد غرفة، لا يذكر أرغوفان لما كانت تستخدم، هذا إذا لم يكن قد أنتبه لها قبل اليوم، دخل خلف والده، غرفة متوسطة الحجم، طليت باللون الوردي وبها سحب بيضاء وأرانب قد علقت علي الجدران، أغمض عينيه بقوه وفهم لمن هذه الغرفة، بجانب الباب خزانة متوسطة الحجم بيضاء اللون، وأسفل النافذة كرسي مريح وردي اللون، وعلي النافذة ستار أبيض عليه أرانب وردية تقفز بيدها جزر، ومقابل الباب طاولة بها العديد من السحابات يوجد عليها كل مستلزمات الطفلة، وبين الكرسي والخزنة سرير الطفلة الأبيض ويتدلى منها ألعاب متنوعه خاصة للأطفال، كان مارت جالساً علي الكرسي وقد غفى دون أن ينتبه، والطفلة تغط بنوم عميق، ما إن رأى هذا المشهد المحزن، سحبه علي أشرف خارج الغرفة، عادا إلي المكتب قال علي أشرف:

_ أرأيت مارت كيف ينام وهو جالس بجانب شقيقته التي لا تزال رضيعه... في حين أنه شاب يجب أن يتسكع مع رفاقه أو يتجهز لامتحانات القبول يعتني بطفلة لا تزال رضيعه... ألدريك فكرة عن كيف عاشت أبنتك طوال هذان الشهران... الجميع هنا يهتم بها باستثناءك أنت وأنت والدها هل تعلم كيف جهزت غرفتها حتى... دعك من كل هذا أنت لا تعلم ما هو شكل أبنتك بعد.

أنتظر أن يجيب بأي شيء، لكن المشهد الذي رءاه قد ألم قلبه، فقد تذكر آخر كلماتها "أبنتنا أمانتي لك" كيف له أن لا يهتم بأبنته ولا بأبنه، أضاف علي أشرف... هل ستفعل ما فعل بجنونول؟!... هل ستنبذ أبنتك لأن زوجتك لم تنجو؟! _

_ لا هذا مستحيل... قال بفزع

_ إذاً ما الذي تفعله؟!... أنت حزين أنا أفهمك لكن يكفيك هذا القدر من الحزن، أغلق علي حزنك في قلبك وأهتم بأطفالك... لا أقول لك أن تكمل حياتك بل علي العكس أخرج كل يوم وأذهب إلي زوجتك لكن لا تترك أطفالك دون رعاية... جلس أرغوفان علي الكرسي بوهن... فقال علي أشرف: أدرك أن الأمر صعباً لكن علي الأقل أنت لديك بصيص أمل حين فقدت والدتك لم يكن لدي سبب لأعيش من أجله وأمضيت

أعيدوا لي قلبي

حياتي أتجول جسداً بلا روح... صدقني لا زلت أستيقظ كل صباح أبحث بجانبني
لعلي أجد والدتك.

_ لكن أبي... جونول لم ترى أبنتنا قط لم تحملها أو تشتم رائحتها.

_ أفعل أنت نيابة عنها إنها أمانة زوجتك حافظ عليها حتى تعود.

ربت علي كتفه وخرج بصمت، ما إن عبر ذلك الباب حتى سمع بكاء أرغوفان بكل
أرجاء المنزل، لقد أستسلم أخيراً لتلك الصرخة التي توقفت بصدره يوم رآها تحت
تلك الأجهزة، بكى بمرارة الأيام التي مضت، بكى بكاء المضطر، أوقف علي أشرف
مارت الذي جاء راكضاً لمواساة والده فقال له:

_ دعه يفضي ما بداخله وإلا لن يقوى علي النهوض مجدداً.

_ وبهذا تكون قد انتهت جلستنا لهذا اليوم.

_ إذا لقائنا الأخير يكون الأسبوع المقبل؟.

_ بعون الله.

_ ماذا عن؟!... ما رأيته صباح الأسبوع الماضي؟.

_ لا تقلق لن تعود لرؤية هلوسات كهذه لقد انتهت.

_ تقولين إنها الأخيرة إذا؟!.

_ أجل بكل تأكيد... هل لي أن أسأل بعض الأشياء لكنها بدافع الفضول إذا كنت لا
تريد أن تجيب فلا بأس؟.

_ تفضلي.

_ هل رفضتك سنام بذلك اليوم؟.

ضحك قائلاً: أجل لأنها تعلم أنني لم أنسى جونول بذلك الوقت لكن بعد مرضي تغير
الكثير

_ ماذا عن صالح وأوزبرنجي؟!.

_ عمتي أوزي رغم مشاعرهما اتجاه أخي صالح إلا أنها لم تستطع الوقوف بوجه
عمي.

_ تقول أنها تخلت عن من تحب لأجل أسرتها.

_ أجل أنه كذلك.

أعيدوا لي قلبي

_ ماذا عن صالح؟!_

_ يحاول كل فينه وأخرى رؤية جانسو عن طريق جدي لكن جدي يرى أنه لا يمكنه
المجازفة بجانسو خاصة إذ بها وريثة الأرض الجنوبية الآن.

_ ماذا عن أخوة جونول؟_

_ لقد خسروا ثروتهم انتقلوا للعيش مع عائلة زوجة جمال الدين أما يمان فقد أنتقل
للعيش مع صالح في أزميز... ووالد جونول توفى منذ ستة أشهر.

_ أنا آسفه... إذاً هل سيقام حفل لجانسو أم لا؟!_

_ مستحيل أن يقبل عمي لكن أرجح أنه سيأخذها لرؤية جونول اليوم.

_ حسناً إذاً... زال البأس مجدداً وملتقي الاسبوع القادم.

_ شكراً لك وإلي اللقاء.

تمسك بأناملها الصغيرة أصابع والدها، وتقفز بفرح دون أن تعرف إلي أين يذهبان،
حملها ودخلا معاً إلي الغرفة، امتسحت تلك الإبتسامة التي علي ثغرة، حين رأى
السرير فارغ ومرتب، أنزل جانسو قائلاً والخوف يغزو صوته:

_ أبتني أنتظريني قليلاً هنا... لا تتحرك أبداً.

_ حسناً.

خرج مسرعاً نحو الاستقبال قال:

_ أين؟!... أين جونول؟!_

_ عفواً!... قالت الموظفة بتعجب.

أجاب بفرع... المريضة بهذه الغرفة... مشيراً إلي الغرفة مضيفاً... الغرفة رقم 504؟

_ لا أعلم لقد أتيت للتو.

_ أريغيت أتصلي بالطبيب أريغيت بوزدا.

رفعت سماعة الهاتف فنادى من خلفه:

_ أرغوفان أخي!!_

أستدار كأنما شيئاً أطبق علي صدره، فقد فجأة قدرته علي التنفس، أغلق عينيه التي
غمرت بالدموع لعله ما يراه وهماً، أعاد النظر إذ به يرى نفس المشهد، زفر بقوة
وأستطاع التنفس حين وقع ذلك الصوت الحنون بأذنيه:

أعيدوا لي قلبي

_أرغوفان.

وصل إليها بخطى واهنة، كأنما كان يبحث عنها منذ أن خلقت البشرية، كتائه في الصحراء وجد واحه، كضال في البراري قد وجد نهراً يريه طريقة، لم تستطع خطواته الواهنة أن توصله إليها، وقع علي الأرض والدموع تمنعه من الرؤية، دفع أريغيت الكرسي المتحرك إليه، رفعت رأسه فقال:

_جونول أنا لا أحلم صحيح.

_لا... أنا أسفه لأنني تأخرت.

أحتضنها برغبة مكبوتة، بحلم أزلي قد أصبح حقيقة، بأمنية قد تحققت بعد سجود طويل، قاطع لم شملهما صوت البراءة من الخلف قائلاً:

_عمي ما الذي يحدث؟

أستدار نحوها وكفكف دموعه قال:

_تعالى.... عزيزتى تعالى... اقتربت بخطوات حذرة... قال:

_دعيني أعرفك... جونول هذه جانسو... عزيزتى جانسو هذه... أمك.

تم بحمد الله

صدر للكاتب



رواية

منى الغيثي
أعيدوا لي قلبي

_لقد ضحكت معه من كل قلبي...
وجدت نفسي أضحك معه بنشوة حب...
قلبي كان خفيفاً معه...
قنوعاً بشخصه بعطائه اللا متناهي...
يقشعر جسدي حين ينظر إلي...
رأيت بعينه الحب الذي لطالما قرأته في الكتب...
كنت شديدة الخوف ومع هذا لم أخف...
فمعه لم أشعر بنقص في ذاتي...
هكذا بدأ كل شيء قبل أن أدرك...
أنني لن أحب من بعده...
أما من قبله فأنا لم أعرف ما هو الحب.

